

مطبوعات مجمع علمي العراقي

الجامع الكبير

في

صناعة المنظوم من الكلام والمنثور

تأليف

ضياء الدين بن الأثير الحنظلي

قام بتصحيحه والتعليق عليه

الدكتور مصطفى جواد و الدكتور محمد جليل سفيان

مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٩٥٦ م - ١٣٥٥ هـ

مطبوعات مجمع التعلی العراقي

الجامع الكبير

في

صناعة المنظوم من الكلام والنور

تأليف

ضياء الدين بن الأثير البخري

مراجعة: د. محمد باقر
قام بتحقيقه والسطح عليه

الدكتور مصطفى جواد و الدكتور جميل سعيد

مطبعة

مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٩٥٦ م — ١٣٧٥ هـ

تصدير

عصر نصر الله بن الأثير

كل أديب هو نتيجة ثقافته وموعبته وبيئته وعصره ، ولا اختلاف هذه المؤثرات الا ربما يختلف درجات الأدب وتختلف أحياناً ظروفه وأنواعه ، وعصر نصر الله بن الأثير هو النصف الثاني من القرن السادس من الهجرة ، والنصف الأول من القرن السابع ، وهذا العصر يتميز بالفتن الحربية بين الدول الاسلامية والامارات الافرنجية بالشام الروقة باستعمرات الصليبيين ، وبانحسار الدولة العربية العباسية واستعادتها استقلالها منذ عهد الخليفة المقتدي لأمر الله سنة ٥٤٧ هـ ونهوض دولة الأدب في حكم العرب ، والحروب الصليبية عند نشوبها أخذت تلهب المواطف ، وتفيض القرائح ، وتحرق القلوب ، وتهيج النفوس ، فأخذ النثر منها سيلاً سياسياً حماسياً رائماً ، وأخذ الشعر منها طريقةً حماسية لازمة ، وكثرت الرسائل المستفزة والأشيد الحافزة وأقبل الناس على التصعيد يلبون داعيه ، وحشدوا الى السنين في العصر المؤزر .

وانحاض الدولة العربية من كبريتها اقام للأدب سوقاً دائمة ، واستفاض القرائح ، وبحث جماعات كثيرة من الأدباء على خدمة دولة العرب ، بيد أن كانوا لا يصدقون بانحسارها ، ويستعجزون القدر في انبثاقها ، وألف جماعة من الأدباء كتباً في البلاغة والبيان .

وذكر نصر الله بن الأثير نفسه من المؤلفين في البلاغة من سبق عصره عصره « ابن أفلح البغدادي قال : « وثقت على كتاب يقال له « مقدمة ابن أفلح »^(١) البغدادي « وقد نصرها على

(١) هو جمال الله أبو القاسم علي بن أفلح الخليلي البغدادي الكاتب الحاكم للوفى سنة ٥٣٥ هـ قال الأثير الأقوال ، كان ذا فضل وأدب وله شعر طييع ونثر جيد بليل إلا أنه كان كثير القهواء ، لقبه الشيخ جمال الله ثم لقم عليه بغيره ثم قهره ثم قهره بن صدقة ليزيد عليه ، ترجمه ابن الجوزي وذكره في المقام ٥٢١٣ : ٩ و ٥٠ : ٩٠ . والهاد الأسفاني في خريدة القصر : نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٣٣٢٦ =

ترجمة مؤلف الكتاب

هو ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري المعروف بأبي الأثير .

والجزري نسبة إلى « جزيرة ابن مر » قال ياقوت الخواري : « جزيرة ابن مر : بلدة فوق الموصل بينها ثلاثة أيام ولها رستاق ^(١) غصب واسع لطيرت ، وأحسب أن أوكّل من عمرها الحسن بن مر بن خطاب الثقفي وكانت له امرأة بالجزيرة وذكره كُتّابُ قُرابة سنة (٢٥٠) ^(٢) . وهذه الجزيرة تحيط بها دجلة إلا من ناحية واحدة شبه الهلال ثم عمل هناك خندق أُجبرى فيه الماء ، وتصب عليه دحى ، فأحاط بها الماء من جميع جوانبها بهذا الخندق . وينسب إليها جماعة كثيرة منهم ... ويهو الأثير العلماء الأدياء ومعهم عبد الدين المبارك ^(٣) وضياء الدين نصر الله وعمر الدين أبو الحسن علي بنو محمد بن عبد الكريم الجزري ، كل منهم إمام . مات عبد الدين والآخرون حيّان سنة ٦٢٦ هـ .

وقال ابن خلكان : « والجزيرة المذكورة أكثر الناس يقولون : جزيرة ابن مر . ولا أدري من ابن مر ؟ وقيل إنها منسوبة إلى يوسف بن عمر الثقفي أمير العراقيين ، وسيأتي ذكره إن شاء الله . تعالى - ورأيت في بعض التواريخ أنهم ساء جزيرة أبي عمر أوس وكافل ، ولا أدري أيضاً من هما ؟ ثم رأيت تأريخ ابن المستوفي في ترجمة أبي السعادات المبارك بن محمد ...

(١) الرستاق والرزاقان : القرى وما يحيط بها من الأرضين .

(٢) في الطبعة الأوربية والطبعة المصرية يساعها من معجم البلدان « وكانت له امرأة بالجزيرة وذكر قُرابة سنة ٢٥٠ » وهو تصحيف طبع في الموشاة .

(٣) ترجمه ياقوت في معجم الأدياء « ج ١ ص ٢٣٨ - ٢٤١ » طبعة مرفليوت ، ولم يترجم أعلاه علماً بأنه لم يعد من الأدياء ، ولا نملك في أنه ترجم ألقابها عصر الله وضاعت ترجمته من الجزء السابع .

أنها جزيرة أوس وكامل أبي هرير بن أوس التتلي والله أعلم ، ثم إني ظفرت بالصواب في ذلك ، وهو أن رجلاً من أهل برقيد من أعمال الوصل بناها وهو عبد العزيز بن هرير ، فأضيفت إليه ^(١) « الجزيرة اليوم من بلاد تركية .

وقال جلال الدين أبو حامد محمد بن علي بن الصابوني في كتابه « تنكية إكمال السكال » في مشابه السب : « وذكر في باب الأثير : يفتح الهزة وكسر التاء الثلاثة وبمدها ياء مسجمة باثنين من تحتها وآخره راء مسجمة جماعاً ، منهم الأخوان الفاضلان أبو السماعات البارك وأبو الحسن علي ابن محمد بن عبد الكريم الجزري وأغفل ذكر أخيها الوزير الفاضل أبي الفتح نصر الله ^(٢) ... »

وقال زكي الدين عبد العظيم النفري : « الأثير : يفتح الهزة وكسر التاء الثلاثة وسكون الياء آخر الحروف وبمدها راء مسجمة ^(٣) » .

قال باقرت الخوي : « والأثير هو أبوه محمد بن محمد بن عبد الكريم ^(٤) » .

والأثير في اللغة : الخليص والكريم ، وقد جاء في الأخبار أن روح بن زباب الجذافي كان يقرى الأضياف وكان مسامحاً لعدد ذلك بن مروان أثيراً عنه ^(٥) . ومثله « الأثير » قال أبو الفرج الاصفهاني في أخبار « فريدة » صاحبة الرائق بلط « وكانت فريدة أثيرة عنده الرائق وحشية لديه جداً ^(٦) » .

وإذا كان كل من الإخوة الثلاثة أثيراً فلا يثير لزم أن يكون « الأثير » لقب أبيهم « محمد بن

(١) وفيات الأعيان في « ترجمة » علي بن محمد بن الأثير » ج ١ ص ٣٨٩ . من طبعة بلاد العجم .

(٢) نسخة لمجم المخطوطات القرائي للصورة في « الأثير » .

(٣) « التنكية لوفيات اللغة » نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية . تحت الأرقام ١٩٨٢ ج ٢ ص ١٣٢ .

(٤) معجم الأدباء ج ٦ ص ٢٣٨ . من الطبعة المذكورة .

(٥) السكال لمرو ج ٣ ص ٩٤ . طبعة المطبوع الأزهرى وقد صحت المطبعة في شرح ابن أبي

الحديد ١ : ١٥٦ إلى « كان مسامحاً ... أثيراً » .

(٦) الأعيان ج ٤ ص ١١٤ . طبعة دار الكتب المصرية .

محمد » وقد قاله باقوت ، فغضب من كان أميراً ؟ ينظر لنا أنه كان أميراً عند الوزير جمال الدين أبي جعفر محمد بن علي بن أبي منصور الإصفهاني الملقب بالجلواد وزير حماد الدين زنكي بن آقشقر ملك الموصل في آخر عهده ، ووزير أبيه سيف الدين غازي الأول ابن زنكي وقلب الدين مودود ابن زنكي ، وقد توفي الجواد سنة ٥٥٩ هـ^(١) . استدلنا على ذلك بما ذكره ابن الأثير عز الدين في سيرة الجواد قال : « حكى لي والدي عنه قال : كثيراً ما كنت أرى جمال الدين إذا قدم إليه الطعام يأخذ منه ومن الخواري ويتركه في خبز بين يديه فكنت أنا ومن يراه نقول أنه يحمله إلى أم ولده علي فافق أنه في بعض السنين جاء إلى الجزيرة مع قطب الدين وحسنت أنور ديوانها وحل جاربه أم ولده إلى داري فتدخل الحمام فبقيت في الدار أياماً فبينما أنا عنده في الحمام وقد أكل الطعام فعل كما كان يفعل ثم تفرق الناس ، فمضت فقال : أقعد . فمضت فلما خلا للسكان قال لي : قد آثرتك اليوم على نفسي فاني في الحمام ما يمكنني أن أفعل ما كنت أفعله ، خذ هنا الخبز واحمله أنت في كوك في هذا التندل ، وارك الحفاة من رأسك ، وعد إلى بيتك فإذا رأيت في طريقك فقيراً فضع في نفسك أنه مستحق فاقعد أنت بنفسك وأطعمه هذا الطعام . قال : ففعلت ذلك ، وكان مني جمع كثير ففرقتهم في الطريق لئلا يروني أفعل ذلك ، وبقيت في خلعتي ، فرأيت في موضع إنساناً أعمى وعنده أولاده وزوجته وم من الفقر في حال شديد ، فخرت من دأبي إليهم وأخرجت الطعام وأطعمتهم أيام وقلت للرجل : تعجب ، لماذا بكرت إلى دار فلان — أعمى داري ولم أفرغه نفسي — فاني آخذ لك من صدقة جمال الدين شيئاً . ثم ركبته إليه العصر فلما رأيته قال : ما الذي فعلت في الذي فاتك ؟ فأخذت أذكر شيئاً يتعلق بدولتهم . فقال : ليس من هذا شأنك ، إنما أسألك عن الطعام الذي سلطه عليك . فذكرت له الحال . فخرج ثم قال : بقي أنك لو قتلت للرجل يحيى . إليك هو وأهله فتكسومهم وتطعمهم دنائير ونجاري لهم كل شهر دنائير . قال : ففعلت له قد فعلت للرجل حتى يحيى . إلى . فازداد فرحاً . وفعلت للرجل ما قال . ولم يزل يصل إليه رسته حتى قبض^(٢) .

(١) التواريخ ج ٢ ص ١٨٦ من الطبعة المذكورة . والسكك في حوادث سنة ٥٥٩ هـ .

(٢) السكك في حوادث سنة ٥٥٩ هـ .

وهذه المسكبة تدل على أن الرجل كان أثيراً جداً عند جمال الدين الوزير الجواد وأنه تولى له ديوان جزيرة ابن عمر ، وبذلك هذه الولاية ما قاله ابن الأثير أيضاً في حوائث سنة ٥٦٥ هـ قال : « حدثني والدي - رحمه الله - قال : كنت أولي جزيرة ابن عمر لقطب الدين كما علمت فلما كان قبل^(١) موته يسير أنا كتاب من الديوان بالموصل يأمرهم بإساحة جميع بساتين العقبة ، وهذه العقبة هي قرية تحاذي الجزيرة بينها دجلة ولها بساتين كثيرة بعضها يسمح فبوخذ منه على كل جريب شيء معلوم وبعضها مطلق من الطبع . قال : وكان لي فيها ملك كثير فكنت أقول : إن السلحة أن لا ينير على الناس شيء . وما أقول هذا لأجل ملكي فإني أسمع ملكي ، وإنما أريد أن يدوم الهدوء من الناس للدولة . فجاءني كتاب النائب يقول : لا بد من الإساحة . فظهرت الأمر وكان بالعقبة قوم صالحون لي بهم أسس وبيننا مودة ، فجاءني النحاس كاهم وأولئك معهم يطلبون الرأجة فأعلمتهم أبي راجعت وما أجيبت إلى ذلك . فجاءني منهم رجلان أعرف صلاحهما وطلباني المودة والمخاطبة ثانية . فقلت . فأصرّوا على الإساحة ، فمررت بها الخال . فامضي إلا هذه أيام وإذا قد جاءني الرجلان فلما رأيتها ظننت أنها جاتا يطلبان المودة ، فمضيت منها وأخذت أعذر إليهما ، فقالا : ما جئنا إليك في هذا وإنما جئنا نعرفك أن حاجتنا قضيت . فظننت أنها قد أرسلتا إلى الموصل من يشفع لهما . فقلت : من الذي خاطب في هذا بالموصل ؟ فقالا : إن حاجتنا قد قضيت من السماء . ولما أتت أهل العقبة . فظننت أن هذا مما قد حدثنا به أقوسها . ثم قلنا عني . فلم يضر عشرة أيام وإذا قد جاءنا كتاب من الموصل يأمرهم بإطلاق الساجين والمحبوسين والكسوس وأمرهم بالصدقة وقال : إن السلطان - يعني قطب الدين - مريض على حالة شديدة ثم بعد يومين أو ثلاثة جاءنا الكتاب بوفاته ، فمضيت من قولها وأعتقدته كرامة لها .

قال ابن الأثير : فصار والدي بعد ذلك يكثر إكرامها واحترامها ويزورها^(٢) .

وهذه القصة تعلم أن الأثير والدي بني الأثير كان حسن السيرة نقياً وأنه بقي إلى ما بعد

(١) توفي سنة ٥٦٥ هـ . (٢) الكامل في حوائث سنة ٥٦٥ هـ .

سنة ٥٩٥ هـ وهي سنة وفاة قطب الدين مودود بن زنكي ، ولم يذكر ابن الأثير التواريخ وفاة والده ، ولكنه ذكر وفاة أخيه مجد الدين المبارك في حوادث سنة ٦٠٦ هـ قال : « وفيها في سلخ ذي الحجة توفي أخى مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الكاتب . مولده في أحد الريعين سنة أربع وأربعين [وخمسة] وكان عالماً في عدة علوم منها الفقه والأصولان والشعر والحديث والفقه وله تصانيف مشهورة في التفسير والحديث والشعر والحساب وغريب الحديث وله رسائل مدونة وكان كاتباً مقلداً يغرب به النمل ، ذا دين متين وروم طريق مستقيم - رحمه الله ورضي عنه - فلقد كان من محاسن الزمان . ولعل من يقف على ما ذكرته يتهمني في قولي ومن عرفه من أهل عصره يعلم أنني مقتصر ^(١) » .

ويهم من خبر أوردته بقوت الحزبي أن « الأثير » كتب حياً في بعض عهد نور الدين أرسلان شاه الأول ابن مسعود بن مودود بن زنكي بن آقسقر « ٥٨٩ - ٦٠٧ » ^(٢) . وببت ذلك إن لم يكن في الخبر تصحيح .

وكانت ولادة ابنه نصر الله مؤلف هذا الكتاب في العشرين من شعبان سنة ٥٥٨ هـ ^(٣) بالجزيرة وبها نشأ ثم انتقل إلى الموصل مع والده في رجب سنة ٥٧٩ هـ ودرس بها الأدب والشعر والفقه وعلم البيان ، وحفظ القرآن وكثيراً من الأحاديث النبوية ، واشتغل بالعلوم ، وتزوج قبل سنة ٥٨٥ هـ ، وقد عرفنا في التاريخ له من الولد شرف الدين أبا عبد الله محمد بن نصر الله ، وكانت ولادته في شهر رمضان سنة ٥٨٥ هـ ووفاته في سنة ٦٢٢ هـ قبل وفاة أبيه . والظاهر أنه درس على أبيه وأتقن علم الأدب . وألف كتباً منها « غرر العباب في أوصاف الاصطباح » وكتاب « الأنوار في لست القواكه والثمار » ^(٤) وكتاب « روضة التقديم » قال الصفي :

(١) السكالي في حوادث سنة ٦٠٦ هـ . (٢) معجم الأدباء ٦ : ٢٣٩ هـ .

(٣) يهم من السكالي أن أجد حياً كان بجزيرة ابن عمر سنة ٥٧٩ هـ ثم كان بالموصل سنة ٥٧٦ هـ قبل كان بمصره بإعانة حماة ؟

(٤) قال الفلاح الصفي : هو عتيق بخطه .

« له اليد الطولى في الرسل والشعر ومن نظمته وصف الحر... »^(١) وقال ابن خلكان : رأيت له مجموعاً جمه تلك الأشراف أحسن فيه ، وذكر فيه جملة من نظمته ونثره ورسائل أبيه^(٢) . والطاهر لنا أن نصر الله بن الأمير درس علوم الأدب على أساتذة أخويه ثم عليها ولا سيما المبارك الكاتب الأدب الفتح الاسولي ، ولما كتبت له آلات الكتابة وأدوات الخدمة قصد جذب تلك الناصر صلاح الدين بن أيوب في شهر ربيع الأول سنة ٥٨٧ هـ وتوسل الي ذلك القاضي الفاضل عبد الرحيم البيهقي ، فوصله القاضي بخدمة الملك في جمادى الآخرة من السنة المذكورة ، وهو شهر تكثر فيه الحوادث الجسام ، وثقلاً يغلو أمر ابتدئ به فيه من سوء خاتمة . وجعل صلاح الدين له مبلغاً أي جارية مالية ، فأقام عنده الى شوال من السنة قطعه منه ابنه نور الدين علي الملقب بالأفضل ، فطهره صلاح الدين بين الأقامة في خدمته والانتقال الى ابنه المذكور ، وتكون الجارية المالية التي قررها له ببقية على صلاح الدين ، فاختار نصر الله نور الدين ومضى إليه فاستوزره وحسنت حاله عنده .

ولما توفي صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٩ هـ واستقل ابنه الملك الأفضل نور الدين بتملكه دمشق استقل نصر الله بن الأمير بالوزارة وردت الأمور اليه ، وصار الاعتماد عليه في الأحوال^(٣) ، وكان نصر الله جاهلاً بالسياسة ، قبل الحظ من الحكاية ، فحسن الملك الأفضل إبعاد أمراء أبيه عنه وأكابر أصحابه ، وأن يستخدم أمراء غيرهم ، ففارقته جماعة منهم الأمير غفر الدين جهاكس وفارس الدين ميمون القصري وشمس الدين مسنفر الكبير وصيف الدين حنظل المشطوب وكانوا عظماء الدولة وأهل القول المسموع فيها ، وصاروا الى أخيه الملك العزيز عثمان ابن صلاح الدين بالقاهرة وهو ملك مصر فأحسن إقامهم وأكرمهم وجاد عليهم بثبات دماير ، وولى غفر الدين أستاذية داره وفوض إليه أموره وجعل فارس الدين وشمس الدين على مسيدها

(١) تاريخ الصفدي على التبعين نسخة مكتبة الأوقاف بمطبع برقم ١٢١٦ هـ .

(٢) الزينات ٥ ج ٢ ص ٢٩٠ هـ من طبعة بلاد الميهم .

(٣) الزينات ٥ ج ٢ ص ٢٨٨ هـ من الطبعة المذكورة والعلوك لخدمة دول القوك ١ : ١٦٥ هـ .

وأعمالها وكان ذلك لها وزادها قابلي وأعمالها ، ولم يقابل ضياء الدين بن الأثير إحسان القاضي العاضل بالأحسان ، فإن العاضل ترك دمشق أيضاً وجاءت مملكة نور الدين الأفضل ولفق بالقاهرة فخرج الملك العزيز إلى القاهرة وأجل قدومه إجلالاً ، وأكرمه إكراماً .

وكانت مدينة القدس مضافة لذلك الأفضل ، فغلبه ضياء الدين بن الأثير على أن يتدخل عنها لأخيه العزيز ملك مصر ، فحصل من التفاوض بأعباء ولايتها ، لأنها كانت تحتاج حينئذ إلى أموال ورجال لمداومة الفرنج عنها ، فكتب الأفضل إلى أخيه العزيز بذلك أخضاً برأي الضياء ابن الأثير ، فسر العزيز بذلك وحضر عشرة آلاف دينار إلى عز الدين جريدك النوري مشرفي القدس لينقها في معسكر القدس ، فطلب جريدك بها الملك العزيز وقطع اسم الملك الأفضل . وحشي العزيز من أن يفضي الفرنج المدينة التي عقدوا معهم أبوه صلاح الدين ، فأرسل جنداً إلى القدس احترازاً من الفرنج ، ثم بدا للأفضل أن يسرد ما ذهب لأخيه وهو القدس ، ورجع عن ذلك التخلي ، فغلب العزيز من هناك ، وأخذ الأمراء إلى التفرغ والتضرب بينها وحسنوا للعزيز الاستعداد بالملك ، والقيام مقام أبيه ودفع أخيه الأكبر وهو الملك الأفضل عن الملك ، فبلغ ذلك أخاه ضياء .

وكانت نابلس وأعمالها قد وقف السلطان صلاح الدين نهباً على مصالح القدس وبلداتها على ابن الأمير علي بن أحمد الشطوب فشاركه فيه أحد الأمراء الأكراد فسدوا أيديهم إلى الوقت وسامسيريهم ونهروا من إسكر الملك العزيز عليهم فنجوا إلى الملك الأفضل ، فأقبل عليهم وسكن إليهم ، فغادر الملك العزيز بذلك ، وكان من جملة الأسباب الداعية إلى الاضطراب أن الفرنج تسلطوا نمر جليل من مستحفظيه يوماً ، وضرب الملك الأفضل عن استخلاصه ، فقبل للعزيز : إن نوابيت استولت الفرنج على البلاد فخرج العزيز بمسكته من الصلاحية والاستبدية والأكراد ، وبلغ خبره أخاه الأفضل فشق صدره واجتمع مع من في حاشيته من الأمراء بموضع يعرف برأس الآه وأراد أن يستعطف أميراً اسمه صارم الدين فاعلم النجمي أحد أبناء الأمراء عند صلاح الدين وكان مقيمًا في إصطاعه وكان بينه وبين الأفضل شقاق وعناد ، فأرسل

إليه الأفضل في ذلك فلم يجب واسترحش من الأفضل وخرج من إقطاعه ودخل إلى عسكر
 العزيز وأظهر العزيز أنه يريد قتال القرنج وفي الباطن كان يريد الاستيلاء على دمشق وأراضيها
 من أخيه . ورأى الأفضل أن يكتب إلى أخيه بكل ما يجب من إغلاء كونه والاجتماع عليه ،
 ويكون هو من القائمين بين يديه ، طلياً منه لسكينة القوم ورسوة في دعاب الإخوة ، فأشبه عليه
 بغير الصواب قال للعزيزي : « منعه من ذلك وردد ابن الأمير وعدة من أصحابه وحسبوا له
 بحاربة أخيه قتال إليهم » . وقيل له : أنت العسكر ، وإليك التدبير ، جلد وأجهد ولا تعلم
 أصحابك بهذا الخرواقي داخلتك ، واجلن لشيء فلذلك ، ونحن بين يديك ، وكلنا عاقدون الطامع
 عليك . فبعث الأفضل يستجد معه العادل وإبلات الجريرة وأهل الطهر بحلب والقتل للتصور
 بحيلة والأحمد صاحب بعلبك والمجاهد شيركوه بموصل .

ووصل في جمادى الآخرة من سنة (٥٩٠) هـ رسول الله الطاهر عزي بن صلاح الدين
 إلى تلك الأفضل ، ووصلت كتب جماعة من الملوك الأكارم لانتقاد الظاهر للأفضل . وسير
 الأفضل إلى معه العادل وهو بحركان والرها من بطرقة رسلاً يستنصره ، فلما أبطل عليه سير
 إليه أميراً اسمه عز الدين عثمان التنجيني على نجيب ليسرع ويأتي به عن قريب ، وكانت كتب
 الملك العادل قد وصلت فعمل نياً هزبه على نجدة الأفضل واعدته .

ووصل العزيز في جيشه إلى طاهر دمشق وجاء العادل في صد كره نجدة للأفضل فقتل
 بمرج هناء^(١) من القوطة وأرسل إليه العزيز يريد الاجتماع معه ، فاجتمعوا على ظهور أفراسها
 وتفاوضا فقال له العادل فيها قال :

« لا تخرب البيت - يعني البيت الأيوبي - ولا تدخل عليه الآفة ، والصدور ورادها - يعني
 الأفرنج - من كل جانب وقد أخذوا جيبلاً فارجع إلى مصر واسقط عهد أبيك ، وأيضاً فلا

(١) جاء في اليوم الزاهر « ١٦٩١٦ » طبعة دار الكتب « مرج هناء » وقال الصغور
 مشروب في الحاشية « كذا في الأصل وفي أبي ذؤيب (مرج الزعفر) وقد عثنا من كتابي في كتب
 تحت أيدينا على نون الياء » . أيضاً : هناء - هو أصحيب « هناء » قال ياقوت في معجم البلدان ،
 « هناء ... وهي قرية بقوطة دمشق من إقليم حولاين معروفة وأهلها يسمون مرج ... » .

تكمس حرمة دمشق ونطمع فيها كل أحد^(١)، وتحدث معه في الصلح وأن بنفسه الخلق من دمشق
وكان قد اشتد الحصار وقطعت الأمدار ونهبت القنار، فوافق العزيز محمد العادل على بعض التراجع
وتراجع إلى قرية داريا من قرى عوثة دمشق ونزل على الأتواج، وأرسل الأمير غفر الدين
جهاز كس أسناد الدار، وهو يومئذ أجل الأمراء الصلاحية - إلى العادل فأردوا الصلح على
شروط، ودار إلى العزيز فرحل العزيز ونزل مخرج العسكر، لحقت به مرض شديد وأوجف بؤنة منه
وأيس منه ثم أرق وأبل منها وأفق، وقيل إن العادل بعث إليه يقول: ارجع إلى مخرج العسكر -
فرحل وهو مريض، وكان قصد العادل أن يبعده عن دمشق. ووصل التوك القديم ذكرهم في
جنودهم فبعده للأفضل - فقال لهم العادل: قد تقرر أن العزيز يرجع إلى مصر، قل ابن تغوي
بردي: ولشئت مرض العزيز فحتاج إلى الصلابة ولو لا الرض ما صلح. وأمر العزيز بديل
نسخة الجين أي المساعدة وهي جمعة فخرت جميع التوك وحسبهم مواد الخلاف، وأن تلك
الأمجد بهرانشاه بن عز الدين فرحشاه الأيوبي صاحب بديك وإلك الجهاد شيخ كوه الصغير
صاحب حصن يسكونان مؤازرين للملك الأفضل وتابعين له، وأن الملك الله ور صاحب حماة
يسكون في حيدر بلك الظاهر غاري صاحب حلب ومؤازر له، وبث كل من التوك أميرا من
أمرائه ليحضر الخلف والصلوات، فاجتمعوا يوم السبت الثاني عشر من رجب من السنة
٥٩٠ هـ المذكورة، وجرت أمور آتت إلى الخلف هي دخن، وطلب العزيز إلى محمد أن
يزوجه إحدى بناته فزوجته بإياها، وكتب المهدي الأصفهاني كتاب العقد في ثوب أبيض،
وقرئ بين يدي الملك الظاهر وعقد العقد عنده.

وخرج التوك للتوديع الملك العزيز واحداً واحداً، وأول من خرج إليه أخوه الملك الظاهر
غاري والتمس في أول شعبان ٥٩٠ هـ روات عنه لية وعده بعد أن أهدى كل إلى أخيه هدية،
وخرج بعده محمد العادل في حواصيه ثم أخوه الملك الأفضل، فسقاه واعتنقا وبكيا، وكان قد
عزقه منذ تسع سنين ثم إن الأفضل غلام أميات في استعطاف أخيه وأدبائه وبث بها إليه،

(١) قال عسكرا سليم أبي طه ابن عري بردي في "الجمهر الزهرة" ٦٥ : ١٢١ هـ : ٩٠ هـ أنه في ابن
الأمير الملك العادل من سيرة في مدار بيت الأيوبي.

ودخل العزيز من صراج الصفر في ثالث شبان بُريد مصر ، فلما كان ثالث عشره عمل الأفضل
لعمه وسائر الثرك دعوة عظيمة وودعهم ، ثم دخلوا من القد إلى بلادهم إلا البادل فنه أقام إلى
تاسع شهر رمضان ثم دخل إلى بلاده بالجزيرة .

وممّ الأفضل بمكاتبة العزيز بما يؤكد أسباب الصلح فأدله عن ذلك خواسته وأفروء بأخيه
ورموا جماعته من أمهاته بأنهم يسكتون العزيز ، فأستوحش منهم وغطوا لهك فغفروا عنه ،
قال أمير عز الدين سامة صاحب كوكب وعبيلون ترك الأفضل والتحق بالعزيز بمصر فأكرمه
غاية الأكرام ، وأخذ يجرّته على الأفضل ويحثه على السير إلى دمشق وانتزاعها منه ويقول له :
« إن الأفضل قد طلب على اختياره وحكمك عليه وزيره ضياء الدين نصر الله بن الأثير
الجزري وقد أفسد أحوال دولته برأيه الفاسد وهو يجعل أعذك على مقاطعةك ويحسن له تقضى
الحسين ، فإن من شرطها صفو الوداد وصحة النية — ولم يوجد ذلك ، فعنهم في التبيين قد تحقق
وبرئت أنت من العهدة ، ففقد البلاد قلبها في يدك قبل أن يحصل في الدولة من الفساد
مالا يمكن تلافيه ، إن الله يستألف من الرعية وهذا الرجل — يعني الأفضل — قد عرف في
الهدو وشربه واستولى عليه الجزري وابن السجسي » .

وكان الأفضل لما انفصلت العساكر عن دمشق شرع ، على عادته ، بالهدو ويلاعب ونظاهم
بلقاءه واحتجب عن الرعية فسموه « الملك التوام » وفوض الأمر إلى وزيره ضياء الدين
نصر الله ابن الأثير وحاجبه جمال الدين عثمان بن العجمي فأفسدا الأحوال وكابا السب في
زوال دولته .

وبينا كان الأمر على ذلك فارق الأفضل نفسه الدين أيمن بن الصلار أحد أمراءه ووصل
إلى العزيز فساعد الأثير سامة على قصده ، ثم وصل إلى العزيز أيضاً القاضي عيسى الدين أبو
حامد محمد بن عبد الله بن أبي عمرو فاحرمه وولاه قضاء القصار المصرية وعيّن إليه النظار في
الأوقاف ، وحرّضه القاضي^(١) أيضاً وقال له : أنت لا تصلح يوم القيامة — يعني من الحساب

(١) حقه مصححو النجوم تراخى ٦ : ١٢٢ : شرف الدين عبد الله بن أبي عمرو ، بذلك يمدحه

في التبرسات مع موارد احمد ، والمصحيح أنه إنه لأن شرف الدين كان قد توفي سنة ٥٥٠ .

والغلب - وبلغ الأفضل ما قل - سامة وعمرى الدين ابن أبي منصور العزير فأنقذ عما كان عليه
وواب ودم على تفرقة وعثر العلاء والسلحاء وشرع يكتب مصدقاً بقطعه وليس انقش من
الكتاب وأخذ لنفسه مسجداً يحثو فيه سادة رتبة وواظ على الصيام وبلغ في التقشف حتى
صار يصوم النهار ويقوم الليل .

وأما العزير فإنه قطع خبر العقبة السكالي الكردى من مصر ، فأفقد السكالي عليه جماعته
وخارج إلى العرب فجمع ونهب الاسكندرية ، فسار إليه العسكر فلم يظفروا به ، وقطع العزير أيضاً
خبر جماعة من الأمراء والعقبة ، فتركوه إلى دمشق والتجؤوا إلى الأفضل فأنقذهم بإطاعت .
وتجدد الخلاف بين العزير والأفضل . وفي سنة ٥٩٦ هـ عزم العزير على السير إلى دمشق
والاستيلاء عليها ، فاستشار الأفضل أصحابه فيما يجب أن يفعله ، فنهض من أشار عليه بمكاتبة أخيه
العزير واسترضائه . وأشار الوزير ضياء الدين نصر الله الأتيمر عليه بأن يقتصر بمعه المبادل
ويقتصر بقوته ويستجده على أخيه . فأصنى إليه الأفضل وأخرج من دمشق في ربيع عشر
جمادى الأولى وسار جريدة إلى عمه العادل فلقاه بسفين ، فلما نزل ألطف الأفضل في السؤال
له أن ينزل عنده بدمشق ليحبره من أخيه العزير ، فأجابته وأزله بقلة جبر تم سار إلى دمشق
أول جمادى الآخرة فوصل إليها في ناسه . وكان قد دخل الأفضل حلب على البرية مستصرخاً
أخاه الملك الظاهر غازياً ، فلقاه وحلف له على المساعدة ، وقيل إنه لما اجتاز بحلب اتفق مع أخيه
الظاهر غازي وتحالفا ، ثم رحل منها إلى حماة فلقاه ابن عمه الملك المنصور محمد بن المنقر وحلف
له على المساعدة ، ثم سار منه إلى دمشق فدخلها في ثالث عشر جمادى الآخرة وبها العادل ،
فأنقضى إليه بأمراره وعلم العادل باحوال الأفضل وسوء تدبيره ونجح سيرته فأنحرف عنه
ونهاه فلم يسمعه ، وأشار عليه بمنزل ضياء الدين ابن الأتيمر عن الوزارة وقال له : هذا يخرّب بيتك .
فسار لا يلتفت إليه ، فشق عليه ، ثم إن العادل - بل الظاهر غازياً في شيء - فلم يحبه إليه ، فغضب
لكل ذلك العادل وانفرد عنهم .

وكل ذلك الأفضل مع اختلافه في الرأي مع عمه العادل يبالغ في أكرامه وإزاحته عنه

حتى ترك له سنجقه وسار ركب في خدمته . وخلق صغر أحميه الطاهر تاري بهقه الطيال ، وكان الطاهر قد تفر منه جماعة من الملوك والأحرار ومن هم في مائة ، معه صاحب حاة لوك النصور . وصاحب ياروق من الدين من التقدم . فراسل الملك العادل في الاعتناء به . وكان من جماعتهم بدر الدين خوارزم بن بهاء الدولة بن ياروق صاحب « قل ياروق » فاعتقله الطاهر هو وبنو معه وطلب منه تسليم حصته ، فشفع العادل فيهم وكفل بأن يكف أدائهم واستصحبهم إلى دمشق فطلب منه الطاهر الرقاة بكتفاته فعمدوا عليه ردهم ، ونبشروا له ودهم ، فغضب الطاهر لذلك وراسل العزيز بفتح على الأسراع في القدوم ، فأقبل العزيز وخيم بالفتوة .

وشرع العادل في تدبير أمور الأفضل وكاتب الأحرار الأسدية من أصحاب العزيز مراراً يحثهم على تركه والانقطاع إلى حزب الأفضل وسبأهم ووعدهم الأموال والافادات الصلاحية ، وكان الأحرار الصلاحيون قد وقع منهم وبين الأحرار الأسديين مناس لخدمة الصلاحية على الأسدية ، وكان الملك العزيز قد قدم الصلاحية بمالك أبي عبي الأسدية بمالك معه أسد الدين شيركوه وحوالته الأكراد ثم دس العادل الأموال إلى الأسدية وكان مقدم الأسدية وأسر أحرار الأكراد حمام الدين أبي الميجاء السمين . وكان العزيز قد عرله عن ولاية القدس ، فجهمت الأكراد إليه وراسل العادل الملك العزيز يخوفه من الأسدية ، ويعرفه ما سطوت عليه قلوبهم من القتل إتماماً للحيلة ، فكانوا إذا التقى عرفوا في وجهه القير عليهم ، فراقبوا عنه وحسبوا للأكراد موافقتهم في الانصراف عنه . ودارت الأكراد حول أبي الميجاء السمين كما قدمنا ذكره وقالوا له : لا تأمن عليك من التامة . فادعوا أمرهم وبلغوا رجيلهم ، فرحل أبو الميجاء والهرابية والأسدية عشية الاثنين رابع شوال من السنة ، وبع « أركش » وقصدوا دمشق ولحقوا بملك العادل وهم في أمة الحرب ، فسر بهم لآتهم معظم الجيش ، فأصبح العزيز قمر بر في الخيام من الأسدية أحداً ، وقيل : مل علم العزيز برجيله فإلى بانصرافهم وقال « صفوان بن أكرادهم » ولم يأمر أصحابه بأن يرددهم ، وتقي في خواصه مقبلاً في تلك الليلة ثم رحل عائداً إلى مصر ، فجاء رسول أبي الميجاء السمين إلى العادل يطلبه برحيل العزيز خائفاً ويسدعه إلى

القدوم ليحدثوا العزيز وبأحقوه وبسدوا ملك الديار المصرية ، وكان الاسديّة يكرهون العادل وانما دفعهم الضرورة الى اتباعه . وانفق العادل مع ابن أخته الأفضل على انتزاع مصر من العزيز ، على أن يكون للعادل الثلث والأفضل الثلثان ، ورحلوا من دمشق في جنودهما وخرج معها الملك للنصور صاحب حصن وعز الدين بن القندم وسابق الدين عثمان بن الحايبة صاحب شبر و انضم اليهم عز الدين جريدك النوري نائب القدس ، وأعيد أبو الحفيظ السبعي الى نيابة القدس . وأما الملك العزيز فانه سار على طريق النجف والرملة وخالف من الاسديّة الذين بقوا بالقاهرة أن يفعلوا فعل إخوانهم فبعضوه من دخول القاهرة ، وكان مقدمهم الأمير بها الدين قراقوش نائباً عنه في الديار المصرية فلم ينجح ، وأقام على الطاعة والصفا والوفاة ، ودخل العزيز القاهرة واستقر في سلطنة مصر ، ولما وصل العادل والأفضل ومن معها الى قل المجدول خلع الأفضل على جميع الاسديّة ، وعلى الأكراد الافضلية وأعطاهم الصنوج المعروفة باسم الكوسات وساروا حتى نزلوا بليس ، وجها جموع من الملاحية والريزية ومقدم الصلاحية غر الدين جهار كس ، والأمير هككيري بن علي الحبيدي على طائفة الأكراد ، فتلطم جيش العادل وجيش الأفضل ، واشتد الحصار على بليس حتى كادت تؤخذ وضاق العزيز بالقاهرة ونقلت الأموال عنه . وكان هيباً الى الرعية لما فيه من حسن السيرة وكثرة الكرم والرفق ، واحتاج الى استخدام الرجال فلم يجد مالا فيذل له الانقياء جملة أموالهم فلم يقبلها .

وتوقف الملك العادل عن القتال ولم ير انتزاع مصر من يد العزيز صواباً ، وظهرت منه قرائن تدل على أنه لا يباشر سلطنة الأفضل على سلطنة العزيز فأرسل الى العزيز يطلب منه أن يبعث القاضي المناضل ، وكان العادل قد نزع عن ملازمة الدولة وغالطة أهلها واعتزل في داره لما رأى من اختلال الأحوال ، فأرسل اليه العزيز يسأله السعي في الأمر فأبى وامتنع ، ففزع اليه العزيز وأقسم عليه ، فخرج حيثنزل الى العادل ، فاحترمه العادل وأكرمه وتحدثت معه في الأمر وعاد الى العزيز وتحدثت معه فيه . فأرسل العزيز ابنه الصغيرين مع بلوك له برسالة ظاهرة الى العادل مضبوطها « البلاد بلادك وأنت السلطان ونحن رعيتك ، لا نقاطعوا المسلمين ولا نسفكوا

ومادام وقد أغضت ولدي^١ يكونان تحت كنفه من العادل ، وأما أنزل لكم عن البلاد وأدعي
الى القرب . وكان ذلك بعهد من الأحرار ، فرق العادل له ويسكن المذمورون وقال العادل
متأثراً « معاذ الله ، وصل الأمر الى هذا الحد ! » .

وكان العادل قد قرّر مع القاضي الفاضل رد جز^٢ الأسسدية والأكراد وإقطاعهم
وأعلاكم وأن ينج العادل بمصر عند العزيز ليقرّر قواعد ملكة وأن يمدح الأفاضل والعزيز ،
وأن يتي أبو المهيمن على ولاية القدس ، ثم قال العادل للأفضل . « الصلحة أن تعطي الى
أخيك العزيز وتصلحه ، ما عذروا عند الله وعند الناس إذا فعلنا بأن أحبنا ما لا يليق ؟ » ففهم
الأفضل أن العادل قدم على عبته ورجع عنها ، وأنه اتفق مع العزيز على أخذ البلاد منه لكنه لم
يسكنه إذ ذلك الكلام ومضى الى أخيه العزيز فاستطاعه ، وخرج العزيز من القاهرة الى بلبيس
فالتقاء معه العادل وأخوه الأفضل ووقع الصلح .

ثم دخل العزيز والعادل والأسسدية الى القاهرة يوم الخميس رابع ذي الحجة من السنة وأنزل
العزيز معه العادل في القصر وأخذ العادل في إصلاح أمور مصر والنظر في شياها وورادها وأظهر
من حبه العزيز شيئاً زائداً ، وصار اليه الأمر والنهي والحكم والتصرف في سائر أمور الدولة
جليلاً وحقيقياً .

وسلطن العادل ابن أخيه العزيز ومشي بين يديه بالناشية وهي سراج من أكرم هزوز الذهب
بخالها الناصر مصنوعة كلها من الذهب تعمل بين يدي السلطان في الاحتفالات . ولو أراد العادل
مصر هذه الرثة لاخذها وانما كان قصده الإصلاح بين الإخوة . ونبط العادل أمور محكمة
مصر وغير الاقطاعات ووقر الارتعاعات أي الولادات وقمر الأموال وقرب الى العزيز عز الدين
سامة فصار صاحب سره وحاجبه .

ورحل الأفضل يريد الشام ومعه أبو المهيمن المدين فوصل إليها في أول سنة ٥٩٢ هـ وصار

(١) في النجوم الزاهرة ٦ : ١٢٤ « طبة القاهرة » رد خير الأسسدية . - والصالح للمعالي
والزمام إذ ذلك « الجيز » والجم « الأكراد » .

الساحل بحريمه مع الأفضل وفي حكمه ، ولزم هو القيادة وأقبل على الزهد ، وصارت أمور الدولة بأسرها مفضولة إلى وزيره ضياء الدين بن الأثير فاحتضنت به الأحوال غاية الاختلال وقبعت أفعاله وكثر شاكوه . ولم ينتفع بالتجارب .

ثم حدث اختلاف ثالث بين العزيز والأفضل وهو أنه لما عاد الأفضل إلى دمشق ازداد وزيره ضياء الدين الجزيري من الأفعال القبيحة كما ذكرنا وأذى الأكابر من الدولة وبلى الناس منه يلايا والأفضل في غفلة عن تلك القضايا ، وتقر منه الهدايا المصفاة في طريقه إلى مصر ، وكان الأفضل يقبل منه ولا يخالفه ولا يعدي أحداً عليه فكتب قيار الجيسى وأعيان الدولة إلى العادل يشكوه ، فمرسل العادل إلى الأفضل يقول له : « ارفع يد هذا الأحمق الذي التدبير ، القليل التوفيق » فلم يلتفت إلى قول عمه ، فاتفق العادل وابن أخيه العزيز على السير إلى الشام لازالة الوزير ضياء الدين بن الأثير من الوزارة وتدبير حكم الشام ورفع الرحيل من بركة الجلب ثامن شهر ربيع الآخر من سنة ٥٩٢ بعد أن لم يكن العزيز يريد السفر ، ولكن عمه أشار عليه بأن يرافقه على السير ويرافقه فيه ، فرآه عين التدبير وكان معها جميع الاسلحة والواليك .

ووصل العادل والعزيز إلى القاروم^(١) وأمر العادل بإخراجه حصنها فحصر بين الجندارية والأحرار ، فشق على الناس إخراجه لما كان به من الرفق للمسافرين واتضح للكل أن دمشق . وكان الملك الزاهر مجير الدين داود بن صلاح الدين قدم رسولاً من حلب إلى أخيه العزيز من قبل أخيه الظاهر غازي لتسكين هذا الراجح الثائر ومعه سابق الدين عثمان صاحب شيزر والقاضي بهاء الدين يوسف ابن شداد ثم انصرفوا من مصر بما طلبوا فروا بدمشق فأعطوا الملك الأفضل بما أبرم من الأمور ، فضايق صدره وظل يفكر ، واستشار أصحابه فأشار عليه شيوخ الدولة بأن يستقبل عمه وأخاه ويسلم لها حكمهما وأشار عليه وزيره ضياء الدين بن الأثير وأصحابه بالتصميم على المخالفة ، وترك المجاهدة والملاطفة ، ثم دخل عليه أخوه الملك الظاهر خضر ، فشجعه وصبره وتول أسباب الدفاع ،

(١) في معجم البلدان أن القاروم قلعة بعد غزة للقائد إلى مصر حرمها صلاح الدين ، ملك المملوك سنة

٥٨٤ والمجر يدل على أنها حوت ثم أحرق حصنها .

ثم حلفوا الأحرار ، والقدميين ، وأعدوا مواضع الدفاع ، وتواريحاً حولي دمشق يتناهبون حراستها
بكرة وأسبلاً ، وتفرق الأشرار على الأسوار والأبراج وجاءت دسلك الملك الفاهر لاظهار مفاخرة
الأفضل ، وندب الأفضل فلك الدين أخا العادل إليه منه رسولاً فوصل فلك الدين إلى المسكر
العزيزي بالداروم وغزة فلم يلق عند العزيز غير الأيلاء والامتناع : بقي فلك الدين هناك أياماً
لإصلاح ذات البين ، ولما شك أنهم اشترطوا على الأفضل شروطاً وأعادوا الرسول إلى صاحبه ،
وأقاموا ينتظرون الجواب ، فقدم من أبيهم بأمتناع الأفضل من الإجابة إلى ما اشترطوا .

ولما رأى الأكبر وشيوخ الدولة أن الأفضل لايسمع من رأيهم وأنه يرم على الخائرة ولا
يعدل من رأي وزيره ضياء الدين بن الأكبر مع ما قد عرفه وأنه من شؤم تدبيره شرعوا في
إصلاح أموره في الباطن ، فراسلوا العادل والعزيز ، واستظفروا كل لنفسه ، واتفق العادل مع
عزالدين بن الحمصي على فتح الباب الشرقي من دمشق وكلان مستعماً إليه ، فلما كان يوم الأربعاء
السادس والعشرين من رجب ركب العادل والعزيز وحدا إلى الباب الشرقي ففتحه ابن الحمصي
فدخلوا دمشق من غير قتال وقال العهد الأسفهاقي الكاتب : « فكذب الأولياء من البلد إلى العزيز
والعادل بأنهم الفرصة فركبوا ونأهبوا يوم الأربعاء السادس والعشرين من رجب فاصدمهم عن
قصد البلد أحد ، وما كان في طريقهم إلا الملك الطاهر ومعه عسكر حطب مقاتل على طلي قتال
الجماعة ، وما عندهم علم بما يدور من الخائرة ، فصادوا ولم يسكتوا ، ووصل العزيز إلى الميدان
الاحضر ووصل العادل إلى باب توما وكان الأمير الأمين به قد استنهضه إليه بكتيبة ، ففتحه له
فدخل العادل وأصحابه من باب توما والباب الشرقي ، ولبث العادل في الدار الاسدية ، ووصل
العزيز من باب الفرج ولبث في دار حمته الحسامية » وقال ابن تزي بردي : « فزحل العزيز دار
حمته ست الشام ونزل العادل دار العقيقي ، ونزل الأفضل إليها وحدها بدار العقيقي فدخل عليها
وبكى بكاء شديداً ، فأمره العزيز بالانتقال من دمشق إلى حمص ، فأخرج وزيره ضياء الدين
ابن الأكبر بالليل في جملة الصناديق حوفاً عليه من القتل ، فأخذ ضياء الدين أموالاً عظيمة
وهرب إلى بلاده » . وقال العهد الأسفهاقي : « وخرج الأفضل إلى العزيز وقلبه ، وتخرج من

هم زوال ملكه مأسفیه ، فقام ملك العزيز دمشق أقام بالميدان الأخضر الكبير الى أن انتقل
الافضل من القلعة بأهله وأصحابه ، وأخرج وزيره الجزري غلباً في صدايقه ، إشفاقاً عليه من
قتله وتحريره ، ونحو ذلك الأفضل تلك الأيام الى مسجد خاتون وما يجاوره ، ومعه وزيره فهرب
لبلا الى بلاده وقد أواخر فيها أموال دمشق وأعمالها ثلاث سنين .

وقال القرظي : « فلما أخذ العادل والعزيز دمشق زل الأفضل من القلعة اليها فاستحبا
العادل منه . لانه (هو) الذي حن العزيز على ذلك ليوطي ، لنفسه ، كما يأتي ، وأمره أن يعود الى
القلعة فلم يزل بها أربعة أيام حتى بعث اليه العزيز أياًك تعليس أمير جدار وسارم الطبر
خطوط أستاذ الدار ، فأخرجوه وأخرجوا عياله وعيال أبيه وأنزل في مكان ، وأوفى ما كان عليه من
دين وما للحوائث من الجواهرات ، فباع ذلك بفقاً وعشرين ألف دينار : فبيع بركة ^(١) وجعله
وبنائه وكتبه ومما ليك وسائر عمله ، فلم يوف بما عليه ، وقصدا عليه أخوه ومعه لسوء حظه ، ثم
بعث اليه عمه العادل بأمره أن يسير الى مصر فلم يجد عنده من يسيره بأهله حتى بعث اليه
جمال الدين محاسن عشرة أوسلوه الى مصر حرسه ، وأخذت من ذلك الطائر مظفر الدين خضر
« بصري » وأعطيت لذلك العادل ، وأمر الطائر أن يسير الى حلب فعلق بأحبه الظاهر . وفي
هذه الحادثة يقول ابن حنبل كان في ترجمة الملك الأفضل علي بن صلاح الدين « والأفضل شعر فن
نسرب أنه كتب الى الامام الناصر يشكو من عمه العادل وأحبه العزيز ، أخفا منه دمشق :
مولاي إن أبا بكر وصاحبه ^(٢) ...

وهي آيات ولدت عليه وولده جوارها على الخليفة الناصر لدين الله ، هل أبو الظفر صبط ابن
الجزوي : « وما يرمى اليه من الشعر أنه كتب الى الخليفة كالأخراج من دمشق وانفق عليه
العادل والعزيز : مولاي إن أبا بكر وصاحبه .. وبلغني أنه كان يشكر هذا الشعر أنه له ^(٣) .

(١) البرك : الطائر الحارس من تربية ولفات .

(٢) تراجم الأديب في الوفيات ١ : ١٠٨ من طبعة بلاد المغرب .

(٣) للآفة ٥ المصنوع ج ٨ ص ٦٢٨ من طبعة مطبعة مصر آية بركات .

قال القزويني : ويقال إن العادل كان قد قرّر مع الملك العزيز وهو بالقاهرة أن الملك العزيز إذا غلب أخاه الأفضل على دمشق وأخذها منه أن يقيم بها ويهود العادل إلى مصر نائباً عن العزيز ، فلما ملك العزيز دمشق وأخرج أخاه الأفضل منها انكشفت مستورات مكايده معه فندم على ما قرّره منه وبث إلى أخيه الأفضل سرّاً يستدريه ويقول له : لا تغزل عن ملك دمشق ، فخلّى الأفضل هذا من أخيه خديعة وأعلم العادل به فقامت قيامته وعب العزيز وأتبعه ، فأكره أن يكون صدر منه هذا وحقق على أخيه الأفضل وأخرجه إلى مصر فندم على ألبس سورة . واختفى الوزير ضياء الدين الجزيري خوفاً من القتل ثم خلى بالوصل (١) .

وبما قيمتا من أخبار مفصلة يظهر أن نصر الله بن الأثير كان عقيم السياسة ، عديم الخيال من الحكمة ، وأنه أفسد على هدمه الملك الأفضل ممكته واحتجج أموالها وهرب بها إلى الموصل ، ومن هنا يظهر نوع من نفسية الكتاب الذين إذا تولوا أمراً من أمور الدولة وشأناً من شؤونها ، فعلوا الاتعابيل للتفكير ، هماً وإلّا أعظم أسباب انهزام العادل عن ابن أخيه الأفضل هو إقراره لابن الأثير على المزاورة مع شدة رغبة العادل وأكثر الانصراف في مزاجه عنها ، وإنما كان العادل ينقض نصر الله بن الأثير لقصاد وأبه وشدة قلبه في ممراسلته ، فمن ذلك كتاب كتبه عن الأفضل إلى عمه العادل وفيه يظهر أسلوبه الجليل ، ونصه :

« خدمت على أمر مضى لم يُشر به نصيح ولم يجمع قواه لظلم »

ربما وثوق بقود ال التدم ، وتودّد بدمو إلى التهم ، وقد بدل الحلم على صاحبه ، وأطعم في جانبه ، ولولا ذلك لما استلجج عودي فُججم ، واستغضف ركني فهدم ، ولا اشكو ما أشكوه إلا إلى عمي ، وصنو أبي الذي غفره مقري ، وهو الذي قلب قواقي على وري ، ودلني التظلم من الأيام ، وأراني ضوء النهار بين الأملام ، ولقد أُنشاع في إحسانه ، وعاف في قطع رعي

(١) راجع في قيم هذه الأخبار : الروضتين ٢ : ٩٢٨ — ٩٣٩ ، والملك ١ : ١١٦ —

١٣٠ ، والنجوم الزهرية ٩ : ١٢٠ — ١٢١ ، والفرقا ٨ : ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ولم نقل من السكندر لفر الدين بن الأثير لأنه ملو ، ذكر أخيه نصر الله مصححاً له مع أنه رأس الفص .

سنة الله وكتابه ، وجعل أبي من كبروم البعث الذي يذكر الناس في انسابه واسبابه . وهذا
 وقد علم أني اتخذته أباً أوجب ربه ، ومولى أطيع أمره ، وكنت له كنانة لا يطعها سواه ،
 ولا يؤسي منها كامن ، ولم أزل سامياً في تقديم أوده ، وإعلاء كلمته وبيده ، وانتهى بي الجدة في
 ذلك إلى أني شأقت بي أبي لمواسلته ، وفاجعتهم لجسامته ، وشققت في نوحتي إثارة عصام ،
 وجعلت أوداعهم إلى انقسام ، حتى أصبحت من إغاثهم عربياً ، وكنت تقيدياً نصرت بكرباً ، هذا
 ولم يزل يحذرنى منه السباح ذوو السرائر ، وأولو الأيصار والبهائم ، ويقولون : هذا
 يخذلك بكيد ، ويجمعك حباً لشبكة سيده ، لما فطحت لأفراقهم حباً ، ولا وجدت لها مني موقفاً
 ولا وقفاً ، بل مضيت على ما أنا عليه من شدّ يدي بهالته ، وهذا قلبي على موالاته ، قلت :
 هذا العشد وهذا الساعد ، وهذا العم الذي إذا مضى الموالد فهو الموالد ، وقد يدانه بالاحسان
 الذي أعلن أنه أهله ، وليس جزاءه عند الأحرار مثله ، ولم أعلم أنه خير بواده ، ونصب لي
 أشراك عواديه ، فلفظ ما فيه ذمة الرحم خلفه ظهرياً ، واتخذ العهد الذي في عنقه شيئاً غريباً ،
 وأقلب ما كان يظهره من طيب الأقوال ، إلى ما كان يضره من خبيث الاتصال ، فقلت منه
 ما لقي جبر أم عامر ، وكافأني مكافأة النحاح للظفر ، وأنا راج أن يقاتله إحساني الذي كفره
 وما شكره ، ونسبه متصداً وما ذكره ، فإن الاحسان جهوداً تري في غير سهام ،
 وتقاتل في كل معارك بحسام ، وتؤيد بالنصر في كل مقام ، ومن شأنها أنها شامتل ولا يشعر
 بضالها ، وتسري فتحول بين الظلة وآمالها ، فكسحت من يد قبضت على سيفها ، ودعت إلى
 حيفها ، وما أمسكت يد جود ، وعنان جهود ، إلا غدا صاحبها مريضاً ، ولم يجد له من دون
 الله نبيماً ، فيسفي له أن تراجع نظره فيما أناء ، وأن يحجب قول موسى لفته ، ولا يكن عن المطمان
 إلى مسألة زمانه ، وأفراد أمر سلطانه ، قلبها الأليم التي ما سالت الا حبيب ، ولا واسلت
 إلا جانب ، ولا تأتي همومها إلا من جهة أفرانها ، كما لا تأتي ظلة ليلاً إلا من مطلع صباحها ،
 وأطالا أخرجت قديراً ، وزعمت سريراً ، وأذهبت نعيها ومسلكتها كبيراً ، وعداً وثمود وأحباب
 الرمن وفروناً بين ذلك كثيراً ، فإن كان العهد العهد بهؤلاء أنساء الاعتبار ، وأوجب له

الافتقار فليُنظر إلى ما رآه عباده ، وكان له سلطاناً ، وهو أخوه الذي خففت في الألفاظ قذارة
عنه ، واحتجبت الخدول لأمير سبفه وقدمه ، وكان أنت منه ملكاً ، وأوسع بالناً ، وأكثر
أموالاً وأولاداً ، فشت الأيام على دولته هفت آثارها ، واحتفت أخبارها . هذا ولم يزل يحل
قرب الناس على الحسي ، ويفرس فيها ما يرجو منه طيب الفجي ، وقد رأيت ما فعلوه وبنيه
وما بالعهد من قدم ، وما بالقوم من ذلك الاحسان من ولا صمم ، فكيف ترجو أنت مع الاساءة
أن يستمسكوا بسبك ، أو يحشدوا الخلافة عنك في عتيك ، هيبت لك أما في النفس المائنة ،
ودوامي الهوى الشائنة ، وأنا أعطيك أن تكون من نول قطع رحمة ، وخضر دمه ، فإن كل
ديار ساهرم ، وكل من حكم عليه ظمأ سيحتكم . « والذين أصابهم البني هم يصمرون » .
وقد بطني أنه يتوعدني بشكره ، ويوقد علي أحناء صدره ، وأنه تأمل على الله يأخذني على يدي ،
وليأبسن يوي بقدي ، ويوشك أنه أخذ من الله موثقاً بالخلود ، وتاعنه الافتقار على اقتدار
الجدود ، ومع اليوم وقد ، وما من بد إلا والله فوقها به ، وكنت في هذه الأرض من باغ
فطوجي ، بالتدميع والتدمير ، وحلت الأيام بينه وبين ، يذره من التقدير « وكأن من قرية
أُملت لها وهي ظالمة ثم أخفتها وبقي الصبر » ولقي هزني منه هذه النبوة التي طالت لها
الاحلام ، وزالت فيها الأقدام ، فأخف لها الآن جلي ، ولا تعمرات فيها بحولي ولا بحيل ،
لكنني قد مدت الحبل معه إلى آخره ، ولزقت ما تصير إليه بقي مصاريه ، وأنا أدعوه إلى
كافة سواء بيني وبينه أن يبني أحداً على صاحبه ، ولا يذهب غير مضاياه .

فإن تدعي للشر أسرع وإن تُهب بملحي فقد أقيمت لصلح موضعا

ويز علي أن أعدد شجرة أنا من أصلها ، أو أقدر داراً أنا من أهلها ، فأكون في ذلك
كن قدى بهجته الدامية من يد الرابية ، وتولا ذلك لا حُرْبَ قنّة تثنى صراكبها ، وتعمر
غواربها ، وتقيح مواقبها ، وتكون دغناً يثنى الناس منه عذاب أليم ، ولا يلجمونه بر ولا أليم
ولا بري ، ولا سقيم ، والسكنى ونمت له جنبي ، وكففت عنه غربي ، وفارقت الاحداث وطلعتها
ولزمت الدعة ولعلقتها ، فلا يمشي على مراجمة الحبال الطلعة ، ولا يحلني بد سبيل العساة

على السبل الذرفقة ، فقد أصبح لاضطرار أن يركب كل عتور عطور ، ويستخلص حقه بالحق والزور ، ويدفع غلامته بما وجد من السبل وهو مغفور ، وإذا أخرج الحليم خراج من شبهه ، وانضبت النار من واريق تسلمه ، فلا يظن أن قد حي لباريه ، ولا لبلي لباريه ، وقد طالب علي عزي فوجد دعاء في الأسسداد ، طامعاً للأفجاد ، فما قدح إلا أسرج ، ولا كوى (١) إلا أضج ، ولا جهز عشا من بومته إلا نبت آراؤه عن جنود شهيد ، أو عصفت سبوف من رؤوس ركند ، وفلك العزم باق لم ين ولم ين ، ومنى استطارت غار ملات الاضطار ، وسيت الحدار ، وقلت القلوب والأبصار ، والتجربة تصحك (٢) أن توقظ شراً قد استدام مكانه ومناحه ، وكره الله والاس أن يستعاد أيامه . فمن ذلك السيف في يد القاتل ، وربما زاد الآجل على ما تقدم من العاجل والسلام (٣) .

وعنل هذا الكتاب الثلاث من السباب ، الحشو يزحرف القول ألب نصر الله بن الأثير الناس على الملك الأفضل وخصوصاً عنه ، فإن مثل هذا الكلام لا يخاطب به رجل كان المصد الأمين للدولة الأيوبية والسيف الحسام صلاح الدين الأيوبي ، الذي غاض الحروب وكابد الكروب في العاركة الإسلامية والذوابع المسيحية ، حتى شاب فيها ، وليست الأموال تسطير السطور ، ولا تهويلاً بأمانى الزور كما في هذا الكتاب .

أجل حرب نصر الله بن الأثير والأموال التي احتجتها من مملكة الأفضل إلى الوصل ، ولا توصل الأفضل إلى الانكية أي الرضاية التبروية على الملك النصور محمد ابن العزيز حين بعصر بعد وفاة العزيز سنة ٥٩٥ بقليل التحق به نصر الله بن الأثير وقيل : بل صار إليه قبل ذلك وصحه إلى مصر . وينقص هذا القول ما ذكره هوفي للث السائر ٥ ص ٩٠٧ من أنه كتب إلى الأفضل سنة ٥٩٥ كتاباً جهته فيه بملك مصر ، ولحقه خزيمة أيضاً فإن الملك السادل الذي ذكره من

(١) لينة قال : وما شوي لا أصبح ، فأما السكي فيستعمل منه : الاحراق .

(٢) أي تضحك .

(٣) الجزء الثاني من رسائل صيد البرق بن الأثير : نسخة المطبعة الأمريكية بيروت P ٩٦ T. A

W. S. ٨٩٢ ، ٢٩ ص ٣٩ — ٤٢ .

قوارص ابن الأثير ما ناله انزع مصر من الملك الأفضل لاستحكام المدونة بينها ، وعموده منها بلاداً من بلدان الجزيرة ، ولم يبق بعده منها إلا ميساط^(١) . وكيف جرد على كتب هذا الكتاب من كان يعتذر إلى عمه بجمل قوله في كتاب آخر يستطغه ويتصل إليه : « من شعبة الأفيار أن تنهب ويصائر ذوي الأثباب ، ويقتل لهم الخطأ في مثل الدواب ، ولولا ذلك لما زال الحكيم ، وأهوج السقيم . والفوك تهل اليد الكرمية القولية للملكية العادلية لا زال عرقها مأمولاً ، واحسانها عند الله مقبولاً ، وفعلها في الكرمات مبتدعاً ، إذا كان قبل الأيدي مفدولاً ، وتستقيت إلى عفوها ، الذي يكفي فيه لطة الاعتدال ، ولا يتعد بمواظبة الأفيار ، ولو عرفت أنه بادياً لقرع له سن اللدابة ، وعاد على نفسه باللامة ، ولما كان عجيباً أن يكون مليحاً ، وأن يكون مولوداً كرمياً ، لكنه حل بصره اللطيف وهو يرى ، من حلها ، وغاف أن تكون هذه كخوارقها التي سلفت من قبلها ، والأشياء التشابه يقدس البعض منها على البعض ، وللشروع لا يستطبع أن يرى بحر جبل على الأرض ، ولم يجدوا للملوك الآن جرعة مسوى أن قرأ الاعتصام ، وألقى بيده إلى أقوام لم يكونوا له بأقوام ، وهذا خلق على الزمان أقره كان الأبعد له من ذوي الأرحام ، وليس بأول من ذهب هذا الذهب ، ولا بأول من حمل خسه على ركوب هذا الركب ، ولئن قال بعض الناس به جهل في اعتصامه وفراره وأنه لو سير لحد منة الصغار فلهذا قول من لم يعرف حال الملوك فيقيم له عدواً ، ولا يأتي بما ينزل به من قوارص مولانا مرة بعد أخرى ، ولئن تكاثرت عليه هذه الأقوال الذخيرة حتى ملأت حرفة كحل السماء ، وحسنه شوك القناد ، وأصبح وهو يرى أنه زلق في خطيئته رلقاً ، وغصّ بنومه من أجسام شرفاء ، وحدث له سوائه حتى طلق يحصف عليها ورقاً ، ومع هذا ظنه والحق أن حلم مولانا لا يؤذي من الرتل ، وأن حصاة الذنوب لا تخفف بوزن ذلك الجبل ، وما هو قصد جاء بازها والنازع العتيق ، وعاد مستشفعاً ولا شفيع أكرم من القربى^(٢) ... »

(١) مدينة كانت على شاطئ طرقات في طرف بلاد طروم التي تركها المدينة غربي القوت ولها قصة في حكايتها الأرمين في ديوان : ويسكنها في هذا الزمن هناك أفضل علي ابن الملك الناصر يوسف ابن أيوب صلاح الدين .

(٢) اللسان الباقى ٥ ص ١٧ « طبعة المطبعة الجيدة بمصر سنة ١٣١٦ .

وخرج الملك الأفضل نور الدين علي بن صلاح الدين من مصر ولم يخرج نصر الله بن الأثير في خدمته لأنه خاف على نفسه من جماعة كانوا يريدون القتل به ، فخرج منها مستتراً ، وله في كيفية خروجه مستتراً رسالة طويلة شرح فيها حله وهي في ديوان رسائله ، وغلب من خدمه الأفضل ربعة قصيرة ولما استقر الأفضل في ميساط عاد نصر الله إلى خدمته وأقام عنده مدة ثم قرعه في ذي القعدة سنة ٦٠٧ هـ واتصل بخديشته أخيه الملك الظاهر غازي صاحب حلب فلم يطل مفارقه عنده ولا اعظم أمراً ، وخرج من حلب مغضباً وعاد إلى بلد الموصل فلم تستقم حاله فيها ، فذهب إلى إربل فدخلها في شهر ربيع الأول سنة ٦١١ هـ فلم يجد فيها منى ، فسافر إلى سنجار فلم يجدها قراراً ثم عاد إلى الموصل وصمم الأمانة فيها وصار كاتب الامناء ، فلكمها الظاهر عز الدين مسعود الثاني وابنه ناصر الدين محمود ابن الملك الظاهر عز الدين مسعود الثاني بن نور الدين لرسالة شاه وأتابكة بوملج بدر الدين لؤلؤ النوري وذلك في سنة ٦١٨ هـ قال ابن خلكان : « وقد ترددت من إربل إلى الموصل أكثر من عشر مرات ونصر الله بن الأثير مقيم بها وكنت أود الاجتماع به ، فأخذ عنه شيئاً لما كان بينه وبين الوالد - رحمه الله تعالى - من الولد فلم يفتق في ذلك ، ثم فرقت بلاد المشرق واستقلت إلى الشام وقتت به مقدار عشر سنين ثم انتقلت إلى الديار المصرية وهو في قيد الحياة ، ثم يفتق بعد ذلك خير وقته وأنا بالقاهرة ... وتوفي في إحدى الجماديين سنة سبع وثلثين وسبائة ببغداد وقد توجه إليها رسولاً من جهة صاحب الموصل ، وصلى عليه من القدر بجامع القصر^(١) ودفن بقابر قريش^(٢) في مشهد موسى ابن جعفر - سلام الله عليهما - قال أبو عبد الله محمد بن التجار البغدادى في تأريخ بغداد : توفي نصر الله بن الأثير يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر من السنة . وهو أخير لأنه صاحب هذا المن وحكمان عنده » . ونقل بقول الثاني جمال الدين محمد بن علي

(١) من بناه جامع سوق نزل الجعيد شهيد أيام المسلمم الثاني والعراق وكان جامع القصر يسمى أيضاً « جامع الخليفة » ثم سمي في العهد الثاني « جامع الخلاء » وكان يعلو فيه على جدران كل كبير من أرباب الدولة والعلماء والخلفاء والعلماء ، وهو تسمى مسجد محمد بن علي ، وصدر الأمر أو الأمانة من ديوان الخلافة .
(٢) أي السكاكبة الخليفة .

المعروف بأبن الصابوي في كتابه المؤلف في الامساب للمعروف بتكملة إكمال السكال وقد قدمنا نقلاً منه .

وقال مؤرخ آخر « دفن في صحن مشهد موسى بن جعفر - عليه السلام ^(١) - . » وجاء في ذيل الروضتين لأبي شامة أنه « توفي بالمورقة من بغداد وهو مرسل إليها » هكذا جاء الاسم في نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٨٥٧ ورقة ١٨٦ والنسخة المطبوعة على يد مروت المطاوع الحسيني وهي مشوهة « ص ١٦٩ » ولعل الأصل « لورقة » وكانت على دجلة فوق بغداد .

وقد جاء في النثر السائر كتب مؤلفه كتبها من ذلك الأفضل نقيب في تعيين مواضع من سيرته السياسية ففي « ص ٤٦ » يقول : « ومن ذلك ما كتفاه عن ذلك الأفضل علي بن يوسف آل الديوان العزيز القوي ببغداد ... »

وفي « ص ٤٧ » منه يقول : « ومن ذلك ما كتفاه عنه آل عمه ذلك العادل أبي بكر بن أيوب من كتاب يتضمن استعطافه والتوصل إليه . » وقد قلناه من قبل ، وقال « ص ٣٦ » : « وأما ما أتيت فيه الحسن من العامي والسكتة غير مخرج فن ذلك مطالع كتاب كتفاه من ذلك نور الدين أرسلان بن مسعود صاحب الموصل آل ذلك الأفضل علي بن يوسف يتضمن تربيته وتربيته ، أما التعزية فبرقة أخيه ذلك العزيز عثمان صاحب مصر ، وأما التهنية فبورقة ذلك من بعده ... »

أوصاف المؤرخين ومؤدياء

قال جمال الدين أبو حمزة محمد بن علي المعروف بأبن الصابوي في الاستدراك على مؤلف إكمال السكال : « وذكر في باب الاخير جماعة منهم الأخوان العادلان أو السعداوات المبارك وأبو الحسن علي أبنا محمد بن عبد الكريم الجزري وأعقل ذكر أخيهما الوزير العاضل أبي الفتح نصر الله فإنه كان قريدا دهره ، ووجهه مصره ، في صناعة الكتابة والانشاء وله التصانيف البديعة

(١) التأريخ الحمدي ص ١١٤ « المجلدات الجامعة ص ١٣٦ » .

والرسائل الصبيحة ، ختم به هذا الشأن ، وسار ذكره في جميع الأقطار والبلدان ... وأجاز لي
سموعه ومشوره ومنظومه ^(١) .

وقال ياقوت الحموي في « جزيرة ابن عمر » وقد نقلنا قوله آمناً من « محم البدران :
« وهو الأثير الدماء والأدياء ، وحجج الله الدين المبارك وضياء الدين نصر الله وعز الدين
أبو الحسن علي ... كل منهم أعلم ، مات بحد ظنين والأخران حيان في سنة ٦٢٦ هـ .
وهل ذكر الدين النذري : « وفي إحدى الجهادين توفي القاضي ^(٢) الأجل الفاضل أبو
الفتح نصر الله بن محمد ... الثموت والضياء المعروف بابن الأثير بغداد وله تصانيف مشهورة في
التعلم والفكر منها دليل السائر في أدب الكتاب والشاعر وغير ذلك ^(٣) ... » .

وقال ابن خلكان : « ولضياء الدين من التصانيف الفاتحة على غزارة فضله ونحيق نبيله
كتشابه الذي سماه (النمل السائر في أدب الكتاب الشاعر » وهو في يدهين جمع فيه فأوصي
ولم يترك شيئاً يتعلق بفن الكتابة إلا ذكره ... وله كل معنى ملبح في التمرس وكان يمارض
القاضي الفاضل في رسائله قذاً أشأ رسالة أنشأ مثلاً ، وكان بينها مكاتبات ومجاوبات ولم يكن
له في النظم شيء ^(٤) ... » .

وقد مؤلف كتاب المحاولات الذي وسمناه بالمحاولات الجادة « ص ٩٣٦ : « كل كاتباً علماً
فاخلاً مدقلاً في علم الكتابة « مقتدراً على الانتشاء « وود إلى بغداد مراراً في رسائل من يسدر
الدين لؤلؤ صاحب الوصل ... » .

(١) « نكتة الكمال سكان ، نسخة الأديب بغداد ٥٥٢ بورقة ٧٧ هـ .

(٢) « اتحاد الصبريون أن يصفوا ابن « القاضي « في غير فصل من الكتاب والمصنف كقاضي الدامن
ومن ذلك نقيب النذري نصر الله بن الأثير بهذا القالب .

(٣) « النكتة لزيات الطه « نسخة مكتبة جامعة الإسكندرية ١٩٨٢ ج ٢ ص ٢٥٥ هـ .

(٤) « الزينات ٢ : ٢٨٧ — ٢٩١ هـ « طبعة بلاد الشام وهي أكثر ما في الزينات نقيب الدين
اليولي من قبل مهيك الزمان ج ١ ص ٦٤ طعة حيدر آباد الدكن .

وإجل جمال الدين أبو الحسن علي بن الحسن الخوارزمي في تاريخه « المسجد النبوك » :
 « كان بارعاً في فنون الأدب ، كاتباً بليغاً وصدرأ نبيلاً ، علماً متفتناً في علم الكتابة ، مصدراً
 على الأبناء ، وكتابة الرسائل [رأساً] في العالي المحترمة واليه انتهى علم الكتابة في زمانه وبه ختم
 فن البلاغة وله عدة تصانيف حسنة مفيدة وله رسائل مدونة ^(١) » .

(١) المسجد النبوك ، الطبعة ١٩٦٤ ، من نسخة دار الكتب المصرية بالقاهرة .

سيرة الأديبة

وبعد ، فقد مرَّ بك أن ابن الأثير ، عاش في عصر الحروب الصليبية ؛ عصر الفتن والحروب والقتال وعصر النزاع بين الدولات الإسلامية ، ولم يكن الرجل بمزول عن الحياة الصاخبة ، كان وزيراً مباشراً للسياسة والملك ، متنبئاً من يد إلى يد ، ومن أمير إلى أمير ، كتب لصالح الدين بمصر والشام ، ووزر لآفته الأفضل بالشام ، والتحق بصاحب حلب غازي ابن صلاح الدين ، والتحق بصاحب الموصل واتصل بأولي الأمر وأغداً ورسولاً في بغداد . وحياته قبل أن يتصل بصلاح الدين ليست ببدلت خطر ، ولذلك لا تكاد نجد المؤرخين يتحدثون عنها حيث يتحدثون عنه ، وليكنها نبذة بعينه بصلاح الدين ، وقد اتصل به بعد أن كتلت أدائه ونضج ؛ يقول ابن خلكان^(١) وقد ذكر ما قوله من قبل : « ولا كتلت لضيء الدين الأدوات فقد جناب الملك الناصر صلاح الدين ... في شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسين وخمسمائة غوصه القاضي الفاضل بخدمة صلاح الدين في جمادى الآخرة من السنة .. » وإذا ما علمت أنه توفي سنة ٦٣٧ وأمه توفي وأغداً إلى بغداد ، وكان قد توجه إليها رسولاً من صاحب^(٢) الموصل ، إذا ما علمت هذا رأيت أن ابن الأثير قضى خمسين عاماً ، بعد إكمال أدواته كما يقول ابن خلكان ، وكتبت حركة لا تهدأ في السياسة والعلم ، كان يشغل في البلدان وأغداً على الملوك والأمراء ، وكان على معرفة بقلات عصره على ما يبدو لنا يقول : « وكنت سافرت إلى بلاد الروم في سنة ستائة ، فلما دخلت مدينة ملطية اخبرت من خطيبها أن عنده أدباً ، وأنه يقول الشعر ، فقصدت لقاءه وأنفيسه كما

(١) وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٥ طبعة مطبعة لطاعة بمصر سنة ١٩٤٩ .

(٢) وفيات الأعيان ج ٥ ص ٣٩ .

(٣) التوقيف للرقوم ص ٢٦ — ٢٧ ، طبعة ندرت القرون سنة ١٩٢٨ .

أخبرت عنه . وعرض عليّ قصيداً من شعراء وهي مائة بيت ؛ كل مشرّف منها على لغة ، فكان مضمناً خمس لغات : العربية والفارسية والتركية والرومية والأرمينية ، فجميع على وزن واحد ، ولغوية واحدة ، إلا أنه كان في غير اللغة العربية أربع منه في اللغة العربية ، وهذا من أعرب ما شاهدته ... » وتري من هذا أن ابن الأثير كان — لا يئناً بقصد أهل العلم ، ويتحدث إليهم ، وتري أنه عارف بهذه اللغات معرفة يستطيع أن يفرق فيها بين الجيد والردئ . من الشعراء حتى يرى شعر خطيب سامية في غير العربية أحسن منه بالعربية ، وتراه في غير ما يمكن من كتبه يشير إلى معرفته باللغات وقراءته فيها ، بقول وهو يتحدث عن الكتابة والتعريض : « في كتابه مثل السائر » وأهم^(١) أن هذين التسمين من الكتابة والتعريض ، قد وردا في غير اللغة العربية ، ووجدتها كثيراً في اللغة السريانية ، من الإنجيل الذي في أيدي النصارى قد آتى منها بالكثير . وما وجدته من الكتابة في لغة الفرس أنه كان رجلاً من أساورة كسرى وخوادمه ، فقبل له : إن تلك يختلف إلى أمرائك فمجردا لتلك ... » .

وبقول في موضع آخر من كتابه : وهذا الكتاب على لغة اليونان^(٢) وأول كتاب انفصل لا بقراط في الطب قوله : الشعر قصير ، والصناعة طويلة . وربما لا يجب أن ترى الرجل يعرف هذه اللغات ، لأن عصره عصر اختلطت فيه الأمم المختلفة والمخاضات المختلفة ، وكان يحسن به وهو الوزير ، أن يعرف هذه اللغات التي قد يحتاج إلى أن يقرأ بها وأن يكتب بها في بعض الأحيان .

ولم يكن ابن الأثير بالرجل الجليل الذي يحسن الكتابة ، ولا يشهد الحروب ؛ كان رافع صلاح الدين ، ويشهد الحرب معه وينوق حلاوة النصر وحيية المزيمة ، يعرض للحدث عن هذا في رسالته يقول : « وكنت^(٣) في سنة ثمان وثمانين وخمسة بأرض فلسطين في الجيش التي كان قبالة العدو الكافر من الفرنج ، لعنهم الله ، وتقابل الفريقان على مدينة يافا ، وكان لي

(١) مثل السائر ج ٢ ص ٢٦٥ .

(٢) مثل السائر ج ٢ ص ٢٦١ .

(٣) مثل السائر ج ١ ص ٥٥ .

جاني ثلاثة فرسان من المسلمين ، فمضوا على الحجة الى نحو العدو ، فلما حلوا صدق منهم اثنان
وتسكاً واحد...» وراه في غير ما عرض من كتبه ورسائله ببعض في وصف الحرب وآلاتها ،
ويتحدث عن القتال فيقول ^(١) :

« وسبق ألم الموت ألم الجراح ، ونفقت غير حقبة لمرتها أسنة الرماح ، وحصل القوم في
القبضة ، وضموا عقب الهزيمة ، وجي ، بالأمرى مفرجين بالأسفاد ، موطين أن رؤوسهم عوارى
من تلك الأجساد ، ولو استطاع رأس أحدهم أن ينكر عنه لأنكره ، ولا يرد - وهو المظلم -
أن يقال ما أعظمه بل يقال : ما أحقره ، وتصرفت أيدي المسلمين في القتل والنهب ، وكان
لصيف رقاب والسبي رقاب ... » .

وقد يعتمد الى وصف بعض آلات الحرب وقول في التجنيق « ^(٢) ... ونصب المنجنيق ،
لجتم بين يدي السور مناسياً ، وبسط كفه اليه موائياً ، ثم تولى عقوبته بمصاد التي تفتك
بأحجاره ، واذا عصي عليها بلا أعففت في تأديب أسواره ، فإكلن الا أن استمرت عقوبتها
عليه ، حتى صار قائمة حميداً ، وعاصيه مستقيداً ... » .

هذه الحياة الصاخبة التي قلب فيها ابن الاثير هيأت له مادة الوصف ، ومادة الكتابة
الإتشائية ، ويبدو لنا أن رسائله الكثيرة التي لم نشر بعد ستكون سجلاً حافلاً بحياة الحرب
وحياة العلم والعباسة في عصره ، ولعلك ترى أن هذه الواقف ، أعني ، واقف الحروب أولى أن
يقال فيها الشعر لأنه أسمن في التعبير عن المواقف من النصر ، وابن الاثير ينظم الشعر والسكن
الرجل كاتباً أحسن منه شاعراً ...

ولم يقتصر الرجل على الحياة الصاخبة وحدها يستمد منها مادة حديثة بل نراه يدين النظر
في كل ما حوله ، وقد يستخلص الحكمة من أغصان الأمور وأيسرها وهو يوصي الأديب أن يتنبه
الى هذا ، ويثقت اليه ويقول : « اعلم أن الكاتب يحتاج الى التثبت بكل فن والنظر في كل
علم وإحصاء السمع لمناورات الناس ، فانه لا يعدم من ذلك فائدة فإن كلمة الحكمة ضالة للؤمن ،

(١) لئل السائر ج ١ ص ١٣٩ .

(٢) لئل السائر ج ١ ص ٨٩ .

ثبوت وجدها فهو أحق بها ، وقد ثبت أقوال النحويين في محو حرفهم ، فاستفدت ذلك مؤلف كثيرة ، حتى من أكثر وصلاح ، وأعجبت من الاعجاب الأعظام ، ومن يجدي مجراهم ، وقد تصدركة الحكمة من الجاهل بكتابها ، ورب دمية من غير دمه ... ٤ .

وزاد على هذا حتى رأى لزماً على الكتاب ^(١) ... أن يملأ بقوله النونية في مائمه ، وما نقوله للاشقة عند جلوة العروس ، وما بقوله النونية في السوق على السلطة ... ٥ .

ومد إلى الكتب يقرؤها ويحبرها ، وقد مرأيت حبرته من الأنبياء ، أسيا القرآن فقد أوقع به ، واجتمع الكثير من موضوعات البيان بغيره ، وهذا النظر فيه حتى هذه آله من آلات التأليف ، ^(٢) وأوصى بحفظه ، وللإداسة لثرائه والمواضع في محور مجده .

وقال في مقدمة كتابه الجامع الكبير في الحديث عن علم البيان ^(٣) : « لمت في أمساء القرآن الكريم من هذا النحو أشياء طرفة ، ووجدت في مطاوعة من هذا النوع سكاناً دقيقة لطيفة ، فمرضتها عند ذلك على الأقسام التي ذكرها هؤلاء المدعو ، وشرحوها ، والأصناف التي يندوها في تصابيحهم وأوصيهم ، فالتفتهم قد غفلوا عنها ، ولم يحوا على شيء منها ، وكان ذلك باعثاً لي على تصفح آيات القرآن العزيز ، والكشف عن سره للسكوت ، فاستخرجت منه حيثي ثلاثين ضرباً من علم البيان ، لم يأت بها أحد من العلماء الأحياء ، وكان ما طفرت به أصل هذا الفن ومحدثه ، وخلاصة هذا العلم وزينه . طبع أحرزت هذه القضية ، وحصلت عندي هذه العقيلة أجيبت أن أفرد لها كتاباً ، وأقسامه به أقساماً وأبواباً وهكذا تراء يتعلق بالقرآن الكريم ، ويشرح بسبب ذلك بتقديمه في تفصيل النثر على الشعر ويعد أول أسبابه في هذا التفصيل أن القرآن الكريم ورد تقرأ ^(٤) .

وكذلك فعل في حيث الرسول الكريم وجعله أحد الآيات التي لزم التبرع لصناعة الكتابة ، وحديثك منه أن جعل كتاب الوحي للرقوم مبياً على مقدمة ^(٥) وثلاثة فصول جدول

(١) الوحي للرقوم من ١-٥ . (٢) انظر من ٤ من هذا الكتاب .

(٣) انظر من ٢ من هذا الكتاب . (٤) انظر من ٧٣ من هذا الكتاب .

(٥) انظر من ٤ من الوحي للرقوم طبعة تورات المون سنة ١٢٩٤ هـ .

الفصل الأول في حل الشعر ، وجعل الثاني في حل آيات القرآن ، والثالث في حل الأحبار النبوية .

ولم يقتصر بخطه على هذا بل عمد إلى الشعر حتى قال في كتابه الوشي الرقوم ^(١) وكنت حقلت من الأشعار القديمة والحديثة ما لا أحصيه صفحته ، ثم انصرف بعد ذلك على شعر الطائيين حبيب بن أوس وأبي ميادة البحرني ، وشعر أبي الطيب النسبي ، وحفظت هذه الدواوين الثلاثة وكنت أكرر عليها بأدب مدة سنين حتى تمسكت من صرع اللعاني ، وصار الإحسان لي خلقاً وطعماً ، فلا تنفع أيها الخائن في هذا البحر الذي لا ساحل له إلا بأن تغفل ما فعلته ، وتسلط ما سلكته .

وبارة واحدة إلى مؤلفات ابن الأثير ترك نسخة بابه وحفظه في شئ صنوف المعرفة الشائعة في عصره . كتب الوشي الرقوم في حل الآيات القرآنية السكرية وحل حديث الرسول الكريم وحل الشعر . وكتب كتابه ^(٢) للمفتاح للشافعي حديقة الإنشأ ، وقد تحدث به عن صناعة الكتابة ، وله « مؤسس الوحدة » وقد جمع به مختارات من الشعر ونسخة منه محفوظة بخطه كورنلو الأمانة ، و « كتاب لأخبار النبوة » ، يقول عنه ^(٣) وكنت جردت من الأخبار النبوية كتاباً يشتمل على الآلة آلاف خبر ، كلها تدخل في الاستعمال ، وما زالت أواظب على مطالعته مدة تزيد على عشر سنين ، فكلت أنهي مطالعته في كل أسبوع مرة ، حتى دار على خاطري وخاطري ما يزيد على خمائة مرة وصار محفوظاً لا يشغني منه شيء . وله كتاب أدعية يقول فيه ^(٤) « وكنت ألفت كتاباً في ذكر أدعية مخصوصة ضمنتها مائة دعا ، مما وضع في الكتب الصغرى والأخوابيات . . . » وله كتاب في « السرقات الشعرية »

(١) آخر من ٩ - ١٠ من نسخة تورين سنة ١٢٩٨ هـ .

(٢) مصور دار الكتب المصرية (برل ١٠٣٠ : أدب) والحياة الأدبية في عصر المروية الصليبية للدكتور أحمد أحمد بدوي مطبعة النهضة مصر من ٣٢٢ .

(٣) في عصر المروية الصليبية للدكتور أحمد أحمد بدوي من ٣٨ . ولكن السائر ج ١ من ١٩٨ .

(٤) الوشي الرقوم من ٧٠ .

يشير إليه في كتابه للتل السائر إذ يقول «... وأعلم أن علماء البيان قد تكلموا في الصفات الشعرية فأكثروا، وكنت ألفت فيه كتاباً، وقسمته ثلاثة أقسام: نسخاً، وسامياً، ومسخاً^(١). وله «مجموع» اختار^(٢) فيه شعر أبي تمام والبحراني وديك الجن والنسي وهو في مجلد واحد كبير. وله كتاب «الوسع في الأدبيات» وقد طبع في القسطنطينية سنة ١٣٠٤ هـ وطبع في ألمانيا سنة ١٨٩٦ وله «الغاني المختارة في صناعة الإنشاء» يقول فيه ابن خلكان^(٣) إنه نهاية في بابه. وله «البرهان في علم البيان» وجاء في تاريخ أدب اللغة العربية طرزي^(٤) زيدان أنه غزوان في برلين، وذكر له أيضاً «رسالة في الأزهري»، وقال بها عقوفة في^(٥) باريس. وفي كتاب نهاية المارقين لاسماعيل باشا البغدادي طبعه استانبول سنة ١٩٥٥ المجلد الثاني من ٤٩٣ أنه صنف من الكتب «الاستدراكات»، و«رسالة في الضاد والطاء»، و«رسالة في أوصاف مصر» وله ديوان «ترسل» في عدة مجلدات.

والم أشهر هذه الكتب كتابه للتل السائر، وهو كتاب شهر به ابن الأثير وأحدث ضجة في حياة الرجل وبعد مماته وألفت الكتب في التصب له والتصب عليه، قال صاحب كشف^(٦) الطلوع: «وصف بعضهم كتاباً سماه «الروض الزاهر في محاسن أئمة السائر» وصنف عز الدين بن أبي الحديد كتاباً سماه الفلك الدائر على التل السائر»، وصنف أبو القاسم محمود بن الحسين الركن السنجاري النوفي في عام ٦٤٠ هـ كتاباً رد فيه عليه وسماه: «نشر التل السائر وعلمي الفلك الدائر» وصنف صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي النوفي في عام ٧٦٩ كتاباً سماه: «خبرة السائر على التل السائر» وصنف عبد العزيز بن عيسى كتاباً سماه: «قطع الدابر عن فلك الدائر...» ولعله ترى منا أن هنا من هذه الكتب وحدها كافية في أن

(١) للتل السائر ج ٢ ص ٣٦٥.

(٢) وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٨ طبعه مطبعة المطبعة بمصر سنة ١٩٤٩.

(٣) وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٧. (٤) نهاية المارقين ج ٢ ص ١٩٣.

(٥) تاريخ كتب اللغة العربية ج ٢ ص ٥١. (٦) كتب الضون ج ٢ ص ٨٢٩. وأطر

(٢) — ١٩٢٩ يولاي مصر (أطر) من مقدمة للتل السائر.

لعلن معركة حامية بين مؤلفيها .

وهكذا ترى هذه الحركة الكبيرة التي أحدثتها هذا الكتاب في علم البيان العربي ، وتري الناس يتعصبون له ويتعصبون عليه لمصنعهام لمتناهب السياحية والعبية .

قلنا : ألفت عز الدين أبو حامد عبد الحيد بن أبي الحارث عبد الله الدائمي الكتاب الشاعر كتيباً في الرد على نصر الله في المثل السائر صاه « الفلك الدائر على المثل السائر » ، ولا وقف عليه أخوه موفق الدين أبو القاسم بن أبي الحارث كتب إلى أخيه المؤلف :

المثل السائر يا سيدي صدقت فيه الفلك الدائر
لكن هذا فلك دائر نصير فيه المثل السائر^(١)

ومن البين أن إهداء الكتاب لذي قرأه على أثر له أدبي كما فعل القاسم بن أبي الحارث لا ينام له وزن إلا إذا حققه النظر والاعتبار ويتم استحقاق الأثر لذلك الأثر .

واتفق أن عز الدين بن أبي الحارث تزوج بعد تأليفه « الفلك الدائر على المثل السائر » امرأة أرملة ، وكان زوجها الأول جديداً وله ابن منها اسمه غري ولقب بفلك الدين فقال فيه الشيخ موفق الدين عبد القاهر بن الفوطي البغدادي « لأرب الشاعر :

لقد أدرك مثل سائر ألفت فيه فلكاً دائراً
لكن هذا فلك دائر أصبحت فيه مثلاً سائراً^(٢)

وكان طبل الغيرة مثلاً في تأليف « الفلك الدائر » لألف نصر الله بن الأثير استهزأ بالكتاب العراقيين ، واشتد عليهم أقوالاً ، قال ابن أبي الحارث في مقدمته بعد الحمد لله والأشادة إلى رضي الإنسان عن نفسه ودم هببه بها والصلاة على بيته وآله وأصحابه .

« وبعد فقد وقعت على كتاب نصر الله^(٣) بن محمد الواسلي المعروف بابن الأثير الجزري

(١) التوقيف : ٢٥ : ٢٨٨ - ٩ . وتواتر التوقيف : ١٥ : ٢٦٩ . « دجلة مطبعة المطبعة وافية أصبحت » مكال « مصر » .

(٢) تلخيص معجم الألفاظ لأبي الواسي : ج ١ ص ٢٩٢ . من نسخة مصحف جواز المطبعة الأولى .

(٣) « الفوطي » « نصر الدين » « وله نصاً وكان أصبح سنة ٩٠٩ هـ حجة محمد الشيرازي وهو ردي جداً ، يصعب علينا التنبه على مواضع ردائه لظوله وكثره .

السمى كتاب « النمل السائر في أدب الكاتب والشاعر » فوجدت فيه : المحمود والذم ، والبرود والرفول ، أما المحمود منه فنت وده وصناعة ، فإنه لا بأس ، ذلك إلا في الأقل الذم ، وأما البرود فيه فلفظه وجدله واحتجاجة والبرادة ، فإنه لم يأت في ذلك في الأكثر لأجل ، بما بلغت إليه ، ولا بما ينبغي عليه ، فغفاني عن غيره ومدهته . في هذه النواحي النظرية أمور منها إزراقه على الفصول ، وعنه مهم ، وعنه لم ومعه عنهم ، فإن في ذلك ما يدعو إلى الفيرة عليهم والانتصار لهم ، ومنها إفراده في الإيجاب بعمه واليحيى برأيه والتأريض لفرقه وصنافته ، وهذا عيب فيصح تحبط عمل الإنسان والاجتهاد ، ويوجب لذات من الله والعباد ، ومنها أنه قد أودع مراراً في كتابه إلى كتاب دهره إذ لم يخطه على قدر استحقاقه ، فلو أن معرفته أن الرزق مقسوم ، لا يخلجه الفضل ولا يردده القسمة . ومنها أن جماعة من أكبر النحويين^(١) قد حسن منهم في هذا الكتاب جداً ، وتصيبوا له حتى فضلوه عن أكثر الكتب المصنعة في هذا الفن وأوصلوا منه نسخاً مبدودة إلى مدينة السلام وأشرفوه ، وبأوله كثير من أهلها . فاعترضت عليه بهذا الكتاب وتقرت به إلى الخزانة الشريفة بمسند أبيه كالمسند الصنعية

— مر الله تعالى بمورثها أديبة الفضل ورأيه . وأطبل يقول : « ما لك يا أديب العلم ورأيه » .

ولم يسكتف ابن أبي الحديد بالعقب على إصرار الله بن الأثير في « النمل السائر على النمل السائر » بل زاد عليه قدمه . ياد في شرح نوح البلاغة وقد ابتدأ به مرة رجب من سنة ٦٤٤ هـ وأتمه سلخ صفر من سنة ٦٤٩ هـ^(٢) ، ومن ذلك ما ذكره في الكلام على « النمل » قال : « وقال ابن الأثير في كتابه السمي بالنمل السائر : إن هذا النوع من الأدب غير مختص بنسبة العرب فإنه لا مات قبلاً أحد منكم القوس بل ورره : حركتنا بسكوتهم . وفي أول كتاب الفصول لفرط : العمر قصير والمنفعة طرية ، وهذا الكتاب هي لغة البؤس ، قلت : وأي حجة به إلى هذا الكتاب وهل هذه الدعوى من الأمور التي يجوز أن يعقري الملك والشبهة فيها ليستفي

(١) كانت النمل يوشط خاصة طرية أدبانية مخرجة من الحسكر اعني العباسيين .

(٢) شرح نوح البلاغة : مج ٤ ص ٢٤٤ هـ طبعة مصطفى البابي بحصر .

بمحاكاة من غير كلام العرب يفتح بها « !! » .

وربما كان كتاب « الفاتح الدائر على النحل السائر » أشهر هذه الكتب ولعلك ترى أن ابن الأثير قد أشهر كتابه هذا شهرة طالت على شهرته السياسية ، وقد وُزر لملوك وبنات الأمور خمسين سنة ، ومع ذلك فشهرته مؤلفاً بمجموع البلاغة أكثر من شهرته وزيراً أو كاتباً ، ولا يجب فقد صرف همه هذا العلم ، وقرأ ما كتبه السابقون فيه ، يقول في فاتحة النحل ^(١) السائر « وقد ألف الناس فيسه - في علم البيان - كتباً ، وجلبوا ذهباً وفضة ، وما من تأليف إلا قد أصفحت شانه وسيله ، وصحت فنه وحملته ... » ثم أعل رأيه فيها قراً مما كتبه الناس واجتمع مسائل في علم البيان لم يسبقه إليها أحد ، حتى قل من غشه : « ... وهادى الله لابتداع أشياء لم تكن من قبلي متقدمة ، ومنحني درجة الاحتماد التي لا تكون أقوالها تاهية ، وأنها هي متبعة ... » ومع كثرة ما كتب لا نراه يفخر بشئ ، نغره بإطلاعه على علم البيان وأحراره نصب السبق فيه .

وهذا الكتاب الذي بين يدي القاري « كتب الجامع الكبير في صناعة المنظوم والنثور » قد أمله ابن الأثير على ما يبدو لما قبل كتاب النحل السائر ، وربما كان أول كتاب يؤلفه في علم البيان ، يقول في مقدمه وقد ثبت أ كثر ذلك ^(٢) « ... لمت لي أثناء القرآن الكريم من هذا النوع - أي من موضوعات علم البيان - أشياء طريفة ، ووجدت في مطالعته من هذا النوع شيئاً دقيقاً لطيفاً .. لم يأت به أحد من أولئك العلماء الأعيان ، وكان ما عجزت به أمد هذا الفن ، ومحدثه ، وخلاصة هذا العلم وزججه ، طرت أحزنت هذه الفضيلة ، وحصلت عندي هذه النتيجة ، أحببت أن أفرد لها كتاباً ، وأفصلها فيه أقساماً وأبواباً ، ليكون مقصوداً على شوارده هذا العلم وغرائله ، ويورد الحقائق والهدى ، وليجده مؤلف الكلام رأس مداعنه ويعلم به مواقع الصواب في صناعته ... » .

والصواب ابن الأثير هادي في هذا الكتاب . ينقل عن مقدمه من علماء البيان ويشير

(١) ج ١ ص ٤٠ . (٢) انظر ص ٣ من هذا الكتاب .

الى مواطن النقل في أكثر الأحياء ، وقد تحول في الزمان حذراً هادئاً ، وهذا ما لا راد له في كتاب التل السائر : إذ قد تراء يشير الى رأي وهو لا يحاول تنفيذه والتيل من صاحبه ، وهذا ما ألب عليه الذين تصدوا لنقد كتابه ونفي آرائه كمر الدين أبي الحبيب اللار ذكره .

وقد فضل الجمع العلمي العراقي ، بصور هذا الكتاب على نسخة خطية بدار الكتب المصرية سنة ١٩٥٠ ، نسخت بنقشة الكتبخانة وأضيفت في ٢٤ مارس سنة ١٩٩٧ برقم : ٢٧٠ بلامه و ٣٠٠٦٤ مصرية ، وكتب في صدرها « كتاب الجائع الكبير في صناعة النظم من الكلام والنثر » ، تأليف الشيخ الامام السالم العلامة ، لسان الأدب ، و ترجمان العرب ، أبي الفتح نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجبوري ، « شهر بابن الأنير رحمه الله تعالى » وضا عنه « وكان عدد أوراقها ١٦٥ ورقة . وفضل الجمع العلمي العراقي لمهد إلينا بنهاتها ، وكان خطها واضحاً لم نعب في قرائنه ، والكتبا كانت مع وضوحها في الكتابة - كثيرة التصحيف ، وقد أحهدا أخضنا في الرجوع الى كتب البلاغة وكان أجدها فصاً وأكثرها مبررة لنا ، كتاب التل السائر في أدب الكتاب والشاعر ، أعزاف نفسه ، وقد رأينا في غير ما موطن يذكر هناك ما ذكره هنا ، وقد بقيت في أحد الكتباين على حين يختصر ويحذف في الكتاب الآخر ، حتى يبدو للتاري ، في كثير من الأحيان أن أحد الكتباين كان بمثابة مسودة للكتاب الآخر ، وكنا نوازن بين ما ورد هنا وورد في التل السائر ، وقد رأينا كثيراً من الأخطاء جاءت في التل السائر وكان من الممكن أن تصالح بالرجوع الى هذا المخطوط ، وقد نهينا الى بعض ذلك في حواشي هذا الكتاب .

وقد أحببنا شخصية ابن الأنير الأدبية بعد إطلاقنا هذه الدة الطويلة في كتابه هذا ، ورأينا أن نوالي تحقيق آثاره ، فطلبنا الى الجمع العلمي العراقي أن يصور رسائل ابن الأنير المؤلفة في جزئين من معهد إحياء المخطوطات العربية في الإدارة الثقافية في الجامعة العربية ، ومن مكتبة الجامعة الأمريكية ببيروت ، ومن غيرها ورجونا أن يهد إلينا بنشر رسائله هذه ، وهذا ما نوفي لهذا ، والله الوفي للخير .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مبدئي النعم ، أولاً وآخراً ، مُسدي نولاً ، باخناً وظاهراً ، الذي فطر الانسان بحكته ولطافته ، وركب فيه آية المطلق لمطلع به كلال وصفه ، فكان ذلك عليه من أتم الاحسان ، الذي قهر به عن جميع أسنان الطيرون ، ونولا فضله لما ورد في القرآن المجيد ، مقروناً بالاخراج من النعم الى الوجود . قال تعالى : « الرحمن علم القرآن ، خلق الانسان ، علمه البيان » فحمده على تراتف آلاله وتهاديبها ، والتحقاق راحتها بتأنيها ، حمداً يستكون بالزيادة ضمناً ، وبإيلاء الخيرات قيناً ، ووصلي على رسوله محمد الصادق بأمره ، القائم بدينه في سره وجهده ، وعلى آله مصابيح الايمان وزُهرهم ، وأصحابه ملاذ الاسلام وذُخره .

أما بسم الله فما كان تأليف الكلام ، مما لا يوقف على كونه ، ولا يهرى كنه أمره ، إلا بالاعلاج في علم البيان ، الذي هو لهذه الصناعة بمنزلة اليزان ، احتجت حين شدت^(١) كبدته . من الكلام المتصور ، الى معرفة هذا المذكور ، مشرعت عند ذلك في تخطيطه ، والبحث عن تصانيفه وكتبه ، فلم أترك في تحصيله سبيلاً إلا سيجته ، ولا عادت في إدراكه باباً إلا ولجته ،

(١) كذلك ورد في الأصل . وحدثت احوال عمن عجزوا : إن قوي وطبع قرنه واستغنى عن أمه وربما ظفروا عند الضرر « الصحاح » قال ذو الرمة :
 ذكرتك أن مرت بنا أم حاض
 أتم الظلمات تصرّج وتضج
 قال الفرزدق في السكك : ج ٢ ص ٢٢١ « من طيبة لطيفة الأثرية » الشافعي : الذي قد حسنت أبي تحريك .

وقال ابن حجر العسقلاني :

يلما أبيض هزلاً شديداً
 من مؤيات الصنم الضال والسر
 « اصل » شدي « لازم ولا يوافق لطيف والاصل » شدوت تبتة « قال الجوهري في الصحاح » القاصي : الذي يندو من الألم عذبة أي بأحدة طريقاً منه كانه ساقه وجده .

حتى انتصح عندي بآدبه وخفيه ، وانكشفت لي أقوال الأئمة المشهورين فيه ، كتأني الحسن علي بن عيسى الرماني^(١) ، وأبي القاسم الحسن^(٢) بن بشر الأحمدي ، وأبي عثمان الجاحظ ، وقدامة^(٣) بن جعفر الكاتب ، وأبي هلال^(٤) العسكري ، وأبي العلاء محمد^(٥) بن عاتم المعروف بالقاضي ، وأبي

(١) في الأصل « الرائي » ، وقد صواب ما أختصاه في الفن ، وهو أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني ، وكان يعرف أيضاً بالاختياري والورقي ، وهو طرماي الصغير ٢٦٦-٣٤٥ هـ . كان إماماً في العربية ، علامة في الأدب ، وكان يزج الشعر بالفضل ، وله عدة تأليف منها كتاب « إيجاز القرآن » و « معاني الحروف » . ومنه نسخة في مخطوطات خزانة المطبعة النجاشية رقم ٢٢٨ (معجم الأديباء ج ١٤ ص ٢٣) من طبعة دار الآشور ، و « موائد الزينات » ج ٢ ص ٦٦ . والنجية ص ٢٤٤ .

(٢) كان أبو القاسم الأحمدي أديباً عظيماً ، وبخاصة أديباً ، ورأياً مدبراً ، وشاعراً عبقراً له تأليف حسنة ذكرها بقوتها . نقل ما بين المخطوطات من معاني الشعر ، و « اللوزية بين الصائين أبي تمام والبحتري » وهو الذي أرادته المؤلف « أضر كذب الخليل لشارح » ص ٤ طبعة مطبعة الديار المصرية ، و « ما لي بدار الشعر من المصطفى » و « دمار الشعر لاسي خاتماً » و « فصيل شعر امرئ القيس على ضامر الجاهليين » و « تبين غلط قدامة بن جعفر في نقد الشعر » تولى سنة ٣٧٠ هـ (معجم الأديباء ج ٨ ص ٢٤) وطبعة الزملاء ص ٢١٨ .

(٣) كان قدامة أحد العلماء المطهرين والفلاسفة الفضلاء ومن عاصر إليه في علم المعنى ، كتب كتاباً في « الخراج وسناعة السكناية » وكتاب « نقد الشعر » وكتاب « الرد على ابن النضر » لها عليه به أبا تمام وكتابه « صناعة الجمل » وقد أوردت أواسط القرن الرابع للهجرة . (معجم الأديباء ج ١٨ ص ١٣) .

(٤) هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري من كتبه كتاب « التصانيف » و « موائد القاضي » و « جبهة الأملال » و « التجميع في بنية الأشياء » وكتابه مطبوع مشهور ، وذكر له السيوسي مؤلفات أخرى ، كان حياً سنة ٣٩٥ هـ (بقية الزملاء ص ٢٢١) (معجم الأديباء ج ٨ ص ٢٥٨) .

(٥) قال السمعاني في الأنساب :

« القاضي ... هذه النسبة إلى عاتم وهو اسم لحد القريب إليه وهو الأديب محمد بن ... عام القاضي ، من أئمة عصره ، وديوان شعره سائر في الآفاق وهو من مدائني نظام الملك ، وروى في عنه من شعره صاحبه أبو بكر الأنباري . وإليه أبو الحسن مسعود بن محمد بن ... ابن أبي القاسم بن أحمد بن عمر بن إبراهيم الثاني المعروف ... » .

وذكره عز الدين بن الأثير في التلخيص « قصص الأشراف » بما يفرقه عن ذلك » ج ٢ ص ١٦٦ . وأورد ذكره البغوي في النجدة ص ١٢٦ - قال : القاضي المعروف عليه صل ، اختلف إلى بنيسابور وحصل ديوان شعري والنسبة من عاتم وأمره على سبيل ، وله شعر حسن ووروده الزمعة موافقة ، وله في متاعل الأقاليم بعد مولده ، وارتبط لمسة التأنيب في ليل القليلة القليلة لأشياء روائية الإقبال في تصديرات أحواله ، ولايت آثار السعادة على صفحاته معه وله ، في أئمة في لغة قوله في خدمة عظمة بن قصيدة :

صبياء الشمس حرة من جبينك ومدينة الديار في عينيك
إذا فطمت بك الزمراء ومسا فأقسم نذابي في عريتك

وأورد له مخطوطين آخرين .

محمد عبد الله بن سنان الحنطاجي ، وغيره من له كتاب بشار إليه ، وقول تعقد الحنطاصر عليه^(٢٢) ، ثم لا مضي على ذلك مائة^(٢٣) من الدهر ، واقضى دونه برهة من العمر ، لمث في أثناء القرآن الكريم ، من هذا النحر أشباه طريقة^(٢٤) ، ووجدت في مطالوبه من هذا النوع كنعاً دقيقة لطيفة ، عرستها عند ذلك ، على الأقسام التي ذكرها هؤلاء العلماء ، وشرحوها ، والأصناف التي يتوفاها في تصانيفهم وأوضحوها ، فأقبتهم قد غفلوا عنها ، ولم يبهوا على شيء منها ، وكان ذلك باعثاً لي على تصحيح آيات القرآن العزيز ، والكشف عن سره المكتون ، فاستخرجت منه حيدت ثلاثين خرباً من علم النيسان ، لم يأت بها أحد من أولئك العلماء الأعيان ، وكان ما طهرت به أصل هذا الفن ومحمدته ، وخلاصة هذا العلم ورواحته ، حيث أحرزت هذه الفضيلة ، وحصلت عندي هذه القيمة ، أحببت أن أفرز لها كتاباً ، وأفصلها فيه أقساماً وأبواباً ، ليكون متصوراً على شوارب هذا العلم وعرايه ، ورموز الحفية وبحاليه ، وليجمله مؤلف الكلام رأس بضاعته ، ويعلم به مواقع الصواب في صناعته ، فيما شرعت في تليفقه ، وبدأت بإيضاح القول فيه وتحقيقه ، حاولت التطرق في تصانيف العلماء المذكورين ، والتبصر في أقوال أئمة هذه الصناعة المشهورين ، فسبح لي عند ذلك لطافت رائحة ، وأوانو حسنة ذقة ، هي كالتشاهدة لما ينفوه ، والصفيدة لما نصبوا عليه ويحشوه ، وقما تركت قولاً من أقوالهم بحال ، من غير زيادة أو دعه^(٢٥) في خلاصه . فصار هذا الكتاب لتواضع علم البين مبيحاً ، ولما ذكره أرباب هسفة الصناعة ، وما لم

(١) دل المؤلف في كتابه « التل نادر » وهو بصحت من علم البيان « وقد أتب الناس فيه حكماً وعلواً دعباً وحلياً ... لم أجد ما ينظم به في ذلك إلا كتاب تلونية أبي القاسم الحسن بن بشر الأمدني وكتاب سر المصاحفة لأبي محمد عبد الله بن حسن الطوسي » ج ١ ص ٤ من الطبعة النادرة إليها في ص ١ من هذا الكتاب « قال ابن حاكم الكشي بعد ذكر اسمه وسبه « الطوسي » : « طاهر أدب » وأورد شيئاً من شعره ، وكانت وفاته سنة ٤٩٦ هـ (قول المؤلف ج ١ ص ١٨٩ - ١٩٤) .

(٢) كناية عن قوة الأمد عليه والوقوف به .

(٣) مائة من الدهر (مثلاً) : برهة منه (القاموس) . والبرهة قطعة من الزمان طويلة ، أو الزمان محوفاً .

(٤) في الأصل « طريقة » .

(٥) التصحيح لعدي « أودع » إلى بقوليه بنفسه يقال « أودعها خلاصه » .

بذكره متصفاً ، فأوردت في صدره ما يجب على مؤلف الكلام عليه ، ويبنى له معرفة وقمعه ، ثم شغلت ذلك بذكر الفصاحة والبلاغة ، وصفت الكلام فيها أحسن الصياغة ، فأوضحت ما أشكل من طريقها ، وبحث أقوال العلماء في حقيقتها ، مع ما استقصته إلى ذلك من زيادات مناسبة ، واحترازات وإبينة .

ثم شرحت بعد ذلك جميع أنواع علم البيان ، وسقت القول فيها بحسب الامكان ، وسميته بكتاب : « الجامع الكبير » في صناعة النظر من الكلام والنثور . وجمعت مقدار الكتاب على قطبين : (القطب الأول) في الأعيان العامة . (القطب الثاني) في الأشياء الخاصة . وينقسم القطب الأول إلى فئتين : الفئتين الأولى فيما يجب على مؤلف الكلام الابتداء به ، وهو أربعة أبواب : (الباب الأول) في آلات التأليف (الباب الثاني) في أدواته (الباب الثالث) في الطريق إلى صناعة النثر والنظم (الباب الرابع) في الحقيقة والجاز .

الفئتين الثاني في الكلام على الألفاظ والمعاني ، وتفصيل الكلام النثور عن النظم ، وهو ثلاثة أبواب : (الباب الأول) في الألفاظ المعقدة والمركبة وهو فئتين (الباب الثاني) في الكلام على المعاني . (الباب الثالث) في تفصيل الكلام النثور عن النظم .

(القطب الثاني) وفيه فئتين : (الفئتين الأولى) في الفصاحة والبلاغة . (الفئتين الثاني) في ذكر أصناف البيان وتقسيمها ، وهو بابان : (الباب الأول) في الصنعة للغة . (الباب الثاني) في الصناعة العقلية .

وينقسم الباب الأول إلى تسعة وعشرين نوعاً : « الأول » في الاستعارة . « الثاني » في التشبيه . « الثالث » في شجاعة التريسة ، وهو أربعة أقسام . « الرابع » في الإيجاز وهو مبالغ . « الخامس » في الاستنباط . « السادس » في توكيد المعبر لتفصيل بالتفصيل . « السابع » في السكينة والمريض « الثامن » في استعمال العام في الدني ، والخاص في الأحياء . « التاسع » في التفسير بعد الإبهام . « العاشر » في التعقيب للصدي . « الحادي عشر » في التقديم والتأخير . « الثاني عشر » في عطف الظاهر على صميم . « الثالث عشر » في التخصيص

والاقتضاب . « الرابع عشر » في البداي والافعال . « الخامس عشر » في قوة القسط لقوة
 لثني « السادس عشر » في خذلان الحاطب . « السابع عشر » [] في الاستئذان . النوع
 « الثامن عشر » في الحروف العاطفة والطيرة . النوع « التاسع عشر » [] في التكرار^(١) .
 « العشرون » في تأسيب الثاني من القافية والتقسيم والتفسير . « الحادي والعشرون » في
 الخطاب والجهة الفعلية والخطاب بالحجة الاحجية . « الثاني والعشرون » في لام التأكيد . « الثالث
 والعشرون » في الانصاف والافراط والفرط . « الرابع والعشرون » في العاطفة . « الخامس
 والعشرون » في الضمير . « السادس والعشرون » في الاعتذار . « السابع والعشرون » في
 الارصاد . « الثامن والعشرون » في التوسيع . « التاسع والعشرون » في الأخذ والسرقة .
 وينقسم الباب الثاني الى سبعة أنواع : « الأول » في الصجع والاذنواج . « الثاني » في
 التجنيس « الثالث » في الترميع . « الرابع » في لزوم ما لا يلزم . « الخامس » في اللولولة .
 « السادس » في اختلاف صيغ الألفاظ . « السابع » في تكرير الحروف . وسند ذكر ترجمة
 الأبواب والأنواع عند ذكرها إن شاء الله تعالى .

(١) ما بين القوسين نقصان في الأصل ولقد أكتفه بالرجوع الى حالي لتكتب .

أبواب الأول

من الفن الأول من القطب الأول

آبوت التأليف

اعلم أن صناعة تأليف الكلام ، من الشدور والنظوم ، تحتاج إلى أسباب كثيرة . وآلات
جدة ، وذلك بعد أن يركب الله تعالى في الإنسان الطبع القابل لذلك ، المحيى إليه ، فإنه متى لم
يصطنع ثم طبع لم تعد تلك الآلات شيئاً للجنة . فتمثل الطبع كمثل النار الساكنة في الزماد ،
وتمثل الآلات كمثل الحراق^(١) والمعدنة التي يتدح بها ، ألا ترى أنه إذا لم يكن في الزماد نار
لا يفيد ذلك الحراق ولا تلك المعدنة شيئاً ، إلا أن الطبع القابلة للمعوم مختلفة الأنحاء . فمنها
ما يكون قابلاً لمع الأديب كالنحو والتعريف وغيرها ، ومنها ما يكون قابلاً للمعوم الدينية كأصول
الفقه وأصول الدين وما جرى ههنا المجزئ . ومنها ما يكون قابلاً لغير ذلك كالعلم الرياضي ؛
كالجساب والمهندسة ، ومنها ما يكون قابلاً لغير ذلك ، كالصدع والحرف . وقد يوجد في الطبع
ما يكون قابلاً لجميع المعوم . ومن أدل دليل على اختلاف الطبع وتباينها أن ترى مؤلف الكلام
يكون تارة مؤلفاً مطلقاً ، وتعني بالطلاق أن يكون عارفاً بصناعة النظوم من الكلام والشدور ؛
ويكون مؤلفاً غير مطلق ، وتعني بغير المطلق أنه يكون طارفاً بأحد هذين القسمين دون الآخر ،
وهو مع ذلك عالم بجميع آلات التأليف لفظياً ونحواً ، كما هو المؤلف للمطلق ولا فرق . فلذا ركب
الله في الإنسان الطبع القابل لمعرفة تأليف الكلام على الاختلاف فيحتاج حينئذ إلى تحصيل
الآلات التي يخرج بها ما في القوة إلى الفعل . ونحصر آلات التأليف في قسمين :

(١) الحراق والمعدنة ما يقع فيه النار عند التدح ، والمعدنة قوله بالتدحيد « محار الصحاح » .

« الأول » يشترك فيه النظم والشعر . وهو سبعة أنواع : « الأول » معرفة علم العربية من النحو والصرف والأدغام . « الثاني » معرفة ما يحتاج إليه من اللغة . « الثالث » معرفة أمثال العرب وأيامهم . « الرابع » الإحاطة على تأليفات من تقدمه من أبواب هذه الصناعة ، المنظوم منها والنثر ، والتحفظ للكثير^(١) من ذلك . « الخامس » معرفة الأحكام السلطانية في الإمالة والأمانة والقضاء وغير ذلك . « السادس » حفظ القرآن الكريم والهدية للراية ، والمواضع في بحرور بحاليه . « السابع » حفظ ما يحتاج إليه من الأخبار الواردة عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

وأما القسم الثاني فإنه يخص النظم دون الشعر ، وذلك علم العروض والنواقي ، الذي يقدم به ميزان الشعر . ولذا ذكر بعد ذلك فائدة كل نوع من هذه الأنواع فنقول :

أما (علم النحو) فهو الذي يستقيم به معاني الكلام ، وأقسام أعزى تأليفه عن الأفعال^(٢) والانقسام ، ولولا ذلك لفسدت معانيه واختلت مبابيه . وَلِصَّغَرِيبِ لَهْنا مثلاً يرضه فنقول : لو قال لما قلل : « ما أحسن زيد » . ولم يبين الأعراب لا فهمنا غرضه من هذا القول ، إذ يحتمل أن يريد به التعجب من حسنة ، ويحتمل أن يريد به الاستفهام عن أي شيء فيه أحسن ، ويحتمل أن يريد الأخبار بنفي الاحسان عنه . ولو بين الأعراب في ذلك فقال : ما أحسن زيداً ! وما أحسن زيد ؟ وما أحسن زيد . معنا غرضه وفهمنا منزى كلامه . لانفراد كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة بما يعرف به من الأعراب ، فوجب حينئذ على المؤلف ، بمسافا التاميل ، معرفة النحو إذ^(٣) كان ضابطاً لمعاني كلامه ، حافظاً لها من الاختلالات . فون قيل : أما علم النحو فسلم إليك أنه يجب على مؤلف الكلام معرفته ، لكن التصريف والأدغام

(١) في الأصل « والتحفظ الكثير » ونقص الكتاب : التطوير عرناً مد ترو . فاستبدال الإطباق بضم المنطق هو استعمال مولد ، واللام في « الكثير » لام التورية .

(٢) في الأصل « الملال » وهو غير مستقيم .

(٣) في الأصل « إذا » . فليل هنا بما ورد في النثر الشعر « ج ١ ص ١١ » من طبعة المطبعات فيها في من هذا الكتاب .

لا حاجة به إليها ، لأن التصريف إنما هو معرفة أصل الكلمة وزادتها . وهذا لا يفسر مؤلف الكلام تجهلته ، ولا ينفعه معرفته . ولتطيربك لذلك مثلاً كيف الخلق ، فنقول : إذا قل القائل : رأيت سرداجاً ^(١) ، لا يدركه أن يعرف أن الألف في هذه اللفظة رائدة هي أم أصل ، لأن العرب لم يعلق بها إلا كـ «كـ» ، ولو قالت « سرداج » غير آلف ، لا جاز لأحد أن يزيد الألف من عنده ، فيقول « سرداج » فسلم بهذا أن مؤلف الكلام إنما يتعلق بالألفاظ كما صحها من العرب ، من غير زيادة فيها . ولا نقصان ، وليس عليه بعد ذلك أن يعرف أصلها . ولا زيادتها ، لأن ذلك أمر خارج عما تقتضيه صناعة . وهكذا الأديام ، فإنه إذا قل القائل « مررت برجل ضفّ ^(٢) الحلال » لا يدركه أن يعلم أن الألف الأصل في « ضفّ » ضفت وأن هذه الكلمة إنما أدمت لتكونها مثلين عيناً ، ولأنها ، أو لأجل أنها على وزن اليفض ، لأن ذلك لا يجب عليه منه ، ولا يضطر إلى معرفته لئلا ، وذلك أنه إذا بدلت هذا وأمثاله عن العرب . فقلبي يسمع أنهم قد أنكروا به يحذو حذوهم فيه : من غير أن يصرف شيء من عنده ، وإن [كان] مؤلف الكلام لم يسمع أن العرب قالوا « رجل ضفّ الحلال » فقال هو « ضفّيف الحلال » ولاصح آتيم قالوا : « ضفّيف الحلال » فقال هو « كـضفّ ^(٣) الحلال » فيألف تكلم بسميه عن العرب من غير زيادة فيه ولا نقصان منه . الجواب عن ذلك إنما نقول : أصل أن لم يجعل معرفة التصريف والأديام ، ضرورة على مؤلف الكلام ، كضرورة النحو . لأن المؤلف إذا كان عارفاً بالعالي ، عتاً ألباً ، فادراً على الألفاظ ، مجباً فيها ، ولو تكن عارفاً بوزن النحو فإنه يفسد ما يصوغه من الكلام ، ويحتمل عليه ما يقصده من المعاني ، كما أوردناك ^(٤) في ذلك المثال المتقدم . وأما التصريف والأديام فإن المؤلف إذا لم يكن عارفاً بها لم يفسد عليه معاني كلامه . وإذا فسد على ^(٥) الألفاظ ، وإن كانت المعاني صحيحة ، مبهمة . وسيأتي بيان ذلك في تحرير الجواب . فنقول :

(١) السرداج : اللفة العلوية أو السكرعة أو الخطمية أو السبية أو العلوية القديمة الفلانة كالسرداجة الخلدوس .

(٢) رجل ضفّ الحلال : وفيها « الخلدوس » .

(٣) في الأصل « ضفّ » بكسر الضاد الأولى و « ضفّ » بفتح الضاد الأولى مع الألفاء الهري عارفاً للألف .

(٤) في الأصل « رأيتك » . (٥) في الأصل « عليه » .

أما قولك أيها المترجم ^(١) إن التصريف في لادوم لا حاجة لأول الكلام إليها ، واستغناءك
 على هذا بما ذكرته من هذين التالين الذين ضربتهما ، فإن ذلك لا يستلزم الكلام فيه أبداً .
 أما التصريف وتفتيك لادوم لفظاً « سرداج » وقولك إن المؤلف لا يحتاج إلى معرفة أن
 الألف التي فيها راءة هي أم أصل . لأنه ينقلها عن العرب على ما هي عليه من غير زيادة
 ولا نقصان ، من ذلك لا يتطرد إلا فيما حسنا عليه من قول الألفاظ على هيئتها ، من غير
 تصرف فيها ، بحال من الأحوال ، فاما هذا أول المؤلف تصغيرها ، أو جمعها ، أو النسبة إليها ،
 فانه إذا لم يعرف الأصل في حروف السكينة ^(٢) وزيدتها وحذفها وإبدالها ، يضل من الصل
 ويصير عليه عمل لاطمين والمغالب ^(٣) ألا ترى أنه إذا قيل للشعوي ، وكان جاهلاً بعلم التصريف :
 كيف تصغر « اضطراب » ؟ فانه يقول « اضطرب » لا يلام على جهله بذلك لأن الذي
 تقتضيه صناعة النحو قد أتى به ، وذلك أن النحاة يقولون في كتبهم « اذا كانت الكلمة على حصة
 أحرف ، وفيها حرف زائد ، ولم تكن حذفته [حذفتة] ^(٤) نحو قولهم في منطلق » منطلق »
 وفي جحش « جحش » ^(٥) فحذفت منطلق على حصة أحرف ، وفيها حرفان زائدان ، هما
 اليم والنون ، إلا أن اليم زدت فيها اليم ، فحذفت لم تحذف ، وحذفت النون .

وأما لفظ « جحش » فلهية لا راءة فيها ، وحذف منها حرف أيضاً ، ولم يعلم الشعوي
 أن هذا النحو إنما قالوا ذلك بهملاً ، أمكلاً منهم على تحفيقه من علم التصريف ، لأنه لا يلزمهم
 أن يقولوا ، في كتب النحو ، أكثر مما قالوا ، وليس عليهم أن يذكروا في باب من أبواب النحو
 شيئاً من التصريف ، لأن ثلثاً من النحو والتصريف علم منفرد برأسه ، غير أن أحدهما مرتبط
 بالآخر ، ويحتاج إليه . وإنما قلت : إن الشعوي ، إذا مثل عن تصغير « اضطراب » يقول
 « اضطرب » لأنه لا يحذر : إن أن يحذف من لفظ « اضطراب » الألف ، أو الصاد ، أو

(١) المترجم : النحوي . (٢) كان أخرى إن يقول « في أحرفها » بجمع اللفظ .

(٣) في الأصل : المغالب ، وهو من تهريب السخ . (٤) زيادة يقتضها السياق .

(٥) في الأصل : جحش . وهو غير صحيح لوجوب حذف الحرف الأخير . قال ابن المغالبي في
 النسخة ١ : ٣٠٢ « وإذا صير الحظي على ضمة فأول حذف الحظي وإلى : ما أشبه الزائد » .

الطاء ، أو الزاء ، أو الراء ، هذه الحروف المذكورة غير الألف ليست من حروف الزيادة ، فلا تحذف ، بل الأولى أن يحذف الحرف الزائد ، ويترك الحرف الذي ليس بزيادة ، فلاجل ذلك قلنا : إن التحوي يصغر لفظة « اضطراب » على « اضطريب » فيحذف الألف ، التي هي حرف زائد دون غيرها ، مما ليس من حروف الزيادة . وأما أن يعلم التحوي أن الطاء في « اضطراب » مبدلة من زاء ، وأنه لما لم يرد تصنيفها يرد إلى الأصل الذي كانت عليه ، وهو التاء . فيقول « حُصِّيرِب » فإن هذا لا يعده الا التعريف ، وتكليف التحوي الجاهل علم التعريف معرفة ذلك كشكايه معرفة علم الذيب ، ثبت بهذا الدليل ، الذي ذكرناه ، أن مؤلف السكازم يحتاج إلى علم التعريف ، لئلا يخلط في مثل هذه الأماكن ، فيستوجب عند ذلك الذممة باللب .

ومن العجب أن يقال إن مؤلف الكلام لا يحتاج إلى التعريف . ألم أعلم أن « فاع » فاع
أبي نعيم ، وهو أكبر القراء السبعة حقراً ، وأخفهم شأناً ، قال في « معاني » « معاني »
بالهمز ، ولم يعلم بالاصل في ذلك . فأخذ عليه وعيب من أجله . ومن جملة من عابه عن ذلك أبو
عبدان ^(١) للزبي ، فقال في كتابه في التعريف « إن » نقلاً لم يدور ما العربية . . وكثيراً ما يقع
أولو العلم في مثل هذه المواقف ، فكيف الجهال الأتخار الذين لا خبرة لهم بها ، ولا اطلاع
لهم عليها ؟

وأذا كانت المؤلفات عبارة عن حقيقة الأمر في ذلك لا يقع في ورنة لئلا عليه ، وهذه
لفظة معاني لا يجوز هيئتها البنية وإجماع من عند العربية ^(١٢) ، لأن الآيات فيها ليست مبدئية من

(٨) جو پگڑی کے بصری روی میں سامنے و پیٹھے وہاں کہیں نہ عربی و انگریزی، قوی الفاظ ،
نہ لہجہ ؛ بلکہ صوفیانہ کلام کی آواز ہے۔ نول سنہ ۱۹۸۵ء سے اس کی آواز ہے ۔

[illegible]

وأعمالها ولكن ذلك لها وزادها نابلس وأعمالها ، ولم يقابل ضياء الدين من الأثير إحسان القاضي
الأفضل بالأحسان ، فإن الأفضل ترك دمشق أيضاً ، وذهب مملكتك نور الدين الأفضل ولحق
بالقاهرة طرغ الملك العزيز إلى لقائه وأجلّ قدومه بإجلالاً ، وأكرمه إكراماً .

وكانت مدينة القدس مضافة لذلك الأفضل ، فحمله ضياء الدين من الأثير على أن يتخلى
عنها لأخيه العزيز ملك مصر ، فتمسكاً من التهورض بأعياء ولايتها ، لأنها كانت تحتاج حينئذ
إلى أموال ورجال لمصلحة الفرنج عنها ، فكتب الأفضل إلى أخيه العزيز بذلك أخذاً برأي
الضياء ابن الأثير ، فسر العزيز بذلك وجهز عشرة آلاف دينار إلى عز الدين جرديك النوري
مستولي القدس لينقلها في مسكنه القدس ، فخطب جرديك بها للملك العزيز وقطع اسم الملك
الأفضل . وحشي العزيز من أن ينقض الفرنج الهدنة التي عقدوها معهم أيوه صلاح الدين ،
فأرسل جنوداً إلى القدس احترازاً من الفرنج ، ثم بدأ للأفضل أن يسترد ما ذهب لأخيه وهو
القدس ، ورجع عن ذلك التخلي ، فغدير العزيز من هنا . وأخذ الأمراء في التحريض والتضريب
بينها وحسنوا لعزيز الاستعداد بذلك ، والقيام مقام أبيه ودفع أخيه الأكبر وهو الملك الأفضل
عن ذلك ، فبلغ ذلك أحد فساد .

وكانت نابلس وأعمالها قد وقف السلطان صلاح الدين عليها على مصالح القدس وباقها على
ابن الأمير علي بن أحمد للشعوب فشاركه فيه أحد الأمراء الأكراد فسدوا أيديهم إلى الوقف
وساءت سيرتهم وتغفروا من إنكار الملك العزيز عليهم فلهجوا إلى الملك الأفضل ، فأفضل عليهم
وسكن إليهم ، ففأثر الملك العزيز بذلك ، وكان من جملة الأسباب الباعية إلى الاضطراب أن
الفرنج تسلموا ثمر جبل من مستحفظيه يوماً ، وضعف الملك الأفضل من استخلاصه ، فقبل
العزيز : إن توانيت استولت الفرنج على البلاد فخرج العزيز بمسكوه من الملاحية والاستدبة
والأكراد ، وبلغ خبره أخاه الأفضل فخصاق صدره واجتمع مع من في خدمته من الأمراء
بموضع يعرف برأس اللاء وأراد أن يستعطف أميراً اسمه صارم الدين قايمار النجمي أحد أبناء
الأمراء عند صلاح الدين وكان متبياً في إقطاعه وكان بينه وبين الأفضل شقاق ومناذ ، فأرسل

يكن المؤلف عارفاً بعلم التصريف . مثال ذلك إذا أراد المؤلف أن يبي من وزن « فعل »
 الفعل فؤء بالواو مستقبلاً ، فإن كان جعلاً بذلك قال في واعد « يؤعد » قياساً على الصحيح
 في ضرب « يضرب » وإن كان عارفاً به حذف الواو ، لوقوعها بين ياء وكسرة ، فقال
 وعد « يعد » . وكذلك إذا أراد أن يبي من وزن « قيل » أو وزن « قُصِل » العتلي
 الفاء بالواو مستقبلاً ، فإنه إن كان جعلاً ذلك ، وكان قد سمع بعض العلماء يقول في وعد
 « يعد » حمل « قيل » وقُصِل » على ذلك الأسلوب فقال « ورجل يحمل » وفي « وضوء
 بضوء » . وإذا كان عارفاً بمعنى الأمر في ذلك ، يذهب الفاء في مستقبل « فعل » وقُصِل » بل
 يقول « ورجل يؤجل » و « وضوء يؤضئ » . وكثيراً ما يقع الخطأ في تعريف الكلام
 اللغلي ، من الماضي إلى المستقبل ، وهو موضوع من العربية وعر اللغات ، فيبني مؤلف الكلام
 مرافقه والاعتناء به ، وأسأل هذا كثير عارفها .

وأما الادغام وقولك : إن المؤلف لا يحتاج إلى معرفة ، واستدللك عليه بما ذكرته من اللغلي ،
 وهو قولك : « مررت برجل ضفّ الحبال » . فإن ذلك لا يسلم ، لا في هذه الصورة ، وما
 يجري مجراها ، في نقل الألفاظ على هيأتها ، ومن شرط الأمثلة أن تكون شائعة في جسامها .
 ونضرب لذلك مثلاً ، كيف اتفق ، فقول : إذا قال المصنف في تعريف الحبال « إنها هيئة الفاعل
 أو المفعول وهي مكررة منصوبة مشتقة ، أو في تقدير المشتقة : تأتي بعد معرفة ، ويحسن تقدير
 « في » معها وسؤال « كيف » ثم قيل ذلك بقوله : « جـ . زيد راحياً » . فلا يجوز أن يكون
 هذا القول غير مطرد في جسامه ، لأنه لو لم يكن مطرداً في جسامه لما جاز أن يعمل مثلاً لا تقدمه
 من هذه المصادر ، وكذلك هذا القول الذي مثلت به ما ادعيت في الادغام فإنه ليس بشائع في
 جسامه . ويلاحظ ذلك أنا نقول : قد ورد من بعضهم هذا البيتان وهما :

بدهي في كلامه^(١) المرحن أت مي في ضمير وألفت
 ترهيني والجيد منك ليلي والحشا والبغائم واليهان

(١) في الأصل « كناية » بتحويل ذمها وإلهاها . ولا حاجة به .

فإذا يقول هذا الشاعر إذا سئل عن قوله « ترهيبى » وقيل : إن الأصل في ذلك « ترهيبنى »
 بحذف إحدى النونين ؟ فلا أجدهُ يستطیع الجواب عن ذلك ، إلا أن يسكون عارفاً بالأدغام ،
 وهو : إذا كان اللذان في كثرين ومبعضاً ساكني ، وهو حرف مذكولين ، يجوز إدغام أحدهما في
 الآخر ، وما وجد ههنا السبب في « ترهيبنى » أدعت إحدى النونين في الأخرى ، ثم حُفِظَ
 الإدغام فصارت « ترهيبنى »^(١) فيجب حينئذ على مؤلف الكلام ، بهذا المثال ، معرفة الإدغام ،
 ليس من افتراض متعرض أو تعلقت مشئت .

وأما النوع الثاني : وهو قولنا إن المؤلف يحتاج إلى معرفة اللغة هلسياً يعني بذلك إلا
 ما كان مأثوماً^(٢) ، متداولاً بين أرباب هذه الصناعة . وسيأتي ذكر ذلك في كتابنا هنا .

ويعتبر المؤلف أيضاً إلى معرفة عدة أسماء لا يقع استعماله في العلم والثر ، ليجد إذا ضاق به
 موضوع في كلامه ، يأمر بعض الألفاظ فيه ، المدلول عنه إلى غيره ، مما هو في معناه .

وكذلك يحتاج إلى معرفة الأسماء المشتركة ، ليستعين بها على استعمال النجيس في كلامه ،
 وأعلم أن هذا موضع ينبغي أن يذكر فيه الأسماء آتية^(٣) ، واضعاً دلالتها على المعاني ، فحينئذ
 المؤلف إذا كان عالماً بذات ، فهو مما لا يستغنى عنه فنقول :

الألفاظ لنفس دلالتها على المعاني ستة أقسام : مترادفة ، ومشاركة ، ومتباينة ، ومتناقضة ،
 ومشتبهة ، ومتشابهة ، فاما الثلاثة الأولى التي هي : المترادفة والمشاركة والمتباينة
 فيحتاج مؤلف الكلام إلى معرفتها . واما أوجبنا عليه معرفة الأسماء المتباينة ، لأن منها
 ما يرمي أنه من المترادفة ، وليس كذلك . واما الثلاثة الأخر التي هي : المتناقضة والمشتبهة

(١) يجب إدغام هذا لامرجه عن كونه ضرورة شعرية هو معادل خلف النون غير صواب ولا
 حرم بل صحيح ، وأولى به ثبوت الإدغام ، ونعروب في مثل هذا أن يكون كقولهم « منى » مثلاً لا « أما »
 وقوله « أفتر أنت أميروي أم أمير » .

(٢) في الأصل « مأثوماً » وصحح « مأثوماً » .

(٣) آتية في الأصل مصدر المرة من فعل « أت » بمعنى انضم وجزم . وقد استعملت في كلام العرب
 شدي ولألفاظ ما في حديث « أبي عبد الله محمد بن الحسن المدحجي » : « قد أتى من رؤيته آتية تهكته
 له » (مصارع الحسان ص ٩١) مطبعة لسانة .

والشبهة فيه لا يحتاج مؤلف المحكلام إلى معرفتها ، لأن ورودها في التأليف لا يقتضي
قائمة بذكرها ، كالترادف والمشاركة ، وما شابه الترادف من التباينة ، وإنما ذكرت هذه الثلاثة
الآخر هما . لسكون قد استوفينا جميع أقسام الأسماء في كتابنا هذا ، وعرفه .

وأما الأسماء المترادفة : فهي المختلفة الدلالة على معنى يندرج تحت حقيقة واحدة ، كالطير
والفراخ ، والعقار . فإن المعنى بهذه الأسماء شيء واحد . وهو الشراب للسكر المتعصر من
العنب^(١) . وأما الأسماء المشتركة : فهي اللفظ الواحد المطلق على موجودات مختلفة بالحد والحقيقة .
إطلاقاً متساوياً ، كالعين ، فإنها تطلق على العين الباصرة ، وعلى يدوع الماء ، وعلى الطير . وكل
من هذه الثلاثة يختلف بالحد والحقيقة ، وأما التباينة : فهي الأسماء المختلفة الدلالة على معاني مختلفة ،
كالفرس ، والحمار ، والجدار . وغير ذلك . وقد يوجد من التباينة ما يرمي إليه من المترادف ، وليس
كذلك ، وهو أن يتعدد الموضوع ، ويتعدد الاسم ، بحسب تباين اعتبارات ، فمن ذلك أن يكون
أحد الاسمين له من حيث هو موضوع ، والآخر من حيث هو صفة له . كقولك السيف
والضارب . فإن الضارب دل على موضوع يصغر الحقيقة ، وذلك بخلاف ما دل عليه السيف ، لأنه
موضوع إزاء هذه الآلة ، كيف كانت . ومن ذلك أن يكون أحد الاسمين له بسبب وصف ،
والآخر بسبب وصف للوصف ، كقولك الطائر ، والقصير . فإن القصير وصف للطائر ، الذي
هو وصف الإنسان .

وأما الأسماء الثراسمة : فهي الدالة على أمرين متعددين بمعنى واحد مشترك بينهما ، كدلالة
اسم الطيوان على الإنسان ، والفرس ، والحمار ، لأنها مشتركة في الحيوانية ، والاسم موضوع
إزاء ذلك المعنى المشترك المتماثل .

(١) قال عمر بن عبد العزيز بن أبي سعيد الخدري في "أخباره" : "ما لم يدر على لسان العرب" ، ص ٦٩ .
في قوله ما عليه هذا من كلام المؤلف : "هذا الموضع من أذهال المسائل التي يه فيها المتقنون قالوا : قد بين
في كثير من الأسماء أنها مترادفة وهي في الحقيقة متباينة كالسيف والضارب والفرس . فكل واحد من هذه
الغائي متباينة للآخر والأسماء الموضوعة لها متباينة في الحقيقة وإن أطلق في الظاهر أنها مترادفة وكذا ما مثل به
الصف من آخر اسم موضوع لهذا الضارب القصير وإن كان مشتقاً من صاهل والفرج اسم لما يروح النفس
فيه والدم اسم لما يدم استعمله كقوله آدم يدم يدم ، والسماء متباينة لا علة وإن عرّف في الظاهر أنها
مترادفة ."

وأما الشككة فهي كل اسم تدلّ على شيئين فاصداً ، بمعنى هو واحد في نفسه ، لكن يختلف ذلك المعنى فيها من جهة أخرى ، كالقديم ، والتأخر ، والأشد والأخف . أما التقدم والتأخر فكالوجود للجوهر قبل العرض وأما الأشد والأخف فكاليأس الواقع على التلج والملاج ، فإن التلج أشد يابساً من الملاج .

وأما التشابه فهي الأسماء التي لا يجمعها معنى واحد ، لكن بينها تشابه ما ، من حيث ذاتها ، كالطين المصور على صورة الإنسان ، أو يطلق لفظ الإنسان عليه ، وعلى الإنسان الحقيقي ، يطلق التشابه لا يطلق التوافق ، لأنها تختلفان في الحد والحقيقة . هذا ما ينبغي ذكره في الأسماء وانقسامها في البلاغة على التالي ، فاحفظه .

وأما النوع الثالث : فهو معرفة أمثال العرب وأيامهم فإن^(١) مؤلف الكلام شديد الحاجة إلى ذلك ، وذلك أن العرب لم تضع الأمثال إلا لأسباب^(٢) أوجبتها ، وحوادث اقتضتها ، قصار للنيل للضروب لأمر من الأمور عديم كالملازمة ، التي يعرف بها الشيء^(٣) . وليس في كلامهم أوجز منها ، ولا أشد اختصاراً . وسبب ذلك ما أدكره لك ، لتكون من معرفته على يقين . فأقول : قد جاء عن العرب من جملة أمثالهم « إن يَبْسُجَ عليك قومك لا يَبْسُجَ عليك القمر » . وهو مثل يضرب للآمر^(٤) الظاهر المشهور ، والأصل فيه :

قال الفضيل^(٥) بن عدي : إنه بلغنا أن بني تيملة بن سعد بن شبة في الجاهلية تراهاوا على

(١) في الأصل « كان » وهو من معجم . (٢) في الأصل « الأسباب » ولا يوافق القوم .

(٣) قال من دون من أبي الحنفية « في البلاغة لما أثر على التلج الباتر » من ص ٦٤ - « أصبح أن يقال : لكن من نوعين أحدهما : قصد به الباطنة بقصة الفعل « كقولهم : أشعل من ذات العين . والثاني « كما قال « صوب الأمر » كن كنتم وحده منصوب أو مطلق ، يدل في واحدة منصوبة تضمن معنى وحكمة وقد براء ، فمدد ذلك ، فله تشبه في ذلك » فك واحدة » هـ .

(٤) في الأصل « كان » ولا معنى له .

(٥) هو الفضيل الذي أم الجعابي وقيل أم عبد الرحمن ، من رعاة بني تيملة ، كان غنياً بالجم والشم والعرب وأيام السمر . وله كتاب « أمثال وكريب » تضمنت من « شعر عربي » . وقد تابع كريب لأسماء بحديقة امرئ - فمصحفة سنة ١٢٩٩ هـ .

الشمس والقمر ليلة أربع عشرة من الشهر . فذلك طائفة : فطالع الشمس والقمر يرى . وذلك طائفة : يقرب القمر قبل أن يقطع الشمس . ففرضوا رجل جعلوه بينهم حكماً ، فقال واحد منهم : يا قري يثون علي ، فقال له الحكم : « إيت يسع عليك قومك لا يسع عليك القمر » فذهبت مثلاً . ومن المعلوم أن قول القائل « إن يسع عليك قومك لا يسع عليك القمر » إنما أخذ على حقيقته من غير نظر إلى القرائن المروجة به ، والأسباب التي قيل لأجلها ، لا يسطر من المعنى ما قد أعطاه النحل ؛ وذلك لأن النحل له دفعات وأسباب ، قد عرفت ، وصارت مشهورة بين الناس معلومة عندهم ، بحيث كان الأمر كذلك جاز إيراد هذه المقطعات في التعبير عن المعنى المراد . ولولا تلك القدمات المعروفة ، والأسباب المروجة لما فهم من قول القائل « إن يسع عليك قومك لا يسع عليك القمر » ما ذكرناه في المعنى المنصود ، بل ما كان يفهم من هذا القول معنى مفيد البينة ؛ لأن البني هو الظلم ، والقمر ليس من شأنه أن يظلم أحداً ، فكان يصير معنى النحل « إن كان يظلمك ^(١) قومك لا يظلمك القمر » وهذا كلام غثل ليس يستقيم .

فما كانت الأمثال كالرموز والاشعار ، التي يتوحد بها على المعاني بوحياً ، صار من أوجز الكلام وأكثره اختصاراً . وحيث ^(٢) هي بهذه الثلاثة فلا ينبغي التوقف الكلام أن يحمل بها . وأما أيام العرب فأنها تنوع وتنشعب ، فأنها أيام حار ، ومنها أيام محاربة ، ومنها أيام مذمة وعار ، ومنها غير ذلك . ولا يخفى المؤلف من الانصباب لوصف يوم عرفة ، في بعض الاوقات ، مشبهاً بذلك مما دللنا له ، فذا جاء يذكر بعض تلك الأيام المناسبة لمراد ، الواقفة له ، وقاس عليه يومه ، قال : « أشهر من يوم كذا » أو « أسير » : أو ما جرى هذا المجرى ،

(١) هذا التركيب يدل على أن الفعلين أجراً على الفعل الواحد كقولنا تعالى « من بعد كلام ربح قلوب قريش منهم » (التوبة : ٩ : ١١٢) . وتروا ذلك لوجب أن يقول « إن كان يظلموك قومك » .
 يجمع على « يظلمون » ، ضمراً لسكان مضافاً .

(٢) مرة ظاهرة على عبارة المؤلف هذه وهي من المبالغة المستعملة في المعنى ، أراد « ولا كانت بهذه المثابة ... ولا كانت ... » .

قانه يكون في غاية الحسن والرواق ، وهذا لاحياء ^(١) به

وأما النوع الرابع وهو الامتلاخ على كلام المتقدمين من النفاوم والشور ، كان فيه المؤلف فوائد ^(٢) عدة . وذلك أن يعلم منه أعراض الناس ونسائج أفكارهم ، ويعرف مقاصد كل فريق منهم ، وال أن زلت به سلمته في ذلك ، فمن هذه الاشياء مما تشهد القرينة ، ونذكر النقطة ^(٣) . وإذا كان المؤلف عارفاً بها نصير للماني ، التي ذكرها أرباب هذه الصناعة ، وتعبوا في استخراجها كالشيء ، الذي بين يديه ، يأخذ منه ما أراد ، ويترك ما أراد . وأيضاً فإنه ^(٤) إنما كان مطلعاً على الماني السبوق إليها ، فقد يفتح له من بينها معنى غريب ، لم يسبق [إليه ^(٥)] . ومن المعلوم أن خواص المؤلفين وإن كانت متفاوتة في الجودة والكمية ، فمن بعضها قد يكون ^(٦) عالماً على بعض ، أو منحصراً عنه بشيء يسير . وكثيراً ما تساوى القرائح والأفكار ، في الاثنين بالماني ، حتى إن بعض المؤلفين قد يأتي بمس من الماني مصوغاً بلفظه ، ثم يأتي الآخر بعده ، ذلك للمنى واللفظ ، ببعضها ^(٧) . من غير علم منه بما جاء به المؤلف الأول ، وهذا هو الذي نسميه أرباب هذه الصناعة « وقع الطائر على الحافر » كقول امرئ القيس :

وقوفاً بها صبي عني مطيعهم
وقول خرفة من لعبد البكري بعده :

وقوفاً بها صبي علي مطيعهم
بقولون لا تهليكك أنسى وتهللك
وسياتي لذلك باب مفرد في كتابنا هذا .

وأما النوع الخامس . وهو معرفة الاحكام السلطانية من الامانة والامارة ، وغير ذلك ،

(١) في الأصل : الاختلاف . (٢) في الأصل : فوائد .

(٣) للشهور عند النصفاء « صبح الى ما » معروفاً بكراً « من كانت » . « درعية وميرت يؤخذ حاز الوجوهان . كقولته تعالى في صفر ٣ : ٢ » ما يفتح الله الناس من رحمة فلا تمسك لها وما يصك فلا مرحل له من بعده وهو المزمع الحكيم .

(٤) هناك من تعابر الشكوك لال « إن » غلط « بعدها عما فيها » أراد « وهو أيضاً قد كان .

(٥) « دواة يقتضيه شيان . (٦) في الأصل : لا يكون » وهو غير مستقيم .

(٧) في الأصل : « بعضها » وهو محذوف ولعل الصوابية بأعينها .

فإنما أوجبت^(١) على مؤلف الكلام معرفتها ، والاحاطة بها : لانه قد بحث في الامامة حديث ، في بعض الاوقات ، أو يجري فيها أمر من الامور : بأن يكون الامام القائم من السنين ، ثم يقول من بعده من لم تكمل فيه شرائط الامامة ، أو يكون كمثل الشرائط ، غير أن الامام الذي كان قبله موصفاً بها إلى آخر غيره ، وهو بعض الشرائط ، أو يكون قد تنازع الامامة شخصان^(٢) ، أو يكون لرباب الحل والنقد قد اختلفوا ابتداءً ، وهو غير كافي الشرائط ، فلي يجب أن توجد عليهم . أو يكون أمر غير ما ذكرنا : فيختلف الاطراف في ذلك ، وينتصب ملك من ملوك الارض له عناية بالامام الذي قدم له سابقين ، فيقدم^(٣) إلى كايه بكنه كتاباً في معناه إلى الاطراف المتحالفة له . وإذا لم يكن الكتابي عند ذلك طرفاً بالحكم ، في هيئة الحوادث ، واختلاف أقوال العلماء فيها ، وما هو رخصة في ذلك ، وما ليس برخصة ، فانه لا يكتب كتاباً يدعم به البينة . ولست اضفي بهذا القول أن يكون الكتاب مقصوداً على دفع بعض فقط ؟ لانا لو أردنا ذلك لما كتبنا محتاج فيه إلى كتيبه كتاباً ، بل كتبنا مقتصر على اعطاء مصنف من مصنفات الثقة ، عوضاً عن الكتاب ، الذي يريد أن يكتبه ، وفقاً فصدنا بذلك أن يكون الكتاب الذي يكتب في هيئة التي مشتتة على التريب والترتيب . والسابع في موضع ، والمخافة^(٤) في موضع ، مشعوراً كذلك بالثبوت الشرعية ، التي تليق به وثائقه ، كما قبل الصافي^(٥) في الكتاب^(٦) الذي كتبه عن مراد الله من بؤيه إلى الطابع ، لما مات للطبع ،

(١) في الأصل : أوجبت ، وهو غير مطابق .

(٢) قال في الصافي : لا : انتهى : يريد بالأمر : يريد من عدمه .

(٣) يقال : تقدم بكذا إلى فلان : أحرمه به .

(٤) في الأصل : المخافة ، غير الأنسب وهو غلط ، لأنه ليس « مخاف » من « مخوف » .

(٥) أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن زهير بن أسرى الأصل : قال في البؤيه : أوجبت في .

الرسائل : بخط دجس الرضا بن علي بن أبي إسحاق : قال في البؤيه : أوجبت في .

أوجبت في . قال في البؤيه : أوجبت في . قال في البؤيه : أوجبت في .

فانها نسخة من الكتاب المجلد من سنة ١٠٩٥ هـ ، قال في البؤيه : أوجبت في .

في بؤيه : وأما قوله : ودجس بن علي : في نسخة ٣٨٤ هـ ، بخط أبي جعفر : أوجبت في .

والقول : ج ١ ص ٦٤ : من نسخة مكتبة جامعة .

(٦) وهذا أن كتبه في موضع هذا الكتاب ، من رسائل غيره ، في نسخة الأبي طه كتاب رسائل : ج ١ ص ٦٤ .

فانه من عناصر الكتب التي يكتبها في هذا الفن .

وأما النوع السادس وهو حفظ القرآن الكريم ، والأملايح على قرائه وعجائبه ، فمن مؤلف السكريم مبني له أن يكون عارفاً بذلك ، لأن فيه فوائد كثيرة ، ومنافع زائدة . منها أن يُعَمِّن كلامه الآيات في أمكنها اللاحقة به ، وموافيقها المناسبة لها ، ولا نسبة فيما يصير للكلام بذلك ، من الدعوة والجزالة والرو في كمال الشرح عند الترجيح ^(١) بن بانة في خطبه ^(٢) فانه أورد في قصدين الآيات فيها ، وسبأني بيان ذلك في باب التضمن .

وسبأني أن المؤلف اذا عرفت مواقع البلاغة وأسرار صناعة الكلام ، في تأليف القرآن الكريم ، اتخذه بمرآة يستخرج منه التدرج والجلال ، ويودعها ^(٣) في مطاوي كلامه . وكفى بالقرآن الكريم وحده آية لو قرأ ^(٤) الكلام . فعليك أيها الموضح لهذه الصناعة بحفظه ، والفحص من سره الخفي ، ومنه من غيب المستور ، منها بحارة المؤلف لا ينور ، ومنع لا ينور ، وكثر برجم اليه ، وفخر يُعْرَف في جميع كلامه عليه .

وأما النوع السابع ، وهو تحفظ الأجزاء أو كل - صلى الله عليه وسلم - مما يحياح مؤلف الكلام إلى استنباطه ، فان الأمر يجري في ذلك على القرآن الكريم ، وقد تقدم القول فيه ، فاحفظه .

== لا ند . عز عليه جبراً ، فلهذا عنه في رسالي لصارء - مجموعة المطبوعة بدار الكتب الوطنية بباريس تحت رقم ٦٦٩٥ لم تطبع به بها ، وذلك يدل على نقصان ما جمع منها .

(١) هو أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن الحسن بن مائة اعوامي عراقي ، صاحب طبخ المشهورة بصحة شذوذه ، كان عاديا في يوم الأديب ، وكان تلميذ طب وبها اجتمع مع أبي الفتح اللقي في خدمة الأمير سيف الدولة بن حمدي ، هو : وكان سيف الدولة كثير المرور عليها اكثر هذا الطبيب من خطب المهام لبعض الناس عليه وانهم على صفة سيف الدولة . ولد سنة ٢٣٥ هـ وبولي سنة ٣٧٤ هـ بمصر .

(٢) التوقيف ج ٢ ص ٢٢٦ - ٢٢٣) من مجلة جمعية طباطبة سنة ١٩٤٥ هـ .

(٣) في الأصل : تحفة .

(٤) راجع : ص ٤٠٠ من هذا الكتاب .

(٥) في الأصل : مؤلف .

القسم الثاني

وهو ما يخص النظم دون النثر

وذلك معرفة العروض ، وما يجوز فيه من الرفع ، وما لا يجوز ، فإن الشاعر يحتاج إليه . ولنا
توجب عليه المعرفة بذلك لينظم بدمه ، فإن النظم مبني على التوقيف ، ولو نظم بقطع التقاعيل^(١)
لجاء شعره مشككاً غير مرضي ، وإنما أريد للشاعر معرفة العروض لأن التوقيف قد يدعو عن بعض
الرجفات ، ويسكون ذلك جازراً في العروض . وقد ورد للعرب مثله . فإذا كان الشاعر غير عالم
به لم يفرق بين ما يجوز من ذلك وبين ما لا يجوز .

وكذلك أيضاً يحتاج الشاعر إلى العلم بالقول والمركب ، يعلم الزوي^(٢) والردف^(٣) وما
لا يبيح من ذلك ، فإذا أكل مؤلف الكلام معرفة هذه الآلات ، وكان ذا طبع عجيب وقريحة
مؤاتية ، فليبه بالنظر في كتابنا هذا ، والتدبر لمشكوته ، والصفيح لما أودعناه من حقائق علم
البيان ، ونهنا عليه من أصول ذلك وفروعه .

(١) في الأصل : الأقوي .

(٢) الزوي : هو الخرف الذي يرميه الصبيضة فليس له عقل ، نصيفة لانية . إذا كان الزوي لانية
و . مبدية ، إذا كان الزوي مبدية وهو حرف .

(٣) الردف : هو حرف يردف الحرف الأول ، قد حرف ثم تعاقبها ، أو حرف . رد (ألب أو واو
أو هـ ، قد حرف ثم هـ) يقين على رد ، وتعاقبات هـ ، أي حرف عقيب (الـ) في كلمة (عرب) من قول
في كتابه : رد تعاقباتها حرف ألب ، وعلى حرف الل (لـ) في (سبين) من قوله .

لا تعبر بـجـبـb

الباب الثاني

من الفن الأول من القطب الأول

في أبواب التأليف

اعلم أيها القاصد لهذه الصناعة ، أنه يجب عليك إذا أردت أن تألف شيئاً من الكلام ، مشوراً كان أو معظوماً ، أن تأخذ من نفسك ، ساعة شاملك وإخراج بالك ، وإجابتها لك ، فإن قليل تلك الساعة أجدي عليك بما تستطيع حرك بالكبد والطاولة . وإياك والسؤسرفاته يصلحك إلى التعميد والتعميد هو الذي يستهلك معانيك ، ويشين ألفاظك ، وسينكث لك فيها يأتي من هذا الكتاب ما تحوّن به ذلك ؛ فدا حاولت أمراً يديعاً فأنس له لفظاً يتلصقه ، فإنه جدير بالمرح الشريف أن يكون لفظه شريعاً . وإذا وجدت ذلك فهو درجة التي لا أريد وراءها ، والقرعة التي لا قطع موصى . وعليك بتدريج^(١) الألفاظ وتحسينها ، فإن الخطب الزائفة والأشعار البهيمية ، لم تعمل لأفهام المعاني فقط ، لأنه لو قصد بها الأفهام فقط لسكان الرديء من الألفاظ يقوم مقام الجيد في الأفهام ، وإنما عملت الخطب والأشعار لأجل الاتيان بهداحة اللفظ ، وإحكام صنعه . ولما عني بذلك أن يجعل المؤلف حفته مقصورة على تجويد الألفاظ ، وتجميل المعاني اللطيفة تحتها ، وإنه النعني^٢ به أن تكون المعاني المقصودة ذات ألفاظ حسنة رائقة ، وسند ذكر معرفة اللفظ الجيد من الرديء ، والمراد منها ، هو يأتي من كتابنا هذا .

واعلم أن المراد من هذا اللفظ ، واللفظ هو رقة المعنى ، والمعاني بمنزلة الأرواح ، والألفاظ بمنزلة الأضداد ، فأقول ما يجب على المتكلم أن لا يهمل كلامه من الألفاظ ودقته ، ثم إن ألقه من

(١) في الأصل : « بتدريج » .

الفاظ جيدة حسنة ، فانه لا يكون لها منزلة وروقي لا يابدها معنى شريفاً واضحاً ، لأن الألفاظ لا تراء لنفسها ، وإنما تجعل أدلة على الماني ، فذا تعبر عن الذي يراد منها لم يتبين لها والأوصاف التي تكون لها ، ألا ترى أن هؤلاء « يقولون مقاهيل ... » ليس له من الخلاوة الزوائد ما قولك :

تَصَوُّعٌ مَسْكَاةً لَيْسَ تَعْلَانُ^(١) بِدَمْعَةٍ بِهِ زَيْتِيَةٌ فِي حَسُونٍ حَقِيرَةٍ
وذلك لِحُلُولِهِ مِنَ الْمَسْأَلَةِ الْهَوْمِ ؟ وهذا مما لا يحتاج فيه إلى زيادة في القول ؛ لِبَيَانِهِ وَوُجُوحِهِ .
وَمِنْ أَعْلَامِ أَنَّ جَمَاعَةَ الْعُقَلَاءِ مِنَ الْحَلِصَةِ وَالْعَامَّةِ يَعْرِفُونَ الْمَذَنِيَّ ؛ وَيَعْبُدُونَ فِيهِ سِدًّا ؛ إِلَّا أَنَّهُمْ
لَا يَتَذَكَّرُونَ عَلَى رِوَاغِهَا فِي لِبَاسِ أَيْتِيٍّ مُنْسَبٍ لَهَا ؛ لَعَلَّهم التَّطَبُّعَ الْحَقِيبَ إِلَى ذَلِكَ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ
حَكِيٌّ مِنَ الْيَتَامَى^(٢) ؛ وَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ عِلْمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَعْلَمِهِمْ شَاعِرًا ؛ وَمَا حَبِيبُ قَوْلِهِ وَمَذَنِيٌّ ؛ أَنَّهُ
هَلْ ؛ لَا أَحْتِجُ إِلَى وَصْفٍ مِثْلِي لَعَلَّ لَيْسَ فِيَّ ؛ إِذْ لَيْسَ أَحَدٌ يَحْتَاجُ فِيهِ عَيْنًا مُشْكَلَةً إِلَّا
لَقِيبِي بِهَا ؛ وَأَتَعَدِّي لَهَا ؛ فَأَنَا عَالِمٌ وَمُشْتَمٌ ؛ وَحَافِظٌ وَدَارِسٌ ؛ لَا يَخْفَى عَلَيَّ مِثْلُهُ^(٣) مِنَ الشُّعْرِ
وَالنَّجْوَى ؛ وَالسَّكَاةِ الْخُشُوعِ ؛ مِنَ الْخُطْبِ وَالْمَوَاقِفِ ؛ وَلَوْ إِنَّمَا احْتَقَجْتُ إِلَى ائْتِمَادِهِ مِنْ عَيْنِي فِي بَعْضِ
الْأَصْدَةِ . ؛ وَالتَّحْسِنُ لِحَاجَتِهِ ؛ فَاجْعَلِ الْعَيْنَ الَّتِي أَقْصَدُهَا مُنْصَبًا عَيْنِي ؛ ثُمَّ لَا أَجِدُ مِثْلًا
إِلَّا مُعْبِرًا عَنْهُ بِمَا ارْتَضِيهِ . وَلَقَدْ بَنَيْتُ لِي عَيْنِي اللَّهُ^(٤) بَيْنَ حِلَالِي ذَكَرْتِي بِحَمْدِهِ ؛ فَخَالَوْتُ أَنَّ

(١) تولى كسبيل : سم واد وسم : في الحقل في عدد من التربة في كل واحد من ٣ م ١-٠-١ :
الأسفل ج ٦ م ٢-٢ : قطعة شدة

(٢) هو أبو القاسم محمد بن حمزة الكوفي، تلميذ جبري ولد سنة ٢٩٠ هـ، وفي سنة ٢٩٦ هـ، وكان يدا في حجة وسفر وأحدث في قبة وله كتب مشهورة كتبت في الفقه والحديث والرواية والتهريب، شارك حسب بعض المصادر في حروب طليح سنة ٣٠٠ هـ مع أبي القاسم الطوسي، وفي سنة ٣١١ هـ، وفي سنة ٣١٦ هـ، فكتبه المصنف، ومعه في الأعلام لؤي الكوفي، في سنة ٣٠٩ هـ، وله رواية عنه في سنة ٣١٦ هـ، والصحيح أنه ولد بالهجرة. غير أن بعض المؤرخة الملاحق عليه.

(٢) في الأصل : « منتهية » و« واجبة »

[illegible]

أكتب إليه رسالة أشكره فيها : « وأعرضُ بعضَ أمورِي ، فأثبت نفسي يوماً في ذلك ، فلم أقدر على ما أرتضيه ، فسكنت أحول الأفاضل عما في ضميري فيحرفني لسانی إلى غيرہ .
فإذا كان هذا قول المبرد - مع علو منزلته ، وارتفاع قدره - ، فما ظنك بمن لم يستشق
وأثمة هذه الصناعة ؟ ولذلك قيل : زيادة الطلق على الأدب خير و^(١) زيادة الأدب على الطلق
هجنة . فعرف ذلك وقس عليه .

ولأنجل تعويد الأفاضل وتهذيبها كان الكتاب في الرسالة ، والمحبيب في الخطبة ، والشاعر
في القصيدة ، بعد الفراغ من معانيها يشتمل بتلخيص ألفاظها ، والأتق في تعويدها ، ليدل بذلك
على براعته والتقدم في صناعته . ولو كان قصد هؤلاء القوم بفهم اللغوي فقط أمار حوها ، وربما
كثيراً كبيراً ، وأسقطوا عن أنفسهم صماً زائلاً . فبيني لؤف الكلام حيث أن تكون ألفاظه
رشيقة لائقة ، متصفة بالصفات التي يرد ذكرها في هذا الكتاب . ويكون معناه متوابعاً فيها
قصده . وإذا كان حسنُ الألف لا يؤاتيك ، ولا تصل لمرتكك إليه وتجد اللفظة لا تقع
موقعها ، ولا تصير إلى مركزها ، ولا تصل بسلكتها ، وكانت قطعة في مكانها ، نادرة من
موضعها ، فلا تذكرها على انضمام الأماكن ، والازول في غير مواطنها ، ذلك إن لم تتعاط
منازمة الألف من اللطوة والشور لم يثبت^(٢) على ذلك أحد . ولو تكلفت ذلك ولم تكن حاذقاً
به ، ولا محكماً له استعذقت عند ذلك العيب ، واستوجبت التأم وجعلت نفسك غرضاً^(٣)
لغيره للام . وإن كانت غرضتك لا تسبح لك ، وتعدي عليك ، بعد إجابة الفحص . وإطالة
النظر على تعجل وأترك نفسك في تلك الحالة ، ثم عاود أمرك عند شأطك وفراخ ذلك : عليك
لا تشدّم حالة الأجابة من ضحكك ، واللؤنة : إن كان لك قلب^(٤) هرب .

وأعلم أنه ينبغي أن تستعمل في كتابك : إن كنت كاتباً ، محاسبة كل طريق من الناس ،
على قدر حيلتهم ، وموتهم في الفهم . والدليل على ذلك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(١) في الأصل : « في » وقد تبدل ما يقصد . - ج

(٢) في الأصل : « يثبت » وهو تعريف الصاح . (٣) في الأصل : « عرضاً » .

(٤) انظر نسخة لابن رشيق ج ١ ص ١٨٧ : مطبعة حفافى .

لما أراد أن يكتب إلى أهل فارس ، كتب إليهم ما يتكلمهم ترجمته ، وهو ^(١) من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كبرى أئمة كبرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد ^(٢) أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأني رسول الله إلى الناس كافة ، لينفذ من كان حياً ويحيق القول على الكافرين . فأسلم تسليم . وإن أوتيت ثم الغلوس عليك . ألا ترى كيف سهل اللفظ لسهولة التسهيل ، بحيث إنها لا تحصى على من له أدنى تشاؤم باللغة ^(٣) العربية ؟ ولا أراد أن يكتب إلى قوم من العرب عظيمهم على قدر قوتهم وعادتهم السماع منه ، فكذلك لوائيل ^(٤) بن حنبل ^(٥) من عهد رسول الله إلى الأقبالي ^(٦) الصبابة ^(٧) أهل ^(٨) حضر موت ^(٩) بإقليم الصلالة وإيالة الزكاة على الشيعة ^(١٠) سنة ^(١١)

(١) جاء نصه في تاريخ الطبري كما يأتي : بسم الله الرحمن الرحيم : من الله رسول الله إلى كبرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله . وأني رسول الله إلى الناس كافة . لينفذ من كان حياً . أسلم تسليم من أوتيت عليك ثم الغلوس . وفي رواية أخرى : ... من عهد رسول الله إلى كبرى عظيم فارس . سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله . وأندعوك منه الله . وأني رسول الله إلى الناس كافة . فأشهر من كان حياً ، ويحق القول على الكافرين . فأسلم تسليم . من أوتيت ثم الغلوس عليك . (تاريخ الطبري ج ٩ ص ٢٩٥) من طبعة مطبعة الاستقامة بمصر .

(٢) في الأصل : أشهد . (٣) في الأصل : بلغة .

(٤) هو والي من حجر بن ربيعة وولي بن سعد المظفر . كان ألبون من قبائل النخع . ووجه هو علي الذي - صلى الله عليه وسلم - وأنته أرملاً فلهذا يعطى على أن صعد : نزل السكوفة وروى عن أبي - من - وحدث في خلافة معاوية . (لأمانة ج ٣ ص ٥٩٢ . أما الكتاب الذي كتبه النبي - من - عند ذكره الإحصري في : الحاق : ج ١ ص ١ عبدة عيسى الثاني الذي سنة ١٣٩١ هـ = ١٩١٠ م في طر رواية بصورة .

(٥) الأقبالي من قبل وأمه قبل وبعث من القول : طفت عليه واشتغاله من القول : كفته الذي له قول في سفل قوله ... وأما آقبالي فيقول على لفظ ليل كما قبل أرواحي مع ربح ولدت أرواح : الحاق : ويرى ذلك الصمد من برك الخبي .

(٦) الباقية : الذين أروا عن ملكهم لا يربون عنه من : عبدة : بصر : أبجد : د : أهله : الصمد : من المذمة : ... (الحاق) .

(٧) في الحاق : من أهل .

(٨) في الأصل : بعة . وفي : أبجد : من الحاق . والبيعة : الأبرار من الفهم . وويل في اسم لأدنى . يجب فيه ركعة . كالحق من لا : وقد شك : وفي حقيقة من نزع إليه بلع بلا ذهب : وفي طر حاق : الحاق) . (٩) في الأصل : سنة . (١٠) التعريف ولا على له .

والقيمة ^(١) لمصاحبها ، وفي السبب ^(٢) الخس لا ^(٣) خلاط ولا وراط ^(٤) ولا
 رشاقي ^(٥) ولا شاذر ^(٦) ومن أجبي ^(٧) فقد أربي ^(٨) وكل مسكر حرام .
 فانظر أيها التامل لهذا الكلام ، كيف غلب هؤلاء القوم بالتدحس غلب أهل ^(٩)
 قارس . وليس سبب ذلك إلا ما ذكرناه من غلبة كل فريق من الناس على قدر معرفتهم .
 فاعرف ذلك وقس عليه .

(١) في الأصل : النسبة . والقيمة : الثمن الزائد على القيمة من بيع القرصة الأخرى وبيع من التي
 تربطها في ذلك للاختلاف ولا سيما وأنها كانت ، هي الخيوصة إما عن السوء ولما من الصدقة ، من
 « الخايم » وهو الصيد والموس عن التصرف لذي الأحرار (الثاني) .

(٢) في الأصل : وفي المتن : ولا مرة . واليهيمة : المركز وهو تلك الدوم في المطعنة أو
 المدن ، جمع سوب وهو الماء (الثاني) .

(٣) والمخلاط أن يعلق صاحب الشيء صاحب الأرض في العلم وفيها شاذن لؤخذ واحدة (الثاني) .

(٤) وراس : خراج الصدق أن يكون له أرمون غلة يسطي صاحبه صفة إلا يأخذ للصدق شيئاً .
 مأخوذ من لزومة ، ومن في الأصل القوة العائقة طغت مثلا لئلا يصفى (مكررة) و « ماء حنونة » و « بل هو
 تبيها في حوة أو مر مثلا يثر عليها للصدق » و « بل هو أنت برعد عسك رجل صدقة وليس متقد فيورمه
 « الثاني » .

(٥) الدنالي أخذ شيء من شيء وهو « بل قرص من شمساً لأنه ليس بقرصة فله فكأنه
 مفتون من عشت أسفة يزعمها : إذ كلفها وهو الذي « المسبه والعا » لأنه لما لم يتم قرصة فكأنه
 مكسور (الثاني) .

(٦) شاذر : أن يشار رجل الرجل وهو « برود » أنتبه على أن يزوجه هو أنته ولا مهر إلا
 هذا (الثاني) .

(٧) في الأصل : أسي . وأجبي : مانع الزرع لئلا يدو صلاحه وأصله القير من جيا عن الشيء إذا
 كذب عنه (الثاني) .

(٨) أربي يربي يربوا : أي دخل في الزم والتمس أنه إذا باعه على أن فيه كذا فرباً وذلك غير معلوم
 فلما تمس عما وقع التصديق عليه أو زاد فقد حصل الربا في أحد الجانبين « الثاني » .

(٩) في الأصل : لأهل « وهو غير مستقيم .

الباب الثالث

من الفن الأول من التلخيص الأول في الطريق

على صناعة النظم والنثر

وقد علم أيها القارئ الكتاب هذا : أنا ما رسمنا ^(١) هذه الصناعة . ويتبعها من طريق كثيرة ، وأبواب متعددة ، وخبرنا ^(٢) ما يقع للتدرب من ذلك ، وما يكون أعمق له ، وأجدي عليه وأقرب إلى تعليمه وإتقانه ، فلم نجد ما هو أسهل مأخذاً ، وأقرب متناولاً ، سوى طريق واحد نحن ذاكره في هذا الكتاب ، فنقول :

يجب على المتدعي في هذا الفن والترشح له إذا آتاه الله من وجلي طبعاً محسناً ، وفريضة مواتية ، وكان مستكلاً لدرجة ما يجب على المؤلف معرفته ، مما أشرف إليه في صدر هذا الكتاب ، أن يأخذ رسالة من الرسائل ، أو قصيدة من الشعر ، يثق على معانيها ، ويتدبر أوائلها وأواخرها ، ويقرر ذلك في قلبه . ثم يكتب نفسه عمل مثلاً ، ^(٣) هو في معناها ، ويأخذ تلك الألفاظ التي فيها ، ويغير عوض كل لفظة لفظة من عنده . ثم يسهلها ، وتؤدي المعنى المنسجج تحتها ، ولا يزال يحسنه ، حتى يأتي على آخرها . ثم يسهل فرائع منها يشتغل بمقتبح ألقاها وتجويعها ، وإرتباط ^(٤) بعضها ببعض ، فإذا استمر عمله انتقل منه إلى غيره ، وفعل فيه فله أولاً ، ولا يزال

(١) في الأصل : ما رسمنا . (٢) في الأصل : ما ما يتبع .

(٣) في الأصل : من .

(٤) استعمال المؤلف : الربط : لازماً وهو قليل في الجوهري في الصحاح ، ولما يرتفع كسر رأساً من الرواب ، وقال ابن دريس في معاني اللغة : وقال : ارتفعت غرس لرداء . . وفي أساس اللغة : والربط ثلاث فرساً ، وفي مثل : استكرمت فرساً . وفي القاموس : والربط فرساً : تحميد لربس . . إلا أن اللسان العرب ذكر قولهم : الربط في العمل : مثب . . مع ذكره القمعي . وقال ابن كمال بلخافي كتابه : الخشية على غلط الأهل والبلية : ص ٢٣٠ . . ومنها في تحصيل البراءة (للربط) قول الراس (على =

على هذه القدم ، يُدْرِكُ^(١٤) في معارضة الرسالة ، أن كلان كاتباً ، أو في معارضة القصائد ، أن كلان
سائراً ، حتى يحصل له بذلك الذخيرة الوفيرة ، ويعمرن قريحته عليه أو يستاد خطر هذا الأمر
اعتياداً زائلاً ، ولا يبتنى له أن يكون قائماً من ذلك بالقليل ، ولا راضياً بمعرفة الطريق ، دون
سلوكه إليه ، مراراً كثيرة ، وحديثاً بعد يسره وحزنه ، وقربه وبعيده ، فذا تُدْرِبُ واعتاد ،
وسار ذلك به حالته وطبعاً ، تفرغت عنه المعاني والافاض في خاطره ، فسهل عليه حينئذ
صياغته ، وإبرازها بما يليق بها من القياس . وهذا أضع الطرق وأكثرها فائدة ، لمن يروم
الدخول في زمرة السكّاب والشعراء ، ولا نجد أبها للتغلب لهذه الصناعة طريقاً يجدي عليك
من الذم ما يجديه هذا الطريق : فاعرفه .

[illegible]

نہ کہ بلا نام لکھا اور ربط و تعلق معلوم کیا

والد اسمعيل الأثر أبو حنيفة كوخدي في الانتاع والزراعة - ج ٤ ص ٤٠ - وكيف ارتباطها
يعني - وحده في حمة ابن زهير - كاريات النروج بالحشم - ج ١ ص ٨٠ من العينة الأولى .
(٦) قول القويحة - يمين معارضة .

الباب الرابع

من الفن الأول من القطب الأول

في الحقيقة والحجاز

اعلم أن الحقيقة : هي (المفظ) ^(١) الدل على موضوعه الأصلي . وقيل : هي اسم مشترك ، يراد به ذات الشيء . ونحوه ، ويراد به ما يستعمل بزاء موضوعه القوي . وأما الحجاز : فهو ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللفظ . انشأه . وقيل : هو ^(٢) ما قل من موضوعه الأصلي إلى غيره ، بسبب مشابهة بين محل الحقيقة ومحل ، في أمر مشهور .

واعلم أن الحجاز ينقسم إلى قسمين ، وقد أودعنا كتابنا هذا ما سماه سجع ثا ، وهو أربعة عشر فصلاً : « الأول » ما جعل لشيء بسبب التشاكك في صفة ، كما بقول جليليد حجاز ، ولشجاع أسيد . « الثاني » الزيادة في الكلام لغير فائدة كقولته تعالى « فبارحوا من الله لئن لم ^(٣) فاهاهنا زائدة لا معنى لها أي » لبرحوا ^(٤) من الله لئن لم » (الثالث) التخصيص الذي لا يمتثل به معنى الكلام ، كحذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه ، كقولته تعالى « ومن يسكب خطيئة أو إنا ثم يرم به » ^(٥) بريثاً يريد شخصاً بريثاً . وحذف المضاف وإقامة المضاف إليه ^(٦) مقامه كقولته تعالى « واستن القرية » ^(٧) أي أهل القرية . ولما جاء في ذلك اختلاف ، قال سيويوه ^(٨) : إن القياس يمنع في حذف

(١) من لئل السائر ص ٨٠/١ . (٢) في الأصل « من » .

(٣) آية : ٥٩ سورة آل عمران . (٤) في الأصل « نها » .

(٥) آية : ١١٢ ، سورة النساء . (٦) زيادة انشأها السيوطي . (٧) آية ٨٢ ، سورة يوسف .

(٨) سيويوه : عمرو بن عثمان العامري في الشعر . أصح من البيضاء من أوس طرس . قدم تبصرة وأخذ عن الخليل ، وورد على يحيى البرمكي جامع بينه وبين السكالي للباطلة ، فاقطع سيويوه . ولم نقل مدته جميعاً نولى سنة ٩٨٠ شرباز ، ولعل غيرها ، انظر بابه الوفاة : السيوطي ص ٢٦٦ وما بعدها طبعة مطبعة المطبعة بمصر سنة ١٢٢٦ هـ .

الوصوف وإزالة الصفة مقامه ، فلا يجوز في جاني رجل ملویل « جاني ملویل » وقال الفارسي^(١) وغيره من علماء العربية : القياس جائز في حذف الضاف وقامة المضاف إليه مقامه . وسيبويه لم ينص في ذلك بشئ . وعل أبو الحسن الأنطشي^(٢) نكرة إبه تمتع ، ونكرة إبه جائز . والقوي عنده أن لا يقاس ، وغيره لا يمنع القياس ، « الرابع » تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه كقوله تعالى « إني أولاني أعصر خيراً »^(٣) . وإنا كان بعصر حب . « الخامس » تسمية الشيء باسم مجاوره كقوله الفريادة « روبة » وإنا قرأوبة الجبل الذي يحملها . « السادس » تسمية الشيء بشككه كقوله في جواب « ما فعل زيد » : القياد . والقيم إنما هو جس ينال جميع أنواعه . « السابع » تسمية الشيء بجزئه كقوله لن بنفله : « أهد الله وجهه مني » ربه بذلك عدة جسده . « الثامن » تسمية الشيء بدوامه كتسميتهم الاحفاد قولاً نحو قولك « هذا يقول بقول الشامي » أي بقدة اعتقاده . « التاسع » تسمية الشيء باسم أصله كقوله للآدي « مضنة » . « العاشر » تسمية الشيء باسم فرعه كقول الشاعر :

وما الضيفش إلا نومة^١ وكشرقي^٢ وتر على رأس الشيفسل^٣ وماء

سمى المرب « نمرأ » . « الحادي عشر » : تسمية الشيء باسم ضله كقولهم للأشود والأبيض « جون » . « الثاني عشر » تسمية الشيء بشككه كقولهم للمطر « سماء » لأنه ينزل منها . « الثالث عشر » تسمية الشيء بنفسه كتسمية الحر مسكراً . « الرابع عشر » : تسمية الشيء بشككه كقوله تعالى « وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي ... » الآية .

(١) الفارسي : أبو علي الفارسي ولد بفارس وله بغداد وتقول في البلدان وأقام مدة عند سيف الدولة المحدث في حلب ، ثم عاد إلى دروس ومحب عند الدولة بن بويه وسبق له تصنيفات « الايضاح » في قواعد العربية ثم عاد إلى بغداد وتوفي فيها سنة ٣٥٧ هـ . أخذ من الزجاج وابن اسراج . وربما كان أشهر للايضاح ابن جني أشهر بلبه الرواة ٢٦٦ منها مطبوعة السعدي بصر سنة ١٣٢٦ هـ والأعلام للزركلي ، و « وفيات الأعيان » و « نزهة الألباء » .

(٢) أبو الحسن الأنطشي : قرأ على ثعلب وبلد « وتوفي ببغداد سنة ٣١٥ هـ . وكان ملوف في مصر ، وخرج إلى حلب ، يقول بالوت : له تصانيف وكذا ابن النديم « من المبرست » وهي : « شرح سيبويه » و « الأنواء » و « الخبيرة والمجمع » و « التهذيب » و « تفسير رسالة كلاب سيبويه » . « أعلن بلبه الرواة من ٢٢٥ هـ » .

فسمى التشاكح هبة . فهذه ظروف الجواز التي وقعت . فاعرفها .

وأما الفرق بينه وبين الحقيقة ، فهو أن الحقيقة جارية على العموم في نقاشه ، ألا ترى أننا إذا قلنا « فلان عالم » ، فلما صدق على كل ذي علم واحد صدق على সকল ذي علم . بخلاف « والشئ الحرية » لأنه لا يصح إلا في بعض الحالات دون بعض . لأن الزائد فعل الحرية . لأنهم ممن يصح السؤال لهم . ولا يجوز أن يقال « والسائل المطهر أو الثواب » . وقد يحسن أن يقال « والسائل الروح أو الطفل » .

واعلم أن كل عبارة حقيقة ، وليس من ضرورة كل حقيقة أن تكون لها جبر . ذلك أن من الأسماء فسمين لا يجاز فيها :

« الأول » أسماء الأعلام ، كالتعب وضعت ليعرف بين الدوات لا ليعرف بين الصدقات .

« الثاني » الأسماء التي لا أهم منها ، كالعلوم والجهول والعدل ، وغير ذلك ، ثم نسيبه .

واعلم أنه قد صار الجواز في تعارف الناس بمنزلة الحقيقة ، أي هو أقرب إلى التعريف من الحقيقة ، وأولى بالاستعمال منها ، وأحق بالأفهام ؛ لأنه لو لم يكن كذلك لكانت له لغة ، التي هي الأصل ، أولى منه حيث هو فرع عليه . ألا ترى أن قوله تعالى « وصباح » تدل على « تنفس » أبلغ من أن يقال « إذا انتشر » لأن التنفس يعني من الدلالة ما لا يعطيه الانتشار ؛ وذلك لما فيه من بيان الروح على النفس ، عند بداية الصباح ، فجعل ظهور الصباح والانتشار من خلال الليل ، شبهة فشيئا ، كالتنفس ؛ لأن أول ما يسد الصباح ثم ينفي في انتشاره والتدرج ، كالمرآح الأسان نسه .

واعلم أنه إنما ^(١) يدل من الحقيقة إلى الجواز ثلاث وهي : الانتفاع ، التشبيه ، والوكيد ، فإن عدت هذه الأسماء كانتا بنية البنية . فمن ذلك قوله تعالى « والسماء » في قوله « والآية » فهذا الجواز ، وبه الأسماء الثلاثة المذكورة . وأن الانتفاع هو أنه والذي تباد الجواز والتمثال ^(٢) إنما هو الرحمة . وأن التشبيه لغة كناية الرحمة . وإن لم يصح « وبها » ، بما يجوز

(١) هنا من الميزات الثلاثة التي استعملت « إنما » لخصر به « أنه » .

(٢) التمثال مع التمثيل ويجوز أن يكون جمع « لحظة » في غير هذه اللمحة .

دخوله . وأما الثاني فكيف فإنه أخير مما لا يدرك بالحسنة ، وذلك تقابل بالخبر عنه ، وتفخيره له ، إذ صير إلى خبرة ، يشهد به . أي : ألا ترى إلى قول بعضهم في الترغيب في القيل : « لا تروا أئمة العروب إلا ينصروه حسداً حيلاً » . وإنما يرغب إلى ما عليه . ويدل من قدره ، فيصور في النفوس ، على شرف أخوانه وأئمة صفاته . وذلك أن يتولى منجسها ، لا حرصاً بقومها .

وأسم لأن الجواز إما أكثر طعن بالحققة ، وذلك أن أكثر الافة مجاز لا حقيقة فيه ، لأن ذلك عامة ^(١٩) الأفعال نحو « قام زيد » ، وقعد عمرو » و « جاء الصيف وانصرف الشتاء » . ألا ترى أن الفعل يُفاد منه معنى الجنسية ، فذلك « قام زيد » معناه « كان منه القيام أي هذا الجنس من الفعل » ومعناه أنه لم يكن منه جميع العباد ، وكيف يكون ذلك وهو جنس مطبوع بجميع أنواعه من الماضي والحاضر والمستقبل ^(٢٠) ، السككنات من كل (من) ^(٢١) وجد منه القيام ؟ . قلنا كان الحال هكذا ذلك سمى أن قيام زيد مجاز لا حقيقة . وإنما هو على وضع السككن موضع البعض ، للاتساع والتوكيد . ونشبه القليل بالكثير . ويدل على انتظام ذلك في جميع جنسه أنك تعمل في جميع أجزاء ذلك الفعل ، فتقول : قمت قوية ، وقويتين ، ومائة قوية . وقيل ما حسناً ، وقيل ما قبيحاً ، فمعنى ذلك في جميع أجزائه يدل على أنه موضوع ممدد على صلاحيته ، لتناول جميعها ، ألا ترى إلى قول بعضهم :

قد يجمع أن الشيشيع بعدا حلتان كل الظن أن لا لا فيا

فقوله « كل الظن » يدل على صحة ما أشرنا إليه .

وكذلك قولك « ضربت زيدا » مجزأ ، لأنك إنما ضربت بعض الضرب لا كله . وإنما ضربت بعضه لا جميعه لأنك قد ضربت يده ، أو رجله ، أو ذراعاً من فروع جسمه . ولهذا إذا احاط الإنسان واستعمله جاء بفعل البعض ، فقال « ضربت زيدا رأسه » ثم هو مع ذلك متجاوز ، لأنه إنما يضرب « حياً » من رأسه ، لا رأسه كله . ولهذا يخطأ بعضهم في نحو

(١٩) عامة الأفعال أكثرها وعدة الناس أكثرهم . (٢٠) زيادة يقتضها السياق .

(٢١) ورد على قول الأول أن الفعل الماضي زمن يلهي القيام بالشيء فلا مستقبل فيه ولا حاضر .

هذا فيقول « ضربت زجاً جانب وجهه الأيمن » . فإذا عرف التوكيد ثم وقع (ق) ^(١) الكلام نحو « نفسه وجهه وكله وأجمع » وما جرى هذا الجرى تحقق ^(٢) منه حال سعة المجاز في هذا الباب . ألا تراك تقول : قطع الأمير القص . ارتفع المجاز من جهة الفعل وصارت فيه إلى الحقيقة ، لكن يبقى عليك التجوز من جهة أخرى وهو قولك « القص » وإنما لم يـ ^(٣) قطع يده أو وجهه ، فإذا احتضت في ذلك قلت « قطع الأمير نفسه يد القص أو وجهه » . وكذلك جاء جميع الجنس . فوقع التوكيد في هذه السعة أقوى دليل على شيوخ ^(٤) المجاز فيها والشيء عليها ، حتى إن علماء العربية جعلوا له باباً مفرداً ، المتأنيهم به ، وكونه مما نفس الحاجة إليه ، وأنه لا ينبغي أن يضاع منه ولا يهمل ، كما أنهم جعلوا الشكل معنى أهمهم ^(٥) باباً مفرداً ، كالصفة : والمطاف : والاضافة ، وغير ذلك فاعرفه .

(١) زيادة التضاعف السابق ألا تراه قد قال بعد ذلك « فوقع التوكيد ... » .

(٢) في الأصل « تحقيق » ولعل الأصل ما ذكرناه .

(٣) في الأصل « لعله » .

(٤) في الأصل « شيوخ » . والشيخ مصدر « شاعبه » أي تبعه ورائته . قال في الترويح « شاع يشم شيئاً ومطافاً وشيوخاً وشيوخاً (التالوس) » وقد وقع « الشيخ » في الترويح فيما عسى من كلام الشريف الرضي في كتابه « الخواص القرآنية » ص ١٢٤ .

(٥) هو ابن سنان الطنجي ، وقد تقدم ذكره .

الفن الثاني

في التلخيص الأول

في المؤلفات والمعاني وتفضل الكلام على المشور على المنظوم^(١) وهو مائة أبواب :

الأول : في المؤلفات المفردة وهو قسمان :

« الأول » : في الكلام على المؤلفات المفردة ، والفروق بين الجيد منها والسيئ ،
والعلم أن صاحب كتاب « سر الفصاحة » وغيره من أرباب هذه الصناعة قد أوردوا في كتبهم
من ذلك أشياء حسنة ، ونهبوا على تسكت مستصلحة ، غير أنها لا أعمدًا النظر فيها فإلا ، وتصفتنا
مطايي ما ذكره ، وقع لنا فيه زيادة مبتكرة ، وفقر مستغرب ، ولقد هاهنا ، ما وصل إلينا
عن علماء هذه الصناعة ، وما أجتكرناه نحن فبقول :

الأوصاف التي توجد في الجملة الواحدة ، ولستحني بها منزلة الحسن والجودة ، سبعة أنواع ،
فأما التي وصل إلينا منها خمسة أنواع :

« الأول » تباعد مخارج الحروف .

« الثاني » أن لا تكون الكلمة وحشية ولا متعورة .

« الثالث » أن لا تكون الكلمة مبتذلة بين العامة .

« الرابع » أن لا تكون عبر بها عن معنى يكره ذكره ، فإنما أوردت ، وهي غير مقصود

(١) في تحقيق التنزيل على الشعر ، راجع شرح الحاشية للبرزوقي ج ١ ص ١٧ « من طبعة مطبعة طبة

تتألف والفرحة بمصر .

بها ذلك المعنى فيجوز .

والخامس : أن تكون مصغرة في موضع يُعبر بها عن شئٍ لطيف ، أو حفي ، أو نحو ذلك .

« السادس » أن تكون مؤنثة من أجل الأوزان تركيياً . وقد ذكر أبو محمد بن سنان الحماضي قسماً آخر فقال : « يعني أن تكون الكلمة جارية على العرف العربي الصحيح ، غير شاذة »^(١) . وليس هذا مستثراً في جودة اللفظة ولا في دمايتها ، لأن شذوذ اللفظة لا يوجب لها حسناً ولا قبحاً ، وإنما المعنى ينوطهم : إن هذه الكلمة شاذة أي أنها لم تُنقل إلا عن واحد فقط ، فلا يوثق بها ولا يركن إليها ، سواء كانت حسنة أو فبيحة . فامرر ذلك .

وأما أي ابتكرناه نحن فنوع واحد وهو أن تكون الكلمة مبدية من حركات خفيفة . ولرجع إلى ذكر السنة الأنواع ، التي وصلت إلينا من عماء هذه الصناعة ، وتحقيق القول فيها ، فنقول :

إنهم أنه ليس لهم فيها إلا السبب بذكرها فقط ، وأما على شكل نوع منها ، والسبب الذي ذكر لأجله فلما لم تأخذهم (عندهم)^(٢) ، وإنما استعملناه نحن دونهم . وذلك أننا لم نقف لهم في ذلك على قول شافٍ ، ولا كلام محرم . بل جل أمرهم أن ذكروا هذه الأنواع الستة ثم مثّلوا كل نوع منها بمثال ، كما فعل أبو محمد بن سنان^(٣) الحماضي ، وهو من الأئمة للشاعرين في هذا العلم ، وكذلك فعل غيره ممن تقدمه كتفاداة^(٤) بن جعفر الكاتب ، والآمدي^(٥) ، والجاحظ وغيرهم . وكتبهم التي صنّفوها في هذا الفن شاهدة بما ذكرناه عنهم من إجمال القول ، والاعتناء بالأمانة .

أما النوع الأول من الأنواع الستة فهو تبادل خارج الحروف ، ولعلنا نضرب بذلك أمثلة

(١) راجع سر الفصاحة ص ٧٥ . وما عدا من طبعة الطبعة الإحسانية بحصر ص ١٣٥٠ .

١٩٣٦ م .

(٢) زيادة بالقصبة السيل - (٣) واجد مختصر ترجمته في حاشية ص ٣ : من هذا الكتاب .

(٤) المختصر مختصر ترجمته في حاشية ص ٣ : من هذا الكتاب .

(٥) المختصر مختصر ترجمته في حاشية ص ٣ : من هذا الكتاب .

التقارب الخارج لا يكون حسناً ولا جيداً ، بل يعني بذلك أن الذائب على التباعد الخارج من الألفاظ الجيدة والحسن ، والذائب هي التقارب الخارج الزيادة والقيح . ألا ترى^(١) أن « الجيم والشين والياء » لها مخارج متقاربة ، وهي من وسط اللسان ، وبين الخنك ، ونسعى لانتها الشجرية^(٢) ، فداركها منها شيئاً من الألفاظ يجي ، حسناً ، وإثماً فإن قلنا : « جيم » ، كانت انقطة محوذة ، وإن قلنا الشين على الجيم قلنا : « شجي » كانت أيضاً لفظة محوذة . فمخرج مخارج متقاربة ، وقد ركبتا منها هاتين اللفظتين ، وجاءتا في غاية الحسن والرواق . وهذا يكون نادراً في التقارب الخارج وأما الأكثر والذائب يجي ، في التباعد الخارج . فاعرف ذلك .

وحيث انتهى بنا القول إلى هاهنا قليلاً بوسعه ، في هذا الموضع ، بذكر الأصول والحروف ، وذكر الخارج وإقساماتها ، قبل ذكر السبب في حسن التباعدة ، وقبح التقاربة ، فنقول : اعلم أن الصوت^(٣) عرض يخرج مستطيلاً متصلاً ، حتى يمرض له ، في الخلق والغنم والشتين ، مقاطع ، تشبه من استداؤه واستطالته ، فيسمى القطع إن عرض له حرفاً . وتختلف أجراس^(٤) الحروف بحسب اختلاف مقاطعها . ألا ترى أنك تسمى من أغصى الخلق ثم تطلع به أي القاطع شئت ، وتجد له تجرساً ما ، فإن انضت منه راجباً عنه ، أو مجاوراً له . ثم تطلعت أحسبت عند ذلك جرساً غير الجرس الأول ، نحو « الكاف » فإذا تطلعت بها سمعت هناك صدى ، فإذا رجعت إلى « القاف » سمعت غير ذلك الصدى فإن جرئت [إلى] الجيم سمعت غير ذلك الأولين . وشبهة بعضهم الخلق والغنم يلزم^(٥) وما أقربها شها به . والسبيل إلى

(١) راجع لكل السائر « ج » ص ١٥٣ . فقد ذكر المؤلف هنا ذلك .

(٢) في مقدمة اللسان « الشجرية » الجيم والفين والقاف ، والذفير : مخرج ثم .

(٣) يمر « صوت الغم » ألا الصوت لفظي فذلك في تعريفه العلامة إن سمعت « طر » أو صوت شبه الحرب توح القواء ودفعه بسرعة وبثوة من أي صهب كان . (أصابع أصوات الحروف مر » من طبعة سهران .

(٤) أجرام مع جرس (بكسر الجيم وفتحها) ، وهو الصوت .

(٥) في الأصل « ياقوم » أطر الحديث عن هذا في ص ١٨ من « سر القصاصة » لأن هناك إعطاف ، من ٦ وما بعدها ، طبعة الطليعة الرخامية يصغر سنة ١٩٠٢ . وأطر : « فصل في الأصوات » في كتاب « سر القصاصة » أيضاً .

معرفة ذلك أنك إذا أردت اعتبار هذا : تأتي بالحرف ساكناً لا متحركاً ، لأن الحركة تنقله عن موضعه ومستقره ، ثم تدخل عليه همزة الوصل مكسورة^(١) من قبله ، لأن الساكن لا يمكن الابتداء به ، فنقول : « إك » « إي » « إئ » وكذلك سائرهما .

واعلم أن « الحروف » تطلق باعتباريات ، فالأول : اسم لهذه الحروف للمبدوءة : وذلك مأخوذ من تسمية الحد والناحية حرفاً ، لأن الحروف هي جهات الكلمة ونواحيها . الثاني : تطلق على أدوات الكلام نحو « من وعن ، وغيرهما » . الثالث : كقول النبي (ص) « أنزل القرآن على سبعة أحرف » أي سبع لغات لا تختلف ولا تتبدل ، كما يقال : « هذا في حرف أبي »^(٢) و « هذا في حرف ابن مسعود »^(٣) . الرابع : يقال ناقة حرف : أي شامة . وقال أبو العباس^(٤) اليزيد : إن الهمزة ليست من جملة الحروف . وجعل بعدها ثمانية وعشرين حرفاً ، واستدل على ذلك بأن قال : إن الهمزة لا صورة لها في الخط . وهذا غلط ؛ إذ الاعتبار باللفظة لا بالخط ، فإن الخط لو لم يكن لما كان ذلك مانعاً من كون الهمزة من جملة الحروف .

فأما ترتيب الحروف على نسق الخارج فهي « همزة ، ألف ، ع ، [هـ] ، ح ، غ ، خ ، ق ، ك ، ج ،

- (١) كما قال ابن سيدي في « سمر صانعة الأعراب » ج ٩ ص ٧ : وجاء في مقدمة « لسان العرب » ص ١٢ من طبعة دار الفكر : « ونظر الشبل بن أحمد لك الحروف مكالمها وذاها فوجد عرج الكلام كله من الخلق ، طبع أولاهما في الأيسر ، أفضل في اليمين . وكان إذا أراد أن يلق الحرف فتح يده بألف ثم أظهر الحرف ثم يقول : أب . أئ . أئ . أئ . أئ . أئ . أئ . وهذا يدل على أن كسر الألف غير ضروري .
- (٢) أي : على صيغة نصير « أب » وهو أبي بن كعب من صحابة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكان أقرأ العرب للقرآن الكريم ، راجع ترجمته في طبقات الرجال للحروف « بداية البداية » للجزيري ج ١ ص ٣٩ ، وكتب تراجم الصحابة « تكملة البداية » و « الأصابع » .
- (٣) هو عبد الله بن مسعود الصحابي المشهور ، وكان في زمانه اختلاف من حيث قدم من الألفاظ القرآنية ، راجع ترجمته في : « طبقات الخواري » وكتب تراجم الصحابة .
- (٤) راجع مختصر ترجمته في مقدمة ص ٢٢ من هذا الكتاب . وقد سبق أن جني المؤلف إلى رد ذلك القول ، قال في « باب أسماء الحروف » من « سمر صانعة الأعراب » ج ١ ص ٤٦ : « أعلم أن أصول حروف النظم هذه السبعة اسماء وعشرون حرفاً ، وهذا الألف وآخرها اليم » على المشهور في ترتيب حروف النظم إلا أبا العباس فإنه كان يدها ثمانية وعشرين ، وهذا الذي ذهب إليه أبو العباس غير صحيح ، هذا » كما أوضح القول فيه إن شاء الله .

ش، ي، ض، ط، ظ، ذ، ث، ف، م، و، ب^(١) .
 وستة أحرف قروح مستحسنة ، وهي همزة بين يين ، والنون والظيفة ، والألف اللينة ، وآلف
 الضغيم ، والشين كالجيم ، والفاء كالزاي . وثمانية أحرف غير مستحسنة وهي : الكاف بين
 الجيم والكاف ، والجيم كالكاف ، والجيم كالشين ، والقاف كالباء . والقاف الضعيفة ، والصاد
 كالسين ، والطاء كالباء ، والقاف كالباء . وذكر قوم أربعة أحرف هي : السين كالزاي ، والجيم
 كالزاي ، واللام للظيفة ، والقاف كالكاف . فصار الجيم سبعة ولزعين حرفاً .

فأما انقسام الفدادج فإنها ستة عشر هرجاً : ثلاثة حلقية^(٢) وهي همزة والألف والفاء .
 هذا على ترتيب سيويه ، وأما على ترتيب أبي الحسن^(٣) الأخفش فإن الفاء مع الألف لا قبلها
 ولا بعدها ، ومخرجان يبيان هذه الثلاثة المذكورة وهي العين والحاء ، ومخرجان آخران فوق
 ذبك من أول اللحم وهما التين والهاء ، وحرف من أقصى اللسان ، وهو القاف . وأسطل من
 موضع القاف قليلاً مخرج الكاف ، وهذان الحرفان - أسمى الثاقف والكاف - يديان كحويبتين ؛
 من القفاة . وثلاثة أحرف من وسط اللسان : وهي الجيم والشين والياء ، ويسمى الشجرية .
 ومن أول حمة اللسان وما ينحدر منها من الأخرى مخرج الضاد ، ويسمى التفرد لتسطيل . ومن
 حافة اللسان من أدناها إلى متنها طرفه ثم ينحدر ما يليها من الحكة ، فويق الضاحكة
 والخاب والنية والرابعة مخرج اللام ، ويسمى المنحرف . ومن طرف اللسان ، بينه وبين ما فوقه
 التناها السفلى ، مخرج النون . ومن مخرج النون ، غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً ، لأنحرافه
 إلى اللام مخرج الزاء . وهذه الأحرف الثلاثة : اللام والراء والنون تسمى الثلاثة . وقال سيويه

(١) ين هذا الترتيب وترتيب ابن جني في « سر صناعة الأعراب » ج - ١ - ص ٢٠ - ٢١ - ٢٢ من
 الاختلاف ، فليلاحظ .

(٢) في الأصل « حلقية » وهو من اصحبت السباح .

(٣) هو أبو الحسن علي بن سليمان اللطيف بأعشى الأسطر ، أحد الأماثل الثلاثة المشهورين ، قرأ على
 نعلب والجره وفيرما ، وشرح كتاب سيويه في النحو . وله كتاب الأدواء ، واشبهه ولجج ، وكتاب الهندسة .
 عمل مصر والقاه ، وفاد إلى العراق ، وكان شريكاً له ، توفي سنة ٣١٥ هـ عن ثمانين سنة .
 راجع « معجم الأدباء » و « بنية القواعد » ص ٣٣٩ .

مكتوباً من غير تصويت به ، ولا نطق ، إذا عرفت على طمعه السليم ، وفكره المستقيم ، عرف
 حودة أمانته ، وعلم حسن تركيبها من قبضه . ولا خلطة للسمع في ذلك ولا مشاركة . فقد ثبت
 بهذا الدليل فساد ما ذكرته من قياس السمع على البصر ، واختلال ما أنشئت إليه من ذلك^(١) .
 وإنما القول السديد في حسن الانقط للتباعد الخارج ، وفتح الانقط التقارب الخارج ،
 ما سنورد هاهنا : وهو أن القاعدة في الأشياء المركبة ، إنما هي اختلاف أجزائها وتباين
 مفرداتها ، يؤثر التركيب عند ذلك شيئاً لم يكن ؛ إما حسناً وإما قبحاً .
 فإما إذا كانت أجزاؤها متباينة بعضها البعض ، فإنه لا يكون تركيبها عيباً كبيراً قائداً ،
 وهذا مما لا نزاع فيه - نوضحه وببانه .

وحيث كانت الحاصل في الأشياء المركبة كذلك ، قلنا عليه تركيب مخارج الحروف . وذلك
 أن من الخارج ما هو مختلف ونوعي والمختلف هاهنا : التقارب كالراء ، واللاتم ، والطاء ، والسين
 وغير ذلك ، مما يجري هذا المجرى . فحيث كانت الكلمة مركبة من حروف متباعدة الخارج ، أثر
 التركيب فيها أثراً ؛ وهو الحسن والجودة في الدال . ومتى كانت الكلمة مركبة من حروف
 متقاربة الخارج ، جاءت بخلاف ذلك في الدال أيضاً .

فإن قيل : أما قولك : إن الكلمة ، إذا ركبت من حروف متباعدة الخارج ، أثر التركيب
 فيها أثراً مسلماً ليك ذلك . وأما تحسنك ذلك التأثير بالحسن والجودة ، فهذا تحكم محض
 أنت مطالب بإثباته .

(١) قال ابن أبي العدي في : انك تقرأ على لسان القسطنطين . من ٤٢ - ٤٣ . قال القسطنطين :
 عرفت من الأثر - وقد ذكر ابن سنان المحاسن - من أحد ما يقتضيه من الخط ، أن تكون مخارج
 حروفها متباعدة ، بل : وهذا حسن . لأنه لو كان على بعض هذه حروفها مقبوضةً ، لم يفسد مخارجها أو
 يفسد لوجب أن لا يمكن على أمور شتى لغة . أو حسناً حتى يفسد مخارج الحروف . . . أقول : ليس بمفكر
 أن يطمئنه إلى ذلك ، والمقصود من الخط ، ألا ترى أنك إذا رأيت تجزئة مقبوضة ، فذلك يفسد مخارجها
 على الفور ولا يتوقف استيعابها ، بل على أن تستمر في ذلك من أمكن : من هنا حسنها وأنها
 واستعداد ساقطها . والله أعلم بما في خبره وبها . وغير ذلك من الأسباب المحسنة ؟ ولا يمكن
 بمحتمل على أمور قليل الحس بهذه الأمور .

وكذلك قوله في الكلمة : « إذا تركت من عدة حروف متقاربة الخارج » ، ألا ترى أن مخارج الحروف جميعها ، إذا اعتبر كل واحد منها على الانفراد ، لا يوجد له حسن ولا قبح ؟ وهذا لا نزاع فيه . فمن توم شكاً في ذلك أو طعنه أدنى إرباب ، فليعرضه ويصبره ، متصفاً من نفسه ، فإنه يعلم صحة ما ذكرناه ، ويعرف حقيقة ما أشرنا إليه .

وإذا كانت الحال كذلك ، فمن أي وجه تكسب اللفظة الجودة والحسن إذا تركت من حروف متباعدة المخارج ؟ ومن أي وجه تكسب الرذالة والقبح ، إذا تركت من حروف متقاربة المخارج ؟

الجواب عن ذلك ، أنا أقول : إنها اكتسبت حسناً عند تركيبها من حروف متباعدة المخارج ، واكتسبت قبحاً عند تركيبها من حروف متقاربة المخارج ؛ لأن التعلق إذا أتى على مخارج حروف اللفظة ، وهي متباعدة ، ليجمعها ويؤلفها ، كان له في ذلك مهلة وأناة ؛ لأن بين المخرج للخرج مسحةً وبمسحةً ، فتجي ، الحروف عند ذلك متمسكةً في مواضعها ؛ غير قلقة ولا مكبودة . وإذا أتى التعلق على مخارج حروف اللفظة وهي متقاربة ، ليجمعها ويركبها ، لم يخلص من مخرج إلا وقد وقع في المخرج الذي يليه ؛ فرب ما يثبها فيكاد عند ذلك يعتبر أحدها بالآخر ، فتجي ، مخارج حروف اللفظة قلقة مكبودة ، غير مستقرة في أماكنها . ولهذا لم ترد العين مع الحاء ، ولا النين مع الحاء ، ولا الصاد مع الحاء ، ولا القاف مع الكاف ، ولا القاف مع الصاد ، ولا مع الطاء . وذلك لقرب مخارج هذه الحروف بعضها من بعض ^(١) .

ومن أدل الدليل على أن المخارج للتباعدة أحسن تأليفاً من المخارج للتقاربة ، أن العرب من

(١) قال ابن أبي المديني في قوله المثلث من ٥٣ - ٥ : « ومن ذلك أنه قد اعترف ، أن كل ما تشبهه من اللفظة تجتمع متقارب الحروف . ومن تشبهه فيمد متباعد الحروف ، ولكنه زعم ، أنه لا يصل الاستباج والاستعجان بها ، وقال له : « إذا كان تقارب المخارج والاستباج متازمين لا يتقدم ، فلا بد من أمر أوجب للزمهما ، فيمكنك أن تقول : « لا استباج » ، الذي ، أوجب تقارب المخارج ، فيها هو متقارب المخارج ، أمر ذاتي له ، لا يتوهم إلا مع الاستباج ، فلا لم يكن الاستباج أوجب تقارب المخارج ، ولا بد للزمه إياه من سبب ، فلا سبب إلا أن يقال : « فإن المخارج على الاستباج » .

شأنهم وادّعتهم ، أن يعدلوا في كلامهم عن الانتقال إلى الألف - مكتبة الاستقصاء ، وهذا شائع عندهم ، وكثير في لغتهم ، لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه . وثراء قد عرفتوا عاداتهم وعدلوا عن الألف إلى الألف ، مكتبة ليد الخرج - حيث هو أصل على الحسان ، وهراباً من تقاربها ، حيث هو أشق والصعب على الحسان . « قلت لمر « لطيران » : ألا ترى أن أصل هذه الكلمة ، بإجماع من علماء العربية : « كَيْسَرَن » لأنها من مضاعف الياء ، إلا أنه لما نقل عنهم عدلوا به من الياء إلى الواو . مع ذلك بأن الواو أصل من الياء ، فكيف لما تباعد الطرفان سلب ذلك . لأجل الاستغناء . فمما رأينا من العرب الذين هم الأصل في هذه اللغة قد قضوا عاداتهم ، ورفضوا سننهم ، في العدول من الألف إلى الألف - طبقاً لتباعد الخارج الحروف ، علماً أن ذلك أمر عديم ، وأكثر قدماً في ماوسهم . وكفى بهذا دليلاً على أن تباعد الخارج أحسن تأليفاً من تقاربها ، فأعترف بذلك .

وأعلم أن تباعد الخارج ليس يكافئ في حسن اللفظة ، ولا يمنع في جودتها . فانه قد تأتي لفظة مؤلفة من حروف متباعدة الخرج ، ولكنها تكون مهيبة من حركات ثقيلة ، أو تكون وحشية ، أو غير ذلك من الصفات السلبية . فيعارض ذلك الوصف المعمود هذا الوصف المذموم فينبغي^(١) وينبغي به .

النوع الثاني من القسم الأول من الباب الأول

وهو أنه لا تكون الكلمة ومشتق ولا متوحد

ونعني بالوحشي : قبح الاستعمال ؛ وذلك عيب في الكلام فاحش ؛ فيجيب على المؤلف اجتنابه والبد منه . لأن أحسن اللفظ ما كان مأثوراً بين أدباء هذه الصناعة ، وأثراً في تأليفاتهم ، قد

(١) في تدار الصلاح : الألف : الإحالة ، يقال : أول مرحة وعلافة . وفي الحديث : بين من الالة الخبيث . وهو ابتدائها بأصل وتعلم عليه .

صفته الألسن ، وأُسنِئَةُ الاصمَاعِ والقَوَابِ . وذلك كان جميع ألفاظ القرآن الكريم منطبعة في هذا السلك ، وجارية في هذا النهاج .

واعلم أن العرب ، وإن استعملوا الوحشي من الكلام ، فمنهم غير ملزمين على ذلك ، ولا يكون هيئاً في كلامهم ؛ لأنه لغة القوم ، وبه كانت مفاوضاتهم في أحاديثهم وأشعارهم ، وكان كلهم يأنس لهم طبعاً وخلقة . والدليل على أن العرب لا يلامون في استعمال الوحشي من الكلام ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد نطق به كثيراً في كلامه ، وأنت به الأخيار بقوله عنه ، كحديث طهفة بن أبي زهير الهذلي^(١) وغيره . فَمَا حَدِثَ طَهْفَةَ هِذْرٍ^(٢) أَنَّهُ لَمْ تَقْعُدْ وَدُودَ الْعَرَبِ عَلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَامَ طَهْفَةَ بْنُ أَبِي زُهَيْرٍ فَقَالَ : « أَتَيْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ تَوْرِيْهِمْ تَهَامِسَةً ، عَلَى أَكْوَازٍ^(٣) لَيْسَ^(٤) ، تَرْتَمِيْ بِهَا الْعَيْسُ^(٥) فَتُصْعَلِبُ^(٦) الصَّبِيرَ^(٧) وَتُصْعَلِبُ^(٨) الْخَبِيرَ^(٩) ، وَتُصْعَلِبُ^(١٠) الْغَبِيرَ^(١١) وَتُصْعَلِبُ^(١٢) الرَّهْمَ^(١٣) ،

(١) في الأصل « الهذلي » وهو لغوي ، ومطابقة : مذكور في كتب تاريخ الصحابة مثل « الامامية ج ٢ ص ٢٢٢ » ومنهم من سماه « منية » .

(٢) راجع هذا الخبر في « القلي ج ٢ ص ٢ » من طبعة علي المظني بالقاهرة . وقد أورد المؤلف هذا الخبر في كتابه « لئلي البائر » ج ١ ص ١٥٨ وما بعده ، من طبعة دار المجلتي بالقاهرة سنة ١٣٥٨ هـ .

(٣) الأكواز : جمع « كوز » وهو الرحل بأذنه . وصحح أيضاً علي « كبرين » ، « مجاز الصحاح » (٤) ليس : شجر يخالط به الرحل « مجاز الصحاح » .

(٥) العيس : الأبق الذي ليس له بخلل أصابعه من طرفه ، ويقال من كثر لائل . ولعله ساءت من ، وأحياناً غيره « مجاز الصحاح » .

(٦) في الأصل « صلب » و تصحيح من « صلب » ج ٢ ص ٢٠٠ .

(٧) الصبر : شجيرة ، يكتب حذركم « صلب » .

(٨) مصعب : من الصب . وهو القطع والرق ، يقال « صبب الصبج » ، بفتح « ب » بفتح « الميم » وسطية « لأخاها ومنزلي » ، ومنه ثعلب (القلي) .

(٩) الخبر : الثيب (القلي) .

(١٠) مصعب : أي أفسد من غيره ، فأنشأه لهدية ، وهو من صعب ، وهو الصعب (غلي) .

(١١) شبر : ثمر الأوكاز سود وبيج ، والأوك : نوع من الشجر .

(١٢) صعب : غلبه حلقاً بالأصابع (القلي) .

(١٣) الرهم : صلب الأمعاء ، وهو جمع رهمة (القلي) .

وَأَسْتَعِيلُ^(١٧) الْإِلَهَامَ^(١٨) مِنْ^(١٩) أَرْضِ^(٢٠) الْإِسْطَا^(٢١) ، غَلِيظَةِ اللَّطَا^(٢٢) ، لَدَى^(٢٣) تَشَفِّ^(٢٤) الْمُدَّهِنِ^(٢٥) ،
وَأَيْسَنَ الْجَمْعَيْنِ^(٢٦) وَتَقْطِعُ الْأَمْزُجَ^(٢٧) ، وَمَاتَ الْمَسْلُوحَ^(٢٨) ، وَهَذَا الْمُدَّهِنُ^(٢٩) ، وَمَاتَ
هُوَ^(٣٠) رَمَتْ بِإِيكَ بِأَرْسُولِ اللَّهِ مِنَ الْوَتْنِ وَالْقَتْنِ^(٣١) ، وَمَا يَحْدُثُ الزَّمَنُ ، لَمَّا دُعِيَ
السَّلَامَ ، وَشَرِيعَةَ الْإِسْلَامِ ، مَا عَلِمَ^(٣٢) لَمَعَرُ وَفَعَلْ^(٣٣) ، وَلَمَّا تَعَدَّ تَحْمِلُ^(٣٤) الْإِفْطَالِ^(٣٥)

- (١) أَسْتَعِيلُ : تَطْرُقُ إِلَى حَالِ الشَّيْءِ .
(٢) الْإِلَهَامُ : السَّحَابُ الَّذِي لَا تَأْمُرُ بِهِ ، غَمَارُ الْمَطَرِ .
(٣) فِي الْأَسَى : فِي . وَالتَّصْبِيحُ مِنَ الْغَائِلِ .
(٤) الْمَاءُ : مِنَ الْمَطَرِ ، وَهُوَ الْهَبْدُ - وَالْمُتَلَّةُ : هِيَ الْقِيْلُ ، أَيْ تَأْتِي سَالِكَةً مِنْ حَيْثُ لَمْ يَمُرْ .
(٥) الْفَا : الْفُجَرُ .
(٦) الْقَدَمَانِ : قَرْنَانِي صَفْرَاءُ يَسْتَفِجُ بَيْنَهُمَا ، وَهُوَ مِنَ الْوَقْمِ « دَعْنُ لِلْمَرْ أَرْضُ : إِذَا بَلَّهَا بَلًا ، يَبْرَأُ ، وَتَلَفَ دَعْنُ : قَلْبَةُ الْبَلِّ .
(٧) الْجَمْعَيْنِ : أَصْلُ تَكْوُنَ .
(٨) الْأَمْزُجُ وَجِدَهُ الْأَمْزِجُ : وَهُوَ وَرَقُ كَأَنَّ عِبْدَانِ ، يَكُونُ لِمُغْرِبِ مِنَ الشَّجَرِ ، وَالْوَلِي : الْأَمْزُجُ : نَوَى
الْحَلَّ ، وَالْقَتْنُ : قَرْنُ شَجَرٍ يَدُلُّ لَهُ « دَوْمُ » .
(٩) فِي الْأَسَلِ « الْإِلَاجُ » وَهُوَ تَصْحِيفٌ وَتَصْحِيحٌ مِنْ « شِ » ، « ح » مَرَّ « ٦ » وَالْمَسْلُوحُ : هُوَ
الْقَتْنُ الْفُجَرُ .
(١٠) وَتَعْدِي : هُوَ يَهْدِي إِلَى الْمَرْءِ مِنَ الشَّيْءِ ، وَتُرْوَى بِهِ الْإِيلُ ، فَسَبَّاحًا عَدِيدًا لِأَنَّهَا تَتَكَوَّنُ مِنْهَا ، أَوْ
أَرْمُو « عَدَدُ مِنْهَا » أَمَّا أَنْ يَكُونَ مَسِيًّا « وَهُوَ الرَّابِعُ هَذَا .
(١١) الْوَدَى : تَقْبِيلُ : وَهُوَ صَعْدُ الْفَتْلِ .
(١٢) فِي الْأَسَلِ « الْفَلَا » وَالْمَسْرُوبُ مِنَ الْغَائِلِ « ح » مَرَّ « ٦ » وَتَعْدِي : الْإِعْرَاضُ وَالْمُتَلَفَةُ ، أَيْ بَرَأْنَا
مِنْ أَنْ يَخْتَلِفَ وَتَعْدِي .
(١٣) عَلِمَ الْبَعْرُ يَحْمِلُ ، وَحَالًا يَحْمِلُ : إِذَا ارْتَفَعُ .
(١٤) تَعْدِي يَزِيدُ كِتَابًا : يَجْعَلُ يَزِيدُ فَوْسَ (الْقَلْبُوسُ) وَفِي مَعْجَدِ الْوَلَدِ : قَالَ هَرَمَلُ بْنُ الْأَصْبَحِ « فِي
قِيلَ أَيْسَكَ جَبَلٌ يَدُلُّ لَهُ « يَرْمُو » وَجَبَلٌ يَدُلُّ لَهُ « تَعْدِي » وَحَالًا يَزِيدُ مَا يَتَدَيَّ شَيْئًا « فَبِهَا أَمْرُنِ
كَثِيرٌ ، وَلَيْسَ مَرِبٌ « تَعْدِي » « وَهُوَ مِنْ أَسْمَاءِ مُدْرِكَةٍ .
(١٥) الْفَتْلُ : مُدْرِكَةُ الْفَتْلِ لَا رَدَّ فَعَالٍ وَلَا يَهْدِي مِنْ يَسْلَعُهَا وَيَهْدِيهَا ، وَمَنْهُ الْفَتْلُ : « اخْتَلَفَ الْقَرْمِي
بِالْفَتْلِ » أَيْ الْمَخِيرُ بِالْفَتْرِ ، وَتَصْحِيحٌ بِالْفَتْرِ . (الْجَمْعَيْنِ) .
(١٦) الْإِفْطَالُ : جَمْعُ فَتْلٍ ، وَهُوَ أَيْ لَا سَمَةَ عَلَيْهَا ، قَالَ الْبَزْزَارُ بْنُ الْكُوفِيِّ فِي التَّهْنِيبَةِ : وَقِيلَ الْإِفْطَالُ
هَذَا الَّذِي لَا أَبْكَانَ لَهَا ، وَالْوَلِي : الْفَتْلُ : الَّذِي لَا يَرِجُ خِيَرَةً وَلَا شَرًّا .

ما يرضى^(١) يبال^(٢) ، ووفير^(٣) كثير الراس^(٤) قبل الراسل^(٥) ، وأصابتها حنة حمراء^(٦) كؤيرة^(٧) ، فليس لها نيل^(٨) ولا عسل^(٩) ، فقال رسول الله - صلى عليه وسلم - : يا أيها الناس إنكم في محضها^(١٠) وخضها^(١١) ، وندوها^(١٢) وفراها^(١٣) ، وأبست راسها في الرز^(١٤) يباع^(١٥) الخمر ، وأخبر^(١٦) له الضمعة ، وإذ لك في ذل والولك . من أقدم الضمعة كان مسلماً ، ومن آقى الركة كان عبداً ، ومن شهد أن لا إله إلا الله كان غنياً ، أسلم يا أيها بني عبد ودائع^(١٧) الفسرك ، ووثاق^(١٨) ذل . لا تخطف^(١٩) في الركة ولا الضمعة^(٢٠) في الخيل^(٢١) ، ولا تترك

(١) يرضى : مضارع رضى ، أي أعانت للذليل . وشرابهموس : أي يخرج ، كما قاله ابن الأثير .

(٢) يبال : الخمر الذي يبل .

(٣) وفير : الغنم الكثيرة ، وف أبو عبيدة : لا يبتل في بيع الرقيق حتى يكون له خير ولا سيئ .

(٤) الراسل : - برزخ من الراس - وجمه أرسل .

(٥) الراسل : الذي - يربط فيها كثير من عذقته - ، وابن جرير : عرا ، ولا عري للرعي .

منعت وفيرها ، قوله : إن راسي مكرور في - حمل وهو من صنم لم يمسح - .

(٦) حمراء : حمرة ، أي آذانهم في الجلب .

(٧) كؤيرة : التي دعت بأول ، وهو الضيق .

(٨) نيل : لأرب ، أول ، وبب قد ضرب .

(٩) عسل : الضرب الثاني ، وبب ضوله ، صر ، و : ضرب .

(١٠) محضها : الذي القاص . (١١) خضها : القاص .

(١٢) ندوها : الذي القاص ، وهو عذريته . (١٣) فراها : عرق ، فكيف يكل به .

(١٤) الرز : الماء المنكر .

(١٥) يباع : أوله ، صريح به ، - يبت حمرة ويصب - ، و : صريح به ، آخر كومة .

(١٦) أخبر : صبح وأخبر ، وجمه : شبه ضرب .

(١٧) بني عبد ودائع : أي بني كافر ، يمدح له بربطها في كؤيرة ، مستوفاه من عود منكر من م - سطوا الإسلام ، أوله أعلامهم ، - لها من كافر - رعية من بني عبد ودائع ، و : أول ودائع : جم لودائع بني عبد ودائع .

(١٨) وثاق : رمية ، وهي - رمية حديد في منكره من نكوت .

(١٩) لا تخطف : لا تهرق ، - لا تخرج من رية - ، وفي أصله : لا تهرق .

عقاب .

(٢٠) في الخيل : يبل عن بني من بني ، وفي أصله : يبل .

(٢١) في الخيل : أي ما صنعت بها .

عن الصلاة ، وأكتب معه كتاباً إلى أبي نهد : « من عهد رسول الله إلى أبي نهد بن زيد ، السلام على من آتاه الله ورحمته ، لكم يا أبي نهد في الوظيفة ^(١) القريصة ^(٢) ، ولكم المرض ^(٣) والقريض ^(٤) وهو العذر أثر كروب ^(٥) ، وإله النجيب ^(٦) لا يفتخ بكمركم ، ولا يفتقد ^(٧) مطاعكم ، ولا يؤسف عزكم ^(٨) ، عالم خفيروا والامق ^(٩) ، وثنا كانوا لابي ^(١٠) . من أقرتني في هذا الكتاب فله من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الفقه ، والهدى ، والجنة ، ومن أقرتني في غيره لم يبق له من أبي طالب - رضي الله عنه - ، يا رسول الله ، هو جواب واحد ورؤيتني إلى واحد ، وراك تكلم وفوق العرب ، لم تقب ، ككفره » . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أقرتني فاحسن تأويل ، وأجبتني ، يا نهد » .

[illegible]

- [illegible]

وقد كان من قبلها مأثورة مستعملة بين العلماء والقضاة . وهذا مما لا نزاع فيه بحال من الأحوال ، وإعترافه .

وعلى ذلك فأننا يلاحظ على استعمال الرعاشي من الكلام "أخضري" . لأنه يتكلفه ويتلقفه من الكتب ، ويتلقفه من بطون الفقهاء مع البناء والشد في تحصيله . وقد رأينا جماعة ممن يمدح هذه الصناعة ، يعتقدون أن الكلام الفصيح هو الذي يُعكسر فهمه ، ويعد متدولة ، كما في نحن بصدده ذكره هنا . وإذا رأوا كلاماً فادحاً وحشياً يعجبون منه ، ويسألونه بالفصاحة وهو بالعكس من ذلك . وقد استعمل هنا القسم من الكلام كثيراً ابن عاتق الغزالي^(١) ، فمن ذلك ما جاء في قصيدة من شعره على فانية الماء ، وهو قوله :

وما راعهم إلا مُسراق جَعَشَم^(٢) يحُفَّ^(٣) بها أَسَدُ الْفَاءِ الدَّلَاهِ^(٤)
وما تَسْوَى الشَّوَاءَ غَيْرَ حَذِيثٍ^(٥) فَرَادُهَا^(٦) وَالْكَسْرَاتُ^(٧) الْخِلَاتُ^(٨)

(١) هو محمد بن عاتق . بن محمد بن سيمدون الأندلسي ، ولد بقرية سكون من قرى غرناطة سنة ٣٠٠ هـ . وفي رواية سنة ٢٢٦ هـ . وله كتب : حاشية أبو قاسم والأعراس ، أو الحسن ، وبلد له : ابن عاتق الأندلسي قديماً له عن ابن عاتق . عكس المعروف بأبو نوح . له برزخ كبير مدح ، فيه عطية الطرب بصر . وله شرحه الدكتور زهد علي ، في حيدر آية دكن : ١٢٥ هـ . وله : ١٢٥ هـ . ليرى أن هذا ليرى أن له طبع ثلاث مرث : حمة بصر في سنة ١٢٧١ هـ . ومريون بيروت سنة ١٢٨٦ هـ . وسنة ١٢٩٦ هـ . توفي ابن عاتق الطرقي بقرية سنة ١٣١٢ هـ . وله رواية : ٣٦١ هـ . وله كتاب التاريخ الأول هو الرابع .

(٢) هو أبو علي جعفر بن علي الأندلسي أمير الرب ، من قبيلة الأريفة ، كان جواداً . وابن عاتق وبه مدح ، منها قصيدة التي فيها هذه الأبيات الثلاثة توفي سنة ٣٦١ هـ (الأعلام لأدركج ج ١ ص ١٨٨) .
(٣) ورد هذا البيت في ج ١ ص ١٢٦ هـ من القرون ، وفيه : تحف ، سكان ، يحف ، وبه :
بجدهم عن صيرة ، طرب راكب ، وتعلمهم من حبيب بصيرة ما كنت

وهذه خمسة أبيات يأتي البيت الثاني : هـ . و . تسوي . هـ . و . بعده بأربعة أبيات يأتي البيت الثالث : هـ . و . تورعت . هـ .

(٤) الدلاهل : واحدتها دلالة وهو الأسد .

(٥) لي الأصل : و . تسوي السواء غير حبيته هـ . و . مدح من هـ . و . شعوب هـ : حبيب هـ . رواية متدولة الأصل هي الأصل .

(٦) طوابع : جمع فطنة ، وهي طمر ريشة في مقدم الجناح ، وهي كبر ريشة .

(٧) الكسرات : جمع كسرة ، وهي مؤنث الكسرة ، بمعنى الخفاف . وكسر عطر : عطر الخضر أو كسر صيده ، أو كسر بنيانية ، ضما ، يمدح التوابع .

(٨) لي الأصل : الخلات هـ . والصحيح من الميراث للشارف ، وهي جمع الخليفة

تورثت من أبيه. ك. وهي قرينة^(١١) لها تبشيم بر^(١٢) وقرع^(١٣) حجاب^(١٤) .
 ألا ترى إلى هيبه^(١٥) بكاف ، كيف بكرها السمع . ويبدو عنها الطبع ، ولستكرها
 القلوب^(١٦) ، وتعاها المصور . وكل الاتصال عدد الوفود . عجب حطب [حَبَطًا] عشواء^(١٧) ،
 لا يدري أين يصح رجله^(١٨) .

ومن هذا النوع المصنوع وقد انتقلت أمه^(١٩) ، كبرية فأ وألقاها في الجامع^(٢٠)
 بقرينة السلام وهي^(٢١) ، صحن امرأة ورعى ، دعا لامرأة منته^(٢٢) ، قد منيت بأكل
 الطرموق ، فأصاب من أجله الاستمصال ، أن ين عليها بالأطرحاش^(٢٣) ، والارغشاش^(٢٤) .
 وكل من قرأ راقه لته ، ولعن أمه . وما يجري هذا الجري قول ابن الرومي :

إسقي الأسكركة الميت تَبَرَّ في جعضفونه
 واترك النيجن^(٢٥) في به يا خليلي بنصفونه

فإنه لا يوجد^(٢٦) من الألفاظ الوحشية شيء . أقيح من قوله « الأسكركة » وجعضفون

- (١) في الأصل : مزرة ، ولا تنصبها لتمام . وحرارة : هو كتابة لا تحرك لها ، يريد راقها وطراوتها .
 (٢) برد : بارد : أي الشيء الخفيف .
 (٣) قرع ثوبه : شعوره ، وأخرج من كل شيء : شدة .
 (٤) حجاب : شعر أسكر .

- (٥) عشواء : عشوائية أي لا تبصر الدنيا . فخر الخيف يذهبها كل شيء . وقال : « ركب ثلاث
 المشواء » : ثلاث شيط أمراء ، على غير صحة . وعلان طاح حطب عشواء (محضر الصحاح) .
 (٦) أراد به جامع المصور الجانب الغربي من مكة إذ البقية ، وكان يولى الصالحية الدنيا بديل .
 (٧) أورد أبو علان العسكري هذا البيت في كتابه « المصنوع » ص : ٣٣ . صفة الاستقامة
 صفة ١٣٣٠

- (٨) في الأصل : مذبه . والمصحيح عن المصنفين ، وفي خطبة الكتاب ، « قال الموهري :
 أسقي الرجل قشراً : لا كبر .

- (٩) في هذا كتاب المصنفين ، الطرموق : الحاش . لا يستمصال : الاستمال . والطرحش : البرقش :
 ما بين ورأ .

- (١٠) في الأصل : الاستمال ، والمصحيح من كتاب « المصنف » .

- (١١) أيمن كعبدر : المذموم . وأين : دهم على أمه . فخرس .

- (١٢) في الأصل : لا يجد . وكتب بوزن « لا يوجد » .

« أو منرا كره » أو ما جرى هذا الجرى لسبح له الرزق والنعى المقصود . وكان قد سلم من استعمال الوحشي من الكلام ؟ وإنما يبينها للشاعر هنا ، إذا كانت الكلمة في أول البيت أو في أثنائه ، فأما إذا كانت آخراً منه فإنه قدما يقتضي تغييرها ، وإقامة غيرها مقامها ، وذلك لزوم [الثقافية]^(١) التي يعني قصيدته عليها ، فأعرف ذلك وقس عليه .

النوع الثالث من القسم الأول من الباب الأول

وهو ألا تكون الكلمة مبتدئة بين العامة ، وذلك ينقسم قسمين :

الأول : - ما كان من الألفاظ دالاً على معنى وضع له في أصل القلة ، فغيره العامة وجعلته دالاً على معنى آخر ، وهو ضربان :

الأول - يكره ذكره ، كقول أبي الطيب للنفي :

ألقى التواني حسنه ما أذقني وعص جلازهن عني بالصرم^(٢)

فإن لفظة « صرم » في أصل وضع الآلة « القطع » يقال : « صرعه أي قطعه » فغيرها العامة ، وجعلها دالة على الخلل المخصوص دون غيره . ثم لم يكلفهم ، حتى جعلوا ما هو بالعين صادراً ، ولأنجل هذا استكره استعمال هذه اللفظة . وكذلك ما جرى هذا الجرى كقول أبي الطيب :

(١) زيادة الخضاعة لطباق .

(٢) هذا البيت من قصيدة يمدح بها الحسين بن اسماعيل الشونسي ، معلوماً :

سلام النوى في طعنا غابة العلم نخل بها مثل الذي في من العلم

(نظر أنجزه طرايح ص ٤٧ من شرح الفيوان المصوب إلى أبي إسماعيل العسكري ، طبعة مصطفى التايي المطبوع

سنة ١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م « وفي الفيوان » عني عن الصرم « . وجاء في شرح الفيوان المذكور :

والصرم : الاسم من صرعت الرجل ، أي قطعت كلامه ، وأصل الأصصرام : الانطباع .

(٣) في الأصل « يقال له صرعه » ولا حاجة إلى زيادته « له » .

سلي^(١) البية ابن الجن متا يحجوزها^(٢) ومن ذي الهاري^(٣) أن منها التفائق^(٤) ؟

فإن التفائق في أصل اللغة : هي جماعة النعام ، طيرها العامة ، وحياتها ذالة على ضرب من طعام السوق^(٥) ، فسارت من أكثر^(٦) الألفاظ ابتذالا . وأعلم أن العامة اعتدوا^(٧) هذا في كثير من كلامهم ، حتى أن الشيخ أبا منصور الجواليقي * صنف في ذلك كتابا ووصفه « بإصلاح ما يخلط فيه العامة » فته ما هذا سبيل ، وهو الذي أنكرنا استعماله على أرباب هذه الصناعة ؟ لسكراسته ولأنه نالم^(٨) يأت في كلام العرب ، ولا جاء عنهم ، فهذا في بيان من الضرب الذي ذكرناه .

وأما الضرب الثاني من القسم الأول : فغيبه عيب واحد وهو أنه وضع في كلام العرب معنى يخلطه العامة دالاً على غيره ، إلا أنه ليس بمستخرج - لا مستكره - ، وذلك كالمصنوعتهم الإنسان طريفاً إما كان دلت الألفاظ ، حسن الصورة واللباس ، طيب المزاج ، وما هذا سبيل . والطريف في أصل اللغة بخلاف ذلك ؛ لأن الإنسان إنما يسمى طريفاً إذا كان حسن التعلق قطعاً . إذ الطرف يتعلق باللسان لا غير . ولقد قالت العرب في صفات خلق الأنساب : الصباغة في الوجه . التوضئة في البشر . الجمال في الأنف . الحلاوة في البينين . اللآحة في الفم . الطرف في اللسان .

(١) هذا البيت لفتني من مصيدة يروج بها المدين بن اسحاق التنوخي ، عظمها :

هو البدين حتى ما تأني الخزانة وداعته حسن أنت من أمارق

« انظر ص ٣١٩ من الحز . الثاني من شرح ديوان المتن للشرب السكري ، طبعه المطبع سنة ١٣٥٥ - ١٣٥٦ م .

(٢) جوز كل شيء : وصحه .

(٣) الهاري : اسم مهري ، ويجوز منه على الهاري كصعاري ، وهو ابن منسوبة إلى قبيلة من اليمن وهو بنو مهرة بن حيدان .

(٤) التفائق : جمع غني ، وهو ذكر النعام .

(٥) السوق : هي القروعة عند أهل بغداد * بالسكينة * وهي جمع من السكروش جملة على الرز والنوز والأبزر وما شاكل ذلك ، وهي شبيهة * « للسكينة » عند العرب

(٦) أي أكثر * أكثر * وهو غير مستعمل (٧) أي الأسفل * اعتدوا * ولا زاد ملأها .

(٨) أي الأسفل * عد بأن في كلامه .

الرشاقة في التمدد . البهاقة في التمثال . كمال الحسن في الشعر . وهذا المغرب قد ذكره الشيخ أبو منصور الجواليقي^(١) في كتابه ، فاعرفه .

القسم الثاني مما ابتدأته العامة ، وهو الذي لم يغيره عن يده . وإنما أنكروا استعمال هذا القسم من الكلام ، لأنه مبتذل بينهم فقط ، لا لأنه مستفح ، ولا خفاف لما وضع له في أصل اللغة . وذلك كقول أبي الطيب التتبي^(٢) :

فتقلبت^(٣) بالهمّ الذي للقل الحشا قلقل^(٤) عيس كامن قلقل^(٥)

ألا ترى إلى سخافة هذه اللفظة ، وما عليها من الزكاة التي لا أمد وراءها ؟ وما جاء على نحو ذلك قوله أيضاً :^(٦)

وملومة^(٧) سيفية^(٨) رمية^(٩) يصبح الحشا فيها صياح القاتل

(١) هو مؤرخ ابن أحمد بن محمد . أحد علماء اللغة في القرن الخامس والسادس للهجرة ، أحد كتّاب العرب ، وكتّاب شرح أدب السكيب ، وما دونها . ولد بضع المئمت لأبي العزلي بدمشق السكيب الذي أشار إليه المؤلف . توفي بضع سنة ٥٣٩ هـ . انظر لويحات ج ٤ ص ٤٢٥ . يديه مكتبة النهضة و : بنية الزاد ، ص ٤٠١ ، طبعة مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٦ هـ .

(٢) هذا البيت من القصيدة مذكّراً :

فما نرى وداني لها الخلال ولا تخشى خلفاً لها أما قال

والما لشيء في صباه ، (انظر ص ١٧٤ من الجزء الثالث من شرح الديوان المصنوع لى العسكيري) نسخة المخطي بمصر سنة ١٣٥٥ هـ .

(٣) وققل : حرك . ويريد بالخطا : ما لي تامل جوده .

(٤) قلقل عيس : جمع قلقل : وهي اللغة الخفيفة . وقالة قلقل : وفرس قلل : ادراكاً سريعاً الحركة .

(٥) قلقل : جمع قلقل ، وهي الحركة . (انظر حاشية شرح الديوان للشاعر ابنه ، ص ١٧٥ ج ٣ ،

(٦) هذا البيت من القصيدة يشرح بها سيف الدولة بن حمدان مضمناً :

انصهرت ما بين العذب وبارق بحر خواليسا وجرى السوايق

(٧) الملقوبة : السكيبية الخفيفة . (٨) سيلية : منسوبة إلى سيف الدولة .

(٩) رمية : منسوبة إلى رمية ، وهي ليلة سيف الدولة .

(١٠) القاتل : جمع قاتل ، وهو طائر كبير يسكن الصخران في أوس العراق .

ومن هذا التسم قول ابن عاتية^(١٣) القرنية :

من^(١٤) ليس رقل^(١٥) إلا في سوار^(١٦) من^(١٧) يُسمى^(١٨) مفاض^(١٩) أو سثنوي^(٢٠)
ألم من^(٢١) يُفلى^(٢٢) عسائفاً^(٢٣) عندهم أي الأجدل يسعدو^(٢٤) السكراكي^(٢٥)
فلان كلاً من هاتين القنيتين^(٢٦) مبتدل بين العامة جداً . وأمثال هذا كثير ، فأمروه .
وعليك أيها المؤلف اجتنبه ، والبعد عنه .

التنوع السرايع من القسم الأول من الباب الأول

وهو أن لا تكون الكلمة قد عبر بها عن معنى يكره ذكره

فلما وردت وهي غير منصوطة بها ذلك المعنى وقعت . وذلك إذا كانت مهمة بنهر قرينة
غير معناها من التبج ، فلما إذا جاءت ومعها قرينة ، مخصوصة لها من المعنى الخاص ، فإن
ذلك لا يكون معيماً في الكلام . فنقل ما ورد من هذا النوع ومنه قرينة ، قوله تعالى في
حق النبي - صلى الله عليه وسلم - « فاما الذين آمنوا به وهرزوه وصرروه واتبعوا النور الذي
أُوتِل معه أولئك هم المفلحون »^(٢٧) . ألا ترى أن لفظة الهرزوه مستعصمة ، وهي تطلق على

(١) انظر حاشية ص ٢٦١ . من هذا الكتاب .

(٢) هذا البيت من قصيدة يمدح بها أبا نوح البغدادي ، مطلعها :

قولا لخصلي فرجع الرمي والرتي يكره العبدواني

راجع الفيوان ص ٢٩٢ طبعة مطبعة المعارف بمصر سنة ١٢٥٢ هـ .

(٣) يرعى : مضارع رعى في تبايه ، أي أشبهه وجرعاً متبهماً .

(٤) السوايع : جمع سايعة ، وهي النوع نواصة .

(٥) تبجي : مضروب إلى تبج ، من ملوك اليمن .

(٦) المفاض من الفروع : طوامس أيضاً .

(٧) السواقي من الفروع والسكراب : أشجودها ، مضبوطة إلى سواكه ، وهي الرمة باليمن .

(٨) في الأصل : ألم يدل محالفاً بسقم ، وتصحيح من الفيوان ص ١٠٩ هـ .

(٩) في الفيوان : إلى الأبدان تسمو السكراكي ؟ والسكراكي : جمع كركي : وهو طائر يربط من

الوز ، لصيد القنبر وهو في اليمن ، والسكراكي لا يزال معروفاً بشمال .

(١٠) أولاد بها : سثنوي و « السكراكي » .

(١١) سورة الأعراف ، الآية ١٥٧ . وانظر الآية الخامسة من سورة الصبح ، « فأنصتوا يه ورسوله

وهرزوه ... الآية » وانظر الآية الحادية عشرة من سورة لقمان في التأنيب عن الرسل ... وهرزوه

وأفرستم إن فرساً حسناً لا كفرن عنكم سيئاتكم » .

المتظيم والأحكام ؛ وعلى الضرب الذي هو «دين الحق» ، وذلك نوع من الأمانة . وها معنيان :
 مدان ، حيث وردت هذه الآلة جاء معها قرآن قبلها وبمدها ، تخصص بمناها بالحق ، وتبخره
 عن القبح . وتو جادت مهمة بتغير قرينة ، ويراد بها «التي أطمن» ، سبق إلى الوهم ما اشتملت
 عليه من الشيء التبيح . مثال ذلك لو (قال)^(١) : « ذن : » « قاتل اليوم فلاناً ، » فذكرته وعزوه «
 فزال ذلك اللبس وانقطع الاشكال .

ومن هذا النوع أيضاً قول بعضهم : « يصف دقة » ، جادته من صديق له « فأما رت إنارة
 للروايع ، والأدعان منها كالأمانة في ملكها الدائر » . فلن لنظ^(٢) « الأمانة » مشترك يدل على معان
 مختلفة ، فهي اسم للقطع من حر الوحي ، وتنع اسماً على صكوا كب تحت القوس : ويراد بها
 الركب من الإنسان ، فاما وردت في هذا الكلام ورد معها مرية ، وهي ذكر القلق ، تخصصها
 بأنها السكوا كب تحت القوس ، لأن القلق لا يكون إلا للسكوا كب ، ولو وردت صمسة بتغير
 قرينة لظن السامع أمراً آخر يكره ذكره . وأمثال هذا كثير . فيجب على المؤلف أن يُراعي فيه
 ما أشرنا إليه من ذكر القرينة .

وإدري أنه قد جاء من الكلام (ما معه قرينة^(٣)) فأوجبت فيجبه ، ولو لم تجبه القرينة معه
 لسكان الأمر في استنباحه سهلاً ، وذلك قول الشريف الرضي :

أمرز^(٤) بني بأن أراك وقد خلا عن جانبيك مقاعد العواد

عن أبي محمد بن سنان الحفناحي^(٥) قد ذكر هذا البيت في كتابه فقال : إن إيراد هذه اللفظة
 أعني « مقاعد » في هذا الموضع صحيح إلا أنه موافق لما يكره ذكره في مثل هذا الشعر ، لا سيما
 وقد أضافه إلى من يستدل بشائعه إليه ، وهو « العواد » ولو افترق لسكان الأمر فيه سهلاً ،
 (١) زيادة تصاعداً .
 (٢) في الأصل « لطف » ولم يرد بها من الله تصاعداً فقد « مشترك » البز هو نحو إل .

(٣) زيادة يستعمل بها الكلام من الشيء السائر « ج ١ ص ١٨٦ » طبعة الآبي سنة ١٢٤٥ هـ = سنة
 ١٩٢٩ م .

(٤) هذا البيت من قصيدة يرثي بها جرحى أبي اسحق إبراهيم بن هلال «صاير السكاك» ، وأوفقاً :

أطقت من علوا على الأعداء^(١) أرأيت كيف خبا صياء المادي^(٢)

(٥) انظر كتابه « سر القصة » ص ٢٩ ، وانظر ملحمة القتلى الشعر « ج ١ ص ١٨٦ .

فأما الإضافة إلى من ذكره فيها فيج لا ضفاء به « هذه حكاية كلام أبي محمد بن سنان الخفافى ، وهو كلام مرضى واقع موقفه في هذا الباب . وهذا كزعم ما عندنا من ذلك فنقول : قد جاءت لفظة « مقاعد » في القرآن الكريم ، وهو قوله تعالى : « وإذا تعددت من أهلك نبيي المؤمنين مقاعدًا لقتال »^(١) . إلا أنها في الآية غير مضافة إلى من يقبح انسابها إليه ، كما جاءت في شعر الشريف الرضي ، وهو قوله « مقاعد الدواد » . فلم يذكر القرينة التي هي لفظة « الدواد » ، لئلا يكون الأمر يسهل في ذلك ، ولو قال عوضاً عن « مقاعد الدواد » مقاعد الزلزلة ، وما جرى هذا الجرى فذهب ذلك القبح وزالت تلك المحجة والسكرانة . ولهذا جاءت هذه اللفظة أعني « مقاعد » في الآية على ما ترى من الحسن والجودة ، وجاءت في شعر الشريف الرضي على ما ترى من القبح والرداءة ، فاعرف ذلك وقس عليه .

وأما الذي ورد من هذا النوع مهملًا بغير قرينة ، فكقولنا تأبط شرًا :

أقول للحيان وقد صغرت لهم وطاي وبوي ضيق الجحر مُمور^(٢)
وتوَّرد مع ذلك قرينة لم يفسده شيء البتة ، ألا ترى أن لفظة « الجحر » تطلق على كل ثقب ، كثقب الحية ، وثقب البربوع وغير ذلك ، وتطلق أيضاً على الحبل المخصوص من الحيوان ، وأما استعجمت ها هنا ، لأن الهم يسبق إلى ما تدل عليه من الحبل المخصوص ، دون غيره . ومع هذا فأي قرينة وردت مع هذه اللفظة لا تذهب ما عليها من السكرانة ، ولا تزيل ما فيها من القبح . وأمثل ذلك كثيرة ، فاعرفها .

النوع الخامس من الضم مؤدول من الباب مؤدول

وهو أن تكون الكلمة مصغرة ، في موضع يستبرها عن شيء خفي

أو لطيف أو ضعيف أو ما جانس ذلك^(٣)

ومعاني التصغير خمسة :

- (١) « سورة آل عمران » الآية ١٢٦ .
- (٢) انظر لئلي السامر ج ١ ص ١٥٧ وشرح الحاشية لشرقي ج ١ ص ٢٤ .
- ولحن : بطن من حنق ، وصغرت لهم وطاي : كناية عن خلق قلبه من ودم . ومُمور : به عورته ، وهي مكان الحمة منه .
- (٣) في الأصل « جنس » وليس بصواب .
- (٤) في الأصل « عس » وهذا جائز لو أراد المؤلف « العدة » ولكنه قال « مأور » فعين المذكر .

وربما لا زيادة فيه ونحن على « مُسْتَعْمِل » نحو « ذُرْهُمْ » فإن كان فيه زيادة من حروف الله والكسب بين ثامنه ورايه جاء على « مُسْتَعْمِل » نحو « كُتِبَ بَيْتٌ » . وأما الظاهر في حذف منه الحرف الأخير ، وهو أول الحذف نحو « مُسْتَعْرِج » . وربما حذفوا ما قبل الآخر ، فقالوا في فرزدق : « فرزْدَق » .

وقد جاءت أوزان غير هذه وهي « أَيْعَال » نحو « أَيْعَالٌ ^(١) » و « مُعْيَلَات » نحو « مُعْكِرَات » و « مُعْيَل » نحو « مُعْيَلِي » و « مُعْيَلَةٌ » نحو « مُعْكِرَةٌ » والأصل ما أوردناه أولاً ، وذلك شيء مستفيض في كتب النحو ، وليس هذا موضعه . وأعلم أنه قد وردت ألفاظ لم يستعمل لها مكثراً نحو : اثراً ، والأجيين ، والكسيت ، وسُيِّل ولغير ذلك . وليس هذا من غرضنا في هذا الكتاب الذي نحن بصدده ذكره ، غرضنا من معنى التصغير ، فما جاء من التصغير قول الرضي :

وهل يُخْشِفُ بِالتَّخْفِيفِ مَخْلَقَةً يَقْبَلِي أَمْ دَانِيَتْ غَيْرَ مُعْدَانِ

فإنه لما كان هذا النزال صغيراً ، قرب العهد بالولادة ، كان وروده مصغراً أليق وأحسن وأدخل في الصفة . وكذلك قوله أيضاً :

هل نَاشِدِي بِتَفْهِيقِ السَّوَى فَرِيداً صَرّاً عَلَى الرَّصَبِ ؟

وأشكال هذا كثير فاقرب . فلا ينبغي لك أيها المؤلف أن تكثر من استعمال هذا النوع من الكلام في تأليفك ، وإن كان حسناً دائماً . بل الذي ينبغي لك أن تقتصر منه على شيء اليسير ، يكون كلامك به ملهماً ، فإن مثل التصغير وما جرى مجراه في التأليف ، كمثل الوشي في الثوب الديباج ، فإنه إذا كان ملوماً أحسن منه إذا كان من لون واحد . وكذلك الكلام ، فإنه إذا كان مشتقاً على هذه الأنواع المذكورة من التصغير وغيره ، مما سبق ذكره ، وبأني شرحه في هذا الكتاب ، كان أولى من اشتراكه على نوع واحد كما عرف ذلك .

(١) في الأصل « أَيْعَال » وهو خطأ من النسخ .

الفرع السادس من القسم الأول من الباب الأول :

وهو أن تكون الكلمة مؤلفة من أقل الأوزان تركيباً

وسبب ذلك أنها إذا ركبت من حروف قليلة حقت على النطق بغيرها ، وسهل التعبير بها على اللسان لسرعة قراءتها ، وإذا ركبت من حروف كثيرة كالذي في النطق بها كلفة على الناطق وذلك لتطاولها واستعداد الصوت بها . ولضرب لهذا مثالا كيف اتفق ، ليكون أسرع فيها للتداول ، بقول :
لذا تلفظ الناطق بالتالي ، فقال اسم الطيب « عذب » أو تلفظ بالرباعي ، فقال للذهب « عسجد »
كان ذلك أسهل عليه من التلفظ بالخماسي إذا قال لعزاة الشديدة الصوت « سهسهيان » وللعجوز « سيحسيري » وذلك مما لا يمكن التراجع فيه ، لأن شاعده من نفسه ودليله من ذاته .
ولمّا كانت أكثر اللفاظ القرآن الكريم ثلاثية ، وكان القليل رباعياً ، وأما الخماسي فليس في القرآن منه شيء البتة ، إلا ما كان اسم نبيّ فقط نحو إبراهيم ، وإسماعيل^(١) . وغيرها .

وأعلم أن الأسماء الثلاثية في الأصل ، إذا كان فيها زيادة فأكثر ما تبلغ سبعة أحرف ، وكذلك الرباعية أيضاً . وأما الخماسية ، فن زياتها لا تكون إلا حرفاً واحداً ، وذلك لأن الخماسية عند فحة الأصول ، لا يحتمل زيادة في الزادات . وأما الأفعال فلا تكون خماسية في الأصل بل يجب أن تكون رباعية قطعاً . وذلك أن الأسماء أقوى من الأفعال ، وحيث كانت أقوى منها حملوا لها ميزة عليها . وفضيلة فوقها . وسبب قوة الأسماء على الأفعال استحسان الأسماء عنها ، حاجة الأفعال إليها . ألا ترى الاسم مع الاسم نحو « زيد منطلق » كلام مفيد ؟ والفعل مع الفعل نحو « ضرب قام » ليس بكلام مفيد ؟ ولكن إذا اقترن الاسم بالفعل نحو « قام زيد » صار ذلك كلاماً مفيداً . فالأسماء إذن مستقلة عن الأفعال ، والأفعال ليست مستقلة عن الأسماء ، بل هي مقترنة بها . وحيث تكلمنا على الأصول الثلاثة ؛ ثلاثيتها ورباعيتها وخماسيتها

(١) قال المؤلف في لؤلؤ السائر « ج ١ ص ١٨٩ » : « لا يوجد في القرآن من ألقاب الأصول شيء » ،
إلا ما كان من اسم بر عربة اسمه ، ولم يكن في الأصل عربياً نحو إبراهيم وإسماعيل . »

ويبلغ منا القول إلى هذا القام فلو عرف ذلك بذكر الأصول مع روائدها ، والتعرض بها اجتناب الألفاظ التي كثرت حروفها واستعمل ما كان قليل الحروف ، فإنه لو كان السبط بطبيعي فيه كانت على الناطق وكراهة ، كما أوردته^(١) ، فالأولى أن تزداد كلفته إذا تلفظ بكلمة فيها أكثر من خمسة أحرف ، فقال ذلك قول بعضهم ، في حجة رقيقة كتبها إلى صديقي ته ، قصداً ، بـ ، تشدق في الكلام ، فقال : « وإذا استعملت تلك تجنبك هذه وتكلمت » أي إذا قلت هذه قصرت هذه ، فإن قوله « استعملت » من أجمع الألفاظ علواً مع أنها من وحشي الكلام وقد جعت إذن المصين ممأ .

ومن هذا النوع أيضاً ما ذكره أبو محمد بن سنان الخنصحي^(٢) وهو قول أبي الغضب اللثبي :

إن السككرام بلا حكرام منهم مثل القلوب بلا سويكداواتيب
 ألا ترى إلى تطاول هذه اللفظة وخروجها عن الاعتدال ؟ ويتسبب ذلك بدفعه من سببها واستكرامها . وأمثال هذا كثيرة فعرفها .

فإن قيل : إن هذا الذي أنكرته من طول الألفاظ وذكرته ها هنا قد ورد في القرآن الكريم ما يماثله وبشابهه ، فإن ذلك قوله تعالى : « وَتَمَّامًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَأَمَّا الْبِلَادُ الَّتِي لَّهُمْ فَيُتَخَذُونَ فِي الْأَرْضِ حَاكِمًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَأَنكُرُوهُمُ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ قُلْ أَتَعْلَمُونَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ » وقوله تعالى : « فَتَسَبَّحُوا لَهُم مِّنَ اللَّيْلِ وَنَارِ الْيَوْمِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ » .

لفظة « ليستعلمهم » عشرة أحرف ، ولفظة « تسبحونهم » تسعة أحرف . وأمثال ذلك في القرآن كثير . ولو كان هذا منكراً في التأليف ، منكرها في السككرام ، ورد في القرآن طبعاً ، الجواب عن ذلك ، أنا نقول : ليس هذا في قدمه ، في القرآن السككرام مثل هذا الذي أوردناه نحن في كتابنا وأنكرناه في ذلك^(٣) ، لأن قوله تعالى « يستعلمهم » ثلاث كلمات جئت بحصول

(١) في الأصل « راسك » وهو ضعف من راسخ .

(٢) راجع إلى المسألة أي كـ . قد ورد في بيان « من » ٨٩ .

(٣) ليس قلبي ، شرح ١ من ١٤٨ ورأي أن لا يفسد : « أن يجمع لعدة ما كان سبب طوعها ، وإنما هو لأنها في نفسها مربعة » .

كلمة واحدة صورة لا معنى ، ألا ترى أن الأصل فيها « إساخلفن الله المؤمنين » إلا أنه لا جاء
 بذكر المؤمنين مطعراً في الأول لم يحتاج في ذكره تأنيلاً إلاظهار ، بل اختصر على ضميرهم كما
 تقول : « ذلك بين فلان وحريتهم » ينوب مناب قولك « وحريبت بين فلان أيضاً » . وهذا
 بما لا راع فيه لوضوحه . وكذلك القول في لفظة الأخرى وهي قوله تعالى : « فسيقبكم الله »
 ولا تجد في القرآن الكريم لفظة واحدة ، مثل لفظة « سربواوتها » في القول « لأنها ليست ثلاث
 كلمات وقد جمعت كلمة واحدة كما أوردناك ^(١) . وإنما هي كلمة تدل على معنى الجمعية لا الخبر ، وفي آخرها
 الماء والألف لإضافتها إلى المؤنث ، فاعرف ذلك .

وأما النوع السابع الذي ابتكرناه ^(٢) نحن فهو أن تكون الكلمة مبنية من حركات حفيفة ،
 وسبب ذلك تسرعة النطق بها ، ومساوقها منها من غير ماء ، يلحقه ولا كلمة ، ولعلنا إذا توالت
 حركتان خفيفتان في كلمة واحدة ، لم يستكره ذلك ولم ^(٣) يستقل . بخلاف هذا في الحركات
 الثقيلة . فلهذا إذا توالت منها اثنتان في كلمة واحدة استغرقت واستغلت ، وذلك لما يجده الناطق
 فيها من تشكك الماء وتجهش اللسان . ومن أجل هذا استغلت الضمة على الواو ، والكسرة على
 الياء ، لأن واحدة من جسي نو : والكسرة من جسي اي : ، فتكون عند ذلك كأنها حركتان
 تقيمن . واضرب لحد مثلاً كيف اتفق فتقول : يا إذا أتينا بلفظة مؤلفة من ثلاثة أحرف
 وهي « ج ر ع » فلا خلاف أن إذا جعلنا « الجيم » مفتوحة كانت أحسن من جعلها مضمومة ،
 قل من له أدنى ذوق وأهل معرفة يعلم أن « الجوز » أحسن مؤلفاً من « الجوزع » ، و« الجيزع »
 أحسن مؤلفاً من « الجزوع » . ومن المعلوم أن هذه اللفظة لم يكن اختلاف حركاتها متغيراً
 فخرج حروفها ، حتى يسبب حسنها وقبحها إلى المخرج ، بل قد تحققنا أنه يكسرها تارة حسناً
 وتارة يسلب ذلك الحسن عنها ، و . أيما أحسن إذا تحدثت الله إذا فتحنا « الجيم » منها ، فقلنا
 أن حسنها حادت من ذات السبب ، من انتهى إلى رأينا بغير وعختلف أحواله . ورأينا أن

(١) في الأصل « رأيتك » .

(٢) انظر كتاب « المحاضرات » لابن جوي ج ١ ص ٦ : ٢٣ - ٢٤ . وقد أصدر هذا على رأي

المؤلف أنه ابتكره . (٣) في الأصل « ولا يستقل » وهو من خطأ النسخ .

اختلاف كل حالة من أحواله لها سبب بسيط ذلك إليه . ولا رأينا أن هذه النقطة ، را ضمعنا ^(١) الجيم منها يذهب ذلك الحسن ، علما أن سبب ذهابه كون الجيم مضمومة ، وحيث كانت الحال بهذه الثابة ، ثبت أن أحف الحركات القتج ثم الكسر ثم القصر ، والدليل على ذلك ما ذكره مث : وهو أن الحركات مضارة للحروف . ألا ترى أن جماعة من علماء العربية كانوا يسمون « الضمة » انوار الصغيرة و « الكسرة » الياء الصغيرة ، و « الفتحة » الألف الصغيرة ؟ وما يؤكد ذلك أنك متى أتيت الحركة انشأت بعدها حرفاً من جسيها ، نحو قولك في السباع ضرب « شوريها » ولهذا اذا احتاج الشاعر إلى إقامة الوزن اشبع الحركة « شأ » منها حرفاً من جسيها كقول بعضهم :

قالت من التوائل حين ترى ومن ضم الرجل بمسرح

يريد « مسرح » وهو مشتق من المسرح . فذائت هذا ، فعلم انه إنما كانت الفتحة أخف من الكسرة ، والكسرة أخف من الضمة ؛ لأن الألف أخف من الياء ، والياء أخف من الواو . والدليل على ذلك ما ذكره لك . فلما قولنا : إن الألف أخف من الياء ، فلما رأينا العرب قد أبدلوا الألف من الياء في الدين من الفعل الماضي . وذلك مطرد عندهم مستمر ؛ وإنما فعلوا هذا استئذلاً لثباته وطلباً للاستغناء ، وببانه أنهم قالوا ^(٢) : « باع ، وسار ، وأختار » وأصله « يَبِيع ، وَخَسِر ، وَخَسِرَ » ^(٣) . فلما نقل هذا عنهم أبدلوا الياء ألفاً للطفة ^(٤) ، فقالوا « باع ، وسار ، وأختار » وكذلك ما جرى هذا المجرى . فعلمت بهذا أن الألف أخف من الياء . من قيل : إن هذا الدليل الذي أوردته على أن الألف أخف من الياء قد جاء عن العرب فبينه . ألا ترى أنك إنما استدلت على أن الألف أخف من الياء ، لتكون العرب قد أبدلت الألف من الياء ؟ وقد رأيناهم أبدلوا الياء

(١) في الأصل « ضمنا » وهو من ضم النسخ .

(٢) كسر النسخ « أنهم قالوا » ضمنا المكسر .

(٣) ضبط النسخ هذه الأصل مبنية للجهول ، ولا ترى ذلك مستقيماً .

(٤) في الأصل « للطفة » والمصواب ما أوردناه .

وأما قولنا « إن الياء اخف من الراو » فبإدخاله من وجهين : الأول أنه إذا بني من الفعل النتل فقلوب الياء مستقبل لم تحذف الياء نحو « يَسِر »^(١) و « يَسِير » و « يَسِر »^(٢) الجدي « يَسِير » ولا كذلك الفعل النتل فقلوب الراو « فانه إذا بني منه مستقبل حذفت الراو »^(٣) ، نحو « وعد بعد ووزن ين » ، ولم يقولوا : « وعد يَعد » ولا وزن يَوزن » كما قالوا : « يَسِر يَسِر » و « يَسِر الجدي »^(٤) يَسِر » حيث اجتمعوا الياء في المستقبل ولم يبقوا الراو في المنقلب « علما أن حذفهم الراو إنما هو استئصال »^(٥) لها دون الياء .

وأما الوجه الثاني ، فهو انك اذا قلت « مقولا » من النتل «عين بقراو حذفت منه حرف للاستئصال : قلت في قال « مقول » وفي صاغ « مصوغ » . وإذا بليت مقولا من النتل «عين بالياء إلى شئت حذفت قلت في باع « مبيع » وفي باب « معيب » وان شئت نعمت ولم تحذف ، قلت : « مبيوع ومعيب » وإنما لم يتقوا في الراو فم يقولوا : في مقول « مقول » ولا في مصوغ « مصوغ »^(٦) وأتوا في الياء فقالوا « مبيوع ومعيب » لأن الياء فيها الضمة أضعف من الراو فيها الضمة : ألا ترى أن الراو اذا اضممت فزروا منها إلى الضمة فقالوا « أدور »^(٧) وأقرب « قال الراوي :

شكل دهر قد ليست أثوبا .

- (١) في القاموس المحيط : يسر : بالفتح ويمر : العين واللام يسر يسر . يرد : « لا يبن » .
- (٢) في القاموس : والهازل كغريب : صوت النمل والحرق ، أو الشد من أحوال الشدة (بدل) : حرت يهر كهمز ويضرب .
- (٣) في الأصل « وافر » والراو زائدة . (٤) في الأصل « الجدي » .
- (٥) في الأصل « استئصال » ولا وجه له وهو من خطأ النسخ .
- (٦) جاء في الصحاح الجوهري « دلت الدوا وغيره : أي بفتح داء أو غيره ، فهو مدووف ومدووف ، وكذلك سلك مدووف أي ميلول ، وقيل مدووف ، وليس يأتي « مقول » من قوافل الثلاثة من يمتدحوا وإنما لا حرمه « سلك مدووف وثوب مصوون » ، من مدونجاء لمرن ، والكلام مدووف ومصون ، وذلك لئلا تضمة على الراو ، وإزاء أخرى على الضمة منها . فلهذا جاء ما كان من بفتح الياء ، فقام والفتحة ، نحو : ثوب غيط ومبروط ، على « لمرن » في باب الفتحة .
- (٧) في الأصل « ادور » . وهو من خطأ النسخ . والأدور : جمع الدور . والأقرب : جمع الكروب .

فالمعزة في الواو اذا انضمت مطردة . فاما اذا كان بعدها واو ، كان ذلك أثقل لها . فلهذا الزمها الحذف في « مفعول » . والياء انا انضمت لم تميز ولم تتغير عن حالها ، فهنا يدلك ، ويصبرك أن الياء أحف من الواو ، فأعرف ذلك .

هذا ما انتهت اليه القدرة ، وأعطت به المعرفة ، من الأوصاف التي توجد في اللفظة الواحدة ، فليأمله الرافض على كتابنا حسناً ولينديه : فإنه يفرق بين الجيد والردىء من الألفاظ ، ويعرف ما يستعمله من ذلك ، وما يطرحه . وحيث فرغنا من الكلام هنا يتعلق باللفظة المفردة ^(١) ، فلينبهه بالكلام على الألفاظ التركيبية ، والله أعلم بالصواب .

(١) من اللازم أن من أسباب هذه اللفظة المفردة أن تكون بألف مضمومة ، لأن اتصال الياء بها نحو السكون وخلافه من حركة الأعراب أو الياء يختلفها تحليلاً مبدئاً كقولهم تعالى « والويل لنا ياعنبي » ونحوه إذا تحلى .. والشمس وضحاها . والفرق فلا فلاها ... حله ما أثرنا عليك الفركن للشعر ، إلا تذكره لنا ينعني .. سبحانه اسم ذلك الأعلى ، الذي خلق فسوى . (م . ج) .

القسم الثاني من الباب الأول

في صناعة تركيب الألفاظ

اعلم أن الفظة قبل دخولها في سبيل التأليف ، وقيل أن تصير إلى الصورة التي تسمى كلاماً ،
دالاً على معنى من المعاني ، لا يكون لها منزلة على أختها ، التي في معناها ، إلا أن تكون هذه
أشرف من هذه إعلانات^(١) توجد فيها . إما أن تكون إحداها مستتصة بالثبوت ، والأخرى
وحشية متوعدة ، وإما أن تكون حروف هذه أحف حركة أو أحسن التراجيع مع صواعبها ،
أو غير ذلك مما قدما ذكره . ولا بصورت^(٢) بين الفظتين تفاضل في الدلالة على المعنى الذي اشتركا
فيه ، حتى تكون إحداها أحسن في الدلالة على فلكة المعنى من الأخرى ؛ ونظرب لهذا مثالا
فبقول : لا يخفى على من له ذوق صحيح ، وقطرة سليمة ، أن لثمة البث أو الأسد أحسن دلالة
(على)^(٣) منها من الفظة « القديس »^(٤) أو « القسيس » فثبت بهذا الدليل أن الكلمة
لا يكون لها منزلة على أختها إلا إعلانات توجد فيها دون تلك^(٥) ، وهذا لا يثبت على اعتقاده
وقصد في الكلام إلا الفطن اللبيب ، الذي له حاية مددحه . وكثيراً ما رأينا من يحكم على
الألفاظ بالجلودة والرياسة ، وإذا دأب سليل ثبت له ما دفعه لا يحجر حواء ، إلا تحكما محضاً ،
لا لحاصل ورائه . ولا يعلم أنه لا يحجر : بل أن يقول : هذا الكلام جيد أو ردي ، إلا بعد أن
يعتبر كل ألفاظ منه على انفرادها ، ويعرض عليها تلك الصفات التي ذكرناها أولاً في كتابنا

(١) في الأصل « فضائل » وهو من فظ لا سح .

(٢) زيادة بنسبها لبيان . (٣) في الأصل « القديس » .

(٤) أسطر الحديث عن هذا من كتابه « دلائل الامتياز » للتمام بعد تلخيص الجرحاني من ٣٥ وما بعدها .

طبعة دار سنة ١٣٢٦ هـ .

هنا ، فإذا رآها موجودة فيها أو بعضها ، علم أنها حقيقة بأن تدخل في صياك التأليف . ثم يعود بعد ذلك ويستر مكانها من الظلم ، وكيف مخرجها إلى رائها والتمها مع أخواتها ، فإذا وجدها شديدة المناسبة لها ، حسنة المزاج معها ، حكم على ^(١) ذلك اللفظ بالجلودة ، وشهد له بالرواق والطاعة ، وإذ كان الأمر بخلاف ذلك [حكم] ^(٢) عليه بالرداءة والقبح ، على حسب ما استحق ، وأصل في هذا كله حسن التأليف ، وجودة التركيب ، فإن حسن التأليف يزيد المعنى قبلة ويبدل المفرد إلى استقامة ، والاحسان إليه ، فإنه إذا كان المعنى سيئاً ، وكان اللفظ جيداً مختاراً ، ويكون التركيب مع ذلك رديئاً لم يوجد له قبول . ولا يظهر عليه رونق . وإذا كان المعنى واللفظ وسعين ، وكان تركيبها جيداً حسناً كان ذلك معيلاً من قبحها ، ورافعاً من شأنها . فمثال ذلك كالقيد المتوسط . ألا ترى أنه إذا أحسن تصديده فجمعت كل قطعة مع ما يشاكلها ، ويطبق فيها ، كان رافعاً في النظر وإن لم يكن مرتفعاً في المعنى . ومثال المعنى واللفظ الراجعين مع التركيب الرديء ، مثال عقد ثمين ، أقيد نظمه ، فجمعت كل قطعة منه مع ما يتفقها ولا يتناسبها ، فإنه يصير بذلك مختلفاً في النظر ، وإن كان مختلفاً في المعنى .

وحسن التأليف : هو أن توضع الألفاظ في مواضعها وتعمل في أماكنها . وسوء التأليف بخلاف ذلك . ألا ترى أنه إذا قسم في التأليف ما يجب تأخيرها ، وآخر ما يجب تصديده تصير المعاني غائرة من مواضعها ، هوكة عن وجوبها ؟ ومثال ذلك كالصورة التي تحول بعض أعضائها ^(٣) إلى موضع بعض ، فتحول الرأس إلى موضع اليد أو الرجل أو غير ذلك ، فإنه إذا قبل هذا قبحت الصورة ، وفصلت هويتها الجلية الحسنة ، فأعرب ذلك ، فإنه لم يقل : « لفظه متشككة صريحة » وفي خلافها « قلقة مستكرهة » إلا والترض بالمتشكك ^(٤) حسن الاتفاق بين الالفاظ بعضها مع بعض ، وبالتالي سوء الملازمة وأنها ^(٥) لم توافق مواضعها . وهل تشكك أيها

(١) التصحيح : حكمه بالجلودة ، لا عليه . (٢) زيادة الضميمة للام .

(٣) في الأصل : أعضائها ، وهو من لفظ انشاع .

(٤) في الأصل : المتشكك ، وهو غير مستقيم ، فهو من لفظ تشكيك أيضاً .

(٥) في الأصل : وأن .

للتأمل لكتابنا هذا ، اذا فكرت في قوله تعالى : « وقيل يا ارض انسخي بآدك ويا سماء اعلعي ويا بنى آدم اقصي الأمر واستوتوا على الجودي » وقيل بُعِثَ للقوم الظالمين « أنك لم تجد ما وجدت لهذه الألفاظ من اللزجة الظاهرة ، والفضية الخائفة ، إلا لأمر يرجع الى ارتباط بعضها ببعض ، وأنه لم يعرض لها هذا الحسن الرائع ، والشرف الكامل إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية ، والثالثة بالرابعة ، وكذلك الى آخرها . وأن الفضل حصل من ارتباطها ولاقئها . فان لحقت في ذلك أدنى شك فتأمل هل ترى لفظة منها لو أخذت من مكانها ، وأقرت من بين أخواتها ، كانت مؤدية من الحسن ما تؤديه وهي في موضعها من الآية ؟ فصح لنا من هذا القول أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي مفردة فقط^(١) . ومن أدل الدليل على ذلك ، أن ألفاظ القرآن الكريم قد نطق بها العرب قبل نزوله على النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وليس فيه لفظة من الألفاظ (إلا)^(٢) وقد تسكعوا بها ، وجاءت منهم . ولو لا ذلك لما كان عربياً ، لأنه لا تركل على لغة القوم وكلامهم ، ونحن قد رأينا القرآن الكريم يفوق جميع كلامهم ، ويعلو عليه مع كونه واردة على لغتهم قد تسكعوا بألفاظه ونطقوا بها ، ثبت لنا من ذلك أن ألفاظ القرآن الكريم إنما تفضل سائر الكلام من حيث تركيبها ونظمها . وهي من حيث الانفراد مساوية لكلام العرب ، حيث هي عين أفعالهم ونفس كلامهم . وهذا مما لا شك فيه ولا لربساب ، فاعمل به .

ومما يشهد بذلك ويؤيده ، أنك ترى اللفظة تزوكت في كلام ، وتزداد بها انجذاباً واستحساناً ، ثم تراها في كلام آخر ، فتثلي عليها وتستكرهها . مثال ذلك أن لفظة الأندلس قد جاءت في بيتين من الشعر ، وهي في أحدهما لائحة حسنة ، وفي الآخر ثقلة مستكرهة ، كقول العيصية بن عبد الله بن طفيل في الحاسة :

— — —

(١) انظر دلائل الإعجاز ص ٣٢ . طبعه أحمد مصطفى المراغي بالجمعية العربية بصرى فيه ما يليه هذا الكلام ، مع بعض الاختلاف في الألفاظ . وانظر مثل السائر ص ١ ص ١٤٤ .
(٢) زيادة القضاة السيوطي .

تلفت محبو الخي حتى وجدني واجيئت من الاسماء ليلاً وأخذنا^(١)
وكقول أبي تمام :

يا دهر^(٢) قوم من أخدميك فقد أضجيت هذا الأنام من مُرِّمك
ألا ترى أنه قد وجد لهذه اللقطة بيت أبي تمام من القتل على النفس والكراهة أضاف
ما وجد لها في بيت الحارثية من الروح والحفة والإيثار والبهجة ؟ وهذا مما لا يمكن التراجع فيه
لظهوره ، وسيأتي له باب مفرد في الكلام على الصناعة اللفظية .
فطيك أيها المُرَّشح لهذه الصناعة أن تراعي في كلامك هذه الدقائق الشريفة ، والتصكت
اللطيفة ، فإن الصناعة التأليف غوراً لا يدرك منتهاه ، ومنهياً لا يوصل إل مداه .

(١) مطلع القصيدة :

جئت إلى ربة وضكت بأصبعي
منارك من ربة وضعت كالصا
واعلم الأيات واشهرت منها في ٣٨ من كتاب « دلائل الأمل » طبعة القاهرة ١٣٣٦ هـ .
والبيت : صحبة الحق . والأخبر : عرق في موضع الشجيرة ، وهو شعبة من الزيد . وما أخذت
« الضاح » .

(٢) من قصيدة يصرح بها محمد بن الحفيظ ، ويظهر بطلها :

قد منعت محل الزمان من فرقه
واستكن أهل الانعام في ورفقه
والفرق بالهم : الحف ، والحزن والبهل .

الباب الثاني

من الفن الثاني من القالب الأول

في الكلام على المعاني

اعلم أن المعاني على ضربين : أحدهما يتعداه صاحب العبارة ، من غير أن يكون له فيه إلمام بقدرى به ، أو رسوم قائمة ، في أدلة يسئل عليها . وهذا الضرب مما يكثر عليه عند الحوادث المتجددة ^(١) ، وينتبه له عند الأمور الطارئة . والآخر ما يحدده على مثال تقدم ، ورسم سبق . ويعني المؤلف أن يطلب الامانة في كلا الأمرين ، ويترجم بهذا الصورة المقبولة ، والعبارة المستحسنة . ولا يتشكل فيها يتكرر من المعاني على فصيلة السبق ، ولا يتأخر بجزئية الإبداع ، فيصالح في تبيين صورته . فلهذا قبل ذلك ذهب «سنة» وأطلس نوره . ويكون فيه إلى إلى القام أقرب منه إلى الحد . ويعني أن يستبين المؤلف ويتعاقى ، أن المعاني أشرف من الالفاظ والدليل على ذلك ما ذكره : وهو أما لو علمنا من هذه الالفاظ دلالتها على المعاني ، لما كان شيء منها أحق بالتقدم من شيء . بل كانت بغيره أصداء الأجسام والأصوات الناشئة عنها ، ويؤيد ما ذكرناه وضوحاً ، أن هذه العبارة من الالفاظ والشر . التي يتوالتها البلغاء بينهم ، وتفاضل بها مراتب البلاغة ، إنما هي شيء يستعان عليه بتدقيق العكس ، وحكاية الرواية والدير . ومن المعلوم أن الذي يستخرج بالفكر ، وينعم فيه النظر ، إنما هو معنى دون الالفاظ ، لأن الالفاظ يكون معروفاً عند أولئك صدقة المؤلف دائراً فيها بينهم ، والمعنى قد ينسح . فيه كـ

(١) قر الأصل «الصدية» ولا وجه لتعدي في الحوادث .

لؤلؤات معنى لم يسبق إليه ، وذلك إما يكون تعادلاً^(١) من الفكرة الصحيحة ، والطبع العظيم ، فإن الذي تخرج فيه صنعتك ، وتقع فيه سياقتك هو المعنى . ولهذا كان جماعة مؤلفين يشتركون في معرفة الجيد من الألفاظ ، وإنما التفاوت يقع بينهم في الذاتي . لأن الألفاظ الجديدة يستعملها جميعهم ، ولا يكاد أحدهم يموت الآخر فيها . وأما الثاني فانه قد يشكر المؤلف المعنى من نفسه ، وينقله من ذاته ؛ وذلك كثير لا يحصى . فصح من هذا الوجه ، أن المعاني أشرف من الألفاظ وأقبل .

واعلم أن أشرف المعنى بعلومه ، وسقوطه واستفادته من نتائج علوم الحق ودرونها . وقد حكى أن أشرف كلام قاله العرب : « القتل أولى للقتل » . ومن العلوم أن عسا الكرام ليس فيه من الألفاظ البديعة الزائدة ما يرفعها إلى منزلة يكون بها أشرف كلام قاله العرب ؛ حتى إنهم جعلوه في مقابلة قوله تعالى : « وأنكم في نقصان حيراة »^(٢) . لا بل في العطف من القتل^(٣) ، بسبب تكراره ملاحظه به . ومع هذا فالجهد من كلامهم ما أفاضه نظرب الأشباح ، وتأخذ بمجاسيع القلوب ، وذلك أصح من أن يحمى ، وهو لا يكون بمنزلة قولهم : « القتل أولى للقتل » فصح حيث أن ثقافة هذا الكلام ، وعلومه منزهة ، إنما هي لأمر يرجع إلى جلالة المعنى المندرج تحته ، وأشرف ضرره .

وهو رأيت جماعة من متلفي هذه الصناعة ، يمدحون ممدوح ، تصوره هي الألفاظ التي لا يحصل وراءها ، ولا كبير معنى تحتها . وهذا قال أحدهم سبعين أو ثلثاً ، يعتقد أنه قد أتى بأمر عظيم ، فإذا أنكرت هذه الحال عليهم ، يقولون : ليس أسوة بالعرب ، الذين هم أرباب الصناعة وفارس البلاغة ، فليهم اختاروا بالألفاظ ، ولم يكتفوا بالمعاني اعتداهم بها . ألا ترى إلى جهل هؤلاء القوم ، فمنهم لم يكفهم جهلهم فيما ارتكبهوه من ذلك ، حتى إنهم ادعوا أن العرب ، عليهم ، فصلوات جهالتهم جهالتين .

(١) من الأصل « حاداً » فلا يستعمل غير بالحدث هنا .

(٢) أنظر سورة « البقرة » الآية « ١٢٩ » .

(٣) أنظر من ٤٦٦ وما بعدها من « الأيضاح » لمصطفى الخوري ، طبعة مطبعة الشريعة السورية سنة

١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م . وقد أشاد المؤلف الحديث عن هذا القول وعن الآية شكره للدار التي فيه .

ولذلك صغر هذا ما إذا تأمله الناظر في كتابنا هذا عرف ما يوقته ، ويذهب به (ق^١)
الاستحسان كل مذهب فنقول : إن العرب لا كانت تسمى بالافاطها ، مصطلحها ، وتسميتها ،
وتراعها ، وتلاحظ أحكامها بالنظم ثارة وبالنثر أخرى ، من اللادى أوردى عندها ، وأكرم عليها
وأفهم قدرأ في نفوسها . فأول ذلك عنايتها بالافاطها لأسمها (لما^٢) كانت عنوان حاجتها ،
وطريقاً إلى إظهار أغراضها أصلحها وزيورها ، وبالتالي تغييرها وتخصيبها ، ليحسكون ذلك
أوتنع لها في النفس ، وأذهب بها في الدلالة على المقصد . ألا ترى أن الكلام إذا كان مسجوعاً
(لما لسانه لحفظه ، وإذا لم يكن مسجوعاً^٣) لم يأنس به أنسه (ق) حالة السجع . فلما
رأيت العرب قد أصلحوا العاطم وحسنوها ورققوا حواشيها ونقوا أطرانها وصانوا
غروبها ، فلا غفل أن العناية بذلك إنما هي بالافاط فقط ، بل هي خدمة منهم لمداني ، وتقوية
بها . وظلير ذلك إصلاح الرواء وإحكامه ، وإنما الميضي بذلك الاحتياط النوعي ، لكلا يتغير
جوهره ، فما قد نجد من المداني الفاخرة البانية ما نجد من حلاوته ، وبالإضافة لفظه فضع من
ووقته لسوء^٤ التبارة منه ، من قبل : إما يرى من العاطم ما قد قلوه . وزخرفوه وديجوه ،
ولسنا نرى مع ذلك نعمة مدني شريفاً ، فيما جاء منه قول بعضهم^٥ :

ولا قضيتا من مئ كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الأحداث بيتنا وسالت بأعناق النمل الأبطال

ألا ترى إلى حسن هذا اللفظ ، ومائه ومقاله ، وتديج أجزائه إذا ومعناه مع ذلك ليس
مدانياً له ولا مقارياً ، فإنه إنما هو^٦ لما فرغنا من الخبيركنا الطريق والجمعين ، وتحدثنا على
ظهور الإبل ... ، ولهذا نفاثر كثيرة ، شريطة الألفاظ مشروقة المداني . ولما أشرنا إليه ككتابة

(١) زيادة من اللق السائر ج ١ ص ٣٥٦ . (٢) زيادة يحتاج إليها السيل .

(٣) في الأصل : له ، والصحيح من اللق السائر أيضاً .

(٤) لأصل : سوء البلية ، وقد زدنا اللام ليعظم السكوت .

(٥) من أبيات الشكيب عزة ، وقبل فيها لأين الفتية ، أولتية بن كعب بن زهير بن أبي سلمى .

(٦) الشعر : طلائع الأصيل : الأبرجاني ص ١٩ ، والشعر ص ١٥ ، من كتابه : أسرار

البلاغة ، قد سلك في هذا الشعر .

الفتأمل . الجواب عن ذلك أنا نقول : هذا الوضع قد سبق إلى التثبت به من لم يضم النظر ، ولا رأى ما رآه القوم ، وإنما ذلك لجفاء طبع الناظر ، وعدم معرفته . وهو أن في قول هذا الشاعر « كل حايوة بما يستفيد منه أهل السبب والأهواء والرفقة واللفة ما لا ^(١) يستفيد غيرهم » ، ولا يشاركهم فيه من ليس منهم . ألا ترى أن حوائج رضى أشياء كثيرة ، فيها التلاقي ، ومنها التشاكي ، ومنها التخلي للاجتماع ، إلى غير ذلك مما هو نذريه ، ومعتقود الكون به . فكان الشاعر صانع ^(٢) من هذا الوضع . أي أولاً به ، وقد غرضه عليه ، بقوله في آخر البيت « ومسح بالأركان من هو ماسح » أي إما كانت حوائجها التي قضيناها وآرابنا التي بلغناها من هذا النحو الذي هو مسح الأركان ، وما هو لاحق به ، وجار في القرية من الله تعالى بهراء ، أي لم نجد هذا القدر المذكور إلى ما يحسنه أول البيت . من التعريض الجاري مجرى التصريح . وأما البيت الثاني فن فيه « أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا » وفي هذا ما تدكره لقراء فتعجب من ^(٣) هيب منه ، ووضع من معناه ، وذلك أنه لو قال : « أخذنا في أحاديثنا ونحو ذلك » لكان فيه معنى يكبره أهل السبب ، وذلك أنهم قد شاع عنهم واتسع في علو راسهم عرق قدر الحديث بين الإنايين ، والجذل يجمع شمل التواصلين . ألا ترى قول بعضهم :

وحديثي باسمه عنها فزدني
وجنوناً فزدني من حديثك باسمه
وقول الآخر :

وحديثها المحر الحلال لو أنه لم يحن قتل السلم للتحزير

فإذا كان قصد الحديث عندهم على ما ترى فكيف به إذا قبله بقوله : « أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا » وذلك أن في قوله : « بأطراف الأحاديث بيننا » وحياً خفياً ورمزاً جلياً . ألا ترى أنه قد يريد بأطرافها ما ^(٤) يتطاوله المحبون ويتفاوשה ذبوا الصباية للتيهون ، من

(١) في الأصل « بما » والتصحيح من لعل السائر « ج ١ ص ٣٥٣ » .

(٢) في الأصل « ضائع » وهو تصحيف ، والتصحيح من لعل السائر « ج ١ ص ٣٥٤ » .

(٣) في الأصل « ومن » وقواو زائدة .

(٤) في الأصل « بما » والتصحيح من لعل السائر .

العرض والفرح والابناء ، دون التصريح . وذلك أجل وأهم وأغزل ، وأناسب من أن يكون كشفاً ومباينةً وجبراً . وإذا كان الأمر كذلك فبني هذين البيتين أجل عندهم وأشد تقدماً في^(١) ناولهم من العظماء ، وإن نسب موقفة إلى سمعة . نعم ، في قول هذا الشاعر وسالت باعناق الطلي الأبايح « من الرشاقة والذكافية ما لا يحاط به^(٢) » . فالعرب إنما تحب الفاعلها وتدبجها ، وتوشها وترحمها « عذبة منها بالمعاني التي نعتها » أو توصلها إلى إدراك مطالبها . فلا فاعل إذا خدم المعاني ، والمخدوم لا شك أشرف من المخدم ، فأعز ذلك .

(١) في الأصل « من » والتصحيح من لكل البشر .

(٢) أظهر لكل الشاعر « ح ١ ص ٢٢٢ » عليه نصين لوجه الاستحسان .

ابواب الثالث

من الفن الثاني من القطب الأول في تفضيل

الكلام المنثور على النظم

وأما أن الأقوال متعارضة في تفضيل كل واحد من هذين القسمين على الآخر ، إلا أن
الذهب القبح والقول النوي هو أن الكلام المنثور أفضل من الكلام النظم ، والدليل على
ذلك من أربعة أوجه :

« الأول » أن القرآن الكريم ورد تراً ، ولولا فضله وعونه ، درجته ، لما نزل كتاب الله
- عز وجل - على أسلوبه ونهجه ، وأيضاً ، فإن القرآن معجزة الرسول - صلى الله عليه وسلم -
ومن العلوم أن المعجزات لا تحي ، إلا من طريق الأصعب ^(١) ، بحيث إنه لا يمكن أحداً من
خلق الله الرسول إليها ، والإيمان بثقلها . ولما كان الثمر من الأقوال الشائقة ، والأشياء للتعبية ،
أنزل الله تعالى القرآن ، الذي هو معجزة ، على قانونه .

ومما يدل على أن الثمر أشق من النظم ، وأصعب مأخذاً ، هو ^(٢) أن العرب كانوا أفصح
الناس ، وأبلغهم وأكثروهم قدرة على التفق في الكلام ، ومع هذا فلم يسمع لأحد منهم تراً ،
إلا أفس ^(٣) بن ساعدة ، الذي يضره بكلامه الشل في الفصاحة والبلاغة ، ولأقوال آخرين
وهم قليل .

وأما النظم ، فإن جميع العرب كانوا يقولونه وكان عليهم من أسهل الأشياء حتى على نساءهم .

(١) استعمل « الأصعب » اسماً ، لا وصفاً .

(٢) القوياب حدث « هو » ، لأنه يحدّث قبل الذكر غير يكثر .

(٣) في الأصل « الثمر » ولا نراه يستقيم .

وأيضاً ، فإن أرباب النظم أو أرباب محضره ، بل محضر أهل عصر واحد لم يدر حصول ذلك ، فكيف محضر جرمهم ؟ وليس سبب هذا إلا وعمودة مسلك النثر وشرف منزلته ، وأنه لا يناله إلا الأفراد من الفضلاء ، فإن قيل : إذا كانت العرب لا تكثر من النثر ، وأكثرت من النظم ، فليس ذلك دليلاً على أن النثر أسبغ من النظم بل الأمر بالعكس من ذلك ، وهو : أن النثر لما كان سهلاً عند العرب حيناً ، والنظم شافاً عليهم محتجباً ، عمدوا إلى الأسبغ وزككوا الأسهل لأنهم إنما كان غرضهم إظهار قوتهم في البلاغة والقصاحة ، وإذا كان ذلك فيما هو أشق مسلكاً^(١) وأوهر مذهباً ، كان أدل على تمكّنهم من الكلام . وأما النثر ، فكان عندهم بمنزلة ما^(٢) يرغبون فيه ، ويتعاضدون عليه - لسهولة عندهم ! ولهذا لم يبتنوا به ، ويكثروامنه ، كما فعلوا في النظم ! وأما قولك : إن القرآن الكريم ورد نثراً ، ونظميك النثر على النظم ، لأن الله تعالى أنزل القرآن ليكون آية لرسوله صلى الله عليه وسلم ، ومسيجدة على يده ، ليفهم به أولئك الفصحاء والبلاغة من العرب ، لأنهم كانوا أرباب القصاحة والبلاغة ، وحيث كان النثر سهلاً عندهم يسيراً عليهم أنزل الله تعالى القرآن على أسلوبه ليعجزهم ، بما هو أسهل عليهم من غيره ، ليكون ذلك أعظم في الإيجاز . وأبلغ الجواب عن ذلك أما نقول إن هذا الذي ذكرته من أن النثر ، كان أسهل على العرب من النظم ، واستدلّاك عليه بقلة رغبتهم فيه ، واعتنائهم به ، فليس ذلك دليلاً لك ، بل هو دليل لما دلتك . وذلك أنه قد ثبت بإجماع منا أن العرب لم تكثر من النثر ، وأكثرت من النظم ، ومن العلوم أن الإنسان إذا كان مكثراً من شيء استدل بذلك على قدرته عليه ، و(عدم) قصوره^(٣) عن الوصول إليه . ولا يقال ينال بكثرة من هذا الشيء دليل على لقوته عليه ، لأنه لو كان متعذراً عليه لما قدر على الاكتثار منه ، وتلك لا يقال أيضاً : إن تقليبه من هذا الشيء دليل على سبيلته عنده لا أنقص منه ، وهذا مما لا يمكن التراجع فيه بحال من الأحوال .

وأما قولك : إن النثر لما كان عند العرب أسهل من النظم ، أنزل الله تعالى القرآن الكريم

(١) في الأصل « مسلكاً » ، وهو من خطأ النسخ .

(٢) في الأصل « من » ، وهو من خطأ النسخ . (٣) في الأصل « صورها » .

على أسلوبه ، ليعجزم بما هو أصل عليهم من غيره ، فيكون ذلك أدل على الابهاز من كونه
يحيي. على أسلوب الاشتق الأسبب . فالجواب من ذلك أنا أقول : قد ثبت أن المعجزات التي على
أيدي الأنبياء - صلوات الله عليهم - لم تأت بما كان سهلاً على أعمهم ، لأنهم إنما جئوا بأخبار
الأموات ، وانشقاق البحر وانفجار الماء من الحجر ، وما جرى هذا الجري ، وهذا الحكم أيضاً
موجود في النثر ، فبه لما كان شافياً على العرب ، وليس فيهم من يفتقر على الاتيان به الاقليل ،
أنزل الله تعالى القرآن الكريم على تنجيه وطريقه ، لتكون المعجزة مناسبة لما جاءت [فيه] . وذلك
أن النثر من حيث ذاته أمر شاق مستصعب ، وانضاف الى ذلك كونه من عند الله تعالى فصار
معجزاً بالضرورة ، فأعرف ذلك .

وأما الوجه الثاني فهو : أن النثر ينوب متلب النظم ، ولا ينوب النظم متلب النثر وذلك
أنه إذا أخذ معنى من المعاني ، وسير عنه بلفظ مطابق له ، وسكان ذلك الكلام مستوراً ، فإنه
لا يمكن التعبير بمقتضى ذلك اللفظ ، ويكون الكلام شعراً ، وذلك أنه يحتاج في النثر الى ألفة
الوزن ، وهنا لا يتم إلا بزيادة لفظ ، أو نقصان لفظ ، وإذا زيد على ذلك شيء صار في الكلام
ما لا حاجة فيه ، وإذا نقص كان يصح بدونه ، وإن نقص منه شيء صار المعنى ناقصاً عما كان عليه
في الأول .

وأما الوجه الثالث : فهو أن النثر لا يقال إلا بعد تحصيل آلاء الذكورة في صدر كتابها
هنا أو بعدها . وذلك بخلاف النظم ، فإنه قد يقوله من لم يحصل من آلائه شيئاً البتة . وكثيراً
ما رأينا ممن يقول الشعر الحسن ، ويصيب في معانيه ، وبجيد القاطعة ، وهو لا يعرف من آلات
التأليف شيئاً ، كالسوقة والنامية من أولي الحرف والصنائع .

وأما الوجه الرابع : فهو أن النثر تلو درجته حتى يشال انزلة الخلق والمثلك . وأما
الشاعر فلا تلو درجته عن رتبة المستطاع ، وميزة الطالبين لا في أيدي الناس . ولو لا فضل
النثر وما يحرف من شرف صنفته والحاجة إليها ، لما رقي الى درجة الثوراة . وكذلك الشاعر ،
فلولا كساد صنفته والاستغناء عنها ، لعلت درجته وأرتفعت منزلته ، ولما كان في طول عمره كلاماً
على الناس ، وهنا شيء منطرد لم يزل . وقد شوهد رأي الدين ، فلا يمكن التراجع فيه بحال من
الأحوال .

القطب الثاني

في المؤشياء الخامسة وهو فنانه :

القطب الأول في القساحة والبلاغة :

اعلم أن هذا باب غامض ، متعذر على الولوج ، ومسلط ومحر ، مستصعب على الناهج . ولم يزال الناس من قديم الوقت ، وهم جبراً ، يتهاقنون على الخوض فيه ، والقوص عليه ، وهم مع كثرة طلبهم لمعرفته ، وتوفر حرصهم على الأساطعة به ، لا يظفرون منه الا كنفية^(١) طائر أو قطرة من بحر زاخر . وقد قال بعض الصنفين من العلماء^(٢) : « لم نزل منذ خدمت أهل^(٣) العلم ، انظر فيها فتور في معنى القساحة والبلاغة ، واستكشف عن المعنى في ذلك ، فلا أبعد الاكابر من الإشارة ، ولا أفت فيه على قول شاف ، ولا كلام كلب . فلو رأيت الأمر كذلك ، علمت أنه لا يسكني في معرفة هذا العلم العظيم ، الذي كان به إنجاز القرآن الكريم ، قول «عقل ، ولا كلام بمحل . بل لا تتم معرفته حتى يفصل في القول ، ويبدل على الخصائص التي تأتي في تأليف الكلام ، ويوضح إيضاحاً جلياً من غير مفادرة لشيء من ذلك ، حتى تكون المعرفة بهذا العلم كمعرفة الصانع الخاذق ، الذي يعلم كل كعبة مسوجة من الأبرصم في الثوب الديباج ، وكل حجر من الأحجار للباحة في البناء ، فإذ نظرت إلى هذا العلم الشريف المتجنت عند ذلك إلى طول مسكت وتدير ، وكثرة تأمل وتذكر ، وإلى همة تأتي أن تقع إلا بأعلى المنازل ، وأسمى الراتب . متى جشمت

(١) النفية : الجرعة .

(٢) الثاني هو الأمام عبد القاهر الجرجاني صاحب كتابي : « دلائل الإعجاز » و « أسرار البلاغة » وقد أورد للأمام كلامه مع حسن التعبير فيه . «سر : « دلائل الإعجاز » من ٢٨ وما بعدها من طبعة مطبوعة للدار سنة ١٣٣١ هـ .

(٣) الثاني في « دلائل الإعجاز » : « م نزل منذ خدمت العلم . . . يتبر لعل لعل ، انظر من ٢٨ وما بعدها من طبعة مطبوعة للدار سنة ١٣٣١ هـ .

نفسه حصول هذا الراء البعيد ، وكلفها عبود هذا المرى الخارج ، فقد آتت أمراً عظيماً ،
وعرضت غطباً^(١) جسيماً ، وفقنا الله وإياكم لواقع الصواب .

والرجوع إلى ما هو غرضنا ومهمنا من ذكر القصاحة والبلاغة ، والكشف عن حقيقتها
واختصاصها ، فنقول : اعلم أن أصل القصاحة في وضع اللفظة : الظهور والبيان ، يقال : أفصح^(٢)
المصباح إذا بدا ضوءه وأسفر ، وأفصح فلان عما في نفسه : إذا أظهره ، وإنا سمي اللفظ فصيحاً
لأنه يبين المقصود ، ويوضح المعنى المدرج تحته .

والقصاحة : اسم عام يشمل المفرد من اللفظ والركب ، وإنا نكمن الأمر كذلك لأن واسع
اللفظة إنما وضع الالفاظ مفردة لا مركبة ، فالقصاحة شملت أولاً المفردة ، وإنا شئت المفردة فمن
المفردة شملها المركبة ، لأن الركة مجتمعة من المفردة . وكل مركب كانت أجزاؤه ذات صفة
هي فيها متساوية فنك الصفة نسجه لأعادة .

واعلم أيضاً أن القصاحة أمر إيجابي^(٣) كالطبع والقبح . والكلام المصباح ليس كلاماً
مخصوصاً بجهة ، بل كل من فهم كلاماً وعبره فهو فصيح بالجهة إليه ، لأنه ظهر عنده ،
وواضح لديه . ومما يقوي هذا قول - أرب - اللفظ الذي لا قصد نحن في زماننا هذا فصيحاً ،
ونكره لعدم سماعه ، وعرضه ، كان مستند من تقدمنا من أروپ للأناليف مستعملاً في مثلهم
مستعاراً مشتملاً . ولو لا ذلك ما أوردوه في كلامهم ، وإن معظم أشعار العرب وبن بلهم من
المحدثين مشحونة ومحمولة منه . ولو استعمل في زماننا هذا لاستنكر واستبشع ، وحكم على قائله
بالجهل والتقص . ورأينا أبا محمد بن سنان الخفاجي قد غار في كتابه^(٤) : إن القصاحة نعت
للألفاظ إذا وجدت على شروط عدة ، ومتى تكلمت تلك الشروط فلا مزيد على قصاحة تلك
الألفاظ . ثم إنه قسم الشروط إلى قسمين ، أحدهما يوجد في اللفظة المفردة ، والآخر يوجد في
الألفاظ المركبة ، وجعل ما يختص باللفظة المفردة منقسماً إلى ثمانية أقسام ، كتبها بعد مخرج

(١) انظر : « خلاص الألفاظ » ص ٣٢ طبعة المطبعة النازية ١٣٣١ هـ .

(٢) في لسان العرب : القصاحة : البيان . مسح الرجل قصاحة فهو فصيح من يوم فصحاء واصباح
وفصح ... لقوله : رجل فصيح وكلام فصيح أي ببع . ولسان مصحح أبي حنيفة : « مصالحة تخشى الخلل
اللفظي » ، وإيضاح ابن الأثير لها بالمثل الراهم عالج لأصول الإيضاح .

(٣) أي نسي . (٤) راجع كتاب : « سر القصاحة » ص ٥٥ طبعة المطبعة الرحمانية بمصر .

الحروف ، وأن لا تكون الكلمة وحشية ولا متوعدة ، وغير ذلك مما أوردته وذكره في كتابه . وفي هذا نظر وقتنا عليه الفكر والروية ، وذلك أنه قد جعل صفات اللفظة التي تكون بها ذات مزية وحسن هي النصاحة ، وخالف بذلك نص العرب ، لأنهم قالوا : إن اللفظ النصيح هو الظاهر الواضح ، ولم يقولوا : إنه الباعد عوارج الحروف ، ولا الذي ليس وحشياً ولا متوعداً ، ولا غير ذلك مما ذكره أبو محمد بن سنان . ولهذا تطرق إلى ^(١) كلامه الخلل ، وذلك أنه قبل النصاحة من حقيقتها التي وضعت لها في أصل اللفظة ، بأن علقها على هذه الشروط التي ذكرها ، وجعل وجودها موقوفاً على وجود تلك الشروط ، و [إذا قلنا] ^(٢) بعضها لا تكون نصيحة وحقيقتها أن تكون نصيحة ، وهذا من أعجب الأشياء فليتأمل .

وأيضاً فإن أبا محمد بن سنان قد ذكر في كتابه ، من جهة الأقسام الثمانية ، قسمه وهو أن لا تكون الكلمة قد عبر بها عن معنى يكره ذكره ^(٣) ، فإذا وردت وهي غير مقصود بها ذلك المعنى تبحت ، كقول عمرو بن الورد :

[و] قلت لولم في الكنيف تروا حوا حشية يتسا عند ^(٤) ما وإن رزح

قال « الكنيف » أصله السار ، ومعناه قبل للترس « كنيف » غير أنه قد استعمل في الآثار التي تستر الحشا وشعرها لما أكرهه لذلك . هذا حكاه كلام أبي محمد بن سنان الحفاجي . ولنا عليه اعتراض ، وهو أما نقول : إذا كان قد جعل النصيحة مقصورة على الانسباط فكيف عاد كقص ^(٥) ما ادعاء بهذا القول ، فإنه إنما أنكر من هذه اللفظة التي هي الكنيف ما تضمنته من المعنى فقط ، والا فإنا اعتبر لفظها وعوارج حروفها ، من غير نظر إلى المعنى المندرج تحتها ، لم يوجد لها قبيح ولا كراهة ، لأن عوارج الحروف التي تألفت منها متباهدة . فخرج السكاف

(١) النصيح « على » لأنه ضرر ، حش سببه « على » عن « إلى » .

(٢) زيادة التوضيح السابق :

(٣) في الأصل « ذلك » والنصيح من مر النصيحة « مر ٧٤ » وراجع كلام المؤلف فيه يقرّب من

هذا الباب من النوع السادس من القسم الأول من الباب الأول .

(٤) في معجم البلدان « دون » .

(٥) النصيح « قال نقل » وحذف حرف الضيف من بين الضيفين المتألفين من الضيفين في صير

دون هـ راجع الناف المي هو من أقصى النسان ، وخرج اللون من طرف النسان بينه وبين ما فوقه
 الثنابا السفلي ، وخرج اليه من وسط النسان بينه وبين وسط الحيك ، وخرج الماء من باطن
 الشفة السفلى ، وأطراف الشفا العليا . ومع هذا فإذا نفلت هذه اللفظة التي قد استقبلت هاهنا ،
 إلى موضع آخر صار ذلك القبح حسداً كثوثك : « أما في كنف فلان » أي في فراه ، ونحت
 عليه . فصحح حيث لم من غوى كلام أبي محمد بن سنان أنه تقص ما أدناه أولاً ، من أن الفصاحة
 نعت للألفاظ ، بما ذكرناه من شروطها الثانية ، التي من جملةها هذا القسم الأخوذ عليه ، وهو
 مما يختص بالشيء دون اللفظ ، وخصائص كلام مثل ذلك الإلمام للشهور في هذه الصناعة عجيب .
 فصعنا الله وبنا كرم من الزلل وهذا إلى طريق الصواب .

وأما البلاغة ، فإن أصلها [في] ^(١) وضع اللمة : القوسول والانتها ، يقال : بلغت السكك
 إذا انتهيت إليه ^(٢) ، وبلغ الشيء : منتهاه . وسمي الكلام بليغاً من ذلك ، أي إنه قد بلغ الأوصاف
 الباطنية والعموية . وذلك أن له أوصافاً ثلاثة يعرف بها ، ففى عري من واحد منها يخص عن
 درجة البلاغة ، فلا يسمى بليغاً ، وهي أن يكون معناه مقبلاً ، ويكون لفظه فصيحاً ، ويكون
 غير زائد على المعنى المدرج تحته ، ويلزم على هذا أن يكون كل كلام بليغ فصيحاً وليس كل كلام
 فصيح بليغاً .

واضح أن البلاغة نعم الكلام مركباً لا مفرداً ، وأما كانت كذا لأن الفرد لا يكون مقبلاً ،
 وما ليس بتقيد فلا يسمى بليغاً .

وأيضاً فإن اللفظة لفردة برأسها ، فإذا وردت في الكلام لا يبراد بها إلا معنى واحد من
 غير زيادة . [و ^(٣)] في الكلام ما يزيد معناه على لفظه ، وذلك إما أن يكون مركباً لا مفرداً .

وأما الخصائص الفصاحة والبلاغة ^(٤) ، فإن أبا محمد ابن سنان الخفاجي ذكر ذلك في كتابه ^(٥)
 فقال : إن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ ، والبلاغة لا تكون إلا وسفاً للألفاظ مع

(١) زيادة التضاعا البليغ .

(٢) مصدر « بنت السكك » هو « البلوغ » لا « البلاغة » ولم يستعمل فصيح « البلاغة » بمعنى
 « البلوغ » الحقيقي فأصل ذلك .

(٣) في الأصل « في البلاغة » .

(٤) راجع سر الفصاحة « س » .

الطائي . ثم أنه لم يورد على ذلك دليلاً بل أجل القول فيه كما قد ذكره ^(١) . فإن هذا حكاية
 للكلام بعينه . فلما وقفنا نحن على ما أوردنا ^(٢) إليه ، صرح لنا في أمثاله دليل ، وهو أنا قول :
 قد ثبت لنا أن أصل الفصاحة في وضع اللفظ : الظهور والبيان ، والقصيح : هو الظاهر ، وهو
 اسم قائل ^(٣) من فصيح مطرد في ياءه ، يقال : « كرم فهو كريم » و « ظرف فهو ظريف »
 و « كثر فهو شريف » و « فصيح الكلام فهو فصيح » وكذلك ما جرى هذا الجرى .
 فوزن قيل : هو اسم قائل ^(٤) من « قيل » ، وهذه قاعدة مستمرة في ذلك .

وقد ثبت لنا أيضاً ، أن المعنى لا يكون ظهراً لنفسه ، ولا موحىً من ذاته ، إذ الطائي
 جميعاً قاعدة بنفسه ، وإنما لم يظلمها وسبها فهو إياً « من اليزن والابيض » . وهذه أيضاً
 قاعدة مستمرة . لا خلاف فيها بحال من الأحوال . مما كان اللفظ هو الظاهر لليزن والابيض ،
 وكان القصيح اسم قائل من فصيح ، أي بن وانصح ، وحسب حيث أن يكون اللفظ ، ومختصاً
 به . فاعرف ذلك .

فلن قيل : القياس يقتضي أن الدليل الذي أوردته في الفصاحة يلزمك في البلاغة منه ،
 وهو أن وزن « بليغ » مثل وزن « فصيح » ، فكأن فصيحاً اسم قائل ، وكذلك يكون
 « بليغاً » أيضاً اسم قائل ، وإذا كان اللفظ قادراً للفصاحة فاختصت به ، كذلك يكون اللفظ
 قادراً للبلاغة فيجب اختصاصها به .

الجواب عن ذلك أنا قول : أما قولك : القياس يقتضي أن تكون البلاغة مختصة
 باللفظ ، كما أن الفصاحة مختصة به ، تساوي البلاغة والفصاحة في الدليل الذي أوردناه من حيث
 إن « بليغاً » وفصيحاً على وزن واحد فن هذا الذي ذكرته قياس وارء ، ولكن من وجه ،
 وذلك أنا نحن لم نستعمل على أن الفصاحة تخص اللفظ من حيث كان أصلها في وضع اللفظ الظهور
 فقط . وإنما استدللنا على أن الفصاحة تخص اللفظ من حيث كان أصلها في وضع اللفظ الظهور
 والبيان . وانضاف إلى ذلك أنها على وزن « قيل » الذي هو اسم قائل من « قول » نحو « فصيح »

(١) راجع « سر الفصاحة » ص ٥٦ . (٢) في الأصل « أورد » وهو من خطأ النسخ .

(٣) المرووف في اصطلاح الصرفين أن « القصيح » صفة تنهية باسم القائل .

فهو « فصيح » . فلما صح لنا هذان الأمران ، ثبت لنا من مجموعها ما ادّعيناه : من أن
الفصاحة تخص اللفظ كما أريدك .

وأما البلاغة فلو كان أصلها في وضع اللفظ « الظهور والبيان » كما هو أصل الفصاحة ،
لمصح لك ما ذكرته من الاعتراض . وإنما أصلها في وضع اللفظ « من الوصول والانتقاء » لا غير ،
وعلى أصلك أيها المعارض فيبني أن يكون كل ما هو على وزن « قيل » غندماً باللفظ نحو « شرف
فهو شريف » و « عرق فهو عريق » و « كرم فهو كريم » وأمثال ذلك مما جرى هذا الجري
فالشرف أداً تختص باللفظ ، وكذا الطرف والكرم ، وهذا من أعجب الأشياء ، فليتأمل .

وأيت ، فقد بينا أن البلاغة أوسعاً ثلاثة ، لا يسمى الكلام بياناً إلا بمجموعها . ومن
عري من واحد منها فليس يلزم . فالدول منها يتعلق بالشيء وهو الأداة . والثاني يتعلق
باللفظ وللمعنى كالجاء ، وهو أن يكون اللفظ غير زائد على المعنى . والثالث يتعلق باللفظ وهو
الفصاحة ، لأن الكلام لا يطلق عليه اسم البلاغة حتى يكون فصيحاً . فالفصاحة إذا شرط في
البلاغة لا ثم إلا به . فلما كانت الحال كذلك وجب أن نسمي البلاغة باللفظ^(١) وللمعنى معاً .
وأما الفصاحة فليست كذلك : لأنها محض لينة ووضوح فقط ، وذلك يتعلق باللفظ بموجب
الدليل الذي قدمنا ذكره . فتدبر ما أمرنا إليه ، وتصفح مطاوية^(٢) ، ولي ذلك كفاية .

(١) في الأصل « باللفظ » وليس البناء من زيادة النسخ .

(٢) في الأصل « في ذلك » بلا واو ، وهو غير مطروء .

الفن الثاني من القطب الثاني

في ذكر أصناف علم البيان وانقساماتها وهو يلبس :

الباب الأول في الصناعة المعنوية

وينقسم إلى تسعة وعشرين نوعاً ، وإنا قدما ذكر للماني على الألفاظ - لأن الماني هي التي تقرر أولاً في النفس وترتب في القلوب ، ثم يطلب لها بعد ذلك ألفاظ تعرب عنها ، وتدل عليها ، ولأن الماني أشرف من الألفاظ وأهل عملاً . فاحرف ذلك .

الفرع الأول في الاستعارة

وهو أن تريد تشبيه الشيء بالشيء ، فتدع الانصاح بالتشبيه وإظهاره ، وتجيء على اسم التشبيه وتجريه عليه كقولك : « رأيت رجلاً هو كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواء » ، فتدع ذلك وتقول : « رأيت أسداً » وهذا يكون على ضربين : أحدهما : أن تجعل التشبيه هو التشبيه به ، بأن تزيله وتسقط ذكر التشبيه من اليمين كقولك : « رأيت أسداً » والثاني بأن تجعل التشبيه به خبراً عن التشبيه في باب الاستعارة ، وأوردته جماعة اللغاة مثل : قدامة^(١) ، والجاعظ ، وأبي هلال العسكري^(٢) ، والقاضي^(٣) ، وأبي محمد بن سنان^(٤) الخفاجي في تعانيفهم في باب

(١) راجع حاشية ص ٢ من هذا الكتاب .

(٢) هو أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، كان لغوياً أدبياً مشاركاً في العلوم الأخرى ، قضى أكثر أيامه بغداد . وكانت ولادته سنة ٢٩٢ هـ . يسكن تكريم بالأهواز ، وتوفى بفساد سنة ٣٨٢ هـ . وله من الكتب : كتاب الصناعين ، و « حبرة الأدباء » و « ديوان الماني » و « معجم في اللغة » و « أسماء ديوان الأشياء » و « الأوهى » و « التفضيل بين بلاتني العرب والمجم » وقد طبع أكثرها . انظر معجم الأدباء ، ولغة الورد ، ص ٢٢٦ . و « فهرست دار الكتب المصرية » ج ٦ ص ٢٨٥ .

(٣) راجع حاشية ص ٢ من هذا الكتاب . (٤) انظر حاشية ص ٣٤ من هذا الكتاب .

الاستعارة . ولم يذكروا أن الأصل فيه تشبيه بليغ ؛ فما أعلم هل ذلك لطافته عليهم ، أو أنهم عرفوه ولم يذكروه ، وهو الأصل للقيس عليه في التشبيه ، الذي أجمع عليه المحققون من علماء البيان . وقد أوردناه نحن في كتابنا هذا في باب الاستعارة تشبيهاً بالقوم ، واستغناءً عنهم ؛ لأنهم السابقون في هذا الفن بالتصنيف ، إلا أن موضعه باب التشبيه . فاعرف ذلك .

واعلم ^(١) أنه قد أجمع الجمهور من العلماء على أن الاستعارة حرة ، وفضلاً على حقيقتها ؛ والسبب في ذلك أنك إذا قلت : « رأيت أسداً » كان لكلامك حرية ، لا تكون إذا قلت : « رأيت رجلاً » هو كلاً أسد سواء ، في الشجاعة ، وقوة القلب ، وشدة البطش . وليست للرية التي تشبهها لهذا الجنس على الكلام التبرك على ظاهره ، ولكيها في طريق إثباتك ، لها وتبرك لها ، معلومة من قرائن الأحوال ، فليست الرية في قولك : « رأيت أسداً » أنه دلّ على شجاعة زائدة ، وشدة وأقوة ، بل أنك أثبت للمستعار له الشجاعة الزائدة والشدة الواقعة ، من وجه هي أبلغ وآكد ، وأوجبها له إيجاباً هو أشد وأقوى ، لأنك أثبتتها بالمثل والشواهد . فإذا سمعهم يقولون : إن من شأن هذه الأجناس أن تكسب المعاني نيلاً ، فإنهم لا يريدون الشجاعة والشدة وغير ذلك ، وإنما يريدون إثبات معاني هذه الكلام لمن ثبت له ، ويخبر بها عنه من طريق هو أشد وآكد . وسببنا بيان ذلك في باب التشبيه مستوفى ، إن شاء الله .

وأعلم أن الاستعارة جمع بين شيئين بمعنى مشترك بينهما ، يكسب (يسان) ^(٢) أحدهما بالآخر ، ولا بد للاستعارة من ثلاثة أشياء : مستعار ، ومستعار منه ، ومستعار له ، فلفظ المستعار ، قد قل من أصل إلى فرع الإجابة . والمستعار منه والمستعار له ، لفظان حل أحدهما على الآخر في معنى من المعاني ؛ هو حقيقي المحمول عليه ، مجازي المحمول . مثال ذلك قوله تعالى : « وأشتعل الرأس شيباً » فهنا مستعار ، ومستعار منه ، ومستعار له ؛ فليست هو الاشتعال .

(١) انظر ص ٤٨ ، وما بعدها من « دلائل الإيجاز » لعبد القاهر الجرجاني ، طبعة دار الفكر .

(٢) الزيادة والاستلاح من المروعة ص ١٠٦ ، من الكتاب قد كرر المؤلف هذا التعريف فيها .

وقد نقل من الأصل الذي هو النار إلى الفرع الذي هو الشرب ، فعداً للزيادة ، وأما الاستعارة فهو النار والاشتغال لها حقيقة ، وأما الاستعارة له فهو الشرب ، والاشتغال له عاز .

وأعلم أن أبلغ الاستعارات ما ناب التشبيه منها ، وكذا زدت التشبيه فيها إغناء الزوائد الاستعارة حسناً وروناً ؟ حتى إنك تراها أوجب ما يكون ، إما كان الكلام ألف تأليفاً إن أردت أن تفصح فيه بالتشبيه خرجت إلى شيء يحط من درجته ، ويضع من قدره : ويدل على ذلك قول بعضهم :

أثمرت أصناف راحته لجنت الحزن عُنْداي

ألا ترى أنك لو كلفت نفسك أن تظهر التشبيه ، وتفصح به أثمرت بل أن تقول : أثمرت أصابع يده التي هي كالأفصان . لطالب الحزن ، شبه العناب من أطرافها المخذولة ؟ ومن له أدنى فثبت ^(١) بهذه الصناعة ، يعلم الفضيحة بين ما تضمنه هذا البيت من الاستعارة ، وبين إظهاره إلى التشبيه . فأعترف ذلك وقس عليه .

وحيث أنه بنا القول إلى هذا المقام ، ونهنا على هذه الأصول ، فليس بها ما يتخبط في سلكها من الكلام على الجيد من الاستعارة ؛ الذي ^(٢) يجب على المؤلف أستعمله ، والردي الذي ينبغي له اجتنابه والبعد عنه ، فنقول : الاستعارة تنقسم قسمين :

الأول ، يجب أستعمله : وهو ما كان جنسه وبين ما أستعمل له تشابه وتناسب ، ولضرب له أمثلة يستعمل بها عليه : فن ذلك قوله تعالى : « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار » ^(٣) . وهذا الموصف إنما هو على ما يفهم للعين لا على حقيقة المعنى ؛ لأن الليل والنهار أسماء يقعان على هذا الجو عند إظلامه وإضاءته بنور الشمس وظلمتها ، وليس على الحقيقة شيئين يسلخ أحدهما من الآخر ، إلا أنها في رأي الدين كلها كذلك . والسلخ يكون في الشيء المنجم بعبه ببعض ، فلما كانت هوائى الصبح عند طلوعه ، كاللحمية بإعجاز الليل ، أجري عليها اسم السلخ ، وحسن

(١) في الأصل « تشبه » ولا معنى له هنا . (٢) في الأصل « التي » وهو غير مستقيم .

(٣) سورة يس ، الآية ٣٧ .

ذلك لا تخاف في بابه ، وهو أولي من قوله « يخرج » لأن السليخ أدل على الالتحام المتوهم من
 الإخراج ، وذلك أن استصلاح الشيء عن الشيء ، هو أن يميز أحدهما من الآخر ، وبزول عنه
 بالتدريج ، حالاً فحالاً ، كما يسليخ جلد الشاة عنها . وكذلك انفصال اللبيل عن التيسار . فأنظر
 أيها السائل لهذه الاستعارة ، شدة تناسب الذي بينها وبين ما استعيرت له ، ومشابهتها إليه ؛
 فأنها من الاستعارات التي لا أجد فوقها في الحسن .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى « عز وجل » : « واشتمل الرأس شيباً » وقد ذكر عداء البيان في
 هذا ، ما نوردناه هنا . وهو : أن الشيب لما كان يأخذ في الرأس ، ويسرى فيه شيئاً فشيئاً ، حتى
 يحيطه إلى غير لونه الأول ، كان بمثابة النار التي تشتعل في الجسم وتدمر فيه ، حتى تحيطه إلى غير
 حاله التقدمة . وهذا كلام مرضي في بابه ، إلا أن هنا نكتة أخرى ، وذلك أنه شبه انتشار الشيب
 بأشتعال النار في سرعة التهابه ، وتغذّر تلافيفه ، وفي عظام الألم في القلب به ، ولأنه لم يبق إلا
 الخلود بعده . فهذه الاستعارة البديعة هي التي لمجز القدرة عن الاتيان بمثلاً ، وما دون ذلك في
 الطبيعة ، قول أبي تمام :

ومعروض الحقيث يحقق بنفسه رايت كل دُجُجَةٍ وطفاء^(١)

فإن استدارة هذا البيت صالحة مرضية ، فلاستها ما استعيرت له ، طيبت جعل السحابة
 رايات كمن ذلك مناسبة ، لأن القديب^(٢) الذي يستعين للناظر في الجو عند المساء السحابة ،
 يكون مشابهاً لدواب الرايات . وأما قوله « يحقق » فهو أيضاً حسن مرضي ؛ لأن المرجح أنا
 هبت على الرايات خلقت ضوئها وجعلها دوابت كصور السحابة في المساء^(٣) وهو لها
 وانصبأها ؛ ولا سيما الوطفاء .

(١) أنظر ديوان أبي تمام ٣ م ٣ . ولعمري لم تذكر من اسم سرو عرس : الخول في كبر الشيب
 وليل أصله من « عرس بالعرس » ؛ لأن العرس « أنظر س ٩١ من خرج ديوان أو قام لشعيب الشعر يري
 بتعليل محمد عبده عزام . ملحة محمد علي صبيح وفي تدوين « قوله « بدلا من « بته » والدة : قم
 الطبق الريان للظم والرمضاء : الشعرية بطول استكة دلتها « علقوس » .

(٢) القديب من السحاب : اللؤلؤ الذي يدنو من الأرض ، وراه كلمة خيوط عند تصاب القمر « القاموس » .

(٣) في الأصل « صوفا » بلا واو .

ومن هذا النوع أيضاً قوله في الطير : -

صُيِّتَ فَرَاخُ الْمَاءِ يَبْسَى خَلْقَهَا قَسَمْتُ مِنْ حُسْنِ خَلْقِ الْآءِ

ألا ترى لك حسن هذه الاستعارة ؟ فانه ليس بشيء أحسن من قوله في الطير بأنها سبحة الخلق ، وذلك حيث تكون صرفاً لا يستطاع تزيينها ، ولا يمكن استغناها كالخلق للبيس ، الذي تعافه الأنفس ، وتستكره الأرواح . وقوله « حسن خلق الآء » أيضاً غاية في الجودة ؛ لأن الآء الصافي في سلاسته ، ولطافته جوهره ، شبيه بالخلق السهل الطيب . وأبدأ بوصف الأخلق الحسنة بالماء ؛ فيقال : « فلان أخلقاً من الآء » لأنه ليس في الأجسام الدركة بالبصر أخلق ولا أرق من الآء ؛ لأن النفس تجد لتأهده من اللذة ، والسرور ، والانبساط ، بالاختفاء به . ولهذا قال بعض الحكماء : « الآء من طبع الروح » . ومما يزيد قوله هذا ، ما ورد في القرآن الكريم : « انه قد ذكر الماء في مواضع كثيرة منه » ثم يذكر إحياء الأرض الميتة به ، كقوله تعالى : « والله الذي يرسل الرياح فتنفث من بقاها فتنفث الله الأرض بعد موتها كذلك النشور ^(١) » . فجعل الآء للأرض بمنزلة الروح للجسد .

ومن يذبح الاستعارة قول بعضهم :

بِأُطُودٍ حِلْمٌ خَلَّتْ مُعْتَصِماً بِهِ يَا بَحْرَ عِلْمٍ عَمْتُ فِي تَيْسَلِهِ

فان المناسبة بينها وبين ما استعيرت له شديدة جداً ، وذلك أن الحلم أسد في وضع التمسك ؛ فالتأي والتجأت ، وترك الانجبال بالعقوبة ، فما كان الطود ثابت الأصل راسخ القواعد ، لا يتحرك عن مكانه ، ولا يزول من مستقره حسبت استعارته للحلم ، لمساواة التمسك وتعمده . وههنا أسكنة أخرى ، وهو أن قوله : « أطود حلم » أبلغ في الاستعارة من أن لو قال « جبل حلم » لأن الطود هو الجبل العظيم ، وذلك أرسخ وأرسل أصلاً من غيره . وأما استعارته لنمل ^(٢) بجرأ فحسن لا خفاء به على من له معرفة بهذا الفن .

(١) سورة طه : الآية ٩٠ .

(٢) في الأصل « الجود » ولا ذكر للجود في البيت المشار إليه ، ولعلها من سبق فلم التمسك .

ومن هذا النحو قول امرئ القيس :

قللت له لما غطى بصلبه وأردف أهازجاً وقله بكلكل

وقد قال أبو القاسم ^(١) بن بشر الأسدي ، أن امرأ القيس وصف أحوال الليل الطويل ، فذكر استتاده وسطه ، وتناقل صدوره ، وترادف أهازجه ، وآخره ، قد جعل له وسطاً مختلاً ، وصدرأ قتيلاً ، وأهازجاً رادفاً لوسطه ، استعار له اسم الصليب ، وجمعه منطقياً من أجل امتداده . واسم الكلكل ، وجمعه نائياً لتناقله . واسم العجز ، من أجل موضعه ، فقال أبو محمد بن ^(٢) سنان : « إن هذا الذي ذكره أبو القاسم الأسدي ، ليس بترضي غاية الرضى ، وإن بيت امرئ القيس ليس من الاستعارة البصرة ولا الردية ، بل هو وسط . فإن أبا القاسم قد أوضح أن امرأ القيس لما جعل الليل وسطاً مختلاً ، استعار له اسم الصليب ، وجمعه منطقياً من أجل امتداده ، وحيث جعل له أخيراً وأولاً ، استعار له هجراً وكسلاً . وهذا كله إنما يحسن بعضه مع بعض ، فذكر الصليب إنما يحسن لأجل العجز . والوسط والتعليل لأجل الصليب . والكلكل لجمع ذلك . وهذه استعارة مبنية على استعارة أخرى ، هذا حكاية كلام أبي محمد بن سنان ، وهو مما أخطأ فيه من وجهين : الأول أنه قل : هذا البيت من الاستعارة الوسط ، التي ليست بوردية ولا جيدة . ثم جعلها استعارة مبنية على استعارة أخرى . وعنده أن الاستعارة المبنية على الاستعارة من ألحاح الاستعارات وأبعادها ، فانه قسم الاستعارة إلى قسمين : قريب مختار ، وبعيد مطروح . فالقريب المختار : ما كان بينه وبين ما استعير له تناسب قوي وشبه ظاهر واضح .

(١) هو الحسن بن بشر الأسدي . قال بقوت الهوي : « ولد بالبصرة وكان حسن الفهم جيد الدراسة ، والرواية ، سريع الأثر » وذكر له كتاب كثيرة منها كتاب « الموازنة بين البحري وأبي تمام » ، والذائق ، والخصف في أسماء الشعراء ، و « وقد عيّن الشعر » لابن طاطيا ، و « نثر الطوم » و « غلط قيسية بن جعفر في نقد الشعر » . و « معاني شعر البحري » و « الحاشي والتذك من معاني الشعر » وكان يضم الشعر ، وأول سنة ٢٢٦ هـ « معجم الأندلس » ج ٤ ص ٢٢٠ وما بعدها . و « بذية الزمان » ص ٢١٨ .

(٢) راجع كتابه : « سر الفصاحة » ص ١١٤ .

والبعيد الطَّلَح إما أن يكون لبعده عما استمر له في الأصل ، أو لأجل أنه استعاره منسوبة إلى
استعارة أخرى فيضطره لذلك .

هذا ما ذكره ابن حنبل في تقسيم الاستعارات . وإذا كانت الاستعارة التبية هي استعارة
أخرى عنده بعيدة ضعيفة ، فكيف جعلها وصفاً ؟؟ هذا يناقض في القول : فاعرفه .

الوجه الثاني : أنه ^(١) لم يأخذ عن أبي القاسم الأعمدي في موضع الأُحد ، لأنه لم يختار إلا
ما حسن اختياره ، وكان بديعاً في بابه . فإن الاستعارة قد ثبتت ^(٢) أنها جمع بين شيئين بمعنى
مشارك بينهما ، يكسب بيان أحدهما بالآخر . وهذا الحكم موجود في بيت امرئ القيس ، فإنه
لو لم يكن ليل صدر ، أعني أولاً ، ولم يكن له وسط وآخر لما حسنت هذه الاستعارة . ولما كان
كذلك استعار توسطه سلباً ، وجعله متعظيلاً . وجعل لصدره التناقل ، أعني أوله ، كالكلاب
وجعله ثانياً ، واستعار لآخره مجزأً ، وجعله رادفاً توسطه . وذلك من الاستعارات المناسبة ، التي
لا أجد فرقها فاعرفها .

وحيث ذكرنا للاستعارة المناسبة أمثلة يحتشبهها لترشيع لهذه الصناعة ، ويستعملها في كلامه ،
فيجب حينئذ أن يذكر القدم الآخر ، وهو غير المناسب ، ونضرب له أمثلة يعرف بها أيضاً ،
فمن ذلك قول أبي تمام :

يومٌ فتح سقى أسودَ الضواحي كُثِّبَ الموت رائيًا وحطياً ^(٣)

فإنه لا شيء أجمع من هذه الاستعارة ، ولا أشد تباعداً بينها وبين ما استعيرت له ، فأكفاه
أن جعل الموت كُثِّباً ، أي ثانياً ، وأحدها « كُثبة » حتى جعل بعضها رائيًا ، وبعضها حطياً .
ثم إن الموت من شأنه أن يستعار له ما يكره لا ما يستطاب .

(١) في الأصل « أن » . (٢) لعل الأصل « ثبت » .

(٣) انظر ديوان أبي تمام ، ص ٢٥ « طبعة محمد علي صبيح والبيروت من الطبعة مطبوعاً :

من سجعها القول أن لا تحبها فبواب من ملة أن تصوب

والكسب مع كسبة : ومثل - المدح من اللذ أو القليل أخص منه (راجع شرحه للبربري ص ١٢٩) .

ومن قبيح الاستعارة أيضاً قوله :

وتقاسم الناس السخاء مجزاً^(١) وذعبت أنت برأسه وسامه^(٢)

وتركت للناس الإلهاب وما بقي^(٣) من فريرهم وفروقه وعظامهم^(٤)

فالاستعارة للسخاء ، رأساً وساماً ، وإلهاباً وعظاماً وفروقه . وما قبح بذلك ، حتى استعار له فرقاً ، فصار السخاء جلاً على الحقيقة . وأمثال ذلك كثيرة .

ولا يحظر التأمل أو التأثر من سقطات تؤخذ عليه ، إلا أنه ينبغي أن تكون مقفورة في جنب ماله من الجيد الحسن ، لأن ذلك لا يخطأ من قدره في صناعته إذ العالم من أعمدة سقناته ، لا من أعمدة جبينه .

ومن الاستعارة البعيدة قول بعضهم :

ال ملك في أيسكة الجسد لم يزل على كبد المروف من كبته برز

فإن استعارته لمجد أيسكة ، أقرب مأخذاً من استعارته للمروف كبداً ، ولا كانت الاستعارتان من البعد على ما ذكره لك ، وهو أني أقول : قد عنت أن الاستعارة هي الجمع بين شيئين بمعنى مشترك بينهما يكسب بيان أحدهما بالآخر ، وهذه قاعدة مسئلة ، لا نزاع فيها بحال من الأحوال . وإذا كان الأمر كذلك ، فالجامع بين الجسد والأيسكة وجه بعيد . وذلك لأن الجسد في وضع الامة : هو الجسد الكريم ، أي الأصل الكريم . والأيسكة في وضع الامة : واحدة الأيتام ، وهو شجر ملتف ، فإما كان الجسد هو الجسد الكريم ، أي الأصل ، كان للأيسكة أصل أحيى استعارته لتعبد أيسكة من هذا الوجه ، وفيه بعد ، وسبب بعده ! أنه يسوغ لتسائل أن يقول : إن كل ما كان له أصل على هذا القياس يجوز أن يستعار له الجسد ، كقولنا : « جسد الجسد » و « جانيب الجسد » وغير ذلك مما له أصل ، وهذا بعيد جداً .

(١) آخر ديوان أبي تمام « ص ٢٢٥ » وما من قصيدة يمدح بها أبا سعيد الغنوي .

(٢) والاهاب بكسر الفزة : المجد . وثمرت : ما في الشكر من السرجين . واضر التثنية السال

« ج ١ ص ٤١٢ » .

وأما الاستمارة الثانية ، وهو قول الشاعر : « كبد العروف » فإن له هنا استعميت له ، وقبحها مما لا يمتدح فيه إلى الشرح لموضوعه وبيانه . وأمثل ذلك كثيرة لا تحصى . فعل المؤلف اجتنبها ، والعدل عنها .

الفروع الثاني من الفن الثاني

التشبيه

وحده أن يثبت لمثبه حكم من أحكام الشيء به . ويقال : هو الدلالة على اشتراك شيئين في معنى من المعاني ، وأن أحدهما يمدد الآخر وينوب منابه ، سواء كان ذلك حقيقة أو مجازاً . فأما الحقيقة ، فهو أن يقال في شيئين أحدهما شيء ^(١) بالآخر في جميع أوصافه ، كالسوادين والياضين أو ما جرى مجراها ، وليس هنا من غرضنا . وأما المجاز ، فهو أن يقال في شيئين أحدهما شيء بالآخر في بعض أوصافه كقولنا : « زيد أسد » فهذا القول سواب من حيث [كلام] ^(٢) العرب ، وداحل في باب اللماسة ، إلا أنه لم يكن زيد أسداً على الحقيقة .

وأعلم أن قاعدة التشبيه هي الكشف عن الشيء المقصود ، مع ما يكتبه من فضيلة الإيجاز والاختصار . والدليل على ذلك ما ذكرناه من قولنا : « زيد أسد » . فلنترض من هذا القول أن نبين حال زيد ، وأسه منتصف يتناول النفس ، وقوة البطش ، والشجاعة ، وغير ذلك مما جرى هذا المجرى . إلا أننا لم نجد شيئاً يدل به عليه ، سوى أن جعلناه مشبهاً بالأسد ، حيث صكأت هذه الصفات مختصة به ، ومقصورة عليه . فصار ما قصدناه من هذا القول ، اكتشف وأبين من أن لو قلنا : « زيد شهم » شجاع قوي البطش ، جرى الجنان ، وأشياء ذلك ، لا قدر حرف واحد من اجتناع هذه الصفات في التشبه به ، أعني الأسد ، فإنه معروف بها ، مشهور بكونها فيه ، واشتهر لها عليه . وأما التشبيه ، أعني « زيدا » فليس معروفًا بها ، ولا مشهوراً لها ، وإن كانت موجودة فيه .

(١) في الأصل « عليه » وهو من خطأ النسخ . (٢) زيادة الضلعاء السابق .

وأما الابهام فهو أن قولنا « زيد أسد » يصدق قولنا « زيد من حاله كيت وكيت » وهو من الشدة والشجاعة على كذا وكذا « مما يطول ذكره » وينبغي القول فيه . فأعترف ذلك . وأعلم أن تشبيه الشيء (بالشيء)^(١) لا يخرج من أحد قسمين : إما أن يكون التشبيه ، الشبه أحدهما بالآخر ، متفقين من جميع الجهات ، وإما أن يكونا متفقين من وجه دون وجه . فلو كانا متفقين من جميع الجهات كالسوادين والبياضين فليس هذا من غرضنا إذ لا كبير فائدة فيه . وإن كان اتفاقهما من وجه دون وجه ، فها إذاً مختلفان . فبقي كلامنا الآن على تشبيه شيئين مختلفين أحدهما بالآخر ، كقولنا : « زيد أسد » فن غرضنا من هذا ، أن تشبيه شهادة زيد وشجاعته وجرائته ، لا أن زيدا أسد من جميع الجهات . فإما لو أردنا ذلك لكان هو هو ، وهذا محال ، لأن زيدا ليس أسداً ، وأما هو إنسان . فأعترف ذلك .

وأعلم أن التشبيه يكون بأداته ، كالسكاف وكأن وما جرى هذا الجرى . ويكون بغير أداته ، وهو أن يحمل الكلام خطأً^(٢) منها ماحلاً لتقديرها فيه . وإذا جاء التشبيه بغير أداته كان أبلغ وأوجز . والدليل على ذلك ، قولنا : « زيد أسد » يعطى ظاهره من المعنى أنا أجربنا من زيد أنه أسد ، وذكرنا أنه هو . إلا أن حرف التشبيه في ذلك مقدر . وإذا قلنا « زيد كأنه الأسد » فتكون قد أعلمنا فيه حرف التشبيه ، الذي كان مخفياً^(٣) في الأول ، فيصير حينئذ تشبيهاً لزيد بالأسد . وفي الأول أنه كأنه قد جعل هو الأسد ، وحرف التشبيه مقدر فيه تقديرأ . فن هنا الوجه كل الأول أبلغ ، وأشد موقفاً في النفس . وأما كونه أوجز ، فلأن قولنا : « زيد أسد » أخفى من قولنا : « زيد كأنه الأسد » وإن كل المعنيين سواء . فأعترف ذلك .

وأعلم أنه لا يخرج التشبيه في تشبيه أحدهما بالآخرين من ثلاثة أقسام : إما تشبيه معنى بمعنى ، كالذي ذكرناه من قولنا : « زيد أسد » . وإما تشبيه معنى بصورة ، كقوله تعالى : « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة ... » الآية^(٤) . فشيء ما لا يدرك بالحواسة (بما يدرك بها)^(٥)

(١) زيادة يقتضيها المقام . (٢) في الأصل « منه » .

(٣) في الأصل « عيلاً » وهو من خطأ النسخ . (٤) سورة « النور » الآية « ٣٩ » .

وأما تشبيه سورة بصورة ، كقوله تعالى : ﴿ وَهِيَ الْجَوْارِ الشَّاتِاتِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ^(١) 》 .
 تشبه سورة أقسام الفلك في كبرها وعظمتها بالجبال ، وذلك تشبيه سورة مرثية بصورة مرثية ،
 وكل واحد من هذه الأقسام الثلاثة ، لا يخطر من ثلاثة أقسام أيضاً وهي :
 تشبيه مفرد بمفرد ، وتشبيه مركب بمركب ، وتشبيه مفرد بمركب :
 فالقسم الأول : تشبيه الفرد بالفرد ، وذلك كقول البحري :
 بُسِمَ " وقطوب " في شئ " وولغى " ^(٢) كالنيت والبرق تحت الماضى البرد
 فهنا من أحسن التشبيه وأقربه . وهو تشبيه سورة بصورة ، لا أن في هذا البيت إحلالاً
 في العينة من حيث الترتيب والتفسير ، فن الأول أن يقدم تفسير البسم على تفسير القطوب ،
 وسيأتي بيان ذلك في باب .

ومن هذا القسم أيضاً ، قول بعضهم في صفة السيوف والدرع :
 وَكَأَنَّمَا فَوْقَ الْأَكْفِ بَوَارِي وَكَأَنَّمَا فَوْقَ اللَّوْنِ بَهَاءٌ ^(٣)
 وهذا من بدیع التشبيه والاداء ، دعوهم . وكذلك قول بكر ^(٤) بن القطّاع :
 بِيضَاءُ نَسَجَ مِنْ قِيَامِ فَرْعِهَا وَتَنِيْبٌ فِيْهِ وَهُوَ تَجَنُّلُ أَسْحَمُ
 فَكَأَنَّهَا فِيْهِ نَهَارٌ سَاطِعٌ وَهَكَأَنَّهُ لَيْلٌ عَلَيْهَا مَظْلَمٌ
 وأمثال هذا كثيرة .

القسم الثاني في تشبيه المركب بآخر ، وذلك كقوله تعالى :

- (١) سورة الرمن ، الآية ٢٤ .
 (٢) هذا البيت من تصانيف مدح بها لما قيل مرثياً ، ومنها :
 أَوَّارَكَ مَرْكَبٌ لَعَبٌ لَعَباً وَلَمْ يَصْغِدْ مِنْ هَوٍّ حَرِيْبٍ وَلَا عَدُوٍّ وَلَا مَدَدٍ
 (راجع الترمذي ج ١ ص ١٠٢ طبعه مطبعة خيرية بصرى) .
 (٣) إملاء : جع أختاه وهي القبرع ، الجوهري في الصحاح الأمانة : تدوير والجمع أماناً مثل قتاة وقأء .
 وإملاء أيضاً يكسر والله كاهلوا : أكمة وأكك وأككم .
 (٤) يسكن بن الصالح أبو وائل الحنفي من بني حنيفة ، كان من عول شعراء العصر الأول من عبود
 بني الهباس ، يرمي بالتركز والادح والحفاصة . ودمر عازرون طرشيد وأخوك عهد الأيمن « مهديت النمر » لابن
 النمر ، ص ٩٩ - ١٠٤ وطرخ بغداد للطليط ، ج ٢ ص ٩٠ - ٩١ .

« إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أذاً أمرنا ليلاً أو نهاراً فنبهناهم على حسابها عسيراً كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهِ إِذِ انبَعَثَ أَفْقَاهِ » الآية ، فشبهت حال الدنيا بسرعة زوالها ، واقرض عبدها ، بعد الاقبال ، بحل نبات الأرض في جفافه ، وذهاب عطائها ، بعد ما خلف وتكاثر ، ورثين الأرض . وذلك تشبيه مسمى بصورة . وهو من أبداع ما يجيء في هذا القسم ، فاعرفه .

ومما جاء على نحو منه ، قوله عز وجل في حق المنافقين : « تَتَّبِعُهُمُ كَظَلٍ إِذْ سَأَلْتَهُمْ نَكُنْ أَوْ تُصَلِّ » (١) . بارأ فلما أصابت ما كونه ذهب الله بنورهم وتركهم في غفلتهم لا يفتشون » (٢) . تقديره : أن مثل هؤلاء المنافقين كظل رجل أوقد ناراً ، في ليلة مظلمة ، بفكرة ، فاستضاء بها ما حوله ، فانقضى ما يخاف وأمن ، فبنا هو كذلك ، إذ ملأت غره فيقضي مظلاً خائفاً متحيراً . وكذلك المنافق إذا أثار كفة الايمان استنار بها ، واعتز بعزها ، وأمن على نفسه وماله وولده . فإذا مات عاد إلى الطوف ، وبقي في العذاب والندمة .

واعلم أنهم لما وصفوا بأنهم استناروا بالضلالة بالمهدي عقب ذلك بهذا التخييل ، ليحل هدام الذي باعوه ، بالدار المضرة ما حول المستوفد ، والضلالة التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم ، يذهب الله بنورهم ، وتركهم في الضلالت ، ثم قال الله تعالى « مَسَّكُمْ بِكُمْ نُحُوسٌ » . كانت حواسهم سليمة ولم تكن لما ساءوا مساهمهم عن الاصابة ، وأبو أن يظفوا به المستنير ، وأن ينظروا وينبصروا بعبودهم ، أصبحوا كائنات أصابت هذه الخواص منهم الآفات ، وهذا من عجائب السند ، وخلق الله عند دعاء البيان ، خلقه فوطهم « لسوء » لسمجهم ، و « بحور » للسكرام وبعض علماء هذه الصناعة يجمعون ما كان على مثل قوله تعالى : « صمَّ بِكُمْ نُحُوسٌ » استعارة ، وليس كذلك كل (٣) الاستعارة مذكور ، وهم الناقون . والاستعارة إنما تطلق بحيث يطوى

(١) أنظر سورة يونس ، والآية ٢٤ - (٢) أنظر سورة البقرة ، والآية ١٧٥ .

(٣) قول الأصيل « لأن » أو « فان » .

ذكر المستار له ، ويجعل الكلام خلواً منه ، سالماً لأن يراد به القول منه والقول إليه نولاً
 دلالة الحال من غوى الكلام عليه ، وقد أقرنا إلى ذلك فيما سبق من باب الاستمارة ،
 فاعرفه . وهذا هو الفرق بين الاستمارة والتشبيه عند المحققين من علماء البيان . ومن هنا
 القسم قوله :

بكيت عليه حين لم يبلغ النى ولم يرد من ماء الحياة للكدر
 كأن دم أنجلا ، ^(١) تحت بروده لطيفة مسك في إهاب فضفر ^(٢)
 وكذلك قول أبي الطيب التتبي :

كأن الجفون على مقالي ثياب شقق على ثاكي ^(٣)
 ولقد أحسن بعض البغداديين في قوله :
 يا طالباً عجائب الأمور فقرة ^(٤) في الدرع ذي القنير
 وقيل رأيت البحر في غدور

ومن هذا البحر قول ابن النمر :

والصبح ينور الشفوي فكانه مهران يمشي في الدجى بسراج
 وقال مؤلف الكتاب في صفة سقاة الخمر « فأخذنا في معاملة ^(٥) الرحيق ، ما بين الأكواب
 والأباريق . يطوف بها علينا ولذان ، يعجز عن وصفهم فنسب وسحبان ، فكانهم في أيديهم
 الكؤوس ، أفار تسمى بشموس » وكذلك قوله أيضاً في صفة ركة النيلوفر ، من جهة رسالة
 عملها في الربيع « فأثينا إلى روضة ذات ثلج ونجرج ، وبركة نيلوفر كأنها مداهن من المسجد .

(١) في الأصل « النجلا » وهو من ضد الناصح ، والنجلا : النضة طروسة .

(٢) اللطيفة : شعر في ثعلب الطيب وز النيلة وقد أراد بها عاها : الخلب غصه . ولاعاب :
 الجلد . والفضفر : الأسد .

(٣) من قصيدة له في مدح الأمير سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان ملخصها :

للام طاهرة المسالك ولا رأي في الحب العاقلي ؟

راجع « الديوان » ص ٢٥٨ . تلعة عيد الزهاب غرام محبة لجة التأليب والدرجة يحصر .

(٤) هكذا وردت في الأصل . (٥) النصب « تعالي الرحيق » .

على قلب من الزرجد ، أو كأنه وهو في اللاء يعوم ، مما أشرقت بطالع النجوم » ، وله من
مرثية قلنا في بعض الأصدقاء :

لم يكتب غير لنا والحد في حياته
أبقى لنا ملاحياً نشر في حياته
كالرند يفتي عرفه بعد ذهب ذاته

وأنجب ما سمعت في هذا الباب ، قول الحسين بن مطير الأسدي^(١) برقي ممن بن زائدة^(٢) :
فتي عيش في معروجه بعد موته كما كان يعد السيل مجراه قبلها^(٣)
فأعرف ذلك وقس عليه .

(١) في الأصل « الأرض » وليس مصوابه ؛ وكان أسدياً بالولادة وهو من حضرمي بلوطين الأنسية
والعباسية ، وله أسدوخ في رسلها ، وكان زيه وكلمته كزي أهل البادية وكانهم . توفي بعد ممن بن زائدة ،
وله رثاء فيه ، وكانت وفاته في نحو سنة ١٦٦ هـ . فوات الوفيات ج ١ ص ١٤٤ .
(٢) هو أبو يزيد ممن بن زائدة بن عبد الله الشيباني . من أشهر نواد العرب وأجودهم . وأحد
التهجدان الغلاء ، أحد المصنفين الأموي والعباسي ، وكان في العصر الأموي مكرماً ينتقل في الولايات ، فلما
صار الأموي إلى بني العباس طلبه المصور فاستقر في البادية ، حتى كان يوم القاضية ، وقرر جماعة من أهل شرسان
على المصور فدافع عن المصور ، فحبسها المصور له وولاه أسرة سجستان ، فأقام فيها مدة ثم قتل طيلة .
والشعراء فيه المخرج وصرفت كثيرة . وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٢٩ . من طبعة بلاد العجم .
(٣) من كلمة رويح أبو عامر في باب الحاسة ، وأولها قوله :

لنا على ممن وفولاً لفره سكتك القوافي مرها ثم مرها

أنظر شرح التبريزي ج ٢ ص ٣٩٠ . وأنظر حاشية « لائل الدائر » ج ١ ص ١١٣ طبعة الباني
الحلي سنة ١٩٣٩ .

القسم الثالث

في تشبيه الفرد بالركب لمن ذلك قول بعضهم :

كأن السَّهْبَ ^(١) إنسان مبرر غريبة من الجمع يدو كلاً ذَرفت ذَرفاً
ومن هنا القسم قول الآخر في الورد ^(٢) الجُبْدُ :

أنتك أيا حسن ^(٣) وردة نَفَى النفوس بالغاها
كعتواء أبصرها مبصر فدت يدها على رأسها

وقد ورد (كثيراً) ^(٤) أمثال ذلك ، وفي ذكرناه كغاية .

وحيث تكلمنا في التشبيه الجيد وبتاء . فيبني أن أوضح التشبيه الردي . ليجتنبه مؤلف الكتاب ^(٥) ، فنقول :

اعلم أن التشبيه الردي . هو أن يكون ، بين التشبه والتشبه به ، بعد وتباين ، وذلك كقول بعضهم في السهام :

كسأها رطيب الریش فاعتذلت لها ففاح كأعتاق الأطباء القولوق

فإنه قد شبه السهام بأعتاق الأطباء ^(٦) ، وذلك من أبعد التشبيهات وأكثرها تبايناً . وما جرى هذا المجرى ، قول أحد الأعراب :

(١) السَّهْبُ ويكتب بالذَّاء الثالثة أَيْماً ، كوكب خفى يصعب الراس به أضراراً . وإنسان العين : الشاة التي يراه في السواد .

(٢) في الأصل : في الورد المـ . ولعل الصواب به أَيْتاء . والورد الجُبْدُ على وزن فَعْلٍ هو الذي لم يفتح . وهو معروف إلى اليوم بقصده ، الواحدة جُبْدَةٌ .

(٣) في معجم الأندلس لياقوت الحموي : ج هـ س ١٠٥ . من طبعة من مخطوطات « أبا عمر » والبيانات تساعد من الحسن الحموي ليعتدي . زيل الأندلس أمام أبي عمر للصور محمد بن أبي حاتم السكيتي على الأندلس ، فالكتابة للصور المذكور . ولتتم غير ما ذكره هناك .

(٤) زيادة يفضيها الساق . (٥) أراد بالسكيب « الكتابة » . (٦) في الأصل « العلي » .

تملا حاجبيه الشَّعر حتى كأنه طياء جرت منها سنيح^(١) وبارح
 تشبه شعرات يميناً في حاجبيه بقطباء سوانح وبارح ، وهو تشبيه جيد جداً . وأمثال ذلك
 كثيرة فأعرفها .

واعلم أن الأصل في حسن التشبيه هو أن يمثل الأُسْتَر بالأظهر وتغير المقادير بالتعدد المعروف ،
 وذلك لأجل إضحاك القاصود ، وبيان المعنى المراد .

ويظهر أيضاً حسن التشبيه في غثيل الشيء بما هو أعظم منه ، وذلك لأجل اللياقة والذوق .
 وأعلم أن من التشبيه ضرباً يسمى : « قَلْبِيَّة »^(٢) القروح على الأصول ، وهو ضرب من
 الكلام طريف ، لا تكاد تجد شيئاً منه إلا والفرض به اللياقة ، فهاجاء من ذلك قول ذي الرمة :
 ورمي كأوراك البذاري قطمته إذا ألتسته للظلمات الحادس

ألا ترى إلى ذي الرمة ، كيف جعل الأصل قرعاً والفرع أصلاً ؟ وذلك أن العادة والعرف أن
 تشبه أجهز النساء بكتبان الأختاء ، وهو مقرر في باب ، كقول البحرني :

أين الفزال الصغير من النقا كفلا ومن نور الأقاعي ميسا^(٣)
 فقلب ذو الرمة العادة والعرف في هذا ، تشبه كتبان الأختاء بأجهز النساء ، وذلك كأنه^(٤)
 يخرج غرض اللياقة ، أي قد تمت هذا للوضع وهذا الذي لأجهز النساء ، وصار كأنه الأصل
 فيه ، حتى شبهت به كتبان الأختاء . ومثل ذلك قول بعضهم :

(١) في الأصل « سنيح » وهو من تصحيف السنيح ، والسنح هو السانح ، والسانح : الخالط . وسنح
 الخيل سنوحاً ضد برح ، أي من من الجهة البرية ، ولها دلالة على ليس عدوهم . والسانح : ضد البارح ، لأن
 البارح يمر من الجهة اليسرى ، وهو دليل على النوم .

(٢) في الأصل « غلية » وهو من ضلأ التناسخ

(٣) هو أبو المظفر طيخان بن غيبة القسري من طوّل الطبقة الثانية من شعراء عصره ، أكثر شعره
 لادبيب وبكاه أمثال وكان يذهب في ذلك مذهب الجاهلین عشق في التفرقة واشتهر بها . وكانت وفاته
 بدمشق سنة ١١٢ هـ . وله « وليات الأعيان ج ٢ ص ٤٤٠ » من طبعة بلاد المصم .

(٤) من تصحيف يمدح بها أحمد وإبراهيم ابني لغير مطلقها :

أعني سلسي بكلمة أسفاً وأعلم أن الجوى ما عجزنا

(٥) في الأصل « لأنه » .

في طلبة البدر شيء من ملاحظتها ، والقضيب نصيب من كنفها
ونظائر هذا أكثر من أن تحصى ، فاعرفه . ولا شاع ذلك في كلام العرب والسع صلو
كأنه أصل من ^(١) بابه .

الفرع الثالث

من الباب الأول في شجاعة العربية

وهو نوع من علم البيان تشككنا طلائفه ، وتنويع محاسنه ، لأن معظم البلاغة متدرجة في
أنتائه ، ومنطوية تحت ضروبه ، إلا أني لم أجده شيئاً منه عند أرباب هذه الصناعة ، ولا وجدته
في كتاب مصنف في هذا الفن ، سوى أني رأيت أبا الفتح عثمان بن جني قد ذكر ، في كتابه
الموسوم بالخصائص ، شيئاً من التقديم والتأخير ، والخلط على المعنى لا هير ، وقد ذكرنا نحن في
هذا النوع أشياء عجيبه ، وسكتاً طريفة ^(٢) ، عثرنا عليها في أثناء القرآن الكريم ، وأعلم أن
هذا النوع ينقسم ستة أقسام :

النقسم الأول في مزاياها ^(٣)

(الانفعات) الرجوع من القية إلى الخطاب ، ومن الخطاب إلى القية ، بفعل ذلك على عادة
العرب في افتنائهم في الكلام ، وفيه فوائد كثيرة ، لأن الكلام إذا قل من أسلوب إلى أسلوب
كان أحسن نظرية لنشاط السامع ^(٤) ، وإيقاظاً للاسماء إليه ، من إجرائه على أسلوب واحد ،
وليس يفضل ذلك انشاعاً فقط بل لأمر أعلى ، ومهم من الغرض أعين ، فلما الرجوع من القية
إلى الخطاب فذكر قوله تعالى في سورة القامحة : « الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين
إليك نعبد وإليك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم

(١) لن الأصل « في بابه » .

(٢) في الأصل « طريقة » . (٣) راجع للمثل السائر ج ٢ ص ٤٤ .

(٤) هذا رأي الخليلي في الانفعات ، وقد قدح ابن الأثير فيه في « للمثل السائر » ج ٢ ص ٤٤ .

ولا الضالّين » ، هذا رجوع (من) التّية إلى الخطاب وما يخص به هذا الكلام من القوائد ، أنه ذكر الحقيق بالحد وأجرى عليه تلك الصفات المظان من الرّبوبة العامة ، وللك الخاص ، فلم العالم بعلوم عظيم الشأن ، حقيق بالموضوع له ، والاستقامة في الهيات به ^(١) فخطوب ذلك للعلوم الموصوف بتلك الصفات قليل : إليك نبيد يا من عطف صفاته ، أي تخص بالعبادة والاستقامة ، ليكون أدلّ على العبادة ، لتلك التّيز الذي لا تحقق العبادة إلا به ، فإن قوله « إليك تعبد وإليك نستعين » بعد قوله « الحمد لله رب العالمين » ليس العدول فيه من التّية إلى الخطاب اتساعاً إنما يدلّ إليه لفائدة حسنة ، وذلك لأن الحمد لله دون العبادة ، ألا تراك تحمد نظيرك ولا تعبد . فلما كان الحال كذلك استعمل ^(٢) لفظ « الحمد » توسّطه مع التّية في الخبر ، فقال : « الحمد لله » ولم يقل « لك » ، ولما صار إلى العبادة التي هي أقصى الطاعات قل « إليك تعبد » فخطب المباد بصراحها ، وتقرباً منه . عز ^(٣) اسمه . بالانتهاء إلى حمدوه ^(٤) منها وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال « صراط الدين ألتبت عليهم » فأصرح بالخطاب لـ ذكر النعمة ، ثم قال « غير المنضوب عليهم » ولم يقل « غير الذين عصب عليهم » لأنّ الأول موضع التّرب من الله يذكر لعمه ، فصار إلى ذكر النّضب قل « غير المنضوب عليهم » جاء باللفظ مصحّراً به عن ذكر النّضب ، فأحسن النّعمة إليه لفظاً ، وزوى عنه ذكر النّضب تحسّناً ^(٥) وإظافاً ، فإظفر إلى هذه اللّغة الشريفة وتناسب هذه اللّغائي الطّيفة التي الأقدام (لا) تكاد تظاها ، والأفهام مع قربها سالحة عنها .

ومن هذا الجنس قوله تعالى « وقلوا أنخذ الرحمن ولما لقد جثتم شيئاً إداً » ^(٦) فتوبه « لقد جثتم » وما فيه من الخطابة بسد التّية زيادة تشكيّل عليهم ، بالجرأة على الله . عز وجل .

(١) زيادة الخضاعا السباك .

(٢) في الأصل « الفصل » والصحيح من لقل السائر « ج ٢ ص ٦ » .

(٣) في الأصل « عن » والصحيح من لقل السائر .

(٤) في الأصل « معدودة » والصحيح « من لقل السائر » .

(٥) في الأصل « تحسناً » والصحيح من لقل السائر « ج ٢ ص ٦ » .

(٦) من « لقل السائر » ج ٢ ص ٦ . (٧) أنظر سورة « صرم » الآية « ٨٩ » .

والتعرض لسطوة ، وتنبيه لهم ، على مقام ما لا قوة . وأدلى هذا كثيرة فحرقه .

وأما الرجوع من الخطاب إلى القلبية فقله — عز اسمه — « هو الذي يستبرئكم في البحر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجريتم بهم ريح طيبة وفير حواشيها جاتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وضوا أنهم أحبط بهم فآمنوا الله فخلص له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين » (١) ألا نرى كيف صرف الكلام هاهنا من الخطاب إلى القلبية ! وإنما فعل ذلك لقائده ، وهو أنه ذكر لتبرهم صلهم ليعجبهم منها ، كالمظهر لهم ، ويستدعي منهم الانكار عليهم والتوبيخ ، ولو قال : حتى إذا كنتم في الفلك وجريتم بهم ريح طيبة وفرحت بها . وساق الخطاب معهم إلى آخر الآية ، لذهبت تلك القائده التي أوجدها خطاب القلبية ، وإيس ذلك بخلاف عن (عارف) هذا الكلام فحرقه .

ومن هذا الجس قوله تعالى « لن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاقنوا ونقطعوا أمرهم بين أنفسهم كيئ الباء راجعون » (٢) . الأول في قطعوا « فاقنوا » عطف على الأول إلا أنه صرف الكلام من الخطاب إلى القلبية على طريقة الالتفات ، كأنه يلقى عليهم ما أصدره إلى قوم آخرين ، ويقبح عندهم ما أصدره ، ويقول : ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله ، ففعلوا أمر دينهم إلى ما ينهم فعلموا ، وذلك تشبيل لاختلافهم فيه وتباينهم ، ثم توعدهم بعد ذلك بأن هؤلاء للفرق المختلفة إليه يرجعون ، فهو هازيهم على ما فعلوا .

ومما يخرط في هذا السلك أيضاً قوله تعالى « يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض فآمنوا بالله ورسوله النبي الأنبياء الذين آمنوا بالله وكانه » (٣) الآية . قال : « فآمنوا بالله ورسوله » ولم يقل : « آمنوا بالله ورسوله » ، حيث دل أولاً : إني رسول الله إليكم ، لكي يجري عليه الصفات التي أجريت عليه وليعلم أن الذي وجب الإيمان به والاتباع (له) هو هذا الشخص المستقل بالله النبي الأنبياء ، لا يي يؤمن بالله وكانه ، كأنه من كان أنا أو غيره ،

(١) سورة « يونس » الآية « ٢٤ » . (٢) سورة « الأنبياء » الآية « ٩٣ » .

(٣) سورة « الأعراف » الآية « ١٥٨ » .

إظهاراً للنصف ، وبعد عن التصعب لنفسه ، قرر أولاً في صدر الآية ، بأنه رسول إلى الناس ، وأثبت ذلك في أنفسهم ، ثم أخرج كلامه من الخطاب إلى معرض النبوة ليرد بين حكامهم ، وذكرها .

الضرب الثاني : الرجوع من الفعل المستقبل إلى فعل الأمر ، بفعل ذلك تعظيماً لحال من أجري عليه فعل الأمر ، فإما جاء منه قوله تعالى « يا عهود ما جعلنا بيننا وما نحن بشركي آلهتنا من قولك وما نحن لك بؤمنين » إن قول إلا اعتراك بعض آلهتنا صوم ، فل إني أشهد الله وإنهموا أبي بري مما شركوك ^(١) . ولم يقل « وأشهدك » ليكون مؤلفاً له وبعبارة ، لأن إني أشهد الله على البراءة من الشرك صحيح ثابت في معنى ثبت التوحيد ، ويشد معانده . ولما إنشأهم فما هو إلا شهابون يدينهم ، ودلالة على قوة البلاء بهم ، ولذلك عدل به عن لفظ الأول ، لاختلاف ما بينهما ^(٢) وجيء به على لفظ الأمر ، كما يقول الرجل لمن يس التري ^(٣) بينه وبينه : أشهد على إني أحببت . وهكذا به واستهانة بحاله . وأمثال هذا كثيرة فاعرفها .

الضرب الثالث : الرجوع من خطاب التنبيه إلى خطاب الجمع ، ومن خطاب الجمع إلى خطاب الواحد .

فمن ذلك قوله تعالى « وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً . واجعلوا بيوتهما قبلة ، وأقيموا الصلاة ، وبشر المؤمنين ^(١) » . ألا ترى إلى هذا المعنى والتوسع في الكلام فانه نوح الخطاب ، ففتح ثم جمع ثم وحد ، فخطب موسى وهارون - عليهما السلام - بالبركة والاختيار ، وذلك لما يمتحن إلى الأنبياء . ثم ساق الخطاب لها والقودها بأخذ المساجد ،

(١) سورة هود - الآية - ٥١ .

(٢) في الأصل - جنباً .

(٣) في الأصل - رجل لم ينس الربى بينه وبينه . والراء بالأصل كتابة عن التباين .

(٤) سورة يونس - الآية - ٨٧ .

وأقمة الصلاة ، كأن ذلك واجب على الجمهور ، ثم خص موسى - صلوات الله عليه - بالبشارة التي هي النرض ، نظيماً له ، ونفخياً لا مرمه ، ولأنه الرسول على الحقيقة .

ومن هذا النوع قوله تعالى : حكاية عن حبيب التجار « مالي لا أبعد الذي فطرني وإليه ترجعون »^(١) هذا عدول عن خطاب الواحد ، إلى خطاب الجماعة . وإنا صرف الكلام عن خطاب نفسه إلى خطابهم ، لأن أبرز الكلام لهم في معرض التواضع لنفسه ، وهو يريد مناصحتهم ، ليألف بهم ، ويدارهم ، ولأن ذلك دخل في إحصاء النصح ، حيث لا يريد لهم إلا^(٢) ما يريد لنفسه ، وقد وضع قوله : « مالي لا أبعد الذي فطرني » مكان قوله : « وبالسك لا تبعدون الذي فطركم » ألا ترى إلى قوله « وإليه ترجعون » ولو لا أنه قصد ذلك لقال : الذي فطرني وإليه أرجع ، وقد ساقه ذلك الساق إلى أن قال « تعالوا بني آمنت بربكم فاصموني »^(٣) يريد فاصموا قولي وأطيعوني ، فقد نهتكم على الصحيح الذي لا يعمل عنه ، لأن العبادة لا تصح إلا لمن منه مبتدؤكم ، وإليه مرجعكم .

فانظر أيها القائل لكتابنا هذا ، إلى هذه الدقائق التي أشرنا إليها في غصون هذا الكلام ، قل فيها ما شئت من الطائفت الطليقة ، والفوائد العجيبة .

القسم الثالث من النوع الثالث

في الأخبار عن الفعل الماضي بالضارع ومن العمل المضارع بالماضي

وهو قسم من التأليف ، لطيف المأخذ ، دقيق المنزى ، فالأول : الأخبار بالفعل المضارع عن الماضي ، أعلم أن الفعل المضارع لما أتى به في حل الأخبار من وجود الفعل كان ذلك أبلغ من الأخبار بالفعل الماضي ، وذلك لأن الفعل المضارع يوضح الحال التي يقع فيها ، ويستحضر^(٤) تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها ، وإيس كذلك الفعل الماضي ، فما جاء قوله تعالى : « والله الذي أرسل الرياح فتفرج سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيننا به الأرض بعد موتها كذلك

(١) سورة « يس » الآية « ٢٢ » . (٢) في الأصل « بما » ولا حاجة إلى الياء .

(٣) سورة « يس » الآية « ٢٥ » . (٤) في الأصل « واستحضر » .

البشر^(١) » فإنه إنما قيل فتبر سحابة ، مضارعاً ، وما قبله وبعبده ماضٍ ، لذلك المني الذي أشرنا إليه ، وهو حكاية الحال التي^(٢) يقع فيها إثارة الريح السحاب ، واستحضار تلك الصورة البدئية ، الدالة على القدرة الباهرة ، وهكذا يفتلون بكل فعل فيه نوع تميز وخصوصية ، بحال تقترب أو تبهم المخاطب أو غير ذلك كما قال تأبط شرأ : -

فني قصدت لبيت القنوك تهوي بهب^(٣) كالاصحيفة مصححان
فأشربها بلا دهن نظرت صريهاً للبدن والجوارث^(٤)

لأنه قصد أن يسود لقومه ، الحال التي تشجع فيها على ضرب القول ، كأنه يفتخرم إلهاء ، ويظلمهم على كثرتها مشاهدته ، لتعجب من جرأته على ذلك القول ، ونباته عند تلك الشدة . ولو قال فصربتها لزالَت هذه الفائدة التي ذكرناها وسببنا عليها .

ومن هذا السبب قوله تعالى « أَلَمْ نَرِ أَنْ اللَّهَ أَرْكَبَ مِنَ السَّحَابِ مَا تَصْبِغُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ^(٥) » ألا ترى كيف عدل عن لفظ الماضي ها هنا إلى المضارع فقال « تَصْبِغُ » وذلك لإفادة بقاء المطر زمناً بعد زمناً كما يقال « أُنسم على فلان » ما مكننا فأروح وأفعدو شكراً له » ولو قال « فُرُشت وعتدوت شكراً له » لم يقع ذلك الوقع ففهم ما أشرنا إليه وتدير دقائقه .

وأما الإخبار بالفعل الماضي من المضارع ، فهو عكس ما تقدم ذكره ، وفائدته : أن الفعل الماضي إذا أحبر به من الفعل للمضارع إذا لم يوجد بعدد ، كلل أبلغ وأكد ، وأعظم موقفاً

(١) سورة قاطر ، الآية ٩ .

(٢) في الأصل « لشي » وقد رجحنا « لشي » لأنه جاء بضمير الحال مؤنثاً بقوله « فيها » ولأنه تأتيت الحال هو الترجيح الأقوى .

(٣) في الأصل « بهب » والاصح « من لك السائر » ج ٢ ص ١٦ . والمبوب : الأرض المنوية والجمع سهوب . والمصححان : الأرض الواسعة المنوية ، وقد استعملها وصفاً للهب . واليتان من كفة لأبط شرأ أولها قوله :

ألا من مبلغ جبينهم بما لايت عسد وحى جبين

« أهل الأمان ج ١٨ ص ٢١٠ طبعة بولان » انظر مقدمة لكى السائر » ج ٢ ص ١٦ .

(٤) الجرن : مقدم النقي . (٥) سورة الحج ، الآية ٦٣ .

وأخر شأناً . لأن الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان وجود وصار من الأمور المتعارف بها ، المحكوم بكونها وحدوثها . والفرق بينه وبين الأخبار بالفعل المضارع عن الماضي ، هو أن الفعل الماضي يخبر به عن المضارع ، إذا كان المضارع من الأشياء الماضية . التي لم توجد ، والأمر المتعاطفة التي لم تحدث ، فيجمل^(١) عند ذلك مما قد كان ووجد ، ووقع الفراغ من صحونه وحدوثه . وأما الفعل المضارع إذا أخبر به عن الماضي ، فإن الفرض بذلك تعيين هيئة الفعل ، واستحضار صورته ، ليكون السامع كأنه يراها ويشاهدها . فهذا هو الفرق بين الأخبار بالفعل المضارع عن الماضي (وبالمضارع عن الماضي)^(٢) وأخره .

ولرجع إلى ما نحن بصدد ذكره من الأمثلة للأخبار بالفعل الماضي عن المضارع ، فنذكر ذلك قوله تعالى : « ويوم يسفخ في السور فزع من في السموات ومن في الأرض إلا ما شاء الله وكل أتوه داخرين^(٣) » فإنه إنما ذل : « فزع » بلفظ الماضي بعد قوله « خلق » وهو المستقبل ، للاستعداد بتحقيق الفزع وثبوته وأنه كائن لا محالة ، واقع على أهل السموات والأرض ، لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل ، وكونه متعارفاً به .

ومن هنا الجس قوله تعالى « ويردوا لله جميعاً^(٤) » « فبرزوا » بمعنى يبرزون ومن القيامة ، وإنا جئ . بلفظ الماضي ، لأن ما أخبر الله به لسدقه وحمته كأنه قد كان ووجد . ومثل ذلك قوله : « من آمنه » « أتى أمر الله فلا يستعجلونه^(٥) » فإن « أتى » هنا بمعنى « يأتي » وإنا حسن فيه لفظ الماضي ، لسدق إثبات الأمر ودخوله في جملة ما لا بد من حدوثه ووقوعه ، فصار « يأتي » بمنزلة قد أتى وبضئ ، وكذلك قوله تعالى : « ويوم يسير الجبال وترى الأرض بارزة ، وحشرناهم فلم نغدر منهم أحداً^(٦) » « فإنا قل » وحشرناهم « ماضياً بعد « يسير » « وترى » وهما مستقبلاان للإشارة على أن حشرهم قبل التسير والبرز ، ليعانوا

(١) في الأصل « فجمل » . (٢) زيادة الضاعف اليك .

(٣) سورة النمل الآية ٥٢ . (٤) سورة إبراهيم الآية ٢١ .

(٥) سورة النمل الآية ١٠ . (٦) سورة الشكف الآية ٧ .

تلك الأحوال ، كلفة ، قال : « وحشرهم » قبل ذلك .

ومما يضطر في هذا السلك الإخبار باسم المفعول عن الفعل المضارع ، وأما فعل ذلك فضمته
معنى الفعل الماضي ، وقد سبق الكلام عليه ، فمن ذلك قوله تعالى « إن في ذلك الآية لمن خاف
عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود »^(١) فإنه إنما آو اسم المفعول
ها هنا على الفعل المضارع لما فيه من الدلالة على ثبات معنى الجمع اليوم ، فإنه لا بد من أن يكون
معيداً مفعولاً يجمع الناس وأنه^(٢) موصوف بهنـه الصفـة ، وإن شئت فقل إن يـنـه ويـن قوله
تعالى : « يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم الثـنـان »^(٣) فإتـك تعـر على صـة ما قلـت .

القسم الثالث من النوع الثالث في عكس الظاهر

اعلم أن هذا القسم من مشكلات علم البيان ، وأسراره الترتيبية ، وخفاياه المستفزة المعجبية ،
وهو مما لم يذكره أحد من مؤلفي هذا الفن في كتابه ، ولا أشار إليه ، وسبب القدر بذكره في
هذا الكتاب ، أما عرنا على ذلك في كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه - في وصفه
بجلس النبي - صلى الله عليه وسلم - فعند ذلك طيفنا به مثلاً أو نظيراً ، في كلام العرب وأشعارهم
فظهرنا بذلك ، وأوردنا الكلام أنواره عن علي - رضي الله عنه - ثم أتبعناه بما جاء عن
العرب في ذلك ، فإنه مما يستغرب ويستغرب ، لأن العرب قد توسعوا في كلامهم ، وتجاوزوا
إلى غاية ، يذكرون كلاماً يدل ظاهره على معنى ، وهم يريدون به معنى آخر عكسه وخلافه .
والأصل في ذلك ، أنك تذكر كلاماً يعطى معناه أنه نفي أصلة شيء قد كان ، وهو نفي للموصوف
أنه كان أصلاً . فأما قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه - في هذا الباب ، فإنه وصف
بجلس النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا ننـي^(٤) فلانة » أي لانتفاء فلانة ، ألا ترى إلى ظاهر

(١) سورة هود الآية ١٠٣ .

(٢) في الأصل : وأما ، وتصحيح من لفظ السائر (ج ٢ ص ١٩) .

(٣) سورة الثـنـان الآية ٩ .

(٤) في الأصل : نـي ، وهو من تحريف المسامح ، ومن الحديث كما في الثـنـان : ج ١ ص ٣ من
الطبعة القديمة « جلس سلم وحراء وسر وأدانة ، لا ترفع فيه الأسراب ، ولا تزين فيه الحرم ولا ترفقائه ،
إذا تكلم أمر جلدته كان على رؤوسهم الطير ، إذا سكنت تسكنوا ، ولا يقبل أثناء إلا من مكاف » .

ذلك : أن ثم فئات غير أنها لا تضاع ، وليس الزاد ذلك ، بل الزاد أنه لم يكن ثم فئات أصلاً ، فتضاع ، وهذا من أعجب ما وقفت عليه في علم البيان وأطره .
وأما ما ورد عن العرب في هذا الباب ، فتصو قول الشاعر (١) :
« ولا ترى الضبُّ بها ينحجر » (٢) .

فلان ظاهر المعنى من ذلك يعني أنه قد كان هناك ضب إلا أنه غير منحجر ، وليس كذلك بل للمعنى المقصود ، هو أنه لم يكن هناك ضب أصلاً فينحجر . فاعرف هذا ، وقس عليه . وله أشياء كثيرة في كلامهم وأشعارهم ، وغيا أنمرا إلى كتابه ، لن لا لب ومعرفة .

انضم المراجع من النوع الثالث في المحل على المعنى

وذلك كتابت المذكر وتذكير المؤن وتصوب معنى الواحد للجماة ، والجماة للواحد ، وحل الثاني على اللفظ الأول ، أصلاً كل ذلك اللفظ أو فرعاً ، وغير ذلك .

اعلم أن هذا القسم من التأليف دقيق السلك ، بعيد الذهاب ، يحتاج إلى فضل معسودة وزبادة تأمل ، وقصد ورد في القرآن الكريم ، وفيصيح الكلام متطوراً ومنظوماً . فلما تأملت المذكر فكقول الشاعر :

أنهجر بيتاً بالحجاز تلفتُ به الخوف والأعداء من كل جانب
ذهب بالخوف إلى الخافة ، وقال الآخر :
يا أيها الراكب للرجسي مطبحةُ سائر بني أسد ما هذه الصوت

(١) الشاعر هو أوس بن حجر .

(٢) هذا بيت ، صدره في وصف مظلة :

لا ينزع الأربأ أهواها ولا ترى الضبُّ بها ينحجر

انظر حاشية ص ١٦٣ من الجزء الثالث من « الأضاح » طبعة الجامعة السورية سنة ١٩٦٩ .

وقال البيهقي في « النقي » من مصباحه للبر : « ولم طريقة أخرى مرووفة وهي عن الوصف فيلحق ذلك الوصف بأفعاله ، فقولهم « لا رجل ثم » معناه لا رجل موجود فلا قيام منه ، قال امرئ القيس :
« على لاصب لا يجدي بخله »

أي لا صار فلا عناية به ، وقال الشاعر : « لا ينزع الأربأ ... » أي لا أربأ فلا يلزمها هول ولا ضب فلا انجبار ، وشرح على هذه الطريقة قوله - تعالى - « ما تعلم شفاعة الشافعين » أي لا شفاعة فلا شفاعة منه ، وكذا « لم عهد تزويها » أي لا عهد فلا رؤية . وكذا « لا يبالون منس الشاة » لا سؤال فلا إخطاف .

فانه ذهب بالصوت الى الاستغناء ، واعلم أنه قد كثرت عن العرب تأنيث فعل المضارع الذكر
 لما كانت يضافه الى مؤنث ، وكان المضاف بعض المضاف اليه أو منه أو به ، ولذلك قرئ قوله
 تعالى « لَا تَسْمَعُ نَفْسًا مِنْهَا » ^(١) . والتأنيث فأنت فعل الإتيان إذ ^(٢) كل من النفس وبها .
 وأمثال ذلك كثيرة فاحرصه .

وأما نذ كبير المؤنث فشايع في كلام العرب كقوله تعالى « فلما رأى الشمس بازغة قال هذا
 ربي » ^(٣) أي هذا الشخص أو هذا المثل . وكذلك قوله - عز اسمه - « فلي جاءه موعظة من
 ربه فمنتهى » لأن الوسط والموعظة واحدة ، وقالوا في قوله تعالى « إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ
 الْحَسَنِينَ » ^(٤) إنه أراد بالرحمة هاهنا الطهر ، بدليل قوله تعالى « وهو الذي يرسل الرياح ينشرا
 بين يدي رحمته » ^(٥) .

وأما حمل الواحد على الجماعة ، فكقولهم : « هو أحسن الثين وأجله » فأفرد الضمير ،
 لأن هذا الموضع يكثر فيه الواحد كقولهم « هو أحسن غي في الناس » قل الله تعالى « ومن
 الشياطين من يؤمنون له » ^(٦) فحمل على المعنى وقال ذو الرمة :

ومئة أجمل الثقلين وجهاً ومائة وأحسنه فضلاً

فأفرد الضمير ، مع قدرته على جمعه ، وهذا يدل على قوة اعتقادهم في أحوال الواحد ، وكيف
 ما يقع فيها . ألا ترى أن هذا الموضع موضع جمع ، وقد سبق في الأول لفظ الجمع فترك اللفظ ،
 وموجب الموضع وعمل الى الإفراد من غير ضرورة ، فانه قد كان يمكنه ان يقول :

ومئة أجمل الثقلين وجهاً ومائة وأحسنهم فضلاً

ومن هذا النوع قول بعضهم :

قلنا أسعدوا بنا أخوتكم فقد برئت من الأحن الصدور

فيجوز ان يكون ذلك جمع أخ قد حذفت موه للاختلاف ، ويجوز أن يكون واحداً ووقع

(١) سورة الأنعام الآية ١٠٨ : (٢) في الأصل « لها » وهو غير مسلم .

(٣) سورة الأنعام الآية ٢٨ : (٤) سورة الأعراف الآية ٥٦ .

(٥) سورة الأعراف الآية ٥٧ : (٦) سورة الأنبياء الآية ٨٢ .

موقع الجماعة ، كقول الشاعر :

« ترى جوانبها بالشعاع مفتوحة »

والحل على الذي واسع في هذه الآية . وأعلم أن الرب إذا حلت على المني ، لم تذكر تراجيع ^(١) اللفظ ، كقولك : « شكرت من أحسنوا لي على فعله » ويقال : « شابت مفارقة » وإنما هو مفرق واحد . وما يؤكد ذلك أن الرب إذا حلت على المني لم تراجع اللفظ ، قوله تعالى : « ألم تر أن الذي حجاج إبراهيم في بيته أن آمنه الله الملك يذبح إبراهيم : ربي الذي يحبني ويعت . قال : أنا أسبي وأبيت » قال إبراهيم : فلا الله بأني بالشمس من المشرق فأت بها من الغرب . فبنت لذي كفر والله لا يهني القوم المذبلين » ^(٢) ثم قال :

« أو كذا في صرة على قرية وهي غلبة على عروشها هل أن يحيى الله بعد موتها » ^(٣) الآية فإن ذلك محمول على المني ، كما قال : « رأيت لذي حجاج إبراهيم في ربه » ، أو كذا في صرة على قرية فجاء بالثاني على أن الأول قد سبق كذا ، وأما هذا كثيرة .

وأما حل الجماعة على الواحد ، فكذلكه تعالى « بين من أسلم وجهه لله ، وهو محسن » ، فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ^(٤) » فعمل أول الكلام على لفظ الواحد ، وآخره على لفظ الجميع .

وأعلم أن الرب تعذر تارة اللفظ ، وتارة المني ، يقولون : « ثلاثة أشخاص » فيشبهون الماء وإن كانوا مؤنثاً ^(٥) ، ويقولون : « ثلاث أنفس » وإن كانوا رجالاً ، لأجل اللفظ . ويقولون : « ثلاث شخص » إذا كانوا مؤنثاً ، « وثلاثة أنفس » ^(٦) إذا كانوا ذكراً ليعني فأعرف ذلك ونفس عليه .

قسم الخامس من النوع الثالث في التفسير والتأخير

وذلك مما يشكك في علم النحو ، فإن لنا تقديماً وتأخيراً في الكلام ، ولا يمتثل بالنحو ، وليس

(١) في الأصل « راجع » وهو صحيح . (٢) سورة « البقرة » الآية « ٢٥٥ » .

(٣) سورة « البقرة » الآية « ٢٥٩ » . (٤) سورة « البقرة » الآية « ١٧٢ » .

(٥) على أن عمر بن أبي ربيعة قال :

فكان بيني وبين من كنت أحيى ثلاث شخص كإيمان وبصر

(٦) قال الجوهري في « ناس » من الصحاح « ويقولون ثلاثة أنفس إن كروا لهم يريدون به الإنسان » .

هذا إليه ، وسبأني ذكره . إن لم يكن التقديم والتأخير مما نحن بمسدد ذكره هاهنا على ضربين : أحدهما يكون التقديم هو الأول والأبلغ لوضع الاختصاص ، والآخر يكون التأخير هو الأول والأبلغ ؛ إما العائدة تقتضي ذلك ، وإما خوفاً من فساد المعنى واحتلاله . وسيد كل ضرب من هذه الضروب ، مشروحاً مبيناً . وأما الضرب الأول وهو ما كان التقديم فيه هو الأول والأبلغ فذلك كتقديم المفعول على الفعل ، وتقديم المبتدأ على الظرف ، وتقديم الطرف أو الحال أو الاستثناء على العامل .

فمن ذلك تقديم المفعول على الفعل ، وإنا نحمد^(١) إلى ذلك قصد للاختصاص ، ألا ترى قولك « زيداً ضربت » تخصيصاً له بالضرب ، إذ يحتمل أن يكون الضرب لغيره ؛ لأنك إننا قدمت الفعل كنت بالطيار في إبقائه على أي مفعول شئت كلن^(٢) تقول « ضربت غلباً أو بكراً أو غيرها » وإنما أخرته ، لزم الاختصاص للمفعول . وقد ورد في القرآن الكريم ، كقوله تعالى : « الذين يؤمنون بالتهب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون^(٣) » . فإنه إنما قدم للمفعول ، الذي هو الرزق ، على الفعل الذي هو ينفقون . لأن الإنسان قد ينفق ما ليس له . فلو قدم الفعل هاهنا على المفعول ، لسبق إلى الوم قبل ذكر المفعول جوازه كونه مما ليس له ، ومع تأخيره يزول هذا الوم ، ويرتفع ذلك التيسر .

ومن هذا النحو ، قوله تعالى : « يا أيها نعبد وإياك نستعين » فإن قوله : « يا أيها نعبد » تخصيص له بالعبادة ، دون غيره ، وكذا قوله : « يا أيها نستعين » وهذا بخلاف ما تقول « نعبدك ونستعينك » فإنه يحتمل أن تكون العبادة والاستعانة لغيره كما أشرنا إليه ، في « زيداً ضربت » و « ضربت زيداً » فأعترف بذلك .

وأما تقدير خبر المبتدأ عليه ، فإنه لا يسد إليه أيضاً إلا الضرب من الاختصاص ، كقولك : « زيد قائم » و « قائم زيد » فقولك « قائم زيد » قد أثبت له القيام لا هالة ، وقولك : « زيد

(١) في الأصل « نصل » وهو من ضمناً الناصخ .

(٢) في الأصل « بأن » وهو من ضمناً الناصخ . (٣) سورة « البقرة » الآية « ١٧٧ » .

قائم « أنت وإخيار في إثبات القيام له أو نفيه عنه ، بأن تقول : ضارب أو قاصد أو جالس أو غير ذلك .

ومن هذا النحو قوله تعالى « وعلّموا أنهم ماتتهم حصونهم من الله ^(١) » الآية .
فإنه إنما قل ذلك ، ولم يقل : « وعلّموا أن حصونهم نعمهم أو ما نعمهم » لأن في تقديم الخبر الذي هو ماتتهم ، على المبتدأ الذي هو حصونهم ، دليلاً على قرط اعتقادهم في حصانها ، وزيادة وثوقهم بمنعها إياهم ، وفي تفسير منبرهم أصلاً لأن ، واستناد الجملة إليه ، دليل على تقريرهم في أنفسهم أنهم في عزة واستعاضة ، لا يبالى معها أحد بتعرض طامع أو قصد قاصد . وليس شيء من ذلك في قوله : « وعلّموا أن حصونهم ما نعمهم أو نعمهم » . ومن تقديم خبر المبتدأ عليه قوله تعالى : « أرأيت أنت عن آلهم يا إبراهيم » فإنه إنما قدّم خبر المبتدأ عليه في قوله : « أرأيت أنت عن آلهم » لأنه كمن أتم عدده ، وهو به شديد العناية ، وفي ذلك ضرب من التعجب والاستعارة لربعة إبراهيم - عليه السلام - عن آلهم ، وأن آلهم لا يبينى أنت برعب منها . وهذا بخلاف ما لو قال : « أنت رابع عن آلهم » . وقد سبق الكلام على ذلك فاهمه .

فأما الطرف فاعلم أنه كإن الكلام مقصوداً به الإثبات ، فن تقديم الطرف فيه أبلغ من تأخير . وقادته استناد الكلام الرابع بمصدره ، إلى صاحب الطرف دون غيره . وإذا أريد بالكلام النفي فيحسن فيه تقديم الطرف وتأخير . وكلام الأمرين له موضع يختص به : فاما تقديمه في النفي : فإنه يقصد به تفضيل النفي عنه عن غيره . وأما تأخير : فإنه يقصد به النفي أصلاً من غير تفضيل . وسيأتي بيان ذلك عند ذكر الأمثلة التالية عليه .

فأما الأول : وهو مصدر الطرف في الإثبات فنحو قوله تعالى : « قد ذكر إنا أنت قد ذكر است عليهم بمسيطر إلا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر إن لنا أليهم وإن علينا حسابهم » ^(٢) فتقديم الطرف على المصدر . وهذا ^(٣) تشديد في التوبيخ ، لا يكون عند

(١) سورة « المفسر » الآية ٢٠ . (٢) سورة « العنكبوت » الآية ٢٤ .

(٣) في الأصل « وهذا شديد » وهو تعجب التمام .

تأخيره ؛ لأنه يعطي من العي أن إليهم ليس إلا إلى الله ، القصد على الانتقام . وأن حسابهم ليس إلا عيه ، وذلك بخلاف ما لو قل : إن إليهم إلينا ثم إن حسابهم علينا ؛ لأن قوله « إن إلينا إليهم » لا يحتمل أن يكون الإياب فيه إلى غير الله ؛ لأنه سبب الكلام بالطرف ، وأنا قال « إن إليهم إلينا » يحتمل أن يظن المخاطب عند سماعه « إن إليهم » قبل قوله « إلينا » أن يكون الإياب إلى غيره .

ومن هذا المحس قوله تعالى « يستبجش ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير »^(١) فإن الله قدم الطرفين في قوله « له الملك وله الحمد » ليبدل بتقديمها على اختصاص الملك والحمد بالله لا بغيره ، وكيفما جاء قوله تعالى « من كفر فعليه كفره »^(٢) .. فن تقديم الطرف ها هنا ، أشد موقفاً من تأخير ، وأعظم شأنًا ؛ وذلك الدلالة على أن ضرر الكفر ، لا يعود إلا على الكافر ، وأنه لا يتبدل . وهذا لا يخفى على من له معرفة بعلم البيان . وأما الثاني - وهو تأخير الطرف وتقديمه في النحو ، فنحو قوله تعالى : « ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه »^(٣) فإنه إنما أخر الطرف ها هنا لأن^(٤) القصد في إبقاء حرف اللغي الريب [الدلالة]^(٥) على نفي الريب عنه ، وإثبات أنه حق وصدق لا باطل وكذب ، كما كان للشرك كون بدعونه . ولو أولاه الطرف ، قصد أن كذباً آخر فيه الريب لا فيه ، كما قصد في قوله تعالى : « لا فيها غول »^(٦) وذلك لتفصيل ظهر الجلبة على خور الدنيا ؛ لأنها لا تقتال العقول كما تقتالها البشرية ؛ كأنه قال « ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والعيبة » .

فتأخير الطرف في قوله تعالى « ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه »^(٧) يقتضي اللغي أصلاً من غير تفصيل ، وتقديم الطرف في قوله تعالى « لا فيها غول »^(٨) يقتضي تفصيل اللغي عنه ، وهو بحر الجلبة ، على غيرها من خور الدنيا . وهذا مثل قولنا « لا عيب في الدار » وقولنا « لا فيها

(١) سورة « العنكبوت » الآية ٦٠ . (٢) سورة « الروم » الآية ٤٤ .

(٣) سورة « البقرة » الآية ٢ ، ١ . (٤) في الأصل « فإن » .

(٥) زيادة الصاعداً السابق . (٦) سورة « الصافات » الآية ٤٧ .

(٧) سورة « البقرة » الآية ٢ ، ١ . (٨) سورة « الصافات » الآية ٤٧ .

عيب « والأول : قصدنا به أن نعلم عن الدار أن فيها حياً أصلاً ، وثبت أنها خالية من العيوب . والثاني : قصدنا به أن ليس فيها ما في غيرها من العيب « فاعترف ذلك ، ونس عليه ، فانه من دقائق علم البيان .

وأما تقديم الحائل فهو « جاء ركباً زيد » وإنما فعل ذلك الضرب من الاختصاص أيضاً . وهذا بخلاف قولك « جاء زيد ركباً » إذ يحتمل أن يقول ^(١) : صاحكاً أو ماشياً وغير ذلك . وأما الاستثناء فجاء هذا المجرى ، نحو قولك : « ما علم إلا زيدا أعمى » وكما قام العدد إلا زيدا ، والكلام على ذلك كالسكلام على ما سبق . فاعرفه .

وأما الضرب الثاني فهو أن يقدم ما الأول به التأكيد ، لأن المعنى يختلف بذلك ^(٢) . ويضطرب ، كتقديم الصفة أو ما يتعلق بها على الوصف ، وتقديم الصلة على الوصول ، وتقديم المضاف على المضاف عليه ، سواء كان بياناً أو نفيّاً ، إلا عطف النسق في الواو وحده ، فانه جائز ، نحو قولك « قام عمرو وزيد ^(٣) » وغير ذلك مما يرد مشروحاً .

فإن هذا الضرب قول بعضهم :

قصد والشك بَيْنَ لي عناءً يوشك فراقهم مُررد ^(٤) يصبح

فانه قدم « يوشك فراقهم » وهو معمول « يصبح » ويصبح صفة لمررد جارية على مررد ، وذلك قبيح ، ألا ترى أنه لا يجوز أن يقال « هذا اليوم رحل ورد من موضع كذا » وإنما يجوز وقوع للمررد ، بحيث يجوز وقوع العامل ، فكذا لا يجوز تقديم الصفة على موصوفها ، وكذلك لا يجوز تقديم ما اتصل بها على موصوفها .

ومن هذا النوع ، قول الآخر :

فصبيحت بعد خطأ جهجهتها ، كللاً قفراً وسومها قفراً

(١) في الأصل « بقوله » وهو غير مستقيم .

(٢) ذلك : اسم إشارة إلى « ما هو أولى بالتأخير أو الأثر » .

(٣) في الأصل « عمرو زيد » .

(٤) المررد : يضم الصاد وفتح الراء : حائر ضيق الرأس بصطلة الصداقير .

فانه قدم خبر كان عليها وهو قوله « خط » وهذا وأمثاله مما لا يجوز قياس عليه ، والأسل في هذا البيت « فأصبحت بعد مهمتها تقرأ كأن قدا خطاً رسومها » إلا أنه على تلك الحالة الأولى مختلف مضطرب . وبشبه بذلك قول الفرزدق :

إلى ملك ما أسه من محارب أبوه ولا كانت كليب تصاعده
وهو يريد « إلى ملك أبوه ما أسه من محارب » أي ما أم أبيه من محارب ، وهذا أتبع من الأول وأكثر اختلافاً . وأما قوله :

ولست خراسان التي كان غلج بها أسد إذ كان سيفاً أميرها
فحديثة طريف^(١) ، وذلك أنه لما ذكر يجمع غلج بن عبد الله القسري^(٢) . ويهجو أسداً :
وكان أسد وإليها يد غلج ، وكأنه قال :

« ولست خراسان البلدة التي كان غلج^(٣) بها سيفاً إذ كان أسد أميرها » وعلى هذا التقدير ففي « كان » الثانية ضمير الشأن ، والحديث والجملة بعدها خبر عنها ، وقد قدم بعض ما إذ^(٤) منافية إليه ، وهو أسد ، عليها ، وفي تقديم الضاف إليه أو شيء منه على الضاف من التبع ما لا يخفى به ، وأيضاً قلت في أسد أسداً أسد^(٥) جزئي الجملة للفسرة للضمير ، والضمير لا يكون تفسيره إلا من بعده ، ولو تقدم تفسيره قبله لما احتاج إلى تفسير ، ولما سماه الكوفيون الظاهر^(٦) المجهول . ومن هذا الجنس قوله :

ملوك يبتون تولوثوها مرادها القلاود^(٧) والقباب
أراد « ملوك يبتون القلاود^(٨) والقباب تولوثوها مرادها » قوله « يبتون القلاود

- (١) في الأصل « طريف » .
(٢) في الأصل « حله من الوليد » وهو غير مستقيم تاريخاً . والتصحيح من الكل الشاعر « ج » من « ح » .
(٣) في الأصل « حلاً » من غلط الشاعر . (٤) في الأصل « إن » والتصحيح من الكل .
(٥) في الأصل « أسداً » وهو من غلط الشاعر .
(٦) في الأصل « الظاهر » وفي الكل الشاعر « الضمير المجهول » وهو غير متسق .
(٧) في الأصل « القلاود » ولا على لما هنا ولعل الأصل ما ذكرناه . والقلاود جمع قلاود .

والقلب « صفة الذلوك أيضاً وموضعها التأخير ، فقدمها ^(١) » ، وهو يريد بها موضعها ، كقولك « صرحت برجل ، يكلمها ، ما جهنت » أي « ما جهنت بكلمها » فقدم الصفة الثانية ، وهو مستند تأخيرها . وقد استعمل الفرزدق هذا المصرب كثيراً ، كأنه كان يقصد ذلك في شعره ويصيده ، لأن مثل هذا لا يجي . ولا متكلفاً مقصوداً ، وإلا فلما ترك المؤلف نفسه تجري على سجيته وطبعها في الاسترسال ، من غير أن يكلفها التعقيد في الكلام ، فلما لا تأتي بمثله هذه الأسباب القبيحة ، التي هي عيب في التأليف فاحش ، ألا ترى أن المقصود من الكلام مفسدوم في هذا المصرب المذكور ، لأن المقصود من الكلام إنما هو الإيضاح والآية وإقحام المنى ، فلما ذهب هذا الوصف من الكلام ذهب المراد به والمقصود منه ، وصار غير منهوم ولا فرق بينه — عند ذلك — وبين غيره من اللغات كالفارسية والرومية وغيرها . فاعرف ذلك .

وأعلم أن من التقديم والتأخير يأتي نجياً للأخذ ، كثير الفائدة ، وأمر الطائفت ، وهو باب الاستفهام ، فإن حاجة المؤلف الكلام إليه ماسة . ونورد في كتابنا هذا منه ما يروى لك ، أيها التامل ، ويذهب بك في الاستحسان كل مذهب ، فنقول : أعلم أنك إذا بدأت في الاستفهام بالفعل قلت « أعلت كذا وكذا » كان الشك في الفعل ، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده لا غير . وإذا قلت : « أنت فعلت » فبدأت بالاسم كان الشك في الفاعل وحده . وهذا المنى قائم في الهمزة ، إذ هي كانت للتقرير ، فإذا قلت « أنت فعلت ذلك » كان غرضك أن تقرره بأنه الفاعل ، قال الله تعالى « أنت فعلت هذا يا عيسى يا إبراهيم ^(٢) » حكاية عن قوم يتردد ، لأنهم لم يقولوا ذلك لإبراهيم — عليه السلام — وغرضهم أن يعرفوا أن كسر الأسماء كان ووجد ، لأن ذلك معلوم عندهم ، وقد شاهدوه وأبى العين ، والاستفهام إنما يكون عن شيء لا يعلم وإنما غرضهم الإقرار بأن ذلك حدث منه ، لأنه قال — صلوات الله عليه — في الجواب لهم « بل فعله كبيرهم هذا » ولو كان التفسير بالفعل لكان الجواب « فعلت أو لم أفعل » فالهمزة مما ذكرناه تقرير لفعل قد كان وإنكار له ، لم يكن ، وتوبيخ لقاعدته عليه ^(٣) ، ولهذا مذهب آخر

(١) أي تقدم « توارثوها » . (٢) سورة « الأنبياء » الآية « ٦٢ » .

(٣) انظر هذا الموضع في ملاقي الأجزاء « ص ٢٨ » طبعه دار المكتبة العربية بمصر .

وهو أن تكون الهبة لانكار أن يكون الفعل من أصله ، ومثاله قوله تعالى « أَتَلْسَفْنَاكُمْ رَبِّكُمْ بِالْبَيْنِ وَانْخَسَفَ مِنَ اللَّائِكَةِ إِبْرَاهِيمُ إِسْمُكُمْ لَقَوْلُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ^(١) » . وقوله تعالى « أَسْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَيْنِ مَا لَكُمْ صَعِيفٌ لِمُكُونٍ ^(٢) » . فهذا رد على اللسفين ، وتكذيب لهم في قولهم ما يؤدي إلى هذا الجهل العظيم ، وإذا قدم الاسم في هذا صلا من الانكار في الفاعل ، كما قول للرجل إذا انتحل شعرا « أَأَنْتَ قُلْتَ هَذَا الشَّعْرُ ، كَذِبْتَ ، لست ممن يقول مثله » فأنتكرت أن يكون هو القائل ولم تنكر الشعر . وقد يكون المراد بانكار الفعل من أصله ثم يخرج اللفظ خروجه إذا كان الانكار في الفاعل مثال ذلك قوله تعالى « قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِسْمُكُمْ مِنْ رِزْقٍ جَعَلَهُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا ^(٣) » . ومعلوم أن المعنى على إنكار أنه قد يكن من الله لأن فيها قالوا من غير أن يكون هذا الأذن قد كان من غير الله ، فأضافوه إلى الله ، إلا أن اللفظ أخرج خروجه ليكون أشد لعني ذلك ولفظا له ^(٤) . وتظهير قوله تعالى « أَلَمْ تَذَكِّرْهُمْ حَرَّمَ أَمْ الْآثِينَ ^(٥) » فأخرج اللفظ خروجه إذا كان قد ثبت تحريم في أحد أشياء ثم أريد معرفة عين الحرم ، مع أن المراد ^(٦) إنكار التحريم من أصله ، ونفي أنه يكون قد حرم شيئا مما ذكروا أنه حرم . وهذا هو الفرق بين تقديم الاسم ، وتقديم الفعل الماضي ، فإذا كان الفعل مضارعا فالقول في ذلك أنك إذا قلت « أَتَقُولُ كَذَا » لم يخل من أن تزيد الحال أو ^(٧) الاستقبال ، فإن أردت الحال كان المعنى شيئا بلاضي ، كما ذكرنا ، وإن أردت الاستقبال كان المعنى إذا بدأت ^(٨) بالفعل أنك تعمد إلى انكار الفعل نفسه ، وزعم أنه لا يكون ، أو أنه لا ينبغي أن يكون . فقال الأول قول امرئ القيس :

(١) سورة الاحزاب : الآية ١٠ . (٢) سورة الصافات : الآية ١٠٣ .

(٣) سورة يونس : الآية ٢٩ .

(٤) في دلائل الإعجاز : وإيجاده . (٥) سورة الأنعام : الآية ١١٣ .

(٦) في الأصل تكرار مع أن المراد : وهي من زيادة النسخ .

(٧) في الأصل : والاستقبال ، والمصحيح من دلائل الإعجاز : من ٢٩ .

(٨) في الأصل : بنت ، والمصحيح من دلائل الإعجاز .

أبقتلي وللشرفي مناجعي وعسيرة ذوق كآتياب أنموال (٢١)؟

فهذا تكذيب منه لآلسان يهدده بالقتل ، وعلى هذا جاء قوله تعالى « أَلَمْ نَكُفِّرْكُمْ سَوْفَهَا وَأَنفَعْ لَهَا كَارِهُونَ » (٢٢) . ومثال الثاني قولك للرجل يركب الخطر « أخرج في هذا الوقت ؟ أقرر بنفسك » ؟ ومنه قول الشاعر :

.. أأترك أن قلت دراهم عط (٢٣) زيارته إني لئنا لئيم ؟

فإن بدأت بالاسم قلت « أأنت فعل » أو قلت « أهو فعل » كنت موجهاً للأنكار إلى نفس الذكور وأيت أن يكون بمثابة من يحرم منه الفعل ، إما قصور عنه وبهزئه ، مع أن يكون ذلك في وسعه ، وإما لازعاج قدره ، وعلمه عنه . فمثال الأول قولك : أهو يرتاح للجميل ، هو أسفر عنه من ذلك وقولك « أأنت تمنعي » ، أأنت تأخذ على يدي « ثني (٢٤) أنك أنجز من ذلك » ومثال الثاني قولك « أهو يسأل فلاناً هو أرفع قدراً من ذلك » . وأعلم أن محض المعنى من الاستفهام ، الذي تضمنه بالأنكار هو تنبيه السامع ، حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع ، قال الله تعالى « أغأت سمع الصم أو تهدي الصم » على سبيل التشبيل والتنبيه ، كقولهم « أأنت تعدد إلى الباء » لأن اجتماع الصم مما لا يدمية أحد ، وكذلك التصرد إلى السماء . ومنه قول بعضهم :

فدع الوحيد لما وميدك مناري أظنين أجنة الثياب يثير ؟ (٢٥)

(١) من نصيحة لأمير المؤمنين عليه السلام :

ألا علم صاحباً أيها الصالحين لئلا وعد البيت المذكور في البيت :

وليس يني سبيد فينتلي ٩ وليس يني دمج وليس ينيال « راجع ديوان حميد الخليل » .

(٢) سورة « هود » الآية « ٢٨ » .

(٣) في الأصل « قل الهوام » والتصحيح من دلائل الاعجاز « مر ٨٠ » والبيت كما في السكندر لعمارة بن خليل بن بلال بن جرير من أبيات يمدح بها حمد بن يزيد بن مزيد الديلمي .

(٤) في الأصل « يني » .

(٥) في كامل البرد « ج ٢ ص ٣٣ من طبعة دار الجوى » وفي دلائل الاعجاز أن هذا البيت لابن أبي عمير =

وأعلم أن حال الفعل فيما ذكرناه حال الفاعل في أن تقدم اسم الفعل بنفسه أن يكون
الانكار في طريق اللاحقة والفتح من أن يكون بمثابة من يقع به ذلك الفعل ، فإذا قلت « أزيداً
تضرب » أنكرت أن يكون بمنزلة من يُضرباً عليه ، ولذلك قدمت « غير » في قوله تعالى « أغير
الله أخذ ولياً » وقوله تعالى « قل أرأيكم إن أتاكم عتاب الله أو التحكم الساعة أغير الله تمدون »
وكان ذلك من الزية والحسن والتفخمة ما يعلم أنه لو أخرت « غير » قبل « أأخذ غير
غير الله ولياً » أو تمدون غير الله » لما كان مؤدباً من الذي ما كان يؤدبه مع نفسه ، وذلك أنه حصل
بالتقدير معنى قولك « أهلكون غير الله بمنزلة من يُخذ ولياً أو يرضى جاهل نفسه أن يضل ذلك »
و « أهلكون جهل أجهل ومعنى أمي من ذلك » ولا يكون شيء من هذا الذي ذكرناه إذا قيل
« أأخذ غير الله ولياً » وذلك لأنه يتناول الفعل أن يكون قطعاً ، ولا يزيد على ذلك شيئاً ، فلهذا
هو القول في الضرب الأول (١) .

وأما الضرب الثاني :

وهو أن يكون بفعل لفعل موجود ، فإن تقدم الاسم بنفسه تشبيهاً بما اقتضاه في الفعل
الناضي ، من الاقرار بأنه الفاعل ، أو الانكار أن يكون هو الفاعل . فمثل الأول قوله تعالى
« أعامت لكم الناس حتى يكونوا مؤمنين » وقوله تعالى « أأتيت للناس أن يخونوني وأني
إليه من دون الله » حكم الشارع في الآية الأولى حكم للناس في الآية الثانية ، ومثال الثاني
قوله تعالى « ألم يسمعون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم » فاعلم ذلك . وأعلم أي قد
أطلقت هذان الكلامان في مسائل الاستفهام إثنين أن للعبية أمراً لا يطلع على خباياها ، ولا

== عبد الله بن محمد الهادي . وكان سبب قوله هذا أنه علي بن محمد بن جعفر بن علي بن الحسين العلوي دعاه
إلى نصرته حين ظهرت ليلة قم بجمعة فوجدته قال :

أعلم أنك يا هذا مفروق	لا طاعة لله لا ولا لله نور
أعلمت توعدني أن استبطنني	لأنهم يهرون ما حيت جعفر

ودع . . .

« أظن خاتمة من ٢٢ من طلائع الانحياز » .

(١) المصنف في هذا الجلة الأولى من البحث الثاني لهذا القول « موجود » خطأ في النص .

يقدر قدر مزاياها إلا من تفتى بلبان البلاغة طفلاً ونشأ عليها كبيراً وصغيراً ، وسلك منهاج هذا العلم ، وفاز منه بأوفر الحظ والقسم . ولا يتسع لهذا الضرب من التأليف نطاق هذه الأوراق ولا يمكن أن يردع ما فيه من المعاني ، صفحات ما حرره من هذه الصحائف ، والذي عليه مدار القول ، فيما نورد من الجدل والفصل ، هو البحث عن أسرار البلاغة ، والإيالة عن الشيء الذي به يشرف الكلام ، ونحصل له للزينة على سواه ، فغدير ذلك وقس عليه .

القسم السادس من الترتيب الثالث

في الاعتراض وهو شعبة من « علم البيان » تتكثر محاسنها

اعلم أن الجائز من هذا القسم . وغير الجائز إنما يؤخذ من كتب النحو ، فإنه يكون مستغنى فيها ، كاعتراض بين القسم وجوابه ، وبين الصفة والوصف ، وبين المظوف والمظوف عليه ، وأنباء ذلك مما يجوز استنبطه ، وكاعتراض بين الناف والمضاف إليه ، وبين إن وأسماء ، وبين حرف الجر ومجروره ، وأنثال ذلك مما يتجبع استنبطه ، وليس هذا مكانه لأن كتابنا هذا موضوع لمن استكمل معرفة ذلك وغيره ، مما أشرنا إليه في صدر الكتاب ، وإن ما أشرنا إليه هنا من الاعتراض ما يفرق المؤلف به بين الجيد منه والردى ، لا ما يمل به الجائز ، وغير الجائز ، فعرف ذلك .

واعلم أن الاعتراض ينقسم إلى قسمين : أحدهما لا يأتي في الكلام إلا لفائدة ، وهو جار مجرى التوكيد في كلام العرب ، والآخر يأتي في الكلام لفائدة . فما جاء منه قوله تعالى « فلا أقسم بمواقع النجوم » فإنه قسم « لو تعلمون عظيم » أنه قرآن كريم في كتاب مكنون ^(١) « هذا كلام فيه اعتراضان ^(٢) أحدهما « وإنه قسم لو تعلمون عظيم » لأنه اعتراض بين القسم ، الذي هو « فلا أقسم بمواقع النجوم » وبين جوابه الذي هو « إنه قرآن كريم » وفي نفس هذا الاعتراض اعتراض آخر ، بين الوصف الذي هو « قسم » وبين صفته التي هي « عظيم » وهو قوله تعالى « لو تعلمون » فذاك اعتراضان ^(٣) كما ترى ، فلو جاء الكلام ، غير معترض فيه ،

(١) سورة « الواقعة » الآية « ٧٥ » .

(٢) في الأصل « اعتراضات » ، وهو من خطأ النسخ .

لوجب أن يكون « فلا أقسم بمواقع التجرد إنه لقرآن كريم » . وقائمة هذا الاعتراض بين القسم وجوابه إنما هو تعظيم الشأن القسم به ، في نفس السامع ، ألا ترى قوله تعالى « لو تعلمون » اعتراضاً بين الوصف والصفة ، وذلك أوقع في النفس ، لتعظيم القسم به ، أي إنه من عظيم الشأن ونفاسة الأمر بحيث لو علم ذلك لوفي حقه من التعظيم . وهذا مثل قولنا « إن هذا الأمر لعظيم » بحيث لو تعلم يا فلان عظمه ، قدرته حتى قدره . فإن ذلك يكبر في نفس المخاطب ، ويعظم موقعه عنده ، ويبقى متعلماً إلى معرفة عظمه ، ويترأس به وهمه إلى أهل المنزل والسبق الرب . ومن هذا النحو قوله تعالى « ووصينا الإنسان بوالديه حلته أمه وهذا على وعن . وفصله في عين أن أشكرني ولو للهيك لي العبر » ^(١) ألا ترى إلى هذا الاعتراض الذي طبق مفصل البلاغة ، فنه لم يؤت به إلا لقائمة كبيرة ، وذلك أنه لما وصي بالوالدين ^(٢) ذكر ما تكبده الأم من الشاق والمناقب ، في حمل الولد وقضائه ، إيجاباً للتوصية بالوالدة وتذكيراً بحقوقها ، وإنما خصها بالذكر دون الوالد ، لأنها تتكلف من أمر الولد ما لا يتكلفه الوالد ، ومن ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لمن قال له « من أبتر » : أشك ثم أمك . ثم قل بعد ذلك « أمك » . ومما جاء على هذا الأسلوب قوله تعالى « وإذا قتلتم نفساً فادلوا بأنهم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون » قلنا المخرج ببعثها كذلك يحكي الله الوحي ويرىكم آياته عليكم تعلمون ^(٣) قوله تعالى « والله مخرج ما كنتم تكتمون » اعتراض بين المعلوم والمعلوم عليه ، وغرضه أنه يقرر في أنفس المخاطبين وقلوب السامعين أن تدلوا بني إسرائيل في قتل تلك النفس لم يكن ناصراً لهم في إغوائه وكتباته ، لأن الله مظهر تلك ومخرج له ، ولو جاء الكلام خالياً من هذا الاعتراض لكان « وإذا قتلتم نفساً فادلوا بأنهم فيها قلنا المخرج ببعثها » ولا يخفى على العارف بهذه الصناعة الفرق بين ذلك وبين كونه معترضاً فيه .

(١) سورة « لقان » الآية « ١٤ » .

(٢) في الأصل « ومن الوالدين » وهو من فطما السامع .

(٣) سورة « البقرة » الآية « ٢٥ » .

ومن هذا الجنس قول الثانية :

لعصري وما عصري صلي^١ بهين لقد نطقت بطلاً علي الأقرع^(٢)

فقوله « وما عصري صلي^١ بهين » من محمود الاعتراض وفادره ، لا فيه من تقسيم القسم به .
وعلى نحو هذا جاء قول كثير :

لو أنّ الباحثين وأت منهم رأوك تطوا منك الطلا

فقوله « وأت منهم » من الاعتراض الذي يؤكد به للمعنى المقصود فيزداد به مزية وتبلاً
ولأنه ما هنا التصريح بما هو المراد تبينه في الألفاظ وتقرره في الأذهان ، وقال بعضهم لجبد الله
أين طاهر أحسن ما قيل في هذا الباب :-

بم التائت وبلغتها قد أحوجت صمي إلى ترجان

وأشكال هذا كثيرة ، فاعرفه .

وأما الثاني وهو الذي يأتي في الكلام لغير غنة فهو غريبان : الأول أن يكون دخوله في
التأليف كخروجه منه ، لا يؤثر حسناً ولا قبيحاً ، فن ذلك قول الثانية :-

يشول رجال يمهلون خليفتي لعل زبناً لا أبالك غافل

فقوله « لا أبالك » اعتراض لا فائدة فيه ، وليس [يؤثر]^(٣) في هذا البيت حسناً ولا
قبيحاً ، ومثله قول زهير :-

سئمت تكاليف الحياة ومن يئس تمسين حولاً لا أبالك يسأم
وكذلك قول بعض الحديثين :-

سدودكم واليلد دانية أعدى رأسي ومقرني شينا

فذكر الفرق بعد الرأس بما لا فائدة فيه البتة .

ومن هذا القول أو الضرب قول ابن هاني :

فلا بهجة في الأرض منك متبعة ولو قطرت في ريق أرغط أرقم

(١) في الأصل « الأقرع » من غلط النسخ .

(٢) زيادة يقتضها السبيل .

قَالَ قَوْلُهُ « أَرَقَطَ » لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ وَلَا فَتْنَةً فِي ذِكْرِهِ ، إِذْ لَا فَضْلَ لِلْأَرَقَطِ مِنَ الْحَبِيبَاتِ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَكْوَانِ وَلَا مَرِيَّةٌ ، وَأَمَّا هُنَا كَثِيرَةٌ .
وَأَمَّا الْمَرْبُوبُ الثَّانِي الَّذِي يَكُونُ مُؤْتَرَأً فِي السَّكَلَامِ نَقَصًا ، وَفِي الْعَمَلِ فَسَادًا ، فَمَا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

فَقَدْ وَالسَّكَلَامُ بَيَّنَّ لِي عِنَاءَ يَوْشَكَ فَرَأَقَهُمْ مُسَرَّدٌ يَصِيحُ
فَإِنْ [فِ] ^(١) هَذَا الْبَيْتِ مِنْ رَدِيءِ الْأَعْرَاضِ مَا أَدَّكَرَهُ ، وَهُوَ الْفَصْلُ بَيْنَ قَدِّ وَالْفَعْلِ ،
الَّذِي هُوَ « بَيَّنَّ » وَذَلِكَ قَبِيحٌ لِرُجُوبِ انْتِصَالِ « قَدْ » بِمَا تَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنَ الْأَفْعَالِ ، أَلَا تَرَاهَا
تَعْتَمِدُ مَعَ الْفَعْلِ كَالْجُزْءِ مِنْهُ ، وَلَقَدْ دَخَلَتْ اللَّامُ الْمُرَادِيَّةُ بِهَا تَوْكِيدَ الْفَعْلِ عَلَى « قَدْ » فِي قَوْلِهِ تَعَالَى
« وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ » ^(٢) وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى « وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ » ^(٣) .
وَقَوْلُ الشَّاعِرِ :

وَلَقَدْ أَجْمَعَ رَجُلِيَّ بِهَا حَسْبُكَ الْمَوْتُ وَإِنِّي لَنَرُودُ ؟
إِلَّا أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ بَيْنَ قَدِّ وَالْفَعْلِ بِالْقِسْمِ قَالَ ذَلِكَ لَا يَأْسُ بِهِ ، عَمَّا قَوْلُهُ « قَدْ وَاللَّهِ كَلَّفْتُ
ذَلِكَ » . وَقَدْ فَصَّلَ بَيْنَ الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ الشَّكُّ وَبَيْنَ الْخَبَرِ الَّذِي [هُوَ] ^(٤) عِنَاءَ قَوْلِهِ « بَيَّنَّ »
وَفَصَّلَ بَيْنَ الْفَعْلِ الَّذِي هُوَ « بَيَّنَّ » وَبَيْنَ قَامَةِ الَّذِي هُوَ « سَرَدَ » بِخَبَرِ الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ « عِنَاءَ »
فَخَلَا هَذَا الْبَيْتُ كَمَا تَرَى ، فَإِنْ قَبِحَ لَا خُفَاءَ بِهِ وَمِنْ هَذَا الْجَنْسِ قَوْلُ الْآخَرِ :

نَظَرْتُ وَشَخَصِي مَطْلَعُ الشَّمْسِ مَلَّيْهُ إِلَى الْغُرْبِ حَتَّى ظَلَّ الشَّمْسُ قَدْ لَغُلَّ ^(٥)
أَرَادَ « مَطَرْتُ مَطْلَعُ الشَّمْسِ » أَيْ حَازَاهَا ، وَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ لَقَدْ فَصَّلَ بِمَطْلَعِ الشَّمْسِ بَيْنَ
الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ « شَخَصِي » وَبَيْنَ خَبَرِهِ الْجَلَّةِ وَهُوَ قَوْلُهُ « ظَلَّ إِلَى الْغُرْبِ » . وَأَغْلَطَ مَنْ ذَلِكَ
الْفَصْلُ بَيْنَ الْفَعْلِ وَقَامَةِ الْأَجْنَبِيِّ . وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، وَهَذَا وَأَمْتَالُهُ مِمَّا يَضِدُّ الْعَامِّيَّ وَيؤْثِرُ فِيهَا
الْإِخْتِلَالُ .

(١) زِيَادَةُ الْمُضَاهَاةِ الْبَيِّنَاتِ (٢) سُورَةُ « الزُّمَرِ » آيَةُ « ٦٤ » .

(٣) سُورَةُ « الْبَقَرَةِ » آيَةُ « ١٠٢ » . (٤) زِيَادَةُ الْمُضَاهَاةِ الْبَيِّنَاتِ .

(٥) حَقَّقْنَا وَرَدَ هَذَا الْبَيْتُ .

واعلم أن الباطن في ذلك أكثر ملامة من الظاهر ، وأدغم عيباً ، وذلك أن الظاهر يحتاج إلى إقامة ميزان الشعر ، ويكون جعل الكلام عليه ضيقاً في بعض الأوقات ، فيلججه طلب الوزن إلى إلقاء نفسه في مثل هذه النتائج ، وأما الباطن فإنه لا يحتاج إلى إقامة للوزن الشعري لكلامه ، فلا جعل ذلك يسع عليه مجال التأليف ، وينطلق عانه فيه كيف يشاء ، ولهذا إذا اعترض في كلامه اعترض^(١) بمسوده توجه عليه الانكسار ، وحق عليه العتب^(٢) واللام أكثر مما بدرحه على الظاهر .

النوع السابع في التبريد

وهو حذف زوائد الكلام

هنا نوع من التأليف شريف لا يكاد يلهج إلا فرسان البلاغة ومن ضرب فيها بالقبح المعنى ، وذلك لعدم مزاياه ، وبعد مدائه ، والدليل على ذلك أنه أقل أنواع التأليف استعمالاً بين أرباب هذه الصناعة .

واعلم أن العرب اعتنوا بهسناً الضرب من الكلام اعتناء زائداً ومما يدلنا على إثار القوم قوة الإيجاز وحذف فواصل كلامهم ما جؤا به من الاسماء المستفهم بها والاسماء الشروط بها ، فمنهم استغنوا بالحرف الواحد عن الكلام الكبير ، التناهي في القبول ، فن ذلك قولهم « كم مالك » ألا ترى أنه قد أعانك هذا عن قولك « عشرة مائة أم عشرون أم ثلاثون أم مائة أم ألف » ؟ فلو ذهبت تستوعب الأعداد لم تبلغ إلى ذلك أبداً ، لانه غير متناه ، فلما قلت « كم » أعنتك هذه اللفظة الواحدة عن تلك الألفاظ التي لا يحاط بها ، وكذلك قولك « أين منزلك » فن لفظة « أين » تعينك عن ذكر الأماكن كلها وكذلك « من عندك » قد أعنتك هذه اللفظة عن ذكر الناس كلهم . وأما الشرط ففي قولهم « من يقيم أقم معه » كناية^(٣) عن

(١) في الأصل « اعترضاً » ولا وجه له ولله من خطأ الساج .

(٢) في الأصل « لعتب » وهو من سبق لهم التسلخ .

(٣) في الأصل « كناية » والصواب ما ذكرناه .

ذكر جميع الناس أياً ، ولولا ذلك لاحتجت أن تقول « إن يتم زيد أو عمرو أو جعفر أو نحو ذلك » ثم تقف حسيماً بهجوراً ، ولم تجد إلى غيرك سبيلاً ، وكذلك بقية أسماء العموم في غير الانحياز نحو « أحد ودتير وغيرهما » فإذا قلت « هل عندك أحد » أنكضك ذلك عن أن تقول « هل عندك زيد أو عمرو أو جعفر » فتطيل ثم تقصر بقصر السكايل التقطع ، وهذا وغيره أطير أمراً ، وأبدى صلحة وعنواناً ، لجميع ما ذكرناه هنا شاهد بانصباب هم القوم إلى اختصار كلامهم وإيجاز لغتهم .

واعلم أن جملة من أرباب هذه الصناعة أجسوا على أن الكلام ينقسم قسمين : فله ما يحسن فيه التطويل كالمطلب والتفديدات السلطانية ، وكتب الفروع التي تقرأ في ملا من عوام الناس ؛ من الكلام لذا طال في مثل ذلك أثر عديم وأهمهم ، ولو اختصر فيه على الإيجاز والاشارة لم يقع لأكثرهم حتى يقبل في ذكر الحرب « تطامن الفريقان وتقاتلا » واشتد الصاع وحسي القراع . وما جرى هنا الجري ، والذهب النسل في هذا الباب ما أذكره لك وهو أن فهم العامة من الناس لس شرطاً معتبراً في اختياره ، لأن ذلك لو كان شرطاً لوجب قياسه أن يستعمل في الكلام الألفاظ العامة المستطبة عندهم ، التي قد تداولوها بينهم حتى يكون ذلك أقرب إلى فهمهم وأسبل مائناً ومندولاً ، لأن اللغة في اختيار تطويل الكلام إذا كان فهم العامة له وسرهم به ، فكذلك تعمل عن تلك اللغة بيننا في اختيار البتة في الكلام ، لأنه لا خلاف في أن العامة إلى قيمه أقرب من قيم ما يقل ابتغالهم له ، وتداولهم إياه ، وهذا شيء مدوخ لا يجوز استنبطه آتية . وإنما التي يجب على مؤلف الكلام اعتباره هو أن يسلك الذهب القويم ، ويجهد أن لا يزيد الالطاف على معانيه مع الايضاح^(١) لها والابانة عنها . فانه إذا فعل ذلك خرج من عبدة اللانة ، وليس عليه أن يفهم العامة كلامه كل دور الشمس لذا لم يرد الأئمة [لا]^(٢) يكون ذلك قسماً في استلارته ، وإنما التقصير في بصر الأئمة حيث لا يستطيع النظر إليه قال الشاعر :

(١) في الأصل « الايضاح » وهو من عند الناصح والصحيح من قول الشاعر « ح » مر « ه » .

(٢) زيادة من قول الشاعر .

عليّ نَحْتُ للعاني من معاصيها وما عليّ بأن لا تقهر البحر ^(١)

وحيث اشغى بنا القول الى هذا الوضع ، فلنرجع الى ما هو فرضنا ومفهمنا ، من الكلام على الابهاز وحده ، وأقسامه . ولنوضح ذلك إيضاحاً جلياً ، فنقول : اعم أنت حد الابهاز هو دلالة اللفظ على المعنى من أقرب طرقه ، وهو بتقسيم قسمين : أحدهما الابهاز بالخطف وهو ما يختلف منه الفرد والجملة ، ^(٢) لدلالة ^(٣) على الكلام على المندوف ، ولا يكون إلا فيها ^(٤) زاد معناه على لفظه . وأما القسم الآخر فهو ما لا يختلف منه شيء ، بل يترك على حاله ، وهو ضربان : أحدهما ما ساوى لفظه معناه ، ويسمى التقدير ، والآخر ما زاد معناه على لفظه ، ويسمى القصر ، فأما القسم الأول ، وهو الابهاز بالخطف ، وذلك باب دقيق السداد ، لطيف للأخذ ، محبوب الامر ، شبه بالسحر ، فإليك ترى فيه ترك الذكر فصيح من الذكر ، والصلب عن الافادة لزوم للافادة ، وتجهلك أطلق ما تكون إذا لم تطلق ، وأتم ما تكون مبني إذا لم تبني ، وهذه جملة تذكرها حتى تحجز ، وتقدمها حتى تنظر ^(٥) ، وهذا القسم يستعمل على أربعة عشر باباً : الأول الاكتفاء بالسبب عن السبب ، وبالسبب عن السبب ، وهو ضرب من الكلام ، مستكثر عبادته . ونتراد لفظه . فأما الاكتفاء بالسبب عن السبب فكأنه تعالى « وما كنت بمحسوب القسمة » ^(٦) إذ قضينا الى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ولكنا أشأنا فروعاً فمما قول عليهم القسمة ^(٧) « كأنه قال » وما كنت شاهداً لموسى وما جرى له وعليه ، ولكنا أوجبناه إليك « فذكر سبب الوحي على عادة استدلالات القرآن الكريم ، لأن تقدير الكلام « ولكنا أشأنا

(١) هنا البيت من قصيدة البحري يمدح بها علياً الأرمي معلوماً :

في السبب زهير له لو كان يزهر
ودع منه لو لا أنه حبر
وله دوي أثبت في القويان :

من تحت القويان من مالمهما
وما على لهم أن يهيم البحر
« القويان ج ٢ ص ١٣ » .

(٢) في الأصل « لغة » والتصحيح من لقل الدائر « ج ٢ ص ٧٨ » .

(٣) في الأصل « بما » والتصحيح من لقل الدائر .

(٤) راجع دلائل الابهاز « ص ٩٥ » .

(٥) سورة « القصص » الآية « ١١ » .

بعد الوحي فاندوست العلوم ، فوجب إرسالك اليهم ، فأرسلناك وعرفناك العلم بقصص الأنبياء ، وقصة موسى — عليهم السلام — . وأما الاكتفاء بالسبب عن السبب فكقوله تعالى « فإذا قرأت القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » فأوله ، ولله أعلم ، إذا أردت قراءة القرآن فاستمع^(١) بالسبب الذي هو « القراءة » عن السبب الذي هو « الاذاعة » وهذا أول من تأول من ذهب إلى أنه أراد « فإذا تعوذت فقرأ » لأن في ذلك قلباً لازمة بك إياه ، وأيضاً فنه ليس كل مستمع لله واجبة عليه القراءة ؛ ومن ذلك قوله تعالى « قلنا اضرب بمصطك الحجر فاضجرت منه^(٢) . » فكيف بالسبب الذي هو « الاصباح » عن السبب الذي هو « الضرب » وكذلك قوله تعالى « إذا قم إلى الصلاة فغسلوا وجوهكم » أي إذا أردتم القيام إليها ، وأعلم أنه قد ورد في القرآن الكريم ما هو سبب وهو بعبارة سبب « كفوله تعالى » فلا يفسد ذلك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى « ألا ترى أن العبارة فهي من لا يؤمن عن صدق موسى ، والقصود فهي موسى عن متابعة الضلالة عن التصديق بالبعث ، فقد سلجت العبارة إذا لاداء هذين العنيتين ، وذلك أن صد الكفار عن التصديق بالبعث سبب التكذيب ، فذكر السبب ليدل به على السبب ، وكأنه قل « لا تكذب بالبعث » وأيضاً أن صد الكفار بسبب عن وخلة الرجل في الدين ، وإن شكبه ، فذكر السبب ليدل به على^(٣) السبب كأنه قل « كفى شديد الشكينة ولا تكن رجوا حتى لا طرح منك لن يفكر بالبعث أن يعلم في صدك عما أنت عليه » . وهذا كقولهم « لا تُرَبِّسْكَ ههنا » المراد نهيه عن مشاهدته والكون يحضرته ، وذلك سبب رؤيته إياه ، فكان ذكر السبب دليلاً على السبب ، وهذا من اعرف ما يرد في بابها فاعرفه .

الغريب الثاني من قسم المؤول

من النوع الرابع

وهو الاشارة على شريطة التفسير ، وذلك حذف الجثة من الكلام إذا كان ما بعدها يدل

(١) في الأصل « فاستمع » وهو من ضبط السامع .

(٢) سورة « البقرة » الآية « ٩٠ » . (٣) في الأصل « عن » .

عليها ، وفيها من « دقق السفة » و « جليل القائمة » ما لا يخفاء به ، « فما جاء منه قوله تعالى :
 « أفن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للناسية فلوهم من ذكر الله أولئك
 في ضلال مبين ^(١) » . تقدير الآية « أفن شرح الله صدره للإسلام كمن أقضى قلبه » ويدل
 على المحذوف قوله « فويل للناسية فلوهم من ذكر الله » . ومن ذلك قوله تعالى : « لا يستوي
 منكم من أفن من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد » وقائلوا « .
 تقديره « لا يستوي من أفن من قبل الفتح ومن أفن من بعده » . ويدل على المحذوف « أولئك
 أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد » وقائلوا « . ومن هذا الضرب حذف العلق كقوله تعالى
 سكاية عن مريم عليها السلام : « كنت أني بكنون في غلام ولم يمسسني بشر ولم أك نبيا
 قال كذلك قل رب أنشأني مؤمنا وكن أمرا مقدسيا ^(٢) » .
 « ولنجدله » لتلبيح مسئلة محذوف أي وانما فعلنا ذلك لنجدله آية للناس ، وبين به أثر قدرنا
 الجاهلية . ومن الأخير على شريطة التفسير حذف الضمير لئلا يورد بعد الشيئة والارادة كقوله تعالى :
 « ولو شاء الله لذهب بسمهم وأبصارهم ^(٣) » . ففعلول شاء هاهنا محذوف وتقديره : ولو شاء الله
 أن يذهب بسمهم وأبصارهم ^(٤) لذهب بها ، وهي نحو من ذلك جاء قوله تعالى : « ولو شاء الله
 لجمعهم على الهدى » . الآية . ومن هذا الضرب قول البهزني : -

لو شئت لم نقصد سماعة حاتم كرماء ولم تهم ما أثر خالد ^(٥)

« الأصل في ذلك » لو شئت أن لا نقصد سماعة حاتم لم نقصد هاهنا حذف ذلك من الأول استثناء
 بدلالته عليه في الثاني ، فإن الواجب في حكم الالاحة أن لا تنطق ^(٦) بالمحذوف ، ولا تطهره إلى
 القفط ، ولو أظهرته لصرب ^(٧) في كلام عث وهي الشيئة بعد لو . وبعد حروف الجزاء حكما

(١) سورة مريم ، الآية ٩٠ . (٢) سورة مريم ، الآية ٦٦ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٠٥ . (٤) التبعة من اللسان السائر ج ٢ ص ٧٨ .

(٥) من كلمة البهزني يذهب بها للمضربين أحمد شامي وأولها لوله :

هيا لطيف خواتك الشاعرة ولو سلكك الضرب الباع

(٦) في الأصل « ينطق » وهو من هذا صياح ، والتصحيح من اللسان السائر ج ٢ ص ٩٨ .

(٧) في الأصل « المضرب » والتصحيح من اللسان السائر ج ٢ ص ٩٨ .

مؤفوفة غير معدلة الى شيء ، كثير شائع بين البلغاء ، وقد تكاثر هذا الخذف في « شاء وأراد » حتى إنهم لا يكادون يرزون المفعول إلا في الشيء المستغرب نحو قوله تعالى : « لو أراد الله أن يتخذ ولداً لأصبح مما يخلق ما يشاء »^(١) الآية . وعلى هذا الأسلوب جاء قول الشاعر :
 ولو شئت أن أبكىك بكيتك عليه ولكن ساحة الصبر أوسع^(٢)
 فإن كان على حد قوله تعالى « ولو شاء الله لجمعهم على الهدى »^(٣) لوجب أن يقول : لو شئت لكيتك دماً ، ولكن ساحة الصبر أوسع ، ولكنه ترك ذلك للطريقة ، وعمل منها الى هدفه ، لأنه أتى في هذا الكلام خصوصاً وسبب حسنه أنه كان بدءاً عجيباً ، أن يشاء الإنسان أن يبكي دماً ، فلما كان مفعول الشئ أمراً عظيماً ، وبدعاً قريشاً كان الأحسن أن يذكر ولا يضم . فأعرب ذلك .

الضم الثالث من القسم الأول

من النوع الرابع وهو حذف الفعل وجوابه

فأما حذف الفعل : فكذلكه تعالى : « ووصينا الإنسان بوالديه » حتى « وإن جهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم . فلا تطعهما ... »^(٤) ومن هذا الباب قوله تعالى : « وَكَفَىٰ رَبُّكَ »^(٥) سورة « الرعد » الآية « : : » .

(١) هذا البيت شعر في عهد أئمة بني أمية في شرح الحاشية ج ٢ ص ١٠٥٣ « من طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، وخرجه هو أبو يعقوب السمعاني بن حبان ، وكان مولد ابن خزيمة بن عمرو التميمي لري فلبس إليه ، وهو من شعراء القرن الثاني للهجرة » راجع الشعر والشعراء لابن خزيمة ١٢٢/٣ من طبعة لندن سنة ١٩٠٢ « وقيل هذا البيت في شرح ديوان الحاشية :

والذي وإن أظهرت صبراً وحشية وصباغت أصدائي عليك نوح

وجاء في حاشية للشيخ السائر ج ٢ ص ٩٩ « أن البيت لفرزدق (كما) من مبدعة يرتي بها أبا لبيدham (بن محبرة بن غريم) أوطأ :

وحل الذي لا يستطيع يذبح

ففي وطراً منك الحبيب المودع

وأظن لأخاه ج ١٥ ص ١١٣ طبعة ساسي .

(٢) « سورة الأنعام » الآية « ٣٥ » .

(٣) سورة ٣٩ آية ١٥ . وقد جاء في « النسخ السائر » بعد هذه الآية المكررة : « قوله : (وإن

جهداك على أن تبكي دماً من أصل قول : أي ، وقوله : إن جهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما » ج ٢/ص ٩٥ .

أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا إِلَهًا ، وَإِلَٰهَ الْوَالِدِينَ إِحْسَانًا ^(١) » . وَكَذَٰلِكَ قَوْلُهُ ، عَزَّ وَجَلَّ : « وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ : يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ » أَلَى قَوْلِهِ « .. وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ^(٢) » أَلَا تَرَى كَيْفَ حَذَفَ الْفِعْلَ فِي هَذَا الْوَضْعِ مَكْرُورًا بِإِلَاقَةِ تَقْدِيرِهِ : فَلَمَّا رَجَعَ ، وَوَسَّى الْمَلِكُ ، « وَرَأَى أَنَّ عَلَى نَعْيِ الْحَالَةِ مِنْ عِبَادَةِ الْمُجَلِّ ، قَالَ لِأَخِيهِ : « يَاهَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ... » ^(٣) الْآيَةُ ، وَأَخَذَ بِطَبْعَتِهِ وَرَأَيْتُهُ ، بِشَرْكَائِهِ عَلَيْهِ وَعَضْبًا . قَالَ لَهُ هَارُونُ : « يَا بَنِيَّ أَلَمْ لَا تَأْخُذْ بِطَبْعِي وَلَا بِرَأْسِي » الْآيَةُ . وَمِنْ هَذَا الضَّرْبِ : إِتْقَاعُ الْفِعْلِ عَلَى شَرِيحَيْنِ ، وَهُوَ لِأَحَدِهِمَا ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ^(٤) » فَالْوَضْعُ الْفِعْلُ مِنْ « أَجْمَعُوا » عَلَى أَمْرِكُمْ وَشُرَكَاءِكُمْ ، وَهُوَ « لَا أَمْرَكُمْ » وَحْدَهُ . وَإِنَّمَا الْمُرَادُ : أَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ ، وَادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ، لِأَنَّ مَعْنَى « أَجْمَعُوا » : مِنْ أَجْمَعَ الْأُمُورَ ، إِذَا تَوَلَّاهُ وَعَزَمَ عَلَيْهِ . وَقَدْ قُرِئَ أَيْضًا ^(٥) « فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ » وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى مَا أَثَرْنَا إِلَيْهِ ، وَكَذَٰلِكَ هُوَ مُثَبَّتٌ فِي مَصْنُوعِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَاعْرِفْ ذَلِكَ .

وَمِنْ حَذْفِ الْفِعْلِ بِإِسْمَى : « أَقَامَةُ الصُّدُورِ مَقَامَ الْفِعْلِ » .

وَهُوَ بِإِصْبَافِ الْعَلَفِ لِلْأَخْطِ ، وَأَمَّا بِفِعْلِ ذَلِكَ لِضَرْبٍ مِنَ الْإِبَالَةِ وَالْوَكِيدِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « فَلِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ^(٦) » . قَوْلُهُ : « فَضَرْبِ الرِّقَابِ » وَأَصْلُهُ : فَاضْطَرَبُوا الْأَعْنَاقَ ^(٧) ضَرْبًا ، فَحُذِفَ الْقَمْعُ ، وَأَقِيمَ الصُّدُورُ مَقَامَهُ ، وَفِي ذَلِكَ اخْتِصَارٌ مَعَ اعْطَاءِ (مَعْنَى) (٨) التَّوَكُّيدِ لِلصُّدُورِ ، فَاعْرِفْهُ .

(١) سورة ١٢ آية ٢٣ . (٢) سورة ٢٠ آية ٩٠ .

(٣) سورة ٢٠ آية ٩٢ وَلِكَذَٰلِكَ الْآيَةُ : « ... أَلَا تَنبَغِي ، أَلْحَصْبَةُ أُمِّي » قَالَا يَا بَنِيَّ أَلَمْ لَا تَأْخُذْ بِطَبْعِي ... » .

(٤) سورة ١٠ آية ٢٦ .

(٥) آيٍ مِنْ كَتَبَ : سَجَّاهُ الصُّدُورِ مِنْ بَنِي الْجَارِ مِنَ الْمَرْجُوحِ قُرَأَ الْفَرْكَ عَلَى آيٍ - مِنْ - وَفُرَأَ عَلَيْهِ حَبِي - مِنْ - بِمَعْنَى الْفَرْكَ لِلْإِخْرَاجِ وَالْعِلْمِ ، وَكَانَ صَبَدَ الْفَرَادِ ، كَانَ يَكْتُبُ وَفُرَأَ ، وَبِأَسْمَلٍ كَانَ مِنْ كِتَابِ الْقَوْمِ . وَفِي الْبَهْلَةِ فِي حَقَائِقِ الْفَرَادِ لِلشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْبَرْزُوقِيِّ ج ٩ ص ٣٦ « وَاسْمُورِ » الْأَعْلَامُ ، فَتُرَدُّ كَلَامِي ج ٦ ص ٢٨ .

(٦) السُّورَةُ ٤ وَآيَةُ ٧ .

(٧) فِي الْكُلِّ السَّائِرِ : فَاضْطَرَبُوا الرِّقَابَ ضَرْبًا ، وَالرِّقَابُ هُنَا الْفَعْلُ مُتَابِعَةٌ ج ٢ ص ٩٠ .

(٨) زِيَادَةُ مِنَ الْكُلِّ السَّائِرِ ج ٢ ص ٩٤ .

وأما حذف جواب الفعل ، فإنه لا يكون في ^(١) الأمر كقوله تعالى : « ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا سمعه أفًا » هارون وزيراً ^(٢) .. « إلى قوله : « ... تقديره » ألا ترى كيف حذف جواب الأمر في هذه الآية ؛ فإن تقديره : فلما : أذهب إلى اقوم الدين كذبوا بآياتنا ، فذهبوا إليهم فكذبوها فدمرناهم تدميراً ، فذكر حقيقتي القصة : أولها وآثارها ، لأنها للنصود من القصة بطولها ، يعني إتمام الحاجة مدة الرسل ، واستحقاق التدمير بتكذيبهم ، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : « فإِذَا يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ لَا تَأْمُرُوا بَعْدِي ... » ^(٣) إلى قوله : « ... وهم لا يشعرون » . اعلم أن في جواب الأمر من هذا الكلام محذوفاً تقديره « فأرسله معهم » ، ويدلنا على ذلك ما جاء به بعده من قوله تعالى : (ولما ذهبوا به ، كما حذف أيضاً في قوله عز وجل ^(٤)) : « وقال الذي نجا منها وأذكرى بعد أمه ^(٥) .. » إلى قوله : « ... فارتجى محبان » . الآية .

جواب الأمر في هذا الموضع محذوف وتقديره . « فأرسلوه إلى يوسف قائلاً فقال له : « يوسف أيها الصديق ^(٦) » . وكذلك قوله تعالى : « وقال الملك أئتوني به فلما جاء الرسول ... » ^(٧) إلى قوله : « ... كيد الحائنين » . ففي هذا الكلام حذف وانقضاء استغنى عنه بدلالة الحال عليه ^(٨) ، وتقديره « فرجع الرسول إلى الملك برسالة يوسف ، فبدأ الملك بالسوة وقال لمن ما خطبككن ... »

(١) في الكل الباء : « فله لا يكون في الأمر المعلوم ... » ج ٢ ص ٩٥ .

(٢) سورة الحديد ، آية ٢٣ . ونسكتة الآية : « ... فلما أذهبنا إلى اقوم الدين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميراً ... » .

(٣) ونسكتة الآية : « ... وإنا له الناصون ، أرسله بما غدا يرفع ويهب وإنا له الحافظون ، قال إلى ليعزني من ذهبوا به وأذهب إلى ما كلفه الذب وإم عنه دهلون ، فلما ألقى أسفه الذب ونفى حيلة إنا لا ناصرون ، فلما ذهبوا به وأبعدوا من يمينه في غداة الحب وأوحيا له لفتيتهم بأمرهم بها وهم لا يشعرون . »

(٤) فليصان آتينا من لقل الباء : ج ٢ ص ٩٦ . من الطلبة للذكورة .

(٥) سورة يوسف ، آية ١٥ . (٦) سورة يوسف الآية ١٦ .

(٧) سورة يوسف ، آية ١٥ .

(٨) أراد الخلف ، الخلف : ما جاء الخلف عليه ، ولو لا ذلك صرح بعبارة .

فانظر أيها القائل الى هذه الحذفات ، التي كأنها لم تحذف من هذا الكلام لظهور معناها وبيانها ، ودلالة الحال عليه . وعلى نحو من ذلك يدعي أن تكون الحذف ^(٩) قاعدها .

الضرب الخامس ^(١٠) من القسم الأول

من النوع الرابع

وهو حذف الضاف والضاف إليه وإقامة كل منهما مقام الآخر ^(١١) وذلك باب طويل مريض صالح ^(١٢) . في كلام الرب . وإن كان أبو الحسن ^(١٣) لا يري القياس عليه ، فأنما حذف الضاف فكقوله تعالى : « حتى إذا طغيت بأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ... » ^(١٤) [حذف الضاف إلى أجوج ومأجوج ^(١٥)] وهو سدأها ، كما حذف الضاف الى القرية في قوله تعالى : « وأسأل القرية ^(١٦) » أي أهل القرية . ومن هذا الضرب قوله تعالى : « ولكن البر من انتهى ^(١٧) » أي بر من انتهى ، وإن شئت كان تحديده « ولكن ذا البر من انتهى » والأول أجود ، لأن حذف الضاف ضرب من الاتساع ، وانظر أولي بذلك من المبتدأ ، لأن الاتساع يحذف الانحياز أول منه بحذف المندور . وقد حذف الضاف مكرراً نحو قوله تعالى : « فقيضت قبضة من أثر الرسول » ^(١٨) أي من أثر حاضر فرص الرسول . وهذا الضرب أكثر انشاعاً من غيره . وأما حذف للضاف إليه (فانه قليل الاستعمال ؛ فها جاء منه قوله تعالى) ^(١٩) : « لله الأسماء من قبل ومن بعد » ^(٢٠) أي من قبل ذلك ومن بعده .

(١) المصروف : جمع حذف .

(٢) الضرب الرابع ربما كان سائغاً من سائج الكتاب ، وهو في لسان السائر « حذف المفعول به » . أنظره في ج ٢ من ٩٢ من « لسان السائر » طبعه عبد الحميد سنة ١٢٣٩ بمطبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة .

(٣) لسان السائر ج ٢ من ٩٩ . (٤) في لسان السائر ج ٢ ص ٩٩ .

(٥) أنظر حاشية ص ٢٩ من هذا الكتاب . (٦) الأبيات ، الآية (٩٦) .

(٧) زيادة من لسان السائر ج ٢ من ٩٩ . (٨) يوسف ، الآية (٨٢) .

(٩) سورة البقرة (١٨٩) . (١٠) حاشية الآية (٩٦) .

(١١) زيادة في لسان السائر ج ٢ من ١٠٠ . (١٢) الزوم (٤) .

الحذف السادس من القسم الأول

من النوع الرابع

وهو حذف الوصف والصفة وإزالة فكر منها بمقام الآخر . وأكثر ذلك يحس في الشعر ، وإعجمات كثيرة في الشعر دون الكلام المنثور ؛ لأن القياس يكاد يحظره ؛ وذلك لأن الصفة تأتي في الكلام على ضربين ؛ إما لتأكيد والتخصيص وإما لفتح وأتم ، وكلاهما من متعلقات الأسباب والتمطويل ، لا من مقامات الإيجاز والاختصار . وإذا كان الأمر كذلك لم يسقط الحذف به . هذا مع ما يضاف إلى ذلك من الاتقياس وندم البيان ، ألا ترى أنك إذا قلت : « صمدت بطويل »^(١) لم يبين من ظاهر هذا اللفظ المرور به ؛ إنسان هو أم روح أم توب أم غير ذلك . وإذا كان الأمر كذلك لحذف الوصف إنما هو شيء قام الدليل عليه أو شهدته به الحال . وكذا أستبعد الوصف كان حذفه غير لائق .

ومما يؤكد عندك ضعف حذف الوصف أنك تجد^(٢) من الصلوات ما لا يمكن حذف موصوفه . وذلك أن تكون الصفة جهة نحو : « صمدت برجل قام أبوه » وقيمت (غلاماً)^(٣) وجهه حسن^(٤) . ألا تراك لو قلت : صمدت بقم أبوه وقيمت وجهه حسن لم يحجز .

وأعلم أنه قد أقيمت الصفة التشبيهية^(٥) بالجملة مقام الوصف البشدي في قوله تعالى : « وإنا ربنا السالكون » وما دون ذلك . (أي يقوم دون ذلك)^(٦) فأما حذف الصفة وإزالة الوصف مقامها فإنه لا يكون إلا فيما دلت الحال عليه ، فمن ذلك ما حكاه صاحب الكتاب^(٧) من قولهم : « سحر عليه ليل » وهم يريدون : ليل طویل . وإنا حذف الصفة في هذا

(١) في الأصل « صمدت بطويل » والتصحيح من لفظ الشاعر « ج ٢ ص ١٠١ » .

(٢) في الأصل « تصدب » والتصحيح من لفظ أيضاً « ج ٢ ص ١٠٢ » .

(٣) زيادة من لفظ الشاعر « ج ٢ ص ١٠٢ » .

(٤) زيادة من لفظ الشاعر المتضاعف الحيث « ج ٢ ص ١٠٢ » .

(٥) تشكيلة من لفظ الشاعر « ج ٢ ص ١٠٢ » .

(٦) يعني بصاحب الكتاب « سيويه » . والله هو أيضاً في لفظ الشاعر « ج ٢ ص ١٠٢ » .

وأظهر خاتمة ص ٢٥ من هذا الكتاب .

الوضوح فاحتمل من الحذف على موضعها ، وذلك أنه يحسن في كلام النحاة^(١) انكسار من التصريح والتفريغ والتفخيم والتعظيم بما يقوم مقام قوله : « طويل » أو نحو ذلك ، وأنت تحسن^(٢) هذا من نفسك إذا تأملته ؛ وهو أن يكون في مدح إسمان والثناء عليه (فتقول : « كلن^(٣)) وأثر رجلا » فترد في قوة اللفظ بالغة في هذه الجملة وتتمكن في مدح اللام وإثباته الصوت بها ؛ أي رجلا فصلا ، أو سجانا ، أو كريما ، أو ما جرى هذا الغرض من الصفات ، وكذلك تقول : « سائلنا موجدنا^(٤) » (إسماء^(٥) أي) إسماعيل صحيحا أو جوادا أو ما أشبهه ، وتتمكن الصوت « بناسر » وتضعفه ، وتستغني عن وصفه بقوله : « إسماعيل صحيحا أو جوادا أو ما أشبهه » على هذا أو نحوه تختف الصفة ، فلما بين تحريف من الدلالة عليها من اللفظ والحال فإن حذفها لا يجوز ، ألا تراك لو قلت : « رأيت البصرة عاجزا بالأكيلة^(٦) على رجل » أو « رأينا إسماعيل » ثم سكت لم يند فالت شيئا ؛ لأن هذا ونحوه مما لا يخلو ذلك الكلام منه ، وإنما المقصود أن لصف من ذكرت وما ذكرت ، فإن لم تفعل فقد كانت علم ما لم تدل على عليه ، وهذا لغو من الحديث وجور في التكليف .

ومن حذف الصفة ما روي في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد » أي لا صلاة كاملة أو قسمة أو نحو ذلك . فاعرف ما أشرفا إليه وتذكره فإنه ضرب من الكلام دقيق وغور من العربية صحيح^(٧) .

(١) في الأصل « كذلك » والصحيح من النسخ « ح » ج ٢ ص ١٠٢ .

(٢) في الأصل « تحسن » وهي من حسن ثم التنازع ، والصحيح من النسخ « ح » ج ٢ ص ١٠٢ .

(٣) زيادة من النسخ « ح » ج ٢ ص ١٠٣ .

(٤) زيادة من النسخ « ح » ج ٢ ص ١٠٣ .

(٥) زيادة من النسخ « ح » ج ٢ ص ١٠٣ .

(٦) الآية : « سم أول وثاني وتعدد اللام ومعها » وهي لغة كاتب على خاتمه « حجة قرينة من البصرة » وهي أقدم بها . قال الأصمري جعلت الدنيا ثلاث : غربة دمشق ، وغربة بلخ وغربة الأبله . وقد نسب إليها حادثة من رواة لغز ، أهل بلخ الأول من كتب « معجم البلدان لياقوت الحموي » وكانت قرب أبي المصعب البلخي الحلي ، ونهرها هو نهر الخيرة الذي .

(٧) يستوفى على المؤلف في هذا الباب أن حذف بوسوف في باب لعمول الثاني جائز دائما نحو « أنهم مؤيدون ومفكر كثير » .

الظرب السابع من القسم الأول من النوع الرابع

وهو حذف الشرط وجوابه

فَأَمَّا حَذْفُ الشَّرْطِ فَنَحْوُ قَوْلِهِ نَعَالٍ : « يَا عَبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ ، فَإِنِّي قَائِمُونَ »^(١) . أَلَا تَرَى أَنَّ الْفَاءَ فِي قَوْلِهِ : « قَائِمُونَ » ، جَوَابُ شَرْطٍ مَحذُوفٍ - لِأَنَّ الْعَنَى : أَنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ ، مِنْ لَمْ تَحْطَسُوا لِي الْبَيَادَةَ فِي أَرْضِي فَأَخْلَسُوهَا فِي غَيْرِهَا ، ثُمَّ حَذْفُ الشَّرْطِ ، وَهَوَاشٍ مِنْ حَذْفِهِ تَقْدِيمُ الْفِعُولِ مَعَ إِفَادَةِ تَقْدِيمِهِ بِمَعْنَى الْأَخْتِصَاصِ وَالْإِحْلَاصِ .
وَمِنْ هَذَا الظَّرْبِ قَوْلُهُ نَعَالٍ : « قَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا ، أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَخُذْهُ »^(٢) أَيْ فَخُذْهُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : « النَّاسُ يَهْرَبُونَ بِأَمْرِهِمْ إِنْ خَبِرُوا ظُفْرًا ، وَإِنْ شَرًّا فَخُفْرًا » أَيْ (إِنْ)^(٣) قَبْلَ الرَّءِ خَبِرًا جَزِي خَيْرًا ، وَإِنْ قَعْلَ شَرًّا جَزِي شَرًّا . وَمِنْ حَذْفِ الشَّرْطِ قَوْلُهُ نَعَالٍ : « وَبِمِمْ قَوْمِ السَّاعَةِ يَنْصَبُ الْخَرْمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ وَقَالِ الَّذِينَ أُوتُوا الدِّينَ^(٤) وَالْإِيمَانَ قَدْ لَبِثُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَيْتِ ، فَهَذَا يَوْمَ الْبَيْتِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ »^(٥) . اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْمَاءَ فِي قَوْلِهِ نَعَالٍ « فَهَذَا يَوْمَ الْبَيْتِ » هِيَ الْفَاءُ الَّتِي فِي قَوْلِ النَّاسِ :

... قَدْ جِئْنَا خُرَاصًا^(٦)

(١) سورة « العنكبوت » الآية « ٥٦ » (٢) سورة « البقرة » الآية « ١٩٩ »

(٣) زيادة من لفظي الشاعر « ج ٢ ص ١٠٤ » .

(٤) في الأصل « الكتاب » وهو من تحريف النسخ .

(٥) سورة « الروم » الآية « ٥٥ » « ٥٦ » .

(٦) في الأصل « قصد جهم » وأصحح ما أتيت به خلا من كتاب « دلائل الإعجاز » لغيري من ٢١ طبعة لتأري سنة ١٣٦٧ وقد تبيّن البرهاني أن القياس من الأصل هو :

لَاوَ خُرَاصَانِ أَقْبَى مَا يَرَدُّ بِنَا ... ثُمَّ الْقَوْلُ . قَدْ جِئْنَا خُرَاصًا
وَبَعْدَهُ فِي الْقَبُولِ :

مَنْ يَكُونُ الَّذِي أُرْجُو وَكَأَنَّهُ ... لَدِ الَّذِي كُنْتُ أَتَمَنَّى قَدْ كَلَا

وهذه الأبيات ولها ابن الأصبغ شرح مع الرشيد إلى خراسان انظر ص ٢٤٠ من « شرح ديوان القياس بن الأصبغ » تحقيق الأستاذ عبد الحميد اللا ، طبعة عمان الأعظمي سنة ١٩٤٧ .

وحقيقتها أنها^(١) جواب شرط مخذوف يدل عليه الكلام ، كانه قال : « إن صبح ما علم أن خراسان أقصى ما يروا بنا ، فقد جئنا خراسانَ » وأن لنا أن مخلص » . وكذلك هذه الآية يقول تعالى : « إن كنتم تنكرون البيعة فهذا يوم البيعة » أي لقد تبين بطلان قولكم ، وأمثال ذلك كثيرة ، فاحرصه .

وأما حذف جواب الشرط ، فكقوله تعالى : « قل أوابتم إن كان من عند الله وكفرتم به ، وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله^(٢) ... » إلى قوله : « ... الظالمين » . قلت جواب الشرط هاهنا مخذوف تقديره : « إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به ، أستم ظالمين . ويدل على هذا المخذوف قوله تعالى : « إن الله لا يهدي القوم الظالمين » وأمثال هذا كثيرة ، وهو ضرب من علم البيان ، تتوفر لطائفة ، فاحرصه .

الحذف الثامن من القسم الأول من النوع الرابع

في حذف القسم وجوابه

وأما حذف القسم ، فنحو قوله : « لَا تَقْلَبَنَّ »^(٣) ، أو غير ذلك من الأقسام^(٤) المحذوف بها . وأما حذف جوابه ، فكقوله تعالى : « وَالْقَبْشِرَ وَلِبَاسٍ عِشْرَ^(٥) » إلى قوله « .. مثلبا في البلاد » . قل جواب القسم هاهنا مخذوف ، تقديره : لتعدنين ، أو نحوه . ويدل على ذلك ما بعده من قوله تعالى : « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِمَادٍ^(٦) » إلى قوله : « سَوَّطًا

(١) في الأصل « أن » والصحيح من لفظ القرآن « ح » ص ٢٠٠ .

(٢) سورة الاحقاف آية ١٠ . ونكتة الآية : « ولكن واستكبرتم ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين ... »

(٣) الأقسام هاهنا : جميع القسم بمعنى الحلف .

(٤) سورة القصص آية الأولى ، ونكتة الآية : « ... والشمع والقوت ، والليل لنا بحر ، هل في ذلك قسم قدي صبر » ألم تركب مثل ربك بما دام ذات العباد التي لم يخلق مثلي في البلاد . آيات من ١ - ٥ .

(٥) سورة القصص آية ٦ . ونكتة الآية : « ... لرم ذات العباد التي لم يكن مثلي في البلاد وفود الذين جاورا الصغير بالواد وفرعون بني الأولاد الذين ملوا في البلاد ، فكذبوا فيها القصاص فصب عليهم ربك سوط عذاب » آيات من ٦ - ١٣ .

عذاب « . ومن هذا النحو قوله تعالى : « ق » ، والقرآن الجيد « ^(١) » ... « إلى قوله : « عجيب » . قل معناه : والقرآن الجيد لثُبُوتِ شَيْءٍ » ، والشاهد على ذلك ما جاء بعده ، من ذكر البعث في قوله : أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ وَأَكُنَّا رُبَاباً ، ذلك راجع بعيد « ^(٢) » . وقد ورد هذا الجنس في القرآن كثيراً .

الضرب التاسع من القسم الأول من النوع الرابع

في حذف « لو » وجوابها

وهو من أبلغ ضروب الإنجاز وأحسنها ، فلما حذف « لو » فكقوله تعالى : « ما اتخذ الله من وليٍ وما كان معه من إلهٍ إذا ذهب كلُّ إلهٍ بما خلق ولعلنا بعضهم على بعض » ^(٣) .
وأما حذف جوابها (فكقوله تعالى) ^(٤) : « ولو ترى إذ أقروا فلا قُوَّةَ وأخذوا من مكان قريب » ^(٥) . قل جواب « لو » ههنا محذوف وتقديره « لرأيت ^(٦) أمراً عظيماً ، وحالاً هائلةً » أو غير ذلك مما جرى هذا الجرى .

ومن هذا الجنس قوله تعالى : « ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين أو يعلم .. » ^(٧) إلى قوله « ولا هم ينصرون » . تقديره : لو يمشون الوقت الذي يستمتعونه ! وهو وقت صعب ، شديد ، محيط بهم ، فيه النار من وراءهم وقدامهم ، فلا يقدرُونَ على دفعها عن أنفسهم ، ولا يجسدُونَ نامراً ينصرهم ، لما كانوا بذلك الصفة ، من الكفر والاستهزاء والاستعجال ،

(١) سورة « ق » ونسكتة الآية : « إلى عبور أن خادم منكم تلك المكفرون ههنا شيء عجيب » .

(٢) سورة « ق » آية ٣ .

(٣) سورة « المؤمنون » الآية ٩١ . « وزاد في ليل السائر » تقدير ذلك : إذ لو كان معه إلهة ذهب كل إله بما خلق » ج ٢ ص ١٠٦ .

(٤) زيادة المتضام الأضاح . (٥) سورة « سبأ » آية ٥٦ .

(٦) في الأصل « لو رأيت » والتصحيح من ليل السائر « ح ٢ ص ١٠٧ » .

(٧) سورة « الأنبياء » آية ٣٨ ونسكتة الآية « لو يعلم الذين كفروا ، حين لا يكونون عن وجوههم نار ولا من ظهورهم ولا هم ينصرون » .

ولكن جيلهم به هو الذي هوته عليهم .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : « لو أنه لي بكم قوة أو آوي إل ركن شديد ^(١) » فجواب « لو » في هذا الموضع محذوف ، كما حذف في قوله تعالى : « ولو أن قرآننا سئرت به الجبال ^(٢) » أي لو أن لي بكم قوة لهضمتكم أو ملتمكم ، أو ما أشبهه . وكذلك (قوله تعالى) : « ولو أن قرآننا سئرت به الجبال » أي : لكان هذا القرآن .

الفصل العاشر من القسم الأول من النوع الرابع

في حذف جواب « لآ » وجواب « أما » وجواب « إذا »

فأما جواب « لآ » فكقوله تعالى « فآلنا أسفا وتلّه للحين » وباديها أن إبراهيم قد صدقت الرؤيا . إما كذلك تجزي الحسنيين ^(٣) . فن جواب « لآ » هاها محذوف وتقديره « فآلنا أسفا وتلّه للحين » وباديها أن إبراهيم قد صدقت الرؤيا كأن ما كان مما ^(٤) نطق به الحال ، ولا يحيط به الوصف ، من استبشارها واقفيها لها ، وذكرها على ما أنعم به عليها ، من دفع البلاء العظيم ، بعد حقله ، وما أشبه ذلك مما اكتسبها بهذه النعمة ، من عظام الوصف ، دنيا وآخرة . وقوله « إنا كذلك نجزي المحسنين » . فمقابل ^(٥) ما نغولها من الفرح والسرور بعد تلك الشدة العظيمة .

وأما حذف جواب « أما » فتحق قوله تعالى : « فأما الذين أسودت وجوههم أصكبرتم بعد إيمانكم ^(٦) » .

وأما حذف جواب « إذا » فقوله تعالى : « وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما

(١) سورة « هود » الآية « ٨٠ » .

(٢) سورة « الفرقان » الآية « ٣٦ » وتلك الآية « ... أو هضمت به الأرض أو سم به القوم » .

(٣) سورة « الصافات » الآية « ١٠٣ » .

(٤) في الأصل « ما بين » والصحيح من قول القائل ج ٢ ص ١٠٩ .

(٥) في مثل السائر « تخيل لطول ما نغولها » ... ج ٢ ص ١٠٩ .

(٦) سورة « آل عمران » الآية « ١٠٦ » .

خلفكم عليكم ترجون وما تأتيتهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين^(١) . ألا ترى كيف حذف الجواب من « بدأ » من الكلام ، وهو مطلوب عليه بقوله تعالى « إلا كانوا عنها معرضين » . كأنه قال « إذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم عليكم ترجون » . ثم قال : وأبهم الإعراض من كُـلِّ آية وتوعظة .

الضرب الحادي عشر من القسم الأول من النوع الرابع

في حذف « لا » من الكلام وهي مرادة

وذلك كقوله تعالى : « قالوا نلقه نقلاً تذكر يوسف^(٢) حتى تكون كرحمناً أو تكون من المالكين » قوله « نقلاً » يريد : لا نقلاً لحذف « لا » من الكلام ، وهي مرادة . والمسمى : نأله لا تزال تذكر يوسف .

ومن هذا الضرب قول امرئ القيس :

قلت : يمين الله أرح قاعداً ولو قطعوا رأسي لبيك وأوصالي^(٣)

تقديره : لا أرح قاعداً ، لحذف : « لا » من هذا الوضع ، وهي مرادة ، وقس عليه .

الضرب الثاني عشر من القسم الأول من النوع الرابع

في الاستثناء

وهو حذف المؤل التقدير ؟ وذلك ضرب من التأليف لطيف الأمر ، بحجب القارئ ، ولا

يُـجـد بآية من أبواب المذوق أحسن مأخذاً منه ، ولا أطرف^(٤) خيراً ، وهو ينقسم قسمين :

الأول : إعادة الأسماء والصفات .

(١) سورة « يس » الآية « لا » « وما مدعا .

(٢) سورة « يوسف » الآية « لا » .

(٣) هذا البيت من قصيدة له عطية :

الامر صياحاً أيها العنكب العنكب وهل بين من كان في العصر الحالي ؟

أنظر ديوان امرئ القيس شرح حسن السعدي ، الطبعة الثالثة ص ١٥٥ مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

(٤) في الأصل « أطرف » .

اعلم أن هذا القسم يحيى نارة بإعادة اسم من تقدم الحديث عنه ، كقولك : « أحسنت إلى زيد ، زيد ^(١) حقيق بالإحسان » وتارة يحيى بإعادة صفة ، كقولك (أحسنت إلى زيد) صدقتك القديم أهل لذلك منك » وهو أحسن من الأول وأبلغ ، لأن طرأته على بيان الوجوب للإحسان وتخصيصه ، فلما جاء من هنا قباب قوله تعالى : « ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » ^(٢) ... إلى قوله « ... المتطهرون » .

اعلم أنه لما قيل « هدى للمتقين » بأن الكتاب لهم هدى فأنجبه لمتأني أن يقول : « ما بالهم حصروا بذلك » ؟ فوقع قوله : « الذين يؤمنون بالغيب » إلى سبيله كالجواب ، وحجج بصفة « المتقين » المطلوبة تحتها خصائصهم التي استوجبوا بها من الله - عز وجل - المطلق والاختصاص على غيرهم ، أي الذين هذه عقائدهم وأعمالهم أحقاء بأن يهديهم الله وأن يعطيهم الخلاص .

وإن جعلت قوله تعالى : « ... الذين يؤمنون بالغيب ... » إلى آخر قوله : « ... وبالأخرة هم يوقنون » ^(٣) تأييداً « للمتقين » ، وقع الاستئناف على « أولئك » كأنه قيل : « وما للمتقين » . بهيئته الصفات قد اخذوا بالهدى ؟ فأجبت : أن أولئك الموصوفين غير مستبعد أن يوقنوا دون الناس ، بالهدى عاجلاً ، وبالإصلاح آجلاً ، فظهر ذلك وتدير رموزه ودقائقه .

الثاني : الاستئناف بتبريد إعادة الأسماء والصفات .

وذلك كقوله تعالى : « وما لي لأبعد الذي فطرني وإليه ترجعون » إلى قوله « ... للكافرين » ^(٤) .

(١) البردة من « لكى السائر » ج ٢ ص ٨٢ .

(٢) سورة « البقرة » الآية الأولى ، وتلك الآية : « الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة » وما يؤمنون يوقنون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون أولئك هم المتطهرون » .

(٣) سورة « البقرة » الآية « ٢ » .

(٤) سورة « ياسين » الآية : « ٢٢ » وتلك الآية « أتعد من عوفي كآفة إن يراد الرحمن بطرف لا يقين من شفاعتهم شيئاً ولا يوقنون . إني إنا نرى خلال بين . إني كنت بربكم » صمون . قيل امتنع الجنة ، قال لا ليت قوي بطون بنا فطرني ربى وجعلني من الكافرين » .

اعلم أن مخرج هذا القول خرج الاستثناء ، لأن ذلك من مطلق المسألة عن حاله عند لقاء ربه ، كقوله ^(١) «فَالَا قَوْلَ لَهُ : « كيف حل هنا الرجل عند لقاء ربه بعد ذلك التصطب في دينه والتخشى لوجهه بروحه » ؟ فقول : قيل ادخل الجنة ، ولم يقل : « قيل له » لانصياب الترض الى القول وعظمه لا الى القول له ^(٢) مع كونه معلوماً .

وكذلك قوله تعالى (يَا لَيْتَ قَوْمِي ^(٣)) مرتب على تقدير سؤال مما وجد .

ومن هذا القسم أيضاً قوله تعالى : « يَا قَوْمِ امْلُوا عَلَى مَكَاتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ (تَعْلَمُونَ) » الى قوله « معكم رقيب ^(٤) » .

اعلم أن مخرج الفرق بين إثبات الماء في سؤوف كقوله تعالى : « قُلْ يَا قَوْمِ امْلُوا عَلَى مَكَاتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ » من بآية عذاب « يعزبه » ويحل عليه عذاب مقيم » . وبين حذف الماء هنا في هذه الآية (أن ^(٥)) إثباتها وصل ظاهر يحرف موضوع الوصل ، ويحذفها ^(٦) وصل خفي تقديري بالاستثناء الذي هو جواب السؤال المقدر ، كأنهم قالوا : ما لنا يكون أبا علمنا نحن على مكاتنا ، ومات أنت : قال : « سَوْفَ تَعْلَمُونَ » موصلي تارة بالفاء وتارة بالاستثناء ، لانتفاء في البلاغة على عادة بانشاء العرب . وأقوى الرسلين وأبلغها الاستثناء . وهو قسم من أقسام علم البيان تشكك محاسنه .

المغرب الثالث عشر من القسم الأول من النوع الرابع

في حذف الواو وإثباتها

اعلم أنه حذف الواو وأثبتت في موضع ، فأما إثباتها فكقوله تعالى : « وما أهلكنا من

(١) تحذف مكررة ، ولا ترى لزوماً لذكرها .

(٢) أنظر لعل السائر ج ٢ ص ٨٣ .

(٣) سورة هود آية (٩٤) ومكة آية ٥ ... من بآية عذاب يعزبه ، ومن هو كاتب ، ولزقوا إلى معك رقيب » .

(٤) سورة الزمر آية ٥٠ . (٥) زيادة من لعل السائر ج ٢ ص ٨٣ .

(٦) في لعل السائر : « وحذفها » ج ٢ ص ٨٣ .

لمرية إلا لما متذكرون^(١) . وعلى هذا فلا يجوز حذف الواو وإنسابها في كل الواضع ، وإنما يجوز ذلك فيما هنا سببه من هاتين الآيتين لا غير .

وثبت^(٢) في ذلك ربما بدعه فنقول : أعلم أن كل اسم مكررة جاء خبره بعد « إلا » يجوز إثبات الواو في خبره وحذفها كتقولك « ما رأيت رجلاً إلا وعليه ثياب » وإن شئت (قلت^(٣)) « إلا عليه ثياب » ، فإن كان الذي يقع على المكررة (تألفاً^(٤)) فلا يكون إلا بحذف الواو ، نحو قولك « ما أظن رجلاً إلا هو » كقولك « ولا يجوز » إلا وهو كقولك « لأن النون يحتاج إلى شيئين فلا يمرض^(٥) » فله الواو لأنه يصح^(٦) كلكلكنني من الأفعسال باسم واحد ، وكذلك أخوات^(٧) « طئمت » وكان وإن وما أشبهها « غطاً أن تقول : « إن رجلاً وهو قائم » و « أظن رجلاً وهو قائم » ، أو « ما كان رجل إلا وهو قائم » ، ونحو ذلك ، ويجوز هنا في « ليس » خاصة ، تقول : « ليس أحد إلا وهو قائم » لأن الكلام يقوم مقامه بليس وبحرفه وفكرة^(٨) ، ألا ترى أنك تقول « ليس أحد وما من أحد » ، فجاز فيها ولم يجوز في « أظن » لأنك لا تقول : « ما أظن أحداً » ، تألفاً « أصبح وأمسى ورأيت » فإن الواو فيها أسهل لأنها نون^(٩) في حال ، و « كان وأظن » ونحوها بين على التماس إلا إذا كانت تألفاً ، وكذلك (لا)^(١٠) التبرئة وغيرها نحو « لا رجل ، وما من رجل » فيجوز إثبات الواو فيها وحذفها ، فاعرف ذلك وقس عليه .

(١) سورة « الشعراء » الآية ٢٠٨ .

(٢) في لئل السائر ج ٢ ص ١١٢ « وشين الله في ذلك » .

(٣) زيادة من لئل السائر . (٤) زيادة من لئل السائر ج ٢ ص ١١٢ .

(٥) في الأصل « فلا يمرض » وتصحيح من لئل السائر .

(٦) في الأصل « لا يصير » وتصحيح من لئل السائر ج ٢ ص ١١٢ .

(٧) في لئل السائر « جواب » .

(٨) زيادة الواو من لئل السائر ، وانظر حاشيته هناك ج ٢ ص ١١٢ .

(٩) في لئل السائر « نوناً في حال » ولا تراء مستقيماً معلوماً بتثنيه للم جمع تامة .

(١٠) زيادة واجبة وفي لئل السائر « في التنزيه » ولا يرى له وجبها . لأن « التبرئة » يراد بها هي

الجس كما هو معروف في كثير من كتب النحو كشرح الكافية للرملي الأشعراني ج ١ ص ١١٨ - ١١٩ .

طبعة استانبول ، وبذلك جامعاً لمفرد الفصل للذهبي ص ١٠٦ . بطبعة القدم بصر .

الفن الرابع عشر من القسم الأول من النوع الرابع

في المذهب الذي يوجب الاختلال في الكلام

وذلك ما يحدث من أصل اللفظ وهو إسقاط بعض حروفه . ولا يحسن استعماله في التأليف لكنه يجوز ؛ لأن العرب قد أوردته في أشعارها واستعملته في كلامها ، غلظت بعض الإطلاقات استغناءً حذفاً يخل بالباني ويمرض له والمثبة . ألا ترى أن قول علقمة ^(١) :

كأن إربتهم غلي على شرف مقدم يسبأ ^(٢) الكفطان ملثوم ^(٣)

ف قوله « . يسبأ الكفانة » يريد « يسبأ الكفان » وكذلك قول ليبيد :

دوسى الشا بتالع فأبان ^(٤)

أراد « للنازل » وعلى نحو من هذا جاء قول أبي ذؤاد ^(٥) :

يذوئىن تجند كحائر الجفوبها ^(٦) فكأنما تذكى سنايكها الحبس ^(٧)

أراد « الحبسب » .

(١) هو علقمة بن عبدة شاعر جاهلي من بني تميم ، يقال له اعلل ، كان يزوج أمياً أنيس الشعر ، وقد استنكا إلى زوجة امرئ القيس ثم جديده ، عسلت منها على بصره واحدة ، وروي واحد ، وحكت لعلقة أنظر من ١٠٢ من كتابه « الشعر والشعراء » وبه هذا من قصيدة أوقاف :

هل ما علمت وما استودعت مكنوم أم حيناً إلا فأنك اليوم مصروم ؟

(٢) في الأصل « قطعاً يسبأ الكفان مكنوم » وهو من أعراف المصاح .

(٣) العرف : للكفان الدار ، والمقدم وزن كتاب : حرفة تجعل في قم الأبريق .

(٤) كأن لب « ملامت بالحبس : أسودين » وفتح : اسم جبل بجد . وأبان اسم جبل أيضاً ومما أبان : الأبيض والأسود ، والوئان واحد في بلاد العرب . « أنظر كتابه الضرائر وما سوغ لظاهر دوى الناز من ٦٠ حجة لطيفة السلفية بمصر سنة ١٣٤٦ » بقيد حمود حكيم الأوسي .

(٥) هو أبو ذؤاد الأندلسي : شاعر جاهلي مشهور قال ابن عبد ربه : « ... اختفوا لي اسمه ، فقال بعضهم هو جارية بن المصاح ، وقال أنيس هو صفة بن النضرى ... وهو أحد خلف المليل للبهين » أنظر من ١٢١ وما بعدها من كتابه : « سلفيت الشعر » طبعه بيروت في مطبعة لبنان سنة ١٩٠٢ ، وأنظر « الوهج » من ٢٣ القرطاني .

(٦) في الأصل « يذوئىن جندل جائر بجوتها » .

(٧) يفرين مصارع « أغرى » مستنداً إلى نون الألف والراء بها اللين . والجندل : الصخر . والحبسب : رجل من بني عكراب بن حنيفة ضرمه باره لئلا يله كان لا يوجد إلا باراً ضعيفاً عاقبة الضيفان وقيل الحبسب ذئب ذو ألوان يفر الجبل ويذ ذبه شعاع كالسراج وسبه ناز الحامية المصروب بها الشى لضعفها « أنظر القيان في مادة « حبسب » ومغنية للى الدار » ج ٢ من ١٦٣ وغيره .

وهذا وأمثاله قليل جداً فاهممه . وإليك ، أيها المؤلف ، أن تستعمله في كلامك وإن كان
كان جائزاً . وقد ورد في أشعار العرب مثله .

وأما القسم الثاني من النوع الرابع فهو الإيحاء من غير حذف ؛ وذلك ضربان : الأول
ما يساوي لقطعه معناه ويسمى التقدير ؛ فإما جاء منه قوله تعالى : « قتل الإنسان ما أكفره » من أي
شيء خلقه ^(١) ... « إلى » يقتضي ما أمره . « قتل الإنسان » دعاء عليه . وقوله :
« ما أكفره » تعجب من إيثاره في كفران نعمة الله . عز وجل . ولا ترى أسلوباً أغلظ من
هذا الدعاء والتعجب ، ولا أحسن متناولاً ، ولا أدل على سطوة مع تقارب طرفيه ، ولا أجمع
للإتيان على مصر كمنه . ثم إنه أخذ في صفة حاله من ابتداء حديثه إلى منتهى زمانه ، فقال
تعالى : « من أي شيء خلقته » من خلقة خلقه تقديره . « أي هيأه لا يصلح له » ثم السبيل
يسره « أي سهل سبيله وهو خروجه من بطن أمه » والسبيل الذي يختار سلوكه من طريق
الخير والشر . والأول أول ، لأنه قال خلقته وتقديره . ثم بعد ذلك يسيره سبيله لا يختار من
طريق الخير والشر . « ثم أماته تقديره » أي جعله ذا قبر يوارى فيه . « ثم إذا شاء أشركه »
أي أحياءه . « كلا » : ردع اللانسان عما هو عليه « لا يقتضي ما أمره » أي لم يقتضي ، مع تناول
زمانه ، ما أمره الله — عز وجل — يعني أن يسأنا لم يحتل من قصير قط .

الآن ترى إلى هذا الكلام الذي لو أردت أن تخفف جزءاً من أجزائه لما قدرت على ذلك ؟
لأنك كتبت تعجب بجزء من معناه ، ويحتل عليك نظيره . فإن أسقطت الجلة الأولى التي هي
صدر الكلام زال معنى الدعاء عليه ، وإن أسقطت الجلة الثانية ، زال معنى التعجب من كفران
نعمته به . وإن أسقطت الجلة الاستفهامية ، أو غيرها دل ما تضمنته من المعاني ^(٢) التي نولها
لما كان ، فاعرف ذلك .

ومن هذا الضرب قول علي بن جبلة ^(٣) :

(١) سورة « عبس » آية ١٧ وما بعدها ، وتلك الآية : « ... من خلقة خلقه قدره » ثم السبيل
يسره ، ثم أدبه بأمره ، ثم إذا شاء أشركه ، كلا لا يقتضي ما أمره ... »

(٢) في الأصل « للمي » . والجمع هو شيء يقتضيه السبيل .

(٣) علي بن جبلة : معروف بالكنية ، شاعر مشهور ، كان خبراً راجحاً ، حسن النظم ، وصاحباً
بديعاً ، مدح لأبيون وحيد بن عبد الحميد القوسي والمسي بن سيار ، وأما ذلك القسم من عبس ولا سبيل
١٦٠ ونولي سنة ٢١٣ هـ ، أصله : « الشعر والشر » لأن حبة حبة أوروبا س ٥٥٠ وما بعدها .

وما لامرئ^١ حلوته عنك مهرب^٢ ولو حلت في السماء الطالع
 على هارب لا يهتدي لمكانه ظلام ولا ضوء من الصباح ساطع
 فهذا هو الكلام ، الذي أفاطه وفق منابه . فانه قد اشتمل على مدح رجل ، (ق) ^(١)
 فحول ملكه ، وعموم سلطانه ، وأن لا مهرب عنه لمن يحاوله ، وإن تعبد السماء ، ثم ذكر جميع
 الهارب ، في التاروق والطارب ، فأشار الى أنه يطلع حيث يطلع الغياض والظلام ، وذلك مما لم يزد
 عبارته على الذي التدرج تحته ولا قصرت عنه .

ومن هذا النحو ما جاء في كتاب التوارد ^(٢) . قول بعضهم :

ما أقرب الأشياء حين يسوقها فمدر وأيسرها إذا لم تقدر !
 فكل الهيب تكن لبياً مثله من يسع في علم يلب بهر
 وتدير الأمر الذي تقي به لا خير في عمل يغير تدبر
 فقد يحيد الرء وهو مقصر ويخب سمي الرء غير مقصر
 ذهب الرجل القندي بفناهم ^(٣) والمتكرون لكل أمر متكر
 وبقيت في خلف يزين بعضهم بعضاً ليدفع مفعود عن معود
 فهذا النمط الرقي ، والكلام الملي ، والنهج القويم ، والصراط المستقيم تروفت بهجته ،
 إذا قرع صمك ، وبؤسك إذا سكن قلبك ، غدق في درجات الابتجاز ، الى أن يكاد ينزل
 ساحة الابتجاز ، وأمثل ذلك كثير في كلام البلغاء ، وفيها ذكره كفاية ومقتنع .

الضرب الثاني من القسم الثاني من النوع الرابع

فيما زاد معناه ^(١) على لفظه

ويسمى هذا الضرب « الابتجاز بالقصر » ، والقرآن الكريم ، لأن من ذلك ، كقوله
 ﴿ وتربط المطايا بالأسنان ﴾ ج ١٩ ص ٣٥٩ « وطاعت التوراة لأن لغز » ص ٢٦ « والزيات
 » ج ١ ص ٣٥٣ « طبة بلاد العجم » ونكت الغيان في نكت الغيان لصفدي « ص ٢٠٩ » .
 (٢) زيادة انصافها السابق .
 (٣) التوارد اسم هذه الكتب منها « التوارد » في اللغة لا ي زيد الانصاري وهو مطبوع ونواحر
 الأهراب للأصمعي .

(٣) في الأصل « فاعلم » ولا يستلزم به وزن الشعر .

(١) في الأصل « لما زاد معناه على معناه في لفظه » ولا وجه له .

نعالى « من كفر فعليه كفره »^(١) كلمة جاسمة لا لا غاية وراءه ولا أتمة قوله من الضلّال ، لأن من ضلّ ضلّه كفره فقد أحاطت به كل مضرة ، وكذلك قوله تعالى « ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر ببنيادي ... »^(٢) إلى قوله « ... وما عدي » بقوله تعالى « فنشيتهم من اليم ما غشيتهم » من جوامع الكلام التي نستعمل مع غلبتها بالمعاني الكثيرة . أي غشيتهم من الأمور المائلة ، والمطلوب الفادحة ما لا يعلم كنهه إلا الله تعالى ، ولا يحيط به غيره ، وعلى نحو من ذلك قوله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان »^(٣) الآية فإن هذه الآية من أجمع آية في القرآن الكريم ، وقيل إن النبي - صلى الله عليه وسلم - قرأها على الوليد بن المغيرة^(٤) فقال له : « يا ابن أخي أمد » فأمد النبي - عليه السلام - فقرأتها عليه . فقال له « إنّ له خلاوة ، وإنّ عليه لخلوة وإن أعلاه بشر ، وإن أسفله لفندق ، وما هو بقول بشر » . ومن هذا الضرب أيضاً قوله تعالى « فاصدع عما يخرمك »^(٥) فبها ثلاث كلمات تشتغل على أمر الرسالة وشرائعها وأحكامها على الاستقصاء . وأما قوله تعالى « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين »^(٦) فإنه قد جمع في هذه جميع مكارم الأخلاق ، لأن في الأمر بالعروف صلة الرحم ، ومنع البهتان عن الزينة ، وعن السكّاب ، وعن الغش في الطرف من المرمات ، وغير ذلك من أشباه لا تحصى . وفي الإعراض عن الجاهلين الصبر والحلم وإبرأها . وقد قال بعض الأعراب في الدعاء : « اللهم هب لي حقلك وأرض عبي خلقك » . ألا ترى إلى هذه الكلمات (و)^(٧) ما حوت من المعاني

(١) سورة الروم : الآية ١١ .

(٢) سورة طه : الآية ٧٧ ، ونكته الآية : « ... مضرب لهم طريقاً في البحر يصا لا تخلف حركاً ولا تخفى ، فأبهم مرجون بمنزلة غشيتهم من » يم ما غشيتهم » وأصل فرعون فرعون وما عدي

(٣) سورة النحل الآية ٩٠ . ونكته الآية : « ... والله عدي القربى ونهى عن الجاهل والنكر والبي ، يهلك أهلك تدكرون ... » .

(٤) الوليد بن المغيرة : هو الوليد بن المغيرة الخزرجي كان مسلماً وكان له عدة من الدين ، فأسلم الاسلام فعاد ، وكان يقول لأبيه ولعنته : « من أسم منكم منعت ردي » أخر : كتاب المغيرة لمعتمد بن ج : ص ٨٧ طبعه مطبعة الاستقامة بالمدينة سنة ١٩٤٩ .

(٥) السورة : الحجر : الآية ٩٤ . ونكته الآية : « ... وأعرض عن المذركين . . . » .

(٦) السورة : الأعراف : الآية ١٩٩ . (٧) زيادة ينضمها الديال .

الكثيرة من العفو عن الزلل ، والتجاوز عن الذب ، وغير ذلك مما جرى هذا الجرى . وأما إرضاء المطلق فيستلوي على أشياء طائلة لا يستقرها الفكر .

ومن ذلك قوله تعالى : « أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ^(١) » فإنه أدخل تحت الأمن جميع الخوقات ^(٢) ، لأنه يقى به أن يخافوا شيئاً من الفقر والموت وزوال النعمة ونزول العقبة ، وأضاف ذلك من أضاف للسكارة .

وصح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رجلاً يقول لآخر : كذبتك الله ما أمرك . فقال : هذه البلاغة . فأعرف ذلك .

وأعلم أن الأصل المنبر في الإيجاز بالقصر أنك تذكر شيئاً يقع على محتملات متعددة ، ألا ترى إلى قوله (تعالى) : « فنقيم من اليم ما غشيهم » . وقوله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان ... » الآية ، وقوله تعالى : « فاصدع بنا نؤامر » . وقوله تعالى : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین » ، وقوله تعالى : « أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » . فان هذه الآيات جميعها جارية في المنهاج الذي أشرنا إليه ، من أنك تذكر شيئاً يقع على محتملات متعددة ، وأمثال ذلك في القرآن الكريم كثيرة .

ومن الإيجاز بالقصر باب يسمى « باب أقول » ، وهو التفضيل بين شيئين لا يشتركان في الصفة التي يفضل بها أحدهما على الآخر . فمثل ذلك قوله تعالى : « قل من كان في الضلالة فليستبدد له الرحمن مديناً ^(٣) » . إلى قوله : « .. وخير مردأ » فقوله « خير عند ربك ثواباً » من منافرات الكفار ، وإنما قل « خير ثواباً » وقد علم أن معانرات الكفار ليس لها

(١) السورة « الأنعام » والآية « ٨٢ » .

(٢) في النسخ البائر « جميع الخيومات » ح ٢ من ١٢٤ .

(٣) السورة « مريم » والآية « ٣٤ » وتلك الآية : « ... حق لها وأول ما يوعدون ، لها العذاب ولها الساعة فيقبلون من هو شر مكالاً وأصف جنساً ، ويريد الله الذين اعتدوا ههنا » . وإثباتات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير مردأ » .

نواب حتى يجعل نواب الصالحات خيراً منه ، لأن ذلك على طريقة قولهم :
 تحيةً بينهم ضربٌ وجميعٌ

فسكانه قال : نوابهم النار ثم بنى عليه « خيرٌ نواباً » . وفي ذلك ضرب من التهكم الذي هو أضيظ للتهديد من أن يقال له « عقابك النار » . فان قيل : قا وجه التفضيل في الخبر بين مغاخرات الكفار ونواب الصالحات ؟ قلت : هذا من أوجز كلام العرب . ومثله قولهم « الصيف أحرّ من الشتاء » . أي أبلغ في حرّ من الشتاء . وهذا جائز ، لأن الحر لا شك متفاوت درجته ، فيكون بعضها أشد من بعض ، وكذلك البرد أيضاً ، فنقول العرب « الصيف أحرّ من الشتاء » أي إن حر الصيف في نابه أبلغ من برد الشتاء في بابه ، مثال ذلك : أن حر الصيف قد بلغ أنهس درجته ، بل يكون قد بقي منه وبين نهاية البرد درجة أو درجتان ، فيكون حر الصيف بالنسبة إلى أصل الحر أبلغ من برد الشتاء بالنسبة إلى أصل البرد . وهذا مثل قولهم « الحسل أحلّ من الخلّ » وليس في الخلّ حلاوة حتى تفصل حلاوة الحسل عليها ، وإنما المعنى في ذلك كالمعنى في الآية الأولى .. وأمثال هذا كثيرة ، وقد ورد في القرآن الكريم في مواضع منه ، كقوله تعالى في سورة الفرقان : « وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرّنين ، دعوا هنالك ثبورا ^(١) .. » إلى قوله « ... جزاء ومصيبراً » وقد علم أن جهنم ليس فيها خير حتى يجعل الجنة خيراً منها ، بل هي شر محض ، وعذاب لاخير فيه .
 والأسفل في هذه الآية ما أشرنا إليه أولاً .. فاعرفه انشاء الله - تعالى - .

الفرع الخامس

من الباب الأول من الفن الثاني في الاطناب

إعلم أن هذا النوع من أنواع علم البيان ، شديد الاندساس . كشمير الاعتياس وذلك أن

(١) سورة فرقان آية : ١٢ وسكّنة الآية : « ... لا تدعوا يوم ثبورا واحداً وادعوا ثبورا كثيراً على أنلك خير ألم جنة اللعالي وعدة تتفون كانت لهم جزاء ومصيراً » .

جامعة من الأئمة السجودين في هذه الصناعة قد جعلوه بعملة التظويل الذي هو ضد الإيجاز .
وهذا خلط فاحش .

ففي جملة الأئمة الذين ذكروا ذلك ، أبو هلال العسكري^(١) صاحب كتاب الصناعيين .
فانه قال في كتابه : « الإطناب في الكلام إنما هو بيان ، والبيان لا يكون إلا بالاشباع ، وأفضل
الكلام أبسطه ، والإيجاز لخصوصه ، والإطناب يشترك فيه الغوامس والغوام ، ولأمر ما أطنب
في الكتب العلمانية في إتمام الرغبا . وكأن الإيجاز له موضع ، فكذلك الإطناب له موضع ،
والحاجة إلى الإيجاز في موضعه ، كالحاجة إلى الإطناب في موضعه »^(٢) .

« وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « غاطبوا الناس على قدر عقولهم » . ومن استعمل
الإيجاز في موضع الإطناب أو الإطناب في موضع الإيجاز فقد أخطأ .

ولا شك أن الكتب الصادرة من السلطان في الأمور المطلوبة في الفتوح والتخميم^(٣) في
مواقع التعم السجدة ، أو في الترفيع في الطاعة ، والتحذير من العصيان ، وغير ذلك ، ينبغي
أن تكون مشبعة مستقصاة » . ألا ترى أن كتاب المهلب إلى الحجاج في فتح الأزارقة :
« الحمد لله الذي كنى الاسلام فقد ما سواه ، وجعل الحمد مقصلاً بعمته ، وقضى أن لا يقطع
الزيد من فضله ، حتى يقطع الشكر من خلقه . ثم إنا وعدونا على حالين مختلفتين ، ترى فيهم
ما يصرنا أكثر مما يسوؤنا ويروون فينا ما يسوؤهم . ثم إنا وعدونا على حالين مختلفتين ، ترى فيهم
وذائهم : نعوذ بالله ونخضعهم ، ونحسبنا ونحسبهم حتى يبلغ الكتاب بنا وبهم أجله
تقطع ذابر القوم الذين عاونا ، والحمد لله رب العالمين » .

(١) أنظر حاشية الصفحة الثانية من هذا الكتاب .

(٢) انظر كتاب الصناعيين ص ١٨٣ وما بعدها من الطبعة الثانية من طبعة محمد علي صبيح بالقرع بصر .
والكلام قد حصه ابن الأثير تقييداً عن العسكري .

(٣) زيادة بلفظها السبيل .

وإنما يحسن هذا الكتاب لكونه في موضعه ، لما لو حكى الالباق ، وقد تطلعت
 نفوسهم الى معرفة ذلك الفتح العظيم ، وتدرجت بهم غلظتهم في أمره ، لجاء في أتباع صورة
 عديم وأهينها .

« واعلم ، أن الإطناب بلاعة ، والسطول عيب ؛ فإن الإطناب بترقة سلوك طريق بعيدة
 ترقة ، تحتوي على زيادة قننة ، بما تأخذ النفس فيه من اللذة ، والسطول بترقة سلوك ما بعد
 جهلاً بما يقرب . »

فهذا حكاية كلام أبي هلال العسكري^(١) . ولقد ذكر نحن ما عندنا في ذلك ، فقال :

أما قول أبي هلال : « الإطناب في الكلام ، إنما هو بين » فإن البيان في أصل اللغة : هو
 الظهور والوضوح ؛ فيكون الإطناب ، على قوله ، ظهوراً في الكلام ووضوحاً لا غير ، ويلزم على
 ذلك ، أن يكون كل كلام ظاهر واضح إطناباً ، سواء كان ذلك الكلام ، إيجازاً أو غير . من
 أصفاء علم البيان ، وهذا مما لم يذهب إليه أحد ، لأن أبا هلال قد جعل الإطناب وسطاً من
 الأوصاف التي يشترك فيها جميع ضروب الكلام . وذلك أن البيان وصف بم « كل كلام
 ظاهر واضح » من إيجاز أو سطول أو تكرار أو غير ذلك . وليس الأمر كما وقع له ، بل الإطناب
 نوع واحد من أنواع الكلام ، فإن أصله (في)^(٢) وضع اللفظة من « أطنب في الكلام » إذا
 بالغ فيه . والبالغة لها وجوه وطرق ، كالإيجاز بالبدل اللغوي من الضارع ، وبالضارع من
 اللغوي ، وتوكيد الضمير التصل بالمتصل ، وغير ذلك مما أشرنا إليه في كتابنا .

ومن جملة الوجوه والفرق التي للبالغة الإطناب ، وسيتأتى ذكره وتحقق القول فيه ، عند
 الفراغ من الاعتراض على كلام أبي هلال . وأما قوله : « إن البيان لا يكون إلا بالإيجاز » لأنه
 جعل الإطناب بياناً في القول الأول ، وهذا لا يخلو من حاشين ؛ إما أنه يعني بالإيجاز أن يرسل
 للنبي إلى حقه ، مأخوذاً ذلك من « الشيع » يقال « شيع فلان » ، إذا وصل في أكله إلى
 حقه ، وقدر كفايته ، فإن كان يعني بالإيجاز ما ذكرناه فلان ذلك أمر عام لجميع ضروب الكلام

(١) انظر حاشية ص ٢ من هذا الكتاب . (٢) زيادة الحذف اللفظي .

من الابهام ، والتكرير ، والقابلية ، والتفسير ، وغيرها ، مما أشرنا إليه ، فإن كل ضرب من هذه الضروب المذكورة ، إذا وصل الكلام فيه الى حقه ، يكون إطناباً ، فذلك من أنجب الأشياء ، وأطرفها . وإن كان يعني بالإشباع الزيادة على قدر ما يستحقه الكلام ويحتاج إليه ، وذلك هو التطويل بعينه ، فانه يلزم من هذا القول ، أن التطويل في الكلام ، إذا كان واضحاً بيتاً ، يكون من أفضل الكلام ، وذلك ما لا يوافق عليه ، بحال من الأحوال ، بل كان يحتاج في قوله : « إن أفضل الكلام أيبه » إلى قرينة أخرى ، وهو أن كان قال : أفضل الكلام أوجزه وأيبه » ، فانه لو قل ذلك ، لكانت قوله صواباً لا يخالف فيه ، وأما قوله : « وكما أن الابهام له موضع ، فكذلك الاطناب له موضع » والمجاوبة الابهام في موضع كالمجاوبة الى الاطناب في موضع ، ومن استعمل الابهام في موضع الاطناب والاطناب في موضع الابهام فقد أخطأ ، فكأنه توهم من هذا القول ، أن الاطناب ضد الابهام ، وإذا كان الأمر كذلك فهو التطويل بعينه .

ومما يقرى هذا الوهم قوله أيضاً (إن الابهام للخواص) ، والاطناب لغيرك فيه الخواص والعوام) . وأما قوله إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خاطبوا الناس على قدر عقولهم » فإن كان قرينه من قول النبي صلى الله عليه وسلم مخاطبة كل قريب من الناس بما يفهمونه فهذا لا يتعلق بصنف واحد من صنوف الكلام ، إطناباً كان ذلك أو إيجازاً أو غيرها ، إذ الإلهام يشتمل على أنواع الكلام جميعها ، ومن لم يكن الكلام مفهوماً واضح الثماني فليس عندنا محسباً في جعل علم البيان ، ولا تعدد من صنائع التأليف بشيء .

وقد يخاطب مؤلف الكلام العامة بأحسن الخطاب وأحقره ، ويفهمون من ذلك قوله ، ويفهمون خطابه ، فإن الأصل في الكلام : انما هو كشف معاني المخاطب وإيضاحها له ، وسواء عند ذلك خوطب به الخاصة أو العامة ، فعرّف هذا وقس عليه .

ومعنى قول النبي — صلى الله عليه وسلم — : « خاطبوا الناس على قدر عقولهم » أي كلهم بما يفهمونه من الألفاظ ويسامعونها بينهم من الكلام ، كما كتب عليه السلام الى كسرى

أبريز فقال : « من محمد رسول الله إلى كسرى أبريز عظيم فارس ، سلام الله على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله [وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله ^(١)] ، وبعد ، فإني رسول الله إلى الناس كافة . ليختر من كان حياً ، ويحق القول على الكافرين ، فأُحيلكم تسليماً وإن أبيت فإثم الجحيم عليك » ^(٢) وكتب — عليه السلام — أيضاً إلى قوم من العرب فقال لوائل بن حجر : « من محمد رسول الله إلى الأقبال البهاة أهل حضرموت بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة على التبعة سنة والتبعة لصالحها وفي السبب الخشع لا خلاط ولا ورام ولا شناق ولا شفار ومن أجبي هذه أرضي ، وكل مسكر حرام » ^(٣) . فسهل الأقبال إلى كسرى أبريز غاية التسهيل بحيث إنما لا تخفى على من له تشبّه باللغة ^(٤) العربية ، ولما كتب إلى أولئك القوم من العرب خاطبهم بما تقرأ عليه قلوبهم ، وهم معتادون لسمع مثله ، فهذا هو المقصود بقوله — صلى الله عليه وسلم — « خاطبوا الناس على قدر عقولهم » ، وليس المقصود من ذلك ما ذهب إليه أبو هلال العسكري (من مخاطبة قوم بالإنجاز ، وقوم بالطناب) التي هو على قياسه بعض التطويل .

وأذا كان الأصل في الكلام إنشاؤه وبانه ووضوحه فافائدة من تطويله ، مع القدرة على اختصاره وإيجازه !!

وأما قوله : « إن الإطناب البلاغة ، والتطويل هي » فهو لمعري كذلك ، إلا أنه على أصله يكون قد جعل البيان بلاغة ، لأن الإطناب عنده إنما هو بيان ، وبازم على ذلك أن التطويل في الكلام إذا كان ذا بيان ، يكون بليغاً . وهذا ما لم يذهب إليه أحد المذبة ، لأنه بهذه الصواب وأما قوله « إن الإطناب بمنزلة سلوك طريق بعيدة ، نزهة ، تحتوي على زيادة الفائدة ، بما تأخذ النفس فيه من اللذة . والتطويل بمنزلة سلوك طريق بعيدة ، جهلاً بما يقرب » فإن هذا تشييل صحيح

(١) زيادة من تاريخ الطبري ، وقد سقطت من النسخ ، ج ٢ ص ٢٩٥ طبعة مؤسسة الأعلمية بدمشق .

(٢) راجع طائفة ص ٢٤ من هذا الكتاب .

(٣) راجع طائفة ص ٢٤ وما بعدها ، وقد شرحت فيها ألقاب المعربات المعرب .

(٤) في الأصل « لغة العربية » .

مناسب لما مثل به إلا أنه كان يحتاج إلى زيادة إيضاح . وهو أن يجعل المعنى المراد في الكلام ما بمنزلة المقصد الذي يتوجه إليه السائر ، ويجعل إلى ذلك المقصد ثلاثة طرق : أحدها قريب إليه ، والآخران بعيدان عنه ، متساويان في البعد . ويجعل الدلالة على ذلك المعنى المراد بالإيجاز بمنزلة الطريق القريب ، ويجعل الدلالة عليه بالأطواب بمنزلة أحد الطريقين البعيدين ، ويجعل الدلالة عليه بالأطواب بمنزلة الطريق الآخر المتساوي له في البعد ، إلا أنه نزه يحتوي على زيادة فائدة ، بما تأخذ النفس منه من البهجة . فهذه ثلاث تشبيهات مناسبة لما مثلت به فأعمرها .

وحيث انتهى بنا القول إلى هذا التوضيح وفرغنا من الكلام على ما ذكره أبو هلال في باب الأطواب ، فنورد نحن ما اعتدنا من ذلك فنقول :

اعلم أن الأطواب في أصل اللغة مأخوذ من « أطلب في الكلام » إذا بالغ فيه .

وقد ذكرنا ذلك أولاً في الاعتراض على كلام أبي هلال .

واعلم أن البيانة تنقسم إلى أقسام كثيرة ، وقد سبق ذكر شيء منها ، كالأخبار والفعل للماضي من المضارع ، وبالعناوين من الماضي . وسيأتي ذكر الباقي في كتابنا هذا .

ومن جهة أقسام البيانة الأطواب ، وفائدته زيادة التصور للمعنى المقصود ، وإما حقيقة وإما مجازاً . وهو على الحقيقة ضرب من ضرب التأكيد ، فأما ما جاء من ذلك على سبيل الحقيقة فنقوله تعالى : « ما جعل الله لرجل من قبيلين في جوفه ^(١) » فإن التأكيد في قوله تعالى « في جوفه » كالتأكيد في قوله « القلوب التي في الصدور ^(٢) » وذلك لما يحصل للسامع من زيادة التصور لتداول عليه ، لأنه إذا سمع به صور نفسه جوفاً (يحتوي) على قبيلين . فكان ذلك أسرع للتأثير .

وأما الذي جاء منه على سبيل المجاز فنقوله تعالى : « قلبها لا تسمع الأبيصار » ولكن تسمع القلوب التي في الصدور . فقامت ذكر الصدور هنا أنه قد عرفت وعلم أن المعنى على الحقيقة مكانه البصر ، وهو أن تصاب الحفلة بما يطمس نورها ، واستعماله في القلب استعارته ومثله .

(١) سورة الأحزاب ، الآية « ٤٤ » . (٢) سورة الحج ، الآية « ٤٦ » .

فلما أريد إثبات ما هو يختلف المعارف من نية المعنى إلى القلوب حقيقة ، وتقيه عن
الأنصار ، احتاج هذا الأمر إلى زيادة تصوير وتعميق ، ليثبت أن مكان المعنى إنما هو القلوب
لا الأنصار ، وهذا نوع من أنواع علم البيان ، وأخر المطاف ، كثير الحسن . فينبغي لزوم
الكلام الخاتمة به والرجاء له ، فاعرفه .

الشرح السادس من الباب الأول من الجزء الثاني

في توكيد الضمير المتصل بالمتفصل

وإنما يفعل ذلك لضرب من اللياقة

فما جاء منه قوله تعالى : « قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا أَنْكُرُكَ » ^(١) ،
فقولهم « يَا مُوسَى إِنَّا أَنْكُرُكَ » توبيخ منهم له ، وحسن أدب رفاقه معه ، كما يفعل أرباب
الصفاء إذا تلاقوا في تقديم بعضهم على بعض كالمتناظرين قبل أن يتخاضروا في الجدال . وإنما
قَالُوا « وَإِنَّا أَنْكُرُكَ أَنْكُرُكَ » ولم يقولوا « وَإِنَّا أَنْكُرُكَ » كما قَالُوا « يَا مُوسَى » لما أن
تلقى « رَغِبْتُمْ فِي أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِ وَنُشَوِّعُكُمْ إِلَى التَّكْوِينِ عَلَيْهِ وَذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنْ تَأْكِيدِ الضَّمِيرِ
المتصل بالمتفصل .

ومما يجري على هذا النهج قوله عز وجل : « فَأَرْجِسُ فِي مُدَّةِ خَيْفَةِ مُوسَى فَلَمَّا لَا تَخَفُ
إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى » ^(٢) . « فتوكيد الضمير » هنا في قوله : « إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى » أمضى للخوف من
قلب موسى ، وأثبت في نفسه للقلبة والقهر ، ولو قال : « لَا تَخَفُ إِنَّكَ الْأَعْلَى » أو « لَا تَخَفُ
فَأَنْتَ الْأَعْلَى » لم يكن له من التقرير والاثبات لذى الخوف من قلب موسى ، ما لقوله : « إِنَّكَ
أَنْتَ الْأَعْلَى » .

والدليل على ذلك ، أن في هذه الثلاث كلمات وهو قوله تعالى : « إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى » .
ست فوائد : الأولى : « أَنْ » الشدة التي من شأنها الإتيان لا يأتي بعدها ، كقولك : « زيد

(١) سورة الأعراف ، الآية ١١٥ . (٢) سورة طه ، الآية ٦٤ .

قائمٌ ، ثم تقول : « إنَّ زيداً قائمٌ » . فهي قولك : « إنَّ زيدا قائمٌ » . من الأسماء التي لم يرد
والفعلية ، ما ليس في قولك : « زيد قائمٌ » .

الثانية : تكرير الضمير في قوله تعالى : « إنك أنت الأعلى » . ولو اقتصر على أحد
الضميرين ، فقال : « إنك الأعلى ، أو على : « فأنت الأعلى » ، لما كان بهذه الناحية من التكرار لفظية
موسى ، والأسماء لغيره .

الثالثة : التعريف في قوله « الأعلى » ، ولم يقل : « إنك أنت أعلى أو علٍ » لأنه لو قال ذلك
لكان قد تكبره ، وكان صالحةً لكل واحد من جسه ، كقولك : « رجل » فإنه يصلح أن يقع
على كل واحد من الرجل . وإذا قلت : « الرجل » فقد خصصته من بين الرجال بالتعريف ،
وجعله عدلاً فيهم . وكذلك قولك : « إنك أنت الأعلى » : أي أنت الأعلى دون غيرك .

الرابعة : لفظ « أعلى » الذي من شأنه التفضيل ، ولم يقل العالي .

الخامسة : إتيان النبرة له من العلو ، لأن الترض من قوله « الأعلى » ، أي الأعلى ،
إلا أن في الأعلى زيادة وهي النبرة من « علٍ » .

السادسة : الاستئناف ، وهي قوله : « إنك أنت الأعلى » . ولم يقل : « لأنك أنت الأعلى »
لأنه لم يجعل ملة انتهاء الطوف عنه كونه غالباً ، وإنما على الطوف عنه أولاً بقوله : « لا تخف » ،
ثم استأنف الكلام ، فقال : « إنك أنت الأعلى » فكان ذلك أبلغ في إقناع موسى — عليه
السلام — بالنبل والاستعلاء ، وأثبت لذلك في نفسه .

فهذه ست فوائد في هذه الكلمات^(١) الثلاث . فنظر أيها المتأمل إلى هذه البلاغة العجيبة ،
التي تحير العقول ، وتذهب بالآباب . ولا أضرم ، أعجز هذا الكلام الموزن البليغ ، وأظم
الفصحاء ، ورجل فرسان الكلام .

فإن قيل : لو كان تأكيد الضمير النصل والمنفصل أبلغ من الاختصار على أحدهما ، لورد ذلك

(١) أحسن التفسير في كشفه لك هذه الفوائد الست وزاد ابن الأثير أن شرحها ووضعها الخط
« الكتاب » ج ٣ ص ٧٤ طبعة الاستطابة بالقاهرة سنة ١٣٦٥ هـ وصلة ١٩٤٩ م .

عند ذكر الله نفسه في كتابه ، (لأنه)^(١) هو أحق بما هو أبلغ من الكلام . وقد رأينا في القرآن الكريم مواعيد تخص بذكر الله تعالى ، وقد ورد فيها أحد الضميرين دون الآخر ، كقوله تعالى : « قل اللهم مالك الملك ، توفي لك من تشاء ، وتمنعك عن تشاء ، وتقرّ من تشاء ، وتمنعك من تشاء » ، يدلك الطير ، إليك على كل شيء قدير^(٢) . فما للوجوب لك أن تكون توكيد الضمير المتصل باللفصل أبلغ في بابه من الانفصال على أحدهما دون الآخر ؟ قد كان يجب أن يرد ذلك عند ذكر الله تعالى نفسه ، لأنه أحق ألا يبلغ من الكلام . وإن صكان الأمر بخلاف ذلك ، فكيف قلت : إن توكيد الضمير المتصل باللفصل أبلغ ؟

الجواب عن ذلك أنا أقول : توكيد الضمير المتصل باللفصل إما يرد في الكلام تقرير المعنى المقصود ، وإثبات في النفس . وما يخص بالله تعالى لا يختص به تقرير ولا إثبات ، لأنه إذا قيل عنه : « إليك على كل شيء قدير » ، لم يحتج في ذلك إلى توكيد حتى يتحقق ويبين أنه على كل شيء قدير ، بل قد كبريم وعرف أن قدرته تملأ بكل شيء ، وأنها جارية على كل مخلوق ، فصار هذا الأمر المعروف المشهور ، الذي لا شك بعنونه ، ولا حيرة تعرضه . وما هذا مسببه في الوضوح والبيان ، فما الحاجة فيه إلى التوكيد ؟ إن التوكيد من شأنه تقرير المعنى التام ، وإثباته في النفس ، وقوله تعالى : « إليك على كل شيء قدير » لا يحتاج فيه إلى تقرير ولا إثبات .

لأن قيل : فقد ورد في القرآن الكريم أيضاً ، عند ذكر الله تعالى نفسه ، كلا الضميرين : للفصل والمتصل ، كقوله تعالى : « وذل الله ياموسى بن مريم آتت قلت فانس ، اتخوذني وأني آتسين من دون الله^(٣) ؟ » إلى « ... ، علام الغيوب^(٤) » كإكمال : « إليك على كل شيء قدير » ، فما السبب في هذا ؟ وهل كان الجميع نوعاً واحداً ؟

الجواب عن ذلك أنا أقول : توكيد الضميرين أحدهما بالآخر في هذه الآية لا يقتضى علينا

(١) زيادة يقتضيها السياق . (٢) السورة آل عمران ، الآية ٩٦ .

(٣) السورة : النازع ، الآية : ١١٦ . وتساكنه الآية : « . . . قال : سبحانه ما يسكون في أم القول ما ليس لي من إن كنت لله عند خلقه ، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ، إنك أنت علام الغيوب » .

ما أشرنا إليه أولاً ؛ لأنه إن وقع الاختصار على أحدهما دون الآخر ، كان القول في ذلك ما تقدم في الآية ، وإنا جسي . بها معاً فلأن ذلك أبلغ في بابه وآكده ، والله تعالى أحق بما هو أبلغ من الكلام وآكده .

ولنلحظ لك في استعمال الضميرين معاً والاختصار على أحدهما دون الآخر ، مثلاً نبيمه ، فنقول : إذا كان المعنى المقصود ظاهراً معلوماً قد ثبت في النفوس ، ورسخ في الألباب قامت بالخيار : بين أن تؤكد أحد الضميرين بالآخر في الدلالة عليه وبين أن تقتصر على أحدهما دون الآخر . لأنك أن وكنت الكلام فيه فقد أعطيت المعنى حقه . وإن لم تؤكد الكلام فيه فلا شيء لا يحتاج إلى تأكيد لبيانه وظهوره . وإذا كان المعنى المقصود خافياً ليس بظاهر ولا معلوم . فالأولى تأكيد أحد الضميرين فيه بالآخر ، ليقرره ويكسبه وضوحاً وبياناً . ألا ترى إلى قوله تعالى في حق موسى عليه السلام : « قلنا لا تخف إناك أنت الأعلى ^(١) » . فإنه لما كان ظهور موسى على الصحرة وقهره لهم أمراً مستتراً في ضمن القيب ، لا يعلم ولا يعرف وأراد الله عز وجل - أن يخبره بذلك ؛ ليذهب عنه الخوف والحذر ، أتى بالأبلغ من الكلام ، ليكون ذلك أثبت في نفس موسى ، وأقوى دليلاً عليه في انقضاء الخوف عنه . فؤكد الضمير للتصل بالنفصل . فجاء المعنى كما ترى . ولو قال « إناك الأعلى » أو « فأنت الأعلى » ، لكان ذلك أيضاً إخباراً لموسى بنفى الخوف عنه ، واستظهاره على الصحرة ، ولكن ليس له من التقرير في نفس موسى ما لقوله : « إناك أنت الأعلى » . فحذف ذلك ونفس عليه .

وعلى نحو من هذا قوله تعالى : « قالوا يا موسى إنا ما نرى آياتك ونحن للشك » . فإن إرادة الصحرة الاتقاء قبل موسى - عليه السلام - لم تكن معلومة عنده . لأنهم لم يصبروا بما في أنفسهم من ذلك ، فكأنهم لما عجزوا عن مقابلة خطابهم لموسى بمثله إلى ما هو تؤكد مما هو لهم ، بالضمير للتصل بالنفصل ، علم أنهم يريدون التقدم عليه والاتقاء به . لأن

(١) طه : ٢٥ ، الآية : ٦٥ .

من شأن مقابلة خطابهم لموسى عليه السلام أن كانوا : إما أن تأتي وإما أن تلي . فتكون الجملتان متقابلتين . بحيث قالوا عن أنفسهم « وإما أن تكون نحن اللذين » استدل بذلك على دلالتهم في الالتقاء قبله .

وهذه معان لطيفة ورموز غامضة لا ينبغي لها إلا القطن اليبس ، فاعرضها .

النوع السابع من الباب الأول من الفن الثاني

في الكتابة والتعريض

اعلم أن لهذا النوع من الكلام موقفاً شريفاً ، ومهلاً كريماً ، وهو مقصود على الليل مع المني ، وترك اللفظ جاتياً ، وذلك نوع من علم البيان لطيف . وقد شكك جماعة اللواتين في هذا الفن فوجدتهم قد ضلوا الكتابة بالتعريض ، ولم يفرقوا^(١) بينها ، بل أوردوا لها [أمثلة]^(٢) من النظم والفخر ، وأضفوا أحد القسمين في الآخر ، فذكروا للكتابة أمثلة من التعريض ، وللتعريض أمثلة من الكتابة ، ففهم أبو محمد بن سنان الطفاصي^(٣) ، وأبو هلال العسكري^(٤) ، والناقي^(٥) ، فأما ابن سنان ، فإنه ذكر في كتابه قول امرئ القيس :

فصرنا إلى الحسى ورق كلامها ورست فذلت صعبة أي إدلال^(٦)

وهذا مثال ضربه للكتابة عن الباشعة ، وهو مثال للتعريض . وسنورد لك أيها الناظر في كتابنا فرق ما بين الكتابة والتعريض ، وتبين أحدهما عن الآخر ، وتعرف كلاهما على أفرادته فتقول :

أما الكتابة فهي : أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له كما كنى الله تعالى عن الجحاح :

(١) في الأصل تكررو للفظه ، لم يفرقوا ، وهو من تحريف النسخ .

(٢) زيادة لا يتخطى السيل .

(٣) انظر طائفة من ٣ من هذا الكتاب . (٤) انظر طائفة من ٢ من هذا الكتاب .

(٥) انظر طائفة من ٢ من هذا الكتاب .

(٦) هذا البيت من القصيدة له مطلعها :

ألا هم صباغاً أيها الطلل البالي وهل يحسن من كاذب في العصر الخالي

ديوان امرئ القيس طبعة « مطبعة الاستقامة بالقاهرة » س ١٣٨ .

« باليس » فإن حقيقة « اليس » هي « الملاسة » يقال : لبث الشيء إذا لامسته ^(١) ، ولا كان الجماع « ملاسة بالأبدان وزيادة أمر آخر » أطلق عليه اسم : « اليس » مجازاً - ومنه الكتابة التصريح .

وأما التعريض : فهو أن تذكر شيئاً يدل على شيء لم تذكره وأصله : التلويح من معرض الشيء : أي من جانبه ، وأعلم أن (يت) ^(٢) أمرى القيس الذي ذكره ابن سنان الخفاجي مثالا للكتابة ، هو عين التعريض ، من قرنه من ذلك أن يذكر الجماع ، غير أنه لما استفتح ذكره لم يذكره بل ذكر كلاماً آخر ، ودل به عليه : لأن السير إلى الحسن ورقعة الكلام ، لا يفهم منها ما أرادته أمرى القيس من الشيء ، وذلك مما لا يخاف به ، فاعلمه .

وعيث فرقنا بين الكتابة والتعريض ، وبما كلا منهما عن الآخر ، فلفصلهما ونذكر أقسامها ، ولنبدأ أولاً بالكتابة فنقول :

اعلم أن الكتابة على ضربين : أحدها ما يحسن استعماله (والآخر ما يبيع استعماله) ^(٣) ، وهو عيب في صناعة التأليف . فأما الضرب الأول الذي يحسن استعماله فإنه ينقسم إلى أربعة أقسام :

الأول : التمثيل : وهو التشبه على سبيل الكتابة ، وذلك أن تراد الإشارة إلى معنى ، فتوضح ألفاظاً (تدل) على معنى آخر ، وتكون تلك الألفاظ وذلك المعنى مثلاً للمعنى الذي قصدت الإشارة إليه والمباراة عنه كقولنا « فلان في الثوب » . أي منزعه من الصيوب .

وللكلام بها ، فائدة لا تكون لو قصدت المعنى بلفظه الخاص ، وذلك لما يحصل للسامع من زيادة التصور للمعلول عليه : لأنه إذا صور نفسه مثلاً ما غوطب به كان أسرع إلى الرغبة فيه أو الرغبة عنه . فمن يدبر التمثيل قوله تعالى : « أذهب أحذركم أن يأكل لحم أخيه ميتاً » ^(٤) . فأما تشبيه الالتفات بأكل لحم إنسان آخر مثله ، ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعله لحم الأنثى ولم يقتصر على لحم الأنثى حتى جعله ميتاً ثم جعل ما هو في القافية من الكراعة موسولاً بالهوية ،

(١) في الأصل « فإن حقيقة اليس هي الملاسة يقال لبثت الشيء » ...

(٢) زيادة احتضامها السيل .

(٣) زيادة احتضامها السيل .

(٤) السورة « الحجرات » الآية « ١٢ » .

وهذه أربع دلالات واضحة على ما قصدت له مطابقة التي التي وردت لأجله^(١) فتشديد
 القامعية جداً ، وذلك لأن الإتيان ، إنما هو ذكر مثالب الناس وتزني أفعالهم (وتزني
 المرض^(٢)) مماثل لأكل (الإنسان)^(٣) لحم من يقتناه ، لأن أكل اللحم فيه تزني لا محالة .
 وأما قوله « لحم أخيه » فمما في الإتيان من السكراة ، لأن القتل والتزني معاً قد أجدا
 على استكراهه وأمرًا بتركه ، وإجمعه عنه . ولما كان كذلك جعل بمنزلة لحم الأخ في كراهته .
 ومن العلوم أن لحم الإنسان مستكره عند إسان آخر مثله ، إلا أنه لا يكون مثل كراهته
 (لحم)^(٤) أخيه ، فهذا القول مبالغة في استكراه القنية ، لا أمد قوتها .
 وأما قوله « ميتاً » فلاجل أن الميت لا يشعر بشيئته ، ولا يحس .

وأما جعله ما هو في التابة من السكراة موصولاً بالهبة ، فلما جعلت عليه النفوس من الليل
 إلى القنية والشهوة لها . مع العلم بأنها من أذى الخلال ، ومكره الأفعال ، عند الله تعالى والناس .
 فأنظر إليها التأمل لهذا التشبيل كيف مطابقته لما مضى به تجدده من أبلغ التشبيلات وأجودها^(٥)
 مثلاً ، ألائك متى نظرت إلى كل واحدة من تلك الدلالات الأربع ، التي أوردناها رأيتها مناسبة
 لما قصدت له ؟ فتدبر في المرض مثل أكل الإنسان لحم من يقتناه . لأن ذلك تزني على الحقيقة ،
 و (جميل بمنزلة) لحم الأخ لأجل الباطنة في السكراة . و « الميت » لامتناع الإحساس
 به . واتصال ما هو مستكره بالهبة لما في طبع النفس من الشهوة للقنية ولليل إليها ، فاعرف
 ذلك .

ومن هذا القسم قوله - تعالى - « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط^(٦) »
 فتدل البسط بأحسن تشبيل لأن البسط ، لا يمد يده بالمعطية ، كالقول الذي لا يستطيع أن يمد
 يده . وإما قال : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك » ولم يقل « ولا تجعل يدك مغلولة^(٧) » من

(١) عدم التباس في قول المؤلف وأخر وكرر لهذا التكرار وروينا الكلام .

(٢) زيادة من لفظ الباطن « ج ٢ ص ٢٠٣ » .

(٣) في الأصل « وأيدها » وهو غير مستقيم .

(٤) السورة : الإسراء ، والآية : ٢٩ . (٥) زيادة تخفيفها السابق .

غير العنق ، لأنه قال « ولا تبسطها كل البسط » مكانه أراد ، ولا تجعل يدك مغلفة كل التل « ولا تبسطها كل البسط » فاب ذكر العنق من قوله « كل التل » ، لأن غل اليد الى العنق ، هو أقصى المفاصل التي حرت العادة بنى اليد اليها .

ومن أمثال العرب « ياك وعقبة الملح » وذلك تمثيل امرأة الحسناء ، في منبت السوء ، لأن عقبة الملح هي الشرارة ^(١) . ومن التمثيل قول ابن الدُمَيْثَةِ ^(٢) :

أبي أفي يمي يديك جعليني فاقترح أم سترني في شياك ؟

فذكر اليمين ، وجعلها مثلاً لإكرام المرأة ، وذكر الشمال وجعلها مثلاً لحرمان المرأة ؛ لأن اليمين أشرف منزلة من الشمال أو أكرم هلالاً .

وفي القرآن العزيز ما يدل على ذلك ، وهو قوله تعالى : « وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود ... » ^(٣) (الآية فلما جاء الى ذكر الشمال قال تعالى : « وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال » ^(٤) الآية « فأعرف ذلك وقس عليه .

(١) في الأصل « البرة » وفي نسخة السائر « عن عقبة الملح هي الزلزلة تكون في البحر » .

(٢) هذا البيت من كلمة له مطلقاً :

فلي يا أديم القلب نفس لسانك
ونك يطوي ثم يصلي ما بدا لك

« جامع ديوان ابن الدُمَيْثَةِ » ص ١٥ طبعة مطبعة السائر بدمشق شرح محمد القاضي المدائني « وأما الكلام على هذا البيت في « دلائل الإيجاز » الجرجاني ، ص ٢٩ « طبعة الراجية بدار السائر بدمشق سنة ١٣٦٢ وجمعه في دلائل الإيجاز :

أبيت كافي بين شاك من عصا حدار الرقوى أو خيفة من زكالك
تأملت في الشجر ، وما بك علة تزين فني عند طفرات يدك

(٣) السورة : الواقعة ، الآية ٢٨ ، وبعد هذه الآية قوله تعالى : « وطلع مضود ، وظل مخضود ، وماه مكتوب » وهذه كثيرة لا مضمومة ولا منقوعة » .

(٤) السورة الواقعة ، الآية ٤١ ، وبعد قوله تعالى : « في سوح وسبح وظل من محضوم » لا يارد ولا كرج » .

القسم الثاني

من الممكنة في الأرداف^(١)

وهو أسم سماه به قدامة بن جعفر الكتاب^(٢).

اعلم أن أكثر علماء هذه الصناعة قد أدخلوا «الأرداف» في التمثيل، وفي الفرق بينها إشكال ودقة.

فأما التمثيل فقد سبق الإعلام به وهو أن ترد الإشارة إلى معنى فتوضع الألفاظ^(٣) على معنى آخر، وتكون تلك الألفاظ وذلك المعنى مثلاً لاسمى الذي قصصت الإشارة إليه والمساواة منه كقولنا «فلان قلب الثوب» أي منزه عن العيوب.

وأما الأرداف فهو أن ترد الإشارة إلى معنى فيتروك اللفظ الدال عليه ويؤتى بما هو دليل عليه ومصادف له كقولنا «فلان طويل النجاد» والمراد به طويل القامة، إلا أنه لم يلاحظ بطول القامة التي هو الغرض، ولكن ذكر ما هو دليل على طول القامة، وليس هذا الثوب دليلاً على الزاغة عن العيوب، وإنما هو تمثيل لها، فاعرف ذلك.

واعلم أن الأرداف يتفرع إلى خمسة فروع:

الأول: مثل البهانة كقوله تعالى: «ومن أحقر من اقترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه»^(٤) فإن المراد بقوله تعالى «لما جاء» أي أنه سفيه الرأي، يعني: أنه لم يتوقف في تكذيب وقت ما سمعه، ولم يفعل كما يفعله الراجح^(٥) المقول، للشبهتين في الأشياء؛ فإن من شأنهم إذا ورد عليهم أمر أو سمعوا خبراً أن يستعملوا فيه الروية والفكر، ويتأثروا في تدبيره إلى

(١) في الأصل «في الأرداف» وهو من تحريف المصنف.

(٢) قصصاً ذكره في حواشي هذا الكتاب.

(٣) قال فيها عديم «فتوضع ألفاظ» وهو أوضح.

(٤) السورة «التكوير» الآية «٦٨».

(٥) الراجح جمع للراجح أي الكبير الاعتزاز وله أشده من «تحلي مباحث» أي مولفة بكثرة التمر.

أن يصح لهم صدقة أو كذبه ، ألا ترى إلى قوله تعالى « لما جاء » أي أنه ضعيف العقل عارب
 الراي فعدل من ذلك إلى ما هو دليل عليه وأردف كفه و (هو) قوله تعالى « لما جاء » وذلك
 أكد وأبلغ ومن هذا الباب أيضاً . « وإذا نزل عليهم آياتنا بينات قلوا ما هذا إلا رجل يريد
 أن يصدكم عما كنتم بعباد آباءكم وإفرا ما هذا إلا إفك مفترى ، وقال الذين كفروا للحق لما
 جاءهم ، إن هذا إلا سحر مبين ^(٢) » والكلام على ذلك كالإسلام على الذي قبله فخره .

الفرع الثاني من هذا الباب

وهو باب « مثل » وذلك دقيق السفة لطيف المنزى ، اعلم أن العرب تأتي « بمثل » في
 هذا الموضع تأكيداً للكلام وتبييناً للأمر ^(٣) . يقول الرجل إذا نلى من نفسه القبيح : « مثل
 لا يفعل هنا » أي أنا لا أفعله خفي ذلك عن مثله وهو يريد نفيه عن نفسه ، قصداً للبالغة ،
 فصاك به طريق الكناية ، لأنه إذا شاء ممن يماثله أو يشابهه قد نفذ عنه لا محالة .
 وكذلك أيضاً قولهم « مثلك إذا شئ أعطى » أي أنت كذلك ، وهو كثير في الشعر القديم
 والبلد والكلام الثور . وسبب تأكيد هذه الموانع : « مثل » أنه يراد أن يجعل من جماعتهم
 هذه أوصافهم ، تبييناً للأمر ، ونحو كيناهة ولو كان فيه وحده فلفظ منه موصفه ، ولم ترس فيه قدومه .
 ومثل ذلك قولهم في مدح الأسلاف : « أنت من القوم السكرام » أي لك في هذا الفعل
 سابقة ، وأنت حقيق به ، وأنت خليق فيه . وقد ورد هذا الباب في القرآن الكريم ، كقوله
 تعالى « ليس كذلك شيء » وهو السميع البصير ^(٤) . وهذا كقولهم « مثلك لا يبخل » فلفظوا
 البخل عن مثله وهم يريدون فيه من ذاته ، قصداً للبالغة : لأنهم إذا نفوه عن يصد مسدده
 وهو على أخذهم أوصافه ، فقد نفوه عنه . وظاهر ذلك قولك لأعربي « العرب لا تخفر القوم » .

(١) زينة أعضائها الباق . (٢) السورة : سبأ . الآية : ٤٢ ، ٤٣ .

(٣) في الأصل « ولقد بدأ من أمره » وفي كثير من النسخ « تبييناً للأمر وتوكيداً » .

(٤) السورة : العنكبوت . الآية : ١١ . قال ابن فارس في لغة بلغة — من ٨٣ — وسكون

السكون زينة كقوله « ليس كذلك شيء » .

وهذا أبلغ من قولك « أنت لا تحفر الدم » . وليس فرق بين قوله تعالى « ليس ككثير شيء » وبين قوله « ليس كآلة شيء » إلا من الجهة التي نبهنا عليها فاعرفها .

الفرع الثالث من الموروثات

وهو ما يأتي في جواب الشرط ، وذلك من ألفت الكتابات وأحسنها ، فمن هذا قوله - تعالى - : « وقال الذين أوتوا العلم والايمن لقد بئتم في صحاب الله آل يوم البعث فهذا يوم البعث ^(١) » كأنه قال « إن كنتم منكرون يوم البعث فهذا يوم البعث » فكأن بقوله « فهذا يوم البعث » عن بطلان قولهم وكفهم فيما ادعوه ، وذلك رادف له ونظيره قولك « تنكر حضور زيد فهاهو » أي فانت كاذب . وهذا من دقائق الكتابة ، فاعرفه .

الفرع الرابع من الموروثات

وهو الاستثناء من غير موجب : وذلك من غرائب الكتابة كقوله - تعالى - : ليس لهم طعام إلا من ضريع ^(٢) الآية ، والضرع بنت ذو شك تسعيه فريش « اليسيرى » في حالة خضرته وطراوته فإذا ليس سمته الغرب « الضريع » والابل تراه طرية ولا تخرجه بإسماً ^(٣) . والحق ليس لهم طعام أصلاً ، لأن الضريع ليس بطعام البهائم فضلاً عن الناس . وهذا مثل قولك : « ليس لفلان ظل إلا الشمس » تريد ذلك نفي الظل عنه كما هو . وذكر الضريع ، رادف لاستثناء الطعام . وعلى نحو من هذا جاء قول بعضهم :

ونفردوا بالكرامات فلم يكن
لصوام منها سوى الحرمات

والرأى نفي للكرامات عن صوام ، لأنه إذا كان لهم الحرمات من الكرامات فما لهم منها شيء البتة ، وأمثال ذلك كثير فاعرفها .

(١) السورة « نوح » الآية : ٦٦ . (٢) السورة « النازعات » الآية : ٦٠ .

(٣) في القاموس : « الضرع خضير . الصبرق أو يبيح . لا تخرجه حابة لحته ، والسلا ، والحوسج الرطب ، أو نبات في الماء لا يمين له عروق لا تصل إلى الأرض . . . » .

الفرع الخامس من الردوف

ليس مما تقدم بشيء، وذلك نحو قوله - تعالى : « عفا الله عنك لمَ أذنت لهم ^(١) » والمعنى الرداء من هذا الكلام : أنك أخطأت وبشأ فقلت وقوله : « لم أذنت لهم » بيان لما كتبي عنه بالنعو ، أي مآك أذنت لهم ، وهلا استأنيت ؟ فذكر النعو دليل على الذنب وردف له وإن لم يذكره . وكذلك جاء قوله - تعالى - : « قلن لم تعلموا ولن تعلموا فأتقوا النار التي وقودها الناس ، والحجارة أهدت للكافرين ^(٢) » قيل لهم : إن استبستم العجز عن المعارضة فترسكوا النار . فوضع قوله « فأتقوا النار » موضعه ، لأن اتقاء النار نصيحه وصديقه من حيث إنه من نجاته وردائفه ، لأن من اتقى النار ترك المائدة ، وتظيره أن يقول للذك خشية : « إن أردتم الكرامة عندي فاحذروا سطحي » يُريد فأطيعوني وابعزوا أمري ، واتقوا ما ينتج عنه حذر السخط و (ذلك ^(٣)) رداف له . ومن هذا الباب قوله - تعالى - : « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ^(٤) » . ألا ترى إلى لطافة هذه الكتابة ؟ فيها أفاضت تكذيب دعوائهم ، ودفع ما اتهموا به . وقالت لها هنا : أنه دوعي في تكذيبهم أدب حسن ، حيث لم يصريح بلفظه ، فلم يقل « كذبتم » لأن فيه نوع استقباح في الخطاب ، ووضع قوله - تعالى - « لم تؤمنوا » الذي هو نفي ما ادَّعوا بأنه موضعه ، لأن ذلك رداف له . ومما يجري هذا الجري قوله - تعالى - : « قل الذين استكبروا من قومه الذين استضعفوا لن آمن منهم . . . » إلى قوله « ... مؤمنون » فإن الفرض بقولهم « يا بما أرسل به مؤمنون » جواباً عن سؤالهم : « أتظنون أن صالحاً مرسل من ربّه ؟ » بحيث أتم بارساله ، وأنه من الأمور الظاهرة الصالحة ، التي لا يدخلها ريب ، ولا يتردّد فيها شك ، لكن عدل عن ذلك إلى ما هو دليل عليه ، ورداف له ، وهو الإيمان به : أممي صالح ، وإنما صرح بهم بعد ثبوت نيوته عندهم ،

(١) السورة : التوبة الآية : ٤٣ . (٢) السورة : البقرة الآية : ٢٤ .

(٣) زيادة القضاء السيل . (٤) السورة : الحجرات الآية : ١٤ .

(٥) السورة : الأعراف الآية : ٦٥ . استكبروا . . . أظنون أن صالحاً مرسل من ربّه . قالوا : لا بما أرسل به مؤمنون . . . »

والعلم بأوصاله إليهم ، فلايمان به إذن دليل على العلم بأنه سي مرسل . وهذا من دقائق الأدراك والعلانية .

وأشكال ذلك كثيرة كقول الأعرابية في حديث أم زرع^(١) : « له إيل غليلات السارج ، كثيرات البارك . إذا سمع صوت الزعر أيقن أنهم هوائك » فإن الظاهر من هذا القول أن إيله تنزل بفنائها ، ولا تبرح ليقر عليه نحرها للأنثى . فإذا ضرب الزعر للثيا (ن) نحرها لضربه . لقد اعتادت هذه الحالة وألفها . وطرش الأعرابية من هذا الكلام أن تعف زوجها بالجوود والكرم ، ولأنها لم تذكر ذلك بلفظه المال عليه وإنما أنت تعلم ، هي أمة على ذلك من غير تصريح بمزاجها . وكذلك قال بعضهم^(٢) :

وددت - وما تنفي الودادة - أنني
فإن كان خيراً سرّي وعفته
بما في ضمير الخائبة عالم
وإن كان شراً لم تلصني اللوام

فإن المراد من قوله « لم تلصني اللوام » أنني أهرها ، فأضرب عن ذلك جابياً ، ولم يذكر اللفظ المختص به ، ولكنه ذكر ما هو دليل عليه ووراد له . وفيما أشرنا إليه من ذلك كفاية لتأمل .

والقسم الثالث من السكناية وهو المجاورة . وذلك أن يريد المؤلف ذكر شيء فيترك ذكره جابياً ما جاوره ، فيقتصر عليه ، أو كتماناً بدلالة على المعنى المقصود ، كقول عنزة :
وشككت بالرمح الأصم نياحه
ليس الكرم على القنا بمحرّم
أراد بالثياب ما عاين نفسه ، لأنه وصف الشكوك بالكرم ولا توصف الثياب به ، قصت حينئذ أنه أراد ما تشتمل عليه الثياب ، وفي ذلك من الحسن ما لا يشكره العارف بهذه الصناعة . وقال أيضاً :

(١) زاد في النسخ السائر عبارة : « في وصف زوجها » ج ٢ ص ٢٠٦ .

(٢) القائل هو كثير مرة الشاعر الشهير .

وبما جئنا صفراء ذات أسرة قوت بأزهر في الشمال مقدم^(١)

الصفراء هاهنا الحر والذكر للزوجة حيث هي مجاورة لها ، ومشتقة عليها . وذهب بعض التفسيرين في قوله تعالى : « وثيابك فطهر »^(٢) أنه أراد بالثياب القلب والجسد أي قلبك فطهر أو جسدتك . وأمثال هذا كثيرة فعرفة .

القسم الرابع في السكناية : ما ليس بتثليل ولا إرداف ولا مجاورة كقوله - تعالى - : « أو من يُستأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين »^(٣) فكأن من النساء أنهم يتزينون في الحلية أي الزينة والشمعة وهو إذا احتاج إلى مجاورة^(٤) الخصوم كان غير مبين ، أي ليس عنه بيان ، ولا يأتي بمرهان يحتاج به من يخافه . وذلك لضعف عقول النساء ونقصهن عن فطرة الرجال . ومن هذا الباب قول أبي نواس :

قول التي من يتها خف محلي عزز علينا أن نراك نسير^(٥)

ألا ترى إلى حسن هذه السكناية من ذكر امرأته بقوله « التي من يتها خف محلي » فانه من ألفتها متعبا ، وكذلك قول نصيب^(٦) :

فما جئوا فأتوا بادي أنت أهله ولوسكنوا أنت عليك الحقائق^(٧)

(١) هذا البيت مصحح على النحو الآتي :

بما جئنا صفراء ذات أسرة قوت بأزهر في الشمال مقدم

والبيت مشهور مثاقوله .

(٢) السورة « المؤمن » الآية ١ : وأطرو : باب « استك على النائي » في التلخيص ج ١ ص ٢٢٢ .

(٣) السورة « الزمر » الآية ١٨ .

(٤) هذا التصحيح على لسان ابن الأثير إلى ما جاء به الزمخشري . وفي استيفاد « محالة » بدلا من « مجاورة » . وفي حاشية السكناية : محالة : معاملة من جئت بجنت : لا يترك على ركبته « ج ٤ ص ٢١٢ » طبعة مطبعة الاستقامة بالقاهرة سنة ١٩٤٦ .

(٥) في المروج « خف مركبي ... » ص ٤٨١ مطبعة مصر سنة ١٩٥٣ .

(٦) نصيب بن رباح مولى عبد العزيز بن مهزيان ، أمه أمة سوداء وأبوه من كنانة . كان شاعرا مقلدا مقصدا في السب والذم ولم يكن له حظ في المعية . انظر الأمامي « ج ١ ص ١٢٥ » طبعة المناسبي ، طبعة « قدم مصر . وذكره البرد في الكامل ١ : ١٢٥ » قال « وهذا في باب الذم حسن ومتجاوز ويصدق م بيني وأبي » .

(٧) هذا البيت من أبيات يمدح بها سليمان بن عبد الملك أميلة الأسدي ، وقبل هذا البيت :

قال الجاحظ : « نحن قوم نسمج بالبيان ، ونعزّه بالقول ، والناس ينظرون الى الحلال ويقضون بالبيان فأثر ذلك في أمرنا أثراً يتصلق إذا سكنتا ، فإن الدعي بنير بينة متعرض للكذب » . فلهذا معنى قول نصيب قبل به ما ترى . وأمثال السكابة كثيرة ، فاعرفها .
وأما الضرب الثاني من السكابة فهو الذي يتيسر ذكره ولا يحسن استعماله كقول أبي الطيب :

إني على شغفي بما في حُرْحُرِها لأضفَ عما في سرَاوِيلِها^(١)
فإن هذه كناية عن الزاغة والمغة^(٢) . وعلم الله - عز وجل - أن القجور لأحسن منها .
وقد ذكر الشريف الرضي هذا المثل مأخوذاً في أجمل سورة فقال :
أخبرني أن ما تضمنه الخمر والحلى وأسند حما في غيلان الآزر^(٣)
ألا ترى إلى هذه السكابة ما أنطقها ، والعتيان سواء . وبهذا تعلم فضل الشاعرين أحدهما على الآخر ، وذلك إذا أخذنا معنى واحداً فصالحه أحدهما في صياغة مفردة عن صياغة الآخر ، فاعرف ذلك .

وأما الشريف فقد جوزّه - الله تعالى - في خطبة النساء كقولته - تعالى - : « ولا جناح

-
- = أقول تركب صاعري القوسم ضا ذات أوهال ومولك هرب
فلما خيروني عن سبيلك إني شروبه من أهل وإن طاف
السكابة ج ١ ص ١٢٤ - « والأماي » ج ١ ص ١٣٠ طبعه السامي بحطبة القدم .
(١) هذا البيت من قصيدة يمدح بها أبو أيوب أحمد بن عمران مصلها :
سرب حلتك حرمت ذواتها ذاتي الصفات بعيد موصوفتها
ج ١ ص ٢٢٥ شرح ديوانه المنسوب غلياً إلى الكندي ، طبعه المطبع سنة ١٩٣٦ بمصر .
(٢) في الأصل البازة : « وهذه كناية عن الزاغة والمغة ، إلا أن القجور أحسن منها » ج ٢ ص ٢١٦ .
(٣) من قصيدة يمدح فيها أبيه ، أولها قوله :
بخر سليمان نال حقو القباخر أخو البلد ، لا مستصراً بالخفا
ورواية ديوان البيت هي :
وقد قلني ما أرتد على المسبوي وأصلي إلى ثم المستفود الوافر
يحن لرد ما قصص الحمر والحلى ويصفد حما في غيلان الآزر

عليكم فيها^(١) عرضتم به من خطية الساء » ، فقال القمرون : التعريض باغطية لها أن يقول لها ، وهي في عدة الزناة « إنك لطيفة وإليك طسنة » وما أشبه ذلك ، ومما جاء من التعريض قوله - تعالى - : « آتت^(٢) فطمت هذا بالحناء يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون » يعني أن كبير الأصنام غضب أن لعبده هذه الأصنام المسفاهة فكسرها ، وعرض إبراهيم - صلوات الله عليه - من هذا الكلام بهمة الحجة عليهم لأنه قال : « فاسألوهم إن كانوا ينطقون » وذلك على سبيل الاستهزاء بهم وهذا من رموز الكلام ، والقول فيه أن قصد إبراهيم لم يكن الفعل الصادر عنه بالي المصنوع ، وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على السبواب تعريضه يبلغ فيه غرضه من الزام الحجة عليهم ، ويكفيهم والاستهزاء بهم .

ومن يدعي التعريض قوله - تعالى - : « قال اللاء الذين كفروا من قومك ما نراك إلا بشراً مثلنا وما نراك أتيتك إلا الذين هم أولادنا بهذا الرأي ، وما زى لكم علينا من فضل بل ننتكركم كاذبين^(٣) » قوله - تعالى - « ما نراك إلا بشراً مثلنا » تعريض بأنهم أحق بالثبوت منه وأن الله لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها فيهم . فقالتوا : هب أمك واحد من اللاء ووازيهم في الثبوت فما جعلك أحق منهم بها ؟ ألا ترى إلى قوله - تعالى - : « وما زى لكم علينا من فضل » .

ومن مشكلات التعريض حديث عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - قال : حكمت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون أن النبي - ص - خرج ذات يوم وهو محتضن أحد ابني بنته وهو يقول : « والله إنكم لتحببنوني وتبخلون وتجهلون وإسكم لن يرحمكم الله وإن آخر ملأها وملئها الله بوج^(٤) » وأعلم أن « وج » واد بالمطائف والراد غزاة حنين^(٥) . وحينئذ واد

(١) السورة : القلم والآية : ٢٣٥ . (٢) السورة : الأنبياء والآية : ٦٢ .

(٣) السورة : هود والآية : ٢٢ .

(٤) ذكر هذا الحديث الشريف في كتاب « الخواص النبوية » - ص ٥٦ - من طبعة مصطفى

الباقى بصر سنة ١٩٣٧ والمختصر في « امالي » ج ١ ص ١٦٦ من الطبعة المصرية ، قال الرضي « وج

جبل بالمطائف » . وفي مرادف الأضلاع على الأكنة والفتح لأن عبد الملك البغدادي ص ١٣٠ من طبعة

إيران « وج : بالفتح ثم التشديد موضع المطائف به كانت غزاة حنين - ص - » .

قبل وج لأن غزاة حُتَيْق ^(١١) آخر غزاة أوقع بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ^(١٢) المشركين .
وأما غزونا الطائف وتبوك ، اللتان كانتا بعد حنين فلم يكن فيها واطئة أي قتال ، وإنما كانتا مجرد
خروج إلى الغزاة حسب ومن غير ملازمة العدو ، أممي المشركين ، ولا تقتلهم .

ووجه حذف ^(١٣) هذا الكلام ، وهو قوله - صلى الله عليه وسلم - : « وإن آخِرَ واطئة
وطئها الله برج » على ما قبله من الحديث ، هو التأسف على مفارقة أولاده ؛ لقرب وفاته ؛
لأن غزوة حنين كانت في شوال سنة ثمان ، وفاته - صلى الله عليه وسلم - كانت في ربيع
الأول من سنة إحدى عشرة ، وبينهما سَنان ونصف ، فكانه قال : « وإنكم لن يرحم الله
أبي من رزقه » وأما مفارقتكم من قريب [ألا أنه سائع عن قوله : « وأما مفارقتكم عن قريب » ^(١٤)
بقوله : « وإن آخر واطئة وطئها الله برج » فكان ذلك تعريضاً بما أراد ، وقصصاً من قرب وفاته
- صلى الله عليه وسلم - ومفارقة إياهم ، أممي أولاده . وهذا من أغرب التعريضات وأنجعها ،
فأعرفه .

ومن هنا الباب قول التميمي ^(١٥) لطارني :

بني عينا لا تذكروا الشعر بعد ما دفنتم بصحراء التميم ^(١٦) القوافيا

(١) قال الزمخشري : والطرادة غزاة حنين وحنان ولد قيسل وج لأنها آخر غزوة أوقع بها رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - على المشركين ، قال ابن أبي عمير : « لأن غزوة حنين كانت في شوال سنة ثمان ، وفاته في شهر ربيع
الأول من سنة إحدى عشرة » . « الفائق ج ١ ص ١٦٦ » .

(٢) في « لئال السائر » ج ٢ ص ٢١٤ « مع المشركين » ، وفي « القاموس » أولم بهم : بالغ في التلطم .
وقد تكلم الشريف الرضي على الجواز في « رمان » و « وطئها » .

(٣) في الأصل « طئ » والصحيح من لئال السائر .

(٤) الزيادة من لئال السائر ج ٢ ص ١١١ ، ويبدو أنها سقطت من قلم النسخ .

(٥) في الأصل « التميمي » والتميم الحارثي : من شعراء الحنابلة ، وقد اشتهر له أبو تمام في علمه
كله ، والبيت الذي أورده ابن الأثير هو أولها . وجاء في شرح البربري تعليق على هذا البيت أنه « وقيل
اسم هذا الشاعر التميمي » . ويقول : « وقال البرقي : هذا الشعر لسويد بن صبيح الرندي » من بني الحارث
وكان قتل أخوه عليه . . « شرح ديوان الحنابلة » ج ١ ص ١١٨ مطبعة جيلاني بالقاهرة . وفي القليوب
من كتاب « لأشب واهتصاف للأندلس » ص ٥٠ « أنه » التميمي « بدل من بني الحارث بن كعب
وكان شاعراً فارساً » .

(٦) في الأصل : « التميم » وفي الحاشية : التميمي : موضع ، وفي كتاب الأندلسي « التميم » وأما
شارحه على ديوان الأندلسي وقد ذكر البربري وجهاً آخر لتفسير البيت المطر في ص ١١٦
ج ٢ من « شرح ديوان الحنابلة » المطر إليه .

فانه ليس قصده الشعر بل قصده ما جرى بينهم بهذا الوضع من الذللة لهم ، والفتور عليهم
إلا أنه لم يذكر ذلك ، بل ذكر الشعر وجعله ترفيلاً عنه . أي : لا تفخروا بعد تلك الوقعة ،
التي جرت لنا ولكم بذلك المكان .

ومن أحسن الترميزات ما كتبه عمرو بن ^(١) مسعدة إلى التأمون ، في حق بعض أصحابه « اما
بعد فقد استشفع بي فلان إلى أمير المؤمنين ، ليتطوّل في الحاقه بنظرائه من الخاصة ، فأعلسته
أن أمير المؤمنين لم يحطلي في مراتب المستشفعين ، وفي ابتدائه بذلك تدبّر طاعته » . [فوقع
التأمون في ظهركنا به : قد عمرت نصريحك له ، ونعريضك لنفسك] فأجبتك إليها « وأمثال
هذا كثيرة ، وفيها أثرنا إليه للكتابة .

النوع الثامن من الباب الأول من الفن الثاني

في استعمال العام والخاص في الإيجاب

وهو باب من علم البيان تنسأثر فوائده .

اعلم أنه إذا كان الشيطان أحدهما ^(٢) خاص والآخر عام قال استعمال العام في حالة النفي ، أبلغ
من استعماله في حالة الإيجاب ، وكذلك استعمال الخاص في حالة الإيجاب أبلغ من استعماله في حالة
النفي .

مثال ذلك الإنسانية والحيوانية ^(٣) . فإن إثبات الإنسانية يوجب إثبات الحيوانية ، ولا
يوجب نفيها نفي الحيوانية . وكذلك نفي الحيوانية يوجب منه نفي الإنسانية ولا يوجب من
إثباتها إثبات الإنسانية .

(١) أبو الفضل عمرو بن مسعدة بن سعد بن مولى الحر الأسدي . من جهة مسعدة من كتاب خطه بن
برمك لم يكتب بعده لأن أويوب اللويدي وزير المصور على ديوان الرسائل . وكان عمرو هذا من أكابر كتّاب
التأمون وأهل الفضل والرياسة في النثر والشعر وكان كاتباً بليغاً ، توفي سنة ٢١٤ هـ . وقبل سنة ٢١٧ هـ
في أيام التأمون . معجم الأدباء ج ٦ ص ٨٨ . من طبعة عمرهليون والوزراء الجيشاري . ص ٢٥٨، ٢١٦ .
من طبعة لبنان ومعجم الشعراء القرطبي . ص ٢١٩ .

(٢) تنسأثر من : قبل الشعر . ج ٢ ص ٢١٥ .

(٣) في نثر الشعر . أحدهما عاماً والآخر عاماً . ص ٢٢ ج ٢ .

(٤) في الأصل : والحيوانية ولا يوجب غيرها . وهي من سبق لم التناج .

ومما يدل في هذا الباب الأسماء المفردة الواقعة على الجنس ، التي يكون بينها وبين واحدتها تاء التأنيث ، فانه من أريد النفي كان استعمل واحدتها أبلغ ، ومن أريد الإثبات ، كان استعملها أبلغ .

فالأول وهو الخاص والعام نحو قوله تعالى : « مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم »^(١) . « وم يقل : « بضوئهم » ، لأن^(٢) ذكر النور في حالة النفي أبلغ ، من حيث إن الضوء فيه امدالة على النور وزيادة ، فلو قل : ذهب الله بضوئهم ، لكان المعنى يعطي ذهابة نفي الزيادة^(٣) ، وقاء ما يسمى نوراً ، لأن الإضاءة ، هي فرط الامارة دليل (ذلك) قوله تعالى : « وهو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً ، وقمره منازل ... » فشكل ضوء نور ، وليس كل نور ضوءاً ، فلنرى من قوله تعالى : « ذهب الله بنورهم » إنما هو إزالة النور عنهم رأساً^(٤) ، فهو إذا أزيل فقد أزال الضوء . وكذلك أيضاً قوله : « ذهب الله بنورهم » (ولم يقل : أذهب نورهم)^(٥) لأن كل من ذهب شيء ، فقد أذهب ، وليس كل من أذهب شيئاً فقد ذهب به ، لأن الذهاب بالنفي هو استصحاب له ، ومضي به ، وفي ذلك نوع احتجاء بالذهب به ، وإسكاته له عن الرجوع إلى حاله ، والعود إلى مكانه^(٦) وإسكاته الإذهب لشيء ، وإزالة معنى الاحتجاء منه .

(١) سورة البقرة الآية ١٧٤ . « وتعالى الآية » ... وتركيب في ظلمات لا يبصرون .

(٢) في الأصل : « لأن ذلك النور » والمصحيح من مثل النار .

(٣) زيادة يقتضيا المضي . (٤) في لئل النار : « أملا » .

(٥) المسئلة من مثل النار ج ٢ ص ٢٣٠ .

(٦) قال ابن الجوزي في كتابه « الفوائد الغرر على لئل النار » ص ١٢٦ : « إن قوله :

إن ذهب الله بنورهم ، يعني أنه استصحب ومضي كما يقول القائل : مودت يزيد وعنده سبب » فثبت به

أي أضاءته ومنهيت وكما قال سبحانه : فلما دعوا به وأجمعوا » معاً أخذوا يوسف صبيهم ومضوا » فثبت

قال : ثم حكينا فسرنا الآية فيما كثر وتجميع ، فلما قوله : كل من ذهب به » فقد أذهب » هو على إطلاقه

غير صحيح لأن ليس كل من ذهب به » فقد أذهب بهي أمده من الوجود أملا ، لكنه قد أذهب عن

بوضه الأول الذي أضاءه به . وإنما أي أذهب مثل عليه من امدارة لضعف ذهب » فلما تستعمل في

مضيق أحدها قوله : ذهب فلان في الطريق الملاقي أي مضى فيه ولم يبق فيه شيء متبقياً لأنه

ذهب فيه أي مضى به . وحس قول الشاعر ولقد ذهباً كأنه صار طريقاً فليسك القباء وليرحم ولعل الثاني

وهذا كلام دقيق يحتاج إلى زيادة تأمل ومراجعة . وما يجعل على ذلك الأوصاف الخاصة إنا
وقعت على شيئين ، وكان يلزم وصف أحدهما وصف الآخر ، ولا يلزم عكس ذلك ، نحو الطول
والعرض ؛ فإنه إذا قيل : مربع ^(١) تعرضه مائة ذراع ، لم أن يكون طوله إنا مثله أو أكثر
منها ^(٢) . قال الله تعالى : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض » ^(٣)
قوله إنا خص العرض بالذكر دون الطول ؛ لأن الطول أكثر من العرض . والمعنى : أنه إنا
كان هذا عرضها فكيف يكون طولها ؟ هذا في حالة الاتجاه ، ولو أريد الخي لسكان له أسلوب
غير ما ذكرنا ؛ وهو أنه كان يخص به الطول دون العرض ؛ وذلك موضع كثير الاشكال ؛
فبيني أن يكون للزائف بصيرة باستعماله ؛ على اختلاف حالاته ونسب مذهبيه .

وأما الأسماء المفردة الواقعة على الجنس ، فتعدو قوله تعالى في قصة نوح - عليه السلام - :
« قال اللأ من قومك إنا نراك في ضلال مبين قال : يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من
رب العالمين » ^(٤) فإنه إنما قال : « ليس بي ضلالة » ولم يقل : ضلال لأن (غي) الضلالة
أبلغ في غي الضلال منه ؛ كما لو قيل لك : « ألا تمر ؟ » قلت في الجواب : « مالي تمر » كأن
ذلك أغنى للتمر . ولو قلت : « مالي تمر » لما حكى مؤدياً من المعنى ما كان يؤدبه القول

== (كما) والصواب آخر : ذهب بعض عدم وفقه ، وتوقف ذهب الشباب وذهب العمر أي في عدم ولعل
الاعتبار الثاني هو الطريقة الأدبية ، والعمل الأول هو الخبر لأنه ما حصى زيد في تلك الطريق قد قدم بالنسبة
إلى غيرها لاسمى صدي دعاء ، ولما بذلك اشتراك المصطلح فلهذا لأنه نوح أن قوله تعالى « ذهب الله بنورهم »
مثل قولنا « ذهب زيد بطلب عمرو » أي احتياطي ونفي وقد سرج ينشر الآية على هذا الوجه ، وهذا
معي لا يجوز أن ينسب إلى الله تعالى لأنه لا يصح عليه المرة ولا استصحاب الأشياء واستبط من سكان إلى
سكان . وعلى أنه لو صح عليه ذلك لسكان قوله « أذهب الله نورهم » أي في النور من قوله « ذهب الله
بنورهم » على هذا فليس الذي لعدم النور والكتابة أبع من قوله « ولزكهم في طاعتهم لا يصرون » ومن
أين يصعب بلور ؟ بالتفسير الذي زعمه يكون نور وجود في الجملة ، وإنما قل من موضع إلى موضع « إلى أن
قال « كلا القليل يدل على معنى واحد » .

(١) أراد بالزوم ما أوجب الضلال .

(٢) هذه العبارة مذكورة في الأصل وذلك من سوء النسخ .

(٣) آل عمران : الآية ١٠٣ « ولها » ... أعدت الحقيق .

(٤) الأعراف : الآية ٦٩ « ٦٠ » .

(الأول) ^(١) ، فأمرى ذلك .

الفرع التاسع من الباب الأول من الفن الثاني

في التفسير بعد الإيهام

فعل ذلك لتفخيم اللهم وإعظامه ؛ لأنه هو الذي يبارق السمع أولاً ، فيذهب السامع كل منذهب كقوله تعالى : « وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين » ^(٢) ففسر « ذلك الأمر » بقوله : « دابر هؤلاء مقطوع » . وفي إيهامه أولاً ، وتفسيره بسدد ذلك تفخيم الأمر ، وتطمين لشأه ، فإنه لو قال تعالى : « وقضينا إليه أن دابر هؤلاء مقطوع .. » لما كان بهذه الشبهة من الغفلة ، فإن الإيهام أولاً يوقع السامع في حيرة وتفكير ، واستعظام لما فرغ صمته ، وتشويق إلى معرفة كنهه ، والاطلاع على حقيقته .

ومن هذا الباب قوله تعالى : « أعدنا السراط للمستقيم » سراط الذين أنعمت عليهم ... « (فإنه إنما قال ذلك ، ولم يقل : أعدنا سراط الذين أنعمت عليهم ^(٣)) لما في الأول من التنبيه ، والاشعار بأن السراط المستقيم هو سراط المؤمنين ، فدل عليه بأبلغ وجه ، كما تقول : « هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم ؟ ! » ثم تقول : « فلان » فيكون ذلك أبلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك : « هل أدلك على فلان الأكرم الأفضل » لادك ثبت ^(٤) ذكره مجازاً ومقطلاً ، فدلته دليلاً في الكرم والفضل ، كأنك قلت : من أراد رجلاً جامعاً للخصلتين فليبه بفلان .

وعلى نحو من هذا جاء قوله تعالى : « وقال الذي آمن يا قوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد

(١) يقال له : إذا استشهدت باسم جبري وفلك أمر معروف أن تنفي مقرره ونسحل ألفي جميع جنه ، وأما « الضلال » فلم يدل أحده أنه اسم جبري لـ « ضلال » قال ابن فارس : « والساد والضل يجرى » . وكذلك القول في الجلال والجلالة والسياسة والسياسة والفضل والفضيلة . والقاهر لما من استعمل المركب الكرم « ضلال » و « الضلالة » أن الأول استعمل للجسم المستعار والثاني استعمل للفكر المستعار أيضاً . فهو كالطاعة « ضل » مضيت في حاجة « عندما تريد الضلوك » و « في نفس حاجة » لذا أثرت النفس .

(٢) المثل السائر ج ٢ ص ٢٧ . (٣) الحكمة من لئق السائر ج ٢ ص ٢٧ .

(٤) في الأصل : « ثبت » وهو من تعريف المصاحف .

يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار من عمل عبثة فلا يحزى إلا مثله ، ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ^(١) ألا ترى كيف قال : « أعدكم سبيل الرشاد » فأبهم : « سبيل الرشاد » ولم يبين أي سبيل هو ، ثم فسر ذلك ففتح كلامه بضم الدنيا ، وتفسير شأنها ، لأن الأهلاد إليها أصل الشريعة ، ثم نبى ذلك بتعظيم الآخرة والأطلاع على حقيقتها ، وأنها هي الوطن والسترة ، ثم ثلث بذكر الأعمال ، سيئها وحسنها ، وواقية كل منها ، ليثبت ^(٢) مما يتلف ، وينشط لها يناف ، فكانه قال : سبيل الرشاد هو الامتناع عن الدنيا ، والرغبة في الآخرة ، والامتناع من الأعمال السيئة ، خوف العقاب عليها ، والمصارعة إلى الأعمال الصالحة ، رجاء الجزاء عليها . وكذلك (جاء) قوله تعالى : « وإن يرفع إبراهيم القواعد من البيت ^(٣) » . . « ولم يقل : قواعد البيت ، لما في إيهام القواعد ، وتبينها بعد ذلك من الإفصاح ، وتلخيص حال البيت ^(٤) مما ليس في الإضافة .

ومن هذا الباب قوله تعالى : « وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى ^(٥) . . الآية (فإنه) لما أراد تقضيم ما أمثل فرعون من يلوغ أسباب السموات ، أيها أولاً ثم فسرهما ثانياً ، ولأنها لما كان يلوغها أمراً مجيئاً ، أراد أن يورده على نفس مستوفاة إليه ، ليطلبه السامع حقه من التعجب فأبهمه ليشوق إليه نفس هامان ، ثم أوضحه بعد ذلك .

ومما يدخل في هذا الباب الإهداء بذكر الضمير ثم الإفصاح بذكر صاحبه بعده ، كقوله

(١) سورة « طه » الآية « ٤٠ » .

(٢) في الأصل التقط ، والتصحيح من لكل الدار « ج ٢ ص ٣٥ » .

(٣) السورة « البقرة » والآية « ١٢٧ » وثانها « ... وإسماعيل وها نبل منا أنك أنت السميع العليم » .

(٤) في الأصل « طين » والتصحيح من لكل الدار .

(٥) السورة « طه » والآية « ٣٦ » وثانها « . . وإنني لأظنه كاذباً وكذلك زين القومون

سوء محله وصد عن السييل وما كبه فرعون إلا في ثياب » .

تعلي: « وما تكون في شأن وما تكون منه من قرآن »^(١) فإنه لما أتى بالضمير ، الذي هو « منه » قبل صاحبه الذي هو القرآن ، كان ذلك تقديماً له ، ولتخلياً من أمره . ولو قال : وما تكون في شأن وما نحو من قرآن ، ولم يذكر الضمير لما كان الكلام تلك الفضايلة التي كانت له مع ذكر الضمير ، وهذا مثل قولهم « الكريم العالم العادل » ثم يقال : فلان وقد سبق الكلام عليه ، فأعرف ذلك وقس عليه .

وأما الإيهام من غير تفسير ، فكثير شائع في القرآن العزيز ، كقوله تعالى : « إن هذا القرآن يهدي للذي هي الأثوم »^(٢) فقوله : الذي هي الأثوم أي الطريقة أو الحدة أو المسلة هي أثومها وأشدّها ، وأي ذلك قدرت لم تجد له مع الإفصاح فوق البلاغة التي تجده مع الإيهام ، وذلك لذهاب الثوم فيه كل مذهب ، وإيقاعه على احتمالات كثيرة ، وهذا لا يخفى على العارفين بمرور صناعة التأليف فأعرفه .

ومما يدخل في هذا الباب الاستثناء العسدي وهو ضرب من التثنية لطيف للأخذ بهيب المفزى . وأما بفعل ذلك طلياً البالغة ، لأن له تأثيراً شديداً في القلب ، وسوقاً عظيماً في النفس وقائمه [أن] أول ما يطرأ سمع المخاطب ذكر العدد في العدد فيذكر موقع ذلك عنده ، وهو شبه بما ذكرناه من الإيهام أولاً ثم التفسير بعده تأييداً ، فمن ذلك قوله تعالى : « ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فليت لهم ألف سنة إلا خمسين عاماً »^(٣) فإنه إنما قيل « ألف سنة إلا خمسين عاماً » ولم يقل تسماية وخمسين عاماً لعائدة حسنة ، وهي ذكر ما ابتلي به نوح من أمته ، وما كابد من طول المصيبة ، ليكون ذلك تسلية لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونشأ له ، فمن ذلك رأس العدد الذي هو متعني العقود وأءتمتها أوقع وأوصل إلى المرض من استعانة السامع

(١) السورة « يونس » الآية « ٦٩ » وتليها « ... ولا تعلمون من عمل إلا كتاً عليكم شهيداً إذا نقضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين » .

(٢) السورة « الاسراء » الآية « ٩ » وتليها « ... ويسر للذين الذين يملكون الممالك أن لهم الجراً كبيراً » .

(٣) السورة « هود » الآية « ٦١ » وتليها « ... فأخذهم بطون وهم يظنون » .

لمدة مبررة وما لاقاه من قومه ، فاعترف ذلك وقس عليه .

الترويع العاشر من الباب الأول من الفن الثاني

في التعقيب الصدري

وإنما يبعد إلى ذلك لضرب من التأكيد لما تقدمه ، والاشتمار بتضخيم شأنه أو بالشد من ذلك ، فقال الأول قوله تعالى « ويوم يفتح في الصور » ففزع من في السموات ومن في الأرض ^(١) إلى قوله « ... » وهم من فزع يومئذ آمنون » و « من جاء بالحسنة فكبّرت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون » . « فصنع الله » من الصادر المؤكدة لما قبلها ، كقوله « وعد الله » وسبغة الله « ، ألا ترى أنه لما جاء ذكر هذا الأمر العظيم ، الحال على القدرة الباهرة ، من التفتح في الصور ، وإحياء الأموات ، والفرج . وإعطاء الناس للحساب وسير الجبال كالسحاب في سرعتها ، وهي عند الرؤية لها والمضاهاة كلها جادة ، عقب ذلك أن قال « صنع الله » والمعنى أن هذا الأمر العجيب السديد صنع الله ، والمعنى « ويوم يفتح في الصور » وكان كيت وكيت من الأشياء الباهرة ، وأجاب الله المحسنين ، وعاقب المجرمين « فجعل هذا الصنع من جملة الأمور التي أنفها وأتى بها على الحكمة والثواب ، حيث قال : « صنع الله الذي أنشأ كل شيء » ، بل أن مقابلة الحسنات بالثواب ، والحسنة بالعقاب من إحكامه للأشياء وإتمامه لها ، وإجرائه بإفهامها على تضاد الحكمة ، أي إيه عالم بما تفعل البهائم وما يستوجبون عليه ، فيكافئهم على حسب أفعالهم ، ثم لحص ذلك بقوله تعالى : « من جاء بالحسنة ... » إلى آخر الآيتين .

فاظهر أنها للتأني إلى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ، ومكانة إنشائه ، ودرجته تفسيره ، وأخذ بعده برباب بعض ، فأفاد أن فرغ إنشائه واحداً . ولأن ما أجاز التقوي وأخرس

(١) الجن « ٨٧ ، ٩٠ » وإمام « ... » إلا من هذا الله وكل أنواع الجن والبرية والحيوان تصبها حادثة وهي تفر من الحساب صنع الله الذي أنشأ كل شيء « به خبر بما تفعلون ، من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون » .

ونحو هذا « الصدر » إذا جاء عقب^(١) الكلام كان الشاهد بصحته ، والشاكي على سداده وأنه ما كان ينبغي أن يكون إلا كما قد كان . ألا ترى إلى قوله : صنع الله وسبحة الله ، ووعد الله ، وغفارة الله ... بعدما وسما بإسمائها إليه ، بسمه العظيم ، كيف تلاها بقوله : « الذي آمن كل شيء » .

وأما الثاني ، وهو ضد الأول ، وذلك ما يرد به نصير الشأن ، فكقولك إذا أخرت ذكر إنسان تريد منه : « قد ركب هواه » واستمر على غيبه ، وتغاضى في جهله ، وسحب ذيل عليه ... وما أخيه ذلك . ثم تقول : « صنع الشيطان : الذي يخلب النفوس » ويسلب الأبواب ... وأمثال هذا كثيرة فاعرفها .

الترغ الفخاري عشر من الباب الأول من الفخ الثاني

في التقديم والتأخير مما لا يعلق بغيره

كتقديم القول على القائل ، وتقديم الحال والظرف ، أو غير ذلك ، فن هذا قد أوردنا له باباً ، وجملة ما مفسوراً عليه ، ومرة ذكره في باب « شجاعة القرية » .

وأما هذا الباب فإنه يعلق بتقديم الأشياء بعضها على بعض في الذكر ، لا اختصاص أحدها بما يوجب له التقدم على الآخر ، وذلك مما لا يحصره حد ، ولا يأتي عليه شرح . وقد أشرنا نحن إلى غنة منه ، إذا تأملها الناظر في كتابنا هذا ، يستدل بها على غيرها .

فمن ذلك تقديم السبب على السبب ، كقوله صالي : « إنك نهد ويحك تصنعون » . فإنه

(١) يقال القمع « حذرت شفتيه » والجمع شفتيق وهو مستعمل من شفتة البحر وهي كاللثة يخرجها إذا حاج وزها .

(٢) جاء في الصباح لير « وأما عقب مثال كرم باسم فاعل من غرقم : عاقبه متابعة وعقبه تقياً فهو عاقب وعقب وعقب إذا جاء بعده » قال الأزهرى أيضاً : والليل والتهار يفتانان : كل واحد منهما عقب صاحبه والسلام عقب المهدى لأن ياراه فهو عقب له ، والعصيدة عقب الضلال أي تنوء وتتبعه فهي عقب له أيضاً ، تقول الفطاه « يفعل ذلك عقب الصلاة » ونحوه بإزاء لا وجه له إلا على تقدير محذوف وليس في وقت عقب وقت الصلاة « فيكون عقب صفة وقت ثم حذف من الكلام حتى صار : عقب الصلاة » .

إنما قدم العبادة على الاستقامة ؛ لأنَّ تقديم القرية والوسيلة قبل طلب الحاجة أتمجح لحصول المطلوب ، وأسرع لوقوع الأجابة . ولو قال : إليك مستعين ، وإليك مُسبِد ، لكان جائزاً ، إلا أنه لا يسد ذلك السد ولا يقع ذلك الوقع ، وهذا لا يخفى على النصف من أرباب هذه الصناعة . وعلى نحو من ذلك جاء قوله تعالى « وأزلنا^(١) من السماء ماء ظهوراً لنحيي به بلدة ميتا ، ونسقيه مما خلقنا أنعاماً ، وأناسي كثيراً » .

ألا ترى كيف قدم حياة الأرض وإسقاء الأنعام على إسقاء الناس ؟ وإن كان الناس أشرف مخلوقاً وأعلى مكاناً . وسبب ذلك ما أذكره لك وهو أن حياة الأرض سبب حياة الأنعام والناس . ولا كانت الأنعام أيضاً من أسباب التنبؤ والحياة للناس قدمها على الناس في الذكر ، ولأن حياة الناس بحياة أرضهم وأنعامهم ، فقدم ما هو سبب حياتهم وعيشهم على سقيهم . فهذه نكت القرآن العجيبة ورموز أسرارها اللطيفة التي إذا صرَّ الإنسان عليها من غير أن يتدبرها ، وبسطها أفضل تأمل وتذكر لا يقع على خباياها ، ولا يظفر بنراتها .

ومن هذا النوع تقديم الأقل على الأقل ، كقوله تعالى « ثم أوردنا الكتاب الذين استطعنا من عبادنا فهم ظالم^(٢) لنفسه ومنهم مقتصد^(٣) ومنهم سابق^(٤) بالخيرات »^(٥) فإنه لما قدم الظالم لنفسه للايمان بكبريته وأن مقامه المطلق عليه ثم أتى بعده بالمقتصدين ؛ لأنهم قليل بالاضافة اليه^(٦) ، وآخر السابقين بالخيرات ، إذ كانوا أقل من القليل أصح من المقتصدين ، فقدم الأكثر ثم جاء بعده ؛ بالأوسط ثم ذكر الأقل أخيراً ، وذلك لائق في بابهِ . ولو عكست القضية لكان المعنى أيضاً واقعاً في موقعه لأنه يكون قدم الأفضل للأفضل ؛ وذلك أن السابقين بالخيرات أفضل من المقتصدين ، والمقتصدين أفضل من الظالمين ؛ ولتوضح في ذلك طريقاً يعرفه مؤلف

(١) أول الآية « الفرقان : ٤٩ » هو « وهو الذي أرسل الرياح بهراً بين يدي رحمتنا ... » وقد سقطت هذه الآية من فهرست القرآن في المسمى بحوم هروان في أطراف القرآن الذي صنعه كسوف فوجيل الأتاني في مادة « مات » لفظ .

(٢) السورة « مطر » والآية ٣٣ وقالها « ... بأنك ظالم ، ذلك هو الفضل الكبير » .

(٣) أي بالعبادة إليه ، وكثير من كتاب العصر المشتهين يستعملون « بالاضافة إليه » مكان « مضافاً إليه » و « مضاف إليه » و « زيادة عليه » و « يزاد عليه » وهو خطأ .

اعلم أنه متى كان الشئان أحدهما كثير والآخر أقل منه ، وكان الأقل أفضل من الأكثر فأنت بالخيار في تقديم أيهما شئت ، لأن في كل واحد منهما ما يوجب له التقدم ، فاعرف ذلك وقس عليه نظائره وأمثاله .

ومن هذا النوع قوله تعالى : « والله خلق كل دابة من ماء ، فمنهم من يشرب على بطنه ومنهم من يشرب على رجلين ومنهم من يشرب على أربع ، يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير » (١) .

فإنه إنما قدم اللائي على بطنه لأنه أدل على القدرة من اللائي على رجلين ، إذ هو ماض بغير الآلة المخرقة للشيء ، ثم ذكر اللائي على رجلين بعده ، وقدمه على اللائي على أربع ؛ لأنه أدل على القدرة أيضاً حيث كثرت آلات الشيء في الأربع ، وهذا من باب تقديم الأمجب فالأعجب فاعرف ، ذلك .

ومن هذا النوع في التقديم والتأخير أنه إذا كان مطلع الكلام في معنى من المعاني ثم يعمى بعده ذكر شئين أحدهما أفضل من الآخر ، وكان معنى الفضول مناسباً لمطلع الكلام فأنت بالخيار في تقديم أيهما شئت ؛ لأنك إذا قدمت الأفضل فهو في موضع التقديم ، وإن قدمت للفضول فلا تن مطلع الكلام يناسبه ، وذكر الشيء مع ما يناسبه أيضاً وارد في موضعه فن هذا الأسلوب قوله تعالى : « وإنا إذا (٢) أدقنا الإنسان من رحمة قرح بها وإن نسبهم سيرة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور » إلى قوله : « عليهم قدر » فإنه إنما قدم الإنان أولاً على الذكور ، مع تقديمهم عليهم ، ثم رجع فقدم الذكور وأخر الإنان بعد ما تكبر حسن وعرفت الذكور ؛ لأنه ذكر البلاء في آخر الآية ، وكفران الإنسان بنسيانه الرحمة السابقة عنده ، ثم عقب ذلك بذكر ملكيه ومشيته ، وذكر قسمة الأولاد ، فقدم الإنان ؛

(١) السورة « النور » والآية ٤٠ .

(٢) السورة « النور » والآية ٤٨ — ٥٠ « وأولها » « من عرضوا لها أؤمداك عليهم حفنفاً إلى ملكك إلا البلاغ وإنا لما أدقنا ... » ونفسها « لله ملك السموات والأرض ، يخلق ما يشاء ، يجب أن يشاء إنا وجب أن شاء الذكور أو يزوجهم ذكراً وإنا ونجعل من يشاء عبقماً إنه على قدر قدير » .

لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاء ، لا ما يشاؤه الانسان ، وكان ذكر الالام ، الآتي من من جهة ما لا يشاؤه الانسان ولا يختار أمم ، فلاهم واجب التقديم ، ولبلاء الجنس البشري [التي] ^(١) كانت العرب تصده بلأاء ، ذكر البلاء ، ولما أخرت المذكور ومع أحق بالتقديم ثم تدارك ذلك بتعريفه (أمم ؛ لأن التعريف تنويسه بالذكر ، [كان] ^(٢) كأنه قل « ويجب أن يشاء القوسان الأعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم » ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير ، وتعبّر أنّ تقديم الالام لم يكن لتقديمه ، ولكن لتقتضي آخره ، فقال : [أوبخ وجههم] ^(٣) ذكرنا وإياتنا ، وعنده دقائق لطيفة ، فلما يتبع لها أو يشر على رموزها .

ومن هذا الباب قوله تعالى : « وما تكون في شأن وما تنلو من قرآن ولا ... » إلى قوله « ... وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء » ^(٤) فانه إنما قدم الأرض في الذكر على السماء ، ومن حقها التأخير ؛ لأنه إنما ذكر شهادته على شؤون أهل الأرض وأحوالهم ، ووصل ذلك بقوله : « لا يعزب عنه » لام بين ... وأمثال هذا كثيرة فاعرفه .

الفرع الثاني عشر من الباب الأول من الفع الثاني

في صلب الظاهر على ضميره والاقتضاح به بعده

وهذا إنما يمد إليه لفائدة ؛ وهي إما تعظيم حال العطوف عليه ، والتعظيم من شأنه ، وإما ضد ذلك وبقيته ، مثال التعظيم قولك .. « ولما تلاقينا » ^(٥) وبنو نعيم ، أقبلوا البنا يوفضون ^(٦) واجتهدوا نعمونا يركضون . وجاؤوا كأنهم في تكاتفهم ليسل ، وفي سرهم سبيل . فرأيتنا منهم

(١) زيادة الضاعها السابق .

(٢) راجع ص ١٧٤ ص ١ من هذا الكتاب .

(٣) كذا ورد بمع الأول ؛ حسب الصاهر على الضمير المربوع بلا ضمير ولا وصل لضي وهو صحيح في العربية . والصحيح « فلما نحن وبنو نعيم » .

(٤) أوصلوا : أسرعوا وعدوا وت قوله تعالى « كأنهم لئ نصب يوفضون » .

أسوداً في القاذية ، وتساب في الخادعة والحانقة ، وتناجد ^(١) بدو نجيم علينا بمحنة ، فلدنا بالفرار ، واستبقنا الى تولية الأديار « فإنا قلت : « وتناجد بدو نجيم » مصرحاً بكركم ، ولم تقل : وتناجدوا ، كما قلت : « أقبوا » و « اجتروا » و « جزلوا » للدلالة على التعجب من شجاعتهم والتعظيم لشدهم وإقدامهم . ولا سيما وقد أضفت الى ذلك قولك : « لدنا بالفرار » و « استبقنا الى تولية الأديار » فكأنك قلت : وتناجد أولئك القرسان الشاهير ، والسيكاه الذكورون ^(٢) ، وحلوا علينا حلة واحدة ، فوالينا مديرين منهزمين .

ومن هذا الباب قوله تعالى : « أولم يروا كيف يُبدى الله الخلق ثم يعيده إلى ذلك على الله يسير . قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ ^(٣) الأخرى ... » . ألا ترى كيف صرح باسمه تعالى في قوله : « ثم الله ينشئ ^(٤) الأخرى » . مع إبهامه ^(٥) مبتدئاً في قوله « كيف بدأ الخلق ثم ينشئ ^(٦) الأخرى » ؟ والفائدة في ذلك ما ذكرناه وتبينها عليه ؛ وهو أنه لما كانت الأعادة مقدم من الأمور الطبيعية والأشياء المستصعبة ، وكان صدر الكلام واقعاً معهم في الإبداء ، وقَرَّ رأيهم أن ذلك من الله — عز وجل — احتج عليهم بأن الأعادة إنشاء مثل الإبداء ، وإذ أكلف الله لا يعجزه شيء ^(٧) هو الذي لا يعجزه الإبداء فوجب أن لا تعجزه الإعادة ؛ فللدلالة والتنبيه على عظم هذا الأمر الذي هو الأعادة أبرز اسمه — تعالى — الى [السابعة] وأوقعه مبتدئاً ثانياً ، فأعرف ذلك وقس عليه .

وأما الثاني وهو ضد الأول فإنه يقصد به الذم كقوله تعالى : « وإنا نبل عليهم آياتنا فينبذون قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كنتم بعبادة آلهكم وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى » وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين ^(٨) » فإنه إنما قال : « وقال الذين كفروا »

(١) اتجايدوا : تعاونوا .

(٢) في الأصل الشجر = ج ٢ ص ٢٤ . « للأكبر » جمع الشكر .

(٣) السورة « التكوين » الآية ١٩ - ٢٠ . وأما « إن الله على كل شيء قدير » .

(٤) في الأصل الباء مع إبهامه .

(٥) كذا وردت وفي الأصل الشجر أيضاً . = ج ٢ ص ٢٠ . ولعل الأصل « وهو الذي » .

(٦) السورة « سبأ » الآية ٤٣ .

ولم يقل : « وقالوا » كما في قوله ، للدلالة على صدور الكلام عن إنكار عظيم ، وغضب شديد ،
وتعجب من كفرهم بدينهم . ولا سيما ^(١) وقد انضاف إل ذلك قوله تعالى : « وقالوا للحق لما
جاءهم ... » وما فيه من الإشارة إلى القائلين ، والقول فيهم ، وما في ذلك من الباطنة ، كما
قال تعالى « وقال أولئك المشككون ، المرددون بمرأتهم على الله ، ومكابرهم لئلا ذلك الحق
التبر ^(٢) ، قبل أن يدفوه : إن ههنا إلا سحرٌ مبين » . وأمثلة هذا كثيرة ، فاعرفها .

النوع الثالث عشر من الباب الأول من الفرع الثاني

في التخلص والاقتضاب

ولمذا النوع من الكلام ، محل كريم ، وموقع لطيف .

فأما التخلص ، فهو أن يأخذ المؤلف في معنى من المعاني ، فيبسط هو فيه إذ أخذ في معنى
آخر ، وجعل الأول سبباً إليه ، فيكون منه آخداً بقلب بعض ، من غير أن يقطع المؤلف
كلامه ، ويستأنف كلاماً آخر ، بل يكون جميع كلامه ، كأنما ألغى بفرغاً ، وذلك مما يدل على
حقيق الشاعر ، وقوة تصرفه ، وطول بابه ، والساع لفرده ، من أجل أن الشاعر يضيق عليه
نطاق الكلام ، ويحسكون متبعا للوزن والقافية ، فلا توافقه اللفاظ على حسب إرادته ،
ولا تترن له .

وأما التناثر فإنه مطلق العنان ، يخضعي حيث شاء فذلك يشق التخلص على الشاعر أكثر
مما يشق على النثر .

وأما الاقتضاب فهو ضد التخلص ، وذلك أن يقطع الشاعر كلامه الذي هو فيه ويستأنف
كلاماً آخر غيره من مدح أو هجاء أو غير ذلك . ولا يكون للتناثر علاقة بالأول ، ولا تليق بينه
وبينه ، وهو مذهب القدماء من سكتة ^(٣) الشعر ، وسيأتي بيانه . وأما المحدثون فأنهم تصرفوا

(١) لا تدخل « الله » بين لاسية وما يليها ، فصلا عن أن يكون ما يليها فعلا كما جاء في كلام المؤلف .

(٢) ولي التل الشاعر « التبر » . (٣) الصمت : بالتصريك جمع الصام .

في التخلص وأبدعوا فيه فأظهروا من ذلك المجائب والثرائف كقول علي بن الجهم^(١) :

وليلة كحلت بالنفس^(٢) مقلتها ألت قناع الدجى في كل أختود

قد كاد يُترقى أمواج ظلمتها لولا القهاس سناً^(٣) من وجه داود

ألا زى ما ألطف هذا التخلص وأحسنه ؛ فإنه ذكر أولاً الليلة وسوادها ، وأبدعها دجلاً ، وأنه في غمرات من ظلمتها كالغريق . ثم أدرج في ضمن كلامه ، بعد ذلك ، ذكر الممدوح بما يناسب ما هو من القالة ، فذكر الإنارة والإضاءة بقوله : « سناً من وجه داود » فصار الكلام كأنما أفرغ إزائها واحداً ، ومن هذا النحو قول ابن بابة :

كن الشموع وقد أظلمت من النار في كل رأس لسانا

أنامل أمدائك الخاطفين تفسرُحُ تطلبُ منك الأمانا

فهذا هو التخلص البديع في العنفة الذي استحوذ على جماع الحسن والرواق ، فحرفه .

وقال أبو البلاء محمد^(٤) بن غانم اللبوني بالنسائي : « إن كتاب الله العزيز خال من

الاقتضاب والتخلص » . وهذا القول غلط ، لأن حقيقة التخلص إنما هي الخروج من كلام إلى كلام آخر غيره بلفظة تناسب بين الكلام الذي خرج منه والكلام الذي خرج إليه ، وفي القرآن العظيم مواطن كثيرة من ذلك ، كالخروج من الوعد والند الكبير بالإنذار والبشارة بالجنة

(١) هو أبو الحسن علي بن الجهم بن بدر القرشي البجلي ، يكنى أبا عبد الله ، المشهور بن أبي النرجس ، والفضل بالعلم علية وأوزان متعبة وهو أول من علم في الترخ من الدعاء ، مدح القوي على لغة وعبارة وتولى سنة ٢٤٩٥ هـ جريماً من وفاة دته وبناً عرب بكاتب . وقد طبع الأستاذ الكبير خليل مردم ديوانه بالشام ، في دمشق ، تاريخ بغداد لقطيب ج ١١ ص ٣٦٧ ، و « معجم الزرعي » ٢٨٦ ، وأما في ج ١ ص ٢٠٣ ، وطبقات الشعراء لابن القتيبي ص ١٠٦ ، وديوان الأديب لابن خلكان ج ١ ص ٣٨٤ ، من طبعة بلاد الميم .

(٢) في الأصل « النفس » من تحريف القناع ، والتصحيح من « ديوان علي بن الجهم » ص ١٢٨ ، طبعة الأستاذ خليل مردم .

(٣) في زهر الآداب ١٨٤٣ ، عن كل « كاجاء في حاشية لطويحات ، وفيه أيضاً » سناً وجه داود .

(٤) راجع حاشية ص ٢ ، من هذا الكتاب .

إلى أمهم ونهى ووعيد ومن يحكم إلى مثابه ، ومن صدقة النبي مرسل وملاك مكرل إلى ذم
 لشيطان مرمد ، وجار عبيد بطلان دقيقة ، ومعان آخذة بالقلب ؛ فما جاء من التخلّص في
 القرآن الكريم قوله تعالى : « وائل عليهم بأبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد
 أصناماً فنظّل لها ما كفّين قال هل يسمعونكم إذ تدعون »^(١) . إلى قوله تعالى : « فلرأنّ لنا
 كزراً فنكون من المؤمنين » هذا كلام يذهل العقول ويغير الألباب ، وفيه كفاية لطالب البلاغة
 والتدبّر لهذه الصناعة ، فانه متى أنتم فيه النظر وتدبر أبنائه^(٢) ، ومطايي حركته علم
 أنّ في ذلك نعي عن تصفح الكتب اللؤلؤة في هذا الفن ألا ترى أيها التأمّل ما أحسن
 ما رتب إبراهيم - عليه السلام - كلامه مع الشرّكين حين سألمهم أولاً عما يبدون سؤال
 مفرد لا سؤال مستعظم ، ثم أتى على آفتهم فأبطل أمرها بأنّها لا تضر ولا تنفع ،
 ولا تبصر ولا تسمع . وعلى تقليد آباءهم الأصدين ، فكسره وأخرجه من أنّ يهكون
 شبهة فضلا عن أنّ يكون حجة . ثم أراد الخروج من ذلك إلى ذكر الإله ، الذي
 لا تجب العبادة لإلّاه ، ولا يبدى الرجوع والالابّة إلّاه ، فسوّى المسألة في نفسه دونهم
 بقوله « فإنهم عدوّ لي إلّا رب العالمين » على معنى أنّي فكّرت في أمري فראيت عبادتي لها عبادة
 العدوّ وهو الشيطان ، فأجشيتها ، وآثرت عبادة من الخير كله منه . وأراهم بذلك أنّها نصيحة
 ينصح بها نفسه لينظروا فيقولوا ما نصحتنا إبراهيم إلّا بما نصح به نفسه ، فيكون ذلك أدعى لهم

(١) السورة « الشعراء » الآية « ٦٩-١٠٢ » وتعالى « ... أو يعفونكم أو يضرون » قالوا بل
 وجدنا عليه كزماً ما كنتم تعبدون ، قال إبراهيم ما كنتم تعبدون ، ألم تأبوا أن تكونوا من الذين
 رب العالمين ، الذي خلقهم فهو يحييهم ، والذي يميتهم ويقتلهم ، وأنا مرمتهم فهو يحييهم ، والذي يمتلئ
 صلب في الآخريين ، واجعلي من ورثة جنة الجحيم . وأظفر لأبي أنه كان من الضالين ، ولا تخزني يوم
 يعطون ، يوم لا يبلغ حال ولا ينون ، إلا من أتى الله بطلب سليم . وأزالته الجنة للظنون ، وبرزت الجحيم
 للعاونين ، وتبلى لهم أين ما كنتم تعبدون ، من دون الله هل يصرونكم أو يضررون ، فككبوا ليهامهم
 والبايون ، وجنود إبليس أعمى ، قالوا وهم فيها يحسبون ، تظنّ بأنّك لهم خال من ، لا تسويكم رب
 العالمين ، وما أضلّ إلا الظالمون ، فما لنا من مدّعين ، ولا مدّعين لهم ، هو أنّ لا كزراً فنكون من المؤمنين .
 (٢) في التأمل « أبناء » وهو غير مستقيم .

الى القبول لقوله ، وأثبت على الاستماع منه . ولو قال : « فأنهم عدوا لكم » لم يكن بذلك الثانية ،
 مختصص عند تصويره للساعة في نفسه الى ذكر الله عز وجل ، وأجرى عليه تلك الصفات العظام
 من تقسيم شأنه ، ولعديده نعمه [عليه] من لدن خلقه وإنشائه الى حين وفاته مع ما يرجي في الآخرة
 من رحمته ليعلم بذلك أن من هذه صفاته حقيق بالعبادة وواجب على الخلق الخضوع له ، والاستكانة
 لعظمته ، ثم خرج من ذلك الى ما يلائمه وخاصيته فعدى بصعوات المخلصين ، وأنبه الى انهال
 الأوابين ، لأن الطالب (إلى) مولاه ، والراغب اليه إنما يقدم قبل سؤاله وشرائه الاعتراف
 بالشبهة والافتقار بالاحسان كان ذلك أسرع للإجابة ، وأصح لحصول الطلبة ، ثم أدرج في
 ضمن دعائه ذكر البعث ، ويوم القيامة ومجازاة الله لن آمن به واقفاً بالجنة ، ولن نزل عن
 عبادته وإنما ، فجمع الترغيب في طاعته والترهيب من معصيته ، ثم سأل الشرعيين عما كانوا
 يصدون من الأضنام سؤال موضح لهم ، مستهزئ بهم ، وذكر ما يصدون اليه عند ذلك من
 الندم والحسرة^(١) على ما كانوا فيه من الضلال وتبني العود ليؤمنوا .

فانظر أيها التأمل الى هذا الكلام الشريف الآخذ بعينه يرقب بعض مع احتوائه على ضروب
 من المبادي فيتخلص من كل واحد منها الى الآخر بلطفة دقيقة حتى كأنه معنى واحد ، تفرج من
 ذكر الأضنام وتقرينه لأبيه وقومه من عبادتهم يلغا مع ما هي عليه من التعري عن صفات الالهية
 حيث لا نظر ولا تسمع ، ولا تبصر ولا تسمع ، الى ذكر الله تعالى ، قوسفه بصفات الآلهية ،
 فتمام شأنه وعدد نعمه ، ليعلم بذلك أن العباد لا تسبح إلا له . ثم خرج من هذا الى دعائه بإله
 وخضوعه له ثم خرج منه الى ذكر يوم القيامة ، وثواب الله وعقابه ، فهدر هذه التخصصات
 اللطيفة ، هذا الى غير ، من تضمن هذا الكلام لأنواع من منامسة التأليف ، وهي الإيجاز
 والسكناية والتقديم والتأخير وإجابة الفعل الماضي عن الفعل المضارع .

فأما الإيجاز فلا يخفاء به على العارف بما أشرنا اليه في باب الذي سبق ذكره إلا أن من جملته
 قوله تعالى : « وأزلف الجنة للثقلين » وبرزت الجحيم للقلوبين » فإنه جمع الترغيب في طاعته
 (١) كننا به في الأصل ولو قال « من الحسرة والندم على ... » لكان أحسن .

والترهيب من معصيته مع عظمها ، ونظامه شأنها في هذه الكتابات البسيطة . وأما الكتابة
فقوله تعالى « ويرزق الجحيم للتأوين » فالتأوين هنا كناية عن آية وقومة ، ويدل على ذلك
قوله « وقيل لهم أين ما كنتم تبيدون من دون الله » لأن كلامه في الأول كان معهم في عبادتهم
الأصنام .

وأما التقديم والتأخير فإن ذكر إبراهيم النعمة وتوبيد الأحسان قبل الدعاء وطلب الحاجة .
وأما إجابة الفعل الثاني من الضارع فقوله تعالى : وأزلقت الجنة لفتين ويرزق الجحيم للتأوين
وقيل لهم أين ما كنتم تبيدون « بعد قوله « ولا تخزني يوم يمشون يوم لا ينفع مال ولا بنون
إلا من أتى الله بقلب سليم » ، وفي ذلك من الفائدة ما أشرفنا إليه في باب « وقد سبق ذكره »
معرفة .

ومما استطرف من هذا النوع قول ابن الترمكدم :

وليل كوجه البرقيدي ظلة	ويرد أغانيه وطول قرونيه
سريت ونوي فيه نوم مشرد	كفعل سليمان بن نهدي وديده
على أو كثر ^(١) فيه الخفاف صكانه	أبو جابر في خطبه وجنونه
إلى أن بدا ضوء الصباح كأنه	سنا وجهه قرواش وضوء جبينه

وهذه الأبيات لها حكاية وذلك أن هذا المدوح كان جالساً مع ندمائه في ليلة من ليالي
الشتاء ، وفي جملتهم هؤلاء الذين هجوا الشاعر ، وكان البرقيدي مغنياً وسليمان بن نهدي وزيراً ،
وأبو جابر صاحباً ، فالتبس المدوح من الشاعر أن يهجو للذكورين ويمدحه فأنشده هذه
الأبيات . وقد قال بعض أرباب هذه الصناعات إن هذا الشاعر لو تحدث في هذه الأبيات لأعجز

(١) لم تقب على ترجمه ولطاهر بأنه من أهل القرن الخامس للهجرة فقد ذكر بلوت الحوي في رسم
« برقيدي » من معجم البلدان أنها « خنج البلاء وكسر اللين وله ساكنة ودان وأنها بيده في طرف بقية
للموصل من جهة نصيب وإشترى » وإن شاعراً قال يهجو سليمان بن نهدي الواسطي مستطرداً وممدح قرواش بن
لقط أمير بني عليل : « وليل كوجه البرقيدي ظلة ... » . وفي المعجم :

على أولي فيه القباب صكانه أبو جابر في خطبه وجنونه

(٢) الأولى : الجنون .

الشعراء أن يأتوا بثلثها ، لأنه مع إيسائه بهذا النوع من علم البيان لم يفتح بذلك حتى رقي في معانيه المقصودة إلى أسنى المنازل ؛ فابتدأ في البيت الأول بهجوه الميرقبيدي ، لجاء في ضمن مراده ذكر أوصاف ليل الشتاء جيبها ، ولم يخل منها بشيء . وهي الظلمة والبرد والظلول ، ثم إن هدفه الأوصاف ليلية جاءت ملائمة لما وقعت عليه ، مطابقة له : وكذلك البيت الثاني والثالث . ثم خرج إلى المدح بالأنف وجه وأرق صنعة ، فلمعرف ذلك فإنه لم يقل في هذا الباب أبداً من هذه الأبيات .

ومما جاء على نحو ذلك قول إسحاق^(١) بن إبراهيم اللوصلي :

وصافية تفتي البيوت بجزوعها	رهينة عامر في الدخان وعلم
أدركنا بها الكأس الروية بيننا	من الليل حتى انجساب كل ظلام
فأدرك قرن الشمس حتى رأينا	من العي تحكي أحمد بن هشام ^(٢)

ألا ترى ما أحسن ما خرج هذا الشاعر في المجاز ، فإنه أوم في الأول انشوص في صفة الخمر ثم استدرج المعنى الذي قصده في صفة الخمر ، من حيث لا يعلم السامع لمطلع كلامه أنه يريد ذلك ؛ وأمثال هذا كثيرة فاعرفها .

وأما الاختصاف فهو الذي أشرنا إليه في صدر هذا النوع ، وهو أن يتطعم للؤاثة كلامه ويستأنف كلاماً آخر غيره ، من غير علاقة تكون بينه وبين ما قبله ، فمن ذلك ما هو أحسن من

(١) هو أبو أحمد إسحاق بن إبراهيم بن سامان بن يحيى بن بشارة التميمي بالولاء الأرباعي الأصل القروبي وابن النعمان اللوصلي ، كان من كبار القديين والعرفاء والمثناة ، زائدة على علمه بالغة الشعر وأخبار الشعراء وأيام العرب وبهذه الطولي في اللغة والمصنف وعلم الكلام ، وكانت دائرة علومه وقوته واسعة ، فقام لقطعه كالحديد والأمنون والعصم والأدين والهادي وكان العصم يقول : ما شأني إسحاق قط إلا غلب لي أنه زيد في حليكي . وله كتاب كبير في الفقه مذکور في كتب التاريخ توفي سنة ٢٢٥ هـ . على أنصح القروبي ، راجع الألفاني ج ٢ ص ٢٥٥ — ٢٢٥ هـ طبعة دار الكتب المصرية ، وفيه من الأجزاء والخارج بندااه لقطيب ج ٦ ص ٢٣٨ هـ ووفيات الأعيان ج ١ ص ٦٩ هـ طبعة بلاد الشام .

(٢) أحمد بن هشام من فواد الخليفة الأمنون وله ذكر في أخبار الدولة العباسية . أخبار بندااه لأحمد بن طاهر ص ١١٩ ، ١٢٩ هـ والنجوم الزاهية في ملوك مصر والدمرية لابن خنزي بردي ج ٢ ص ١١٩ ، ١٢٩ هـ . وفي الألفاني ج ٢ ص ٢٠١ هـ أنه أقصد إلى إسحاق اللوصلي زعفراناً وكتب إليه شعراً فرد الجواب شعراً .

وأشبه ذلك ، ولا سيما إذا كان في النهائي ، فإنه يكون أشد قبعا ، وإنما يستعمل ذلك في الخطوب اللازمة ، والتوائب الحادثة ، ومعنى كان الكلام في اللزج مؤسسا على هذا المثال تطهير منه سامعه ، فإن رأس صناعة التأليف وضع كل شيء مكانه ، وإنما خصصت الابتداءات بالاختيار لأنها أول ما يطرأ السمع من الكلام ، فإنه متى كان الابتداء لائتماً بالمعنى الواردة بعده توقفت^(١) اللوامي على استماعه وتزايدت البواعث على الاستماع إليه ، ومن أفجح الابتداءات قول ذي الرمة « ما بال عينيك منها لاء ينسكب »^(٢)

لأن مقابلة المدوح بهذا الطغالب لاحفاء قبضه ، وقد أنكر الفضل بن يحيى على أبي نواس قوله فيه :

« أربع البلى لاء الخشوع لبادي »

فلما انتهى ال قوله :

سلام على الدنيا إذا ما فقدتم بي يربك من رائجين وغدي

استحسك تطهير الفضل بن يحيى ، وقيل إنه لم يحض على ذلك أسبوع واحد حتى تكبوا^(٣) ، وحكي^(٤) أنه لما فرغ المتصم من بناء قصره بالبدان^(٥) جلس فيه وجمع أهله وأصحابه وأمرهم أن

(١) أي أنت وكنت ، وقد أوقع الناس في الخط مؤلف « مذكرة السكاب » حين دعاهم أن يقولوا « توامر » مكان « توامر » و« دنان » بدلها « حوامر » منه « تكاتر » وليس المراد التكاثر هنا .
(٢) قال ابن رجب في الفصحة « ج ١ ص ١٤٤ » : « ودخل ذو الرمة على عبد الملك بن ميمون فاستفد منه شيئا من شعره فأشبهه قصيدته » « ما بال عينيك منها لاء ينسكب » وكانت حين عبد الملك رمية وهي تسمى ابدأ فوم أنه خاطبه أو عرس به فقال : وما سؤالك من هذا ؟ فأجاب : لاء وأمر بخرابه . ولا فصل هنا من المديح الأصلية في الشعر فقد قال جرير « الموضح ص ١٢١ » : « لو عرس ذو الرمة بعد قوله : ما بال عينيك ... كان أشعر الناس » .

(٣) ذكر ذلك ابن رجب في الفصحة « ج ١ ص ١٥٠ » .

(٤) الموضح للرزاني « ص ٣٠١-٣٠٢ » والمحر فيه مبسوطا بأكثر مما هنا .

(٥) البدان قال بطون المحر في معجم البدان « خارج البدان : من حال غصه أيضاً بالجاب الفرج خارج الرصعة وكان شارباً نادياً من غصصية إلى سوق انقلاب وفيه قصر أم حبيب بنت الرشيد » .
وسوق انقلاب هو سوق الميصرخان المائي وسوق بني الأما . والشبسية هي الصليح الحالية ، ميدان كانت بينهما . وكان فيه قصر المتصم . والفصحة مذكورة في كتاب « الموضح » للرزاني « ص ٣٠١ » .

لبسوا أسى اللباس ، ولبسوا محاسن الزينة ، وجلس على سرير مرصع بالجوهر والى جانبه أسرة ، فكما دخل عليه رجل من أسكاف دولته اجلس في الموضع الذي يليق به ^(١) رأى الناس أحسن من ذلك اليوم ، فاستأخذ إسحق بن إبراهيم الموصل في الانشد قلن له ، فأنشد شعراً ما سمع بأحسن منه في صفته وصفة المجلس إلا أنه استفتح بذكر الديار القديمة وبقيّة آثارها فقال :

يا دار قسرك البلى ومحالك يا ليت شعري ما التي أهلك ^(٢)

فتطير المقص من ذلك وتماضى الناس على إسحق بن إبراهيم ، وهبوا كيف ذهب عليه مثل ذلك مع عليه ومعرفة وطول خدمته لملوك ، ثم أقاموا يومهم وانصرفوا قاصداً منهم اثنين الى ذلك المجلس ، وخرج المقصم الى ^(٣) سر من ، رأى وخرب القصر ، فإذا أفراد الشاعر أن يذكر داراً في مدحها فليذكر كما ذكر الطرمي ^(٤) :

ألا يا دار دام لك السرور وساعدك النضارة والخبور
وكأقل أشجع ^(٥) ...

قصر عليه تحية وسلام نثرت عليه جالها الألام

(١) في الأصل « فلما » والصحيح من الموضع .

(٢) في الأصل « من » وهو خطأ في التأليف لأن المقص ترك بغداد الى سامراء وألن المقص المذكور كان بغداد .

(٣) هو أبو بطوب إسحاق بن حسان بن فوهي ، عرف بالمرقي لأنه كان متصلاً بفرم بن حاض الذي أو ابنه حنان . وأصله من خراسان من أبناء البغد . كان شاعراً حسن ، له مدائح في يحيى بن خالد بن برمك ولغيره وكان أبور « التاريخ بغداد للخطيب » ج ٦ ص ٢٢٦ « الشعر والشعراء » ص ٣٥٣ « طيبة الكنية الشبلية بمصر سنة ١٩٢٩ » فلاح القروس في « فرم » والأخاني « ج ٣ ص ١٩٦ » ج ٦ ص ٤٣ » ج ١١ ص ٣٤١ » ج ١٣ ص ١٥٠ » من طيبة دار الكتب المصرية .

(٤) هو أشجع بن عمرو بن بن سليم وذلك عرف بالشقي ، كان من أهل قرية وهدم البصرة فأنشده بها ثم ورد بغداد . وكان شاعراً بارعاً طريحاً جيد الطائي جزال الثاني ، أصل والرائد وأكثر من مدحهم ومديح الرشيد ، وهذا البيت من قصيدته بحمده فيها مدحها :

قصر عليه تحية وسلام نثرت عليه جالها الألام

« الشعر والشعراء » ص ٣٧٣ « من الطبقات للذكوري » « طبقات الشعراء لابن القتيبي » ص ١١٧ « والأخاني » ج ١٧ ص ٣٠ - ٣١ « طيبة سامي » « تاريخ بغداد للخطيب » ج ٧ ص ٤٤ .

وما أجدر هذا البيت بمفتح شعر إسحاق بن إبراهيم الذي أشهد المتعصم في ذلك القصر ،
قائه لو ذكر هذا وما يجري مجراه لكان حسناً لا نقياً .

وسئل بعضهم عن أحسن الشعراء ، فقال من أجاد الاقتصاد ، وللتعلم ، ألا ترى أن قصيدة
أيي تولى التي هي :

يا دار ما فعلت بك الأليم لم ين قبك بشاشة تستام
قد قيل إنها من أشرف شعره وأعلمه منزلة ، وأن أبا تمام مع تقصمه في صناعة الشعر أنجب
نفسه في الاتيان بما يماثلها أو يشابهها فلم يقدر على ذلك ، وهي مع شرفها وعلو منزلتها في الشعر
مستكرهة الابتداء من حيث النظر ، لأنها في مدح الخليفة الأمين . واختصاح الذبح بذكر
الخير ودروسها بتطير به ، ولا سيما في حق الخلفاء وللوك ، ولهذا يختار من ذكر الأماكن
والتبارك ما رافق لفظه ، وحسن اللفظ به كالنور والعين وزرود^(١) وأشباه ذلك ، ويختار أيضاً
من أسماء النساء في القزل نحو « سعاد وأمام وفوز » وما يجري هذا الجرى . وقد عيب على
الأخطل من أجل تخرجه باسم « قدور^(٢) » وهي امرأة كان يحبها فإنه سقطت في المحسكر ،
وأشبال هذه الأشياء تجب مهادتها والاعتناء بها فأعرف ذلك .
ولا تنظر أبو السميت^(٣) في قصيدة أبي تمام وهي :

(١) القوير والعين وزرود أسماء موجودة في بلاد شربة .

(٢) كذا ورد في الأصل وفي الأصل « ج » ح م ٣٠٩ م طبعة دار الكتب المصرية أنه كان يلبس
بزعم وألمة ابني سعيد بن أبي بن هاني بن لينة ، وكانت زوجة تعرف بأبي الأحمس .

(٣) هو عبد الله بن علي ، مولد جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن النعمان القاهري قيل إن
أسفه من الزبي ، وكان كاتب عبد الله بن طاهر الخراساني وشاعره ومؤدب أبنائه وكاتب أبيه من قبله ، وكان
يفهم الكلام ويبره ، ويكثر من نقل الجملة وله علم بها وصف كتباً عديدة منها « ما افنق لعله » والفتن
مما « وقد طبعه المستشرق فرينس كريستكو بسنة ١٩٢٥ باسم « الكتاب المأثور عن أبي العباس
الأمراني » وله كتاب « الذبابة » وكتابه « الأبيات السائرة » و « معاني الشعر » وغير ذلك . وتوفي
سنة ٢٤٠ هـ . انظر فهرست لابن النديم م ٢٢ من طبعة مصر . والمفاتيح ج ١ م ٢٨١ طبعة
بلاد الشام ، والمجموع الفيلبي نسخة مصورة ، الورقة ٣ - ٤ وله شعر جيد .

« أهن عولدي يوسف وصورابه »^(١)

استغزل ابتداءها فسطط القصيدة كلها حتى عاد إليه أبو تمام ووقفه على موقع الاختيار منها وهو :

إليك جزعنا مقرب الشمس كلا أجزعنا^(٢) ملأ صلت عليك سياسة
وقبر ذلك مما ذكره أبو تمام في قصيدته ، فلما وقف أبو العميت عليه راجع عبد الله بن طاهر فأجازها له . ولأن أبي تمام ابتداء آت كثيرة تجري هذا الجرى كقوله :
« قدك انتد^(٣) أريت في الغواء »^(٤)

فإن الابتداء المستكره ليس من شرطه أن يكون مما يتطير به فقط وإنما يكون مستكرهاً كما أشرنا إليه من قول أبي تمام وما جانسه ، فاعرف ذلك .

واعلم أن الابتداء البديع الجارح يكون داعياً إلى الاصغاء إلى ما بعده من الكلام ، ألا ترى أن الله تعالى قال : « نعم ، ألم ، وطسم ، وكهيعص » . فيقرع الأصماع شيء بديع ، ليس لها مثله عادة فيكون ذلك داعياً لها إلى الاستماع ، ولذلك استحسن من الابتداء آت في الكتب الحمد لله « لأن النفوس تشوف إلى تعجيد الله — مز وجل — والثناء عليه ، وتجهل إلى معرفة ما يأتي بعده من الكلام .

ومن أحسن الابتداء آت ما ذكره مهيار فإنه أتى بالعنى للقصود من أول كلامه فقال :

أما وهو لها عذرة^(٥) وتصللاً قد قل الواني إليها فأعلا^(٦)

سعى مجده^(٧) لكن تجاوز حده^(٨) وكثر قازات^(٩) ولو شاء قللاً

ألا ترى ما ألطف هذا الاختصار الذي قد أرى في هيئة القول ، وأخرجه في معرض التوبيخ

(١) من قصيدة يمدح بها أبا العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين ، والشطر الثاني « فجزعاً قد ما أدرك
القول طلبة » (الديوان ص ٣٦) .

(٢) في الديوان « وسطاً » . (٣) في الأصل « قدكنت » مزروعة .

(٤) من قصيدة يمدح بها يحيى بن ثابت ، والشطر الثاني « كم تملكون وأتم سيجرائي ١١ » .

(٥) أعل : قال الخليل وهو جلي مطلق من مثني غير العمل مثل « تمسكن » من المسكن .

والرأى به الاحتذر الى المدوح ، وذلك من أهدح ما يكون في هذا الباب . وبما جاء على نحو منه قول بعض المتأخرين في أوثروان^(١) الوزير وقد خلع عليه :

خُاسَّتْ من المَدَنَكان أَحْمَسَنُ أَدْعِي لَقَدْ سُرِفَتْ على الكَرِيم الأَدْعِي
وكذلك قوله وقد وشي في حقه الى المدوح :

ورائِكَ أَقْوالُ الوِشاةِ الفُواجِرِ ودونِكَ أَحوالُ الفُرامِ المُخْاصِرِ
قلْوا وَكُوعُكَ بِالصدقِ ما وُشوا وتولا الهوى لَمْ أَتَدْبِرْ المُعَاذِرِ

فسلك في هذا القول مذنب مهابل إلا أن في هذا زيادة على ما قلناه مهابل ، وهو في العناية على الالتفات الى الوشاة ، والاحتجاج منهم وذلك من أغرب ما قيل في هذا المعنى ، فحرفه .

ومن الأجداد آت في الكتب قول مؤلف الكتاب « الحمد لله رافع لواء الإيمان ، وقمع أولياء الشرك والبهتان ، الذي نشر الاسلام وأطلع نجمه ، وأخذل الكفر وطمس رسومه » ، فإنه قد جسي بالعمى التصود وهو البشري بهزيمة الكفار من أول الكتاب ، ومعنى صبح الانسان

(١) هو معين الدين شرف الدولة أبو نصر أوثروان بن خالد بن محمد الذي القني الوزير . وله باري سنة ١٠٩٩ هـ . ولما نفاذ الكتاب ونقلت به أحوال الى أن ولي الوزارة السلطان ملكت الدين محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي في جمادى الآخرة سنة ٥٩٧ هـ . ولقد صد بغداد واستولطها وعزل عن الوزارة ثم أعيد إليها في رجب سنة ٥٩٦ هـ . واستوزره الملقبة بالفرقة باقة في أواخر رجب سنة ٥٩٦ هـ وعزل في شهر ربيع الأول سنة ٥٩٨ هـ ثم استوزره السلطان مسعود أخو محمود المذكور . ثم عزله سنة ٥٩٠ هـ فعاد الى بغداد وأقام معزولا مكرماً في داره بالحرم العلوي بالمطاب القري من بغداد الى أن توفي في شهر صفر سنة ٥٩٩ هـ . وقيل في شهر رمضان قال ابن الجوزي « كان عدداً مريباً عظيم الملقبة دخلت عليه فرأيت من هيبته ما أذهني وهو كان الديب في جمع الملوك التي أتيها أبو محمد الحروي » وقال ابن الأثير « كان يستقل من الوزارة فيجاب الى ذلك ثم يحض إليها يعجب كلهم » . وقال السمعاني « وكان قد سمع انه فيه الفضل الزاهر والخلق المكامل والتوسع والرعاية للفقراء » . وفي الحق أن سلطانه من الأذى والفضل في ذلك العصر نزل وحدهما على حسن سيرته وقصته . وله كتاب « قصور زمان الصغور وصغور زمان المنور » في تاريخ السلجوقيين ، بالقاهرة . أشهد منه العهد الأسفاني في كتابه « بحر الجدة » (نطيس معجم الألقاب) لابن الخطمي . والتماسم لابن الجوزي « ج ١ ص ٢٢ » و « المكمل في سنة ٥٩٣ هـ وغيرها . وأصل السمعاني في « أبي » و « بصرة الفرة وعصرة الفرة » لعهد الأسفاني « نسخة دار الكتب الرحمة بولس » ٢٦٤ هـ . والجوم لراعية « ج ٢ ص ٢٦٦ » و « شذرات الذهب » ج ١ ص ١٠١ هـ . و « خريدة القصر وجرينة القصر » نسخة دار الكتب الرحمة بولس ٢٣٢٦ الورقة ٦٠ ، ٦٤ هـ . و « القفرى » ٢٢٢ هـ . و « كتب العيون في » ٢٢٠ هـ .

هذا الطبع علم أنه يتضمن البشري بادية للسامعين على الشرعيين من غير أن يحتاج إلى وعرف على حديث الواقعة . ومن ذلك قول بعض الكتاب في زمن النعمان وقد نُجِّسَتْ دافقٌ شخصي آدمي ، فأمر أن يكتب بذلك إلى البلاط فقال « الحمد لله غالى الأنام في بطون الأندام » ، فغير من المراد في أول كلامه . وأمثال ذلك كثيرة فاعرفها .

النوع الخامس عشر من الباب الأول من الفن الثاني

في قوة اللفظ لقوة المعنى

وهو نوع من علم البيان شريف المثل ، لطيف للأخذ ، وإنما يعمد إليه لضرب من المبالغة . اعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه فلا يد^(١) أن يتضمن من المعنى أكثر مما كان يتضمنه أولاً ، والمبطل على ذلك أن الألفاظ هي أداة على المعاني وأمتعة للإيالة عنهما ، فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني بقدر ما زيد في الألفاظ . وهذا لا نزاع فيه ، لبيان ووضوحه . فمن ذلك « حشن » و « أخشوشن » فعلى « حشن » دون معنى « أخشوشن » لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو . ونحو « فصل » و « افعل » وكذلك قولهم « أعشب السكان » فإذا أرادوا كثرة العشب قالوا « اعشوب » ومثله « قمل » و « افعل » نحو « قدر » و « اقتدر » فاقترأ أقوى معنى من قولهم « قدر » قال الله — تعالى — « أخذ عزيز مقتدر^(٢) » ففعل هنا أبلغ من « قدر » من حيث كانت الوضع لشخصهم الأسمى وشدة الأخذ الذي لا يصد إلا عن وفور الغضب ، وكثرة الضغط ، وما يتضمن في هذه الأوزان من أسماء الفاعلين ، فإن بعضها أبلغ من بعض ، نحو « فاعل » و « فاعل » وما جرى مجراها .

واقصد سألني بعض الأخوان عن « فاعل » و « فاعل » وأبها أبلغ ؟ فقلت في الجواب

(١) زيادة الزوا ما هنا ليست من الصراحة في شيء ، وهي عند البلاغة .

(٢) الصورة « قدر » والآية « ٤٢ » وهي « كتبوا بآياتنا فأخذهم أخذ عزيز مقتدر » .

ما أذكره هنا وهو إن كانت العرب قد قالت إن « فاعلاً » أبلغ من « فاعيل » أو إن « فاعلاً » أبلغ من « فاعل » بنبرمة أوجبت ذلك ولا سبب اقتضى تغيير أحدهما عن الآخر ، إلا تحكما محضاً ، فذلك مستلزم اليهم ، لأنه لغة القوم وكلامهم ، وهم التحككون فيه ، وإن كانت العرب لم تغير « فاعلاً » على « فاعيل » ولا « فاعلاً » على « فاعل » ولا قالت إن أحدهما أبلغ من الآخر فلنا نحن أن نبحت من ذلك ، فإن وجدنا لأحدهما منزلة على الآخر ذكرناها ، وإن لم نجد كان لذلك أسوة بباقي لغتهم ، التي لا تعرف لها لغة ، وإنما يأخذ عنهم بالنقل والتقليد ، ولما سألت ، أيها الأخ ، عن الفرق بين « فاعل » و « فاعيل » وأجابني أبلغ ؟ أنمت النظر في ذلك مستعيناً بالله ، فستح الفرق بينهما بما أذكره ، والله الوافي ، فأقول : أما الحكم على أن أحدهما أبلغ من الآخر فهو أن « فاعلاً » أبلغ من « فاعيل » . وأما لغة الحكم بين وجهين :

الأول : أن « فاعلاً » لم يرد في كلام العرب إلا اسماً للفاعل فقط نحو « ضارب » اسم فاعل من « ضرب » و « قاتل » اسم فاعل من « قتل » وهذا مطمئن في باب لم يأت غيره وأما « فاعيل » فإنه يكون اسماً للفاعل بمعنى « الفاعول » دائماً كونه اسماً للفاعل فنحو « طرف » اسم فاعل من « طرف » و « كريم » اسم فاعل من « كرم » وكذلك ما جرى هذا المجرى . وأما كونه بمعنى « للفعل » فهو نحو « قاتل » و « جريح » الذين هما بمعنى القاتل والجريح . فلما كان « فاعل » مختصاً باسم الفاعل لا يشاركه فيه غيره ، و « فاعيل » يشترك فيه اسم الفاعل واللفعل كان ما هو مختص بالفاعل وحده أبلغ مما يشترك فيه الفاعل واللفعل ، وذلك لقوة الفاعل على للفعل وضعف الفعل عن الفاعل ، وما يختص بأمر قوي أبلغ مما يتردد بين أمرين قوي وضعيف . فإن قيل إن « فاعلاً » قد جاء بمعنى للفعل كما جاء « فاعيل » بمعنى للفعل في قوله تعالى « ما رافق » أي مدفوق قلنا : أما فوات إن « فاعلاً » قد جاء بمعنى للفعل واستدلناك عليه بالآية فإنه ضعيف شاذ ، لأن ذلك لم ينقل جوازاً عن العرب ولم يذهب إليه أحد من العلماء ، غير أن بعض^(١) للفرسين قد ذكره وزيف قوله الجمهور ، وأجسوا على مخالفتهم

(١) لم يفرقه بلغة والحمد لله الصحيح للجمهوري « ذلك الله أدله فلما أتى صيغة فهو » مدق أي =

وقالوا إن معنى قوله تعالى « ما دافع » أي صدق وذلك أيضاً اسم « فاعل » . من « أَفْعَلَ » نحو « أَفْعَلْتَنِي فِعْلاً مَعْلُومٌ » و « اسْكَبَ فِهُوَ مَسْكَبٌ » وما جرى هذا الجرى ، ثم لو قل جواز هذا عن العرب وصح عنهم لما كان لافْعاً لدعوا ما نحن في « فَعِيلٌ » وأنه يعني بمعنى « المفعول » شائعاً كثيراً في كلامهم ويصح عليه القياس . وما ذكرته أيها المتعرض شاذ قليل لا يندبه ولا يقاس عليه ، لأنه لم يأت منه إلا لفظة واحدة أو اثنان أو لفظات كـ « دافع » وعيشة راضية » والشائع الكثير في كلام العرب وغيره أرجح جانباً من الشاذ القليل ، وما يقاس عليه أبلغ مما أسس مقدس (عليه) . وأما الوجه الثاني في إثبات أن « فَعْلًا » أبلغ من « فَعِيلٌ » فهو أن « فَعْلًا » يكون اسماً للفاعل متعدياً كان أو قاصراً فهو إما يصحاً جيباً نحو « غالب وجالس » ، وأما « فَعِيلٌ » فإنه لا يكون اسماً إلا للفاعل فله قاصر غير متعد نحو « شريف وناهب وغليظ » وهو مطرد في هذا الباب لم يأت في كلام العرب غيره ، فليس مكان « فاعل » اسماً للفاعل المتعدي فله والقاصر معاً ، و « فَعِيلٌ » اسماً للفاعل القاصر فله فقط كان « فاعل » أبلغ من « فَعِيلٌ » للمعدي فعل فاعله إلى مفعوله ، وقصور فعل « فَعِيلٌ » عن معموله فن قيل إن « فعلاً » جاء اسماً للفاعل المتعدي فله على غير وزن « فَعْلٌ » نحو « خطب » فهو خطيب » و « علم فهو عليم » وهذا يدل على أن « فعلاً » مساو « لفاعل » في التعدي لأن « فَعْلًا » قد جاء اسماً للفاعل متعدياً كان فله أو قاصراً ، وكذلك قد جاء « فَعِيلٌ » أيضاً كما رأينا .

فلما هذا الذي أشرت إليه من أن فعلاً قد جاء اسماً للفاعل المتعدي فله على غير وزن « فَعْلٌ » نحو « خطب فهو خطيب وعلم فهو عليم » مسلم اليك إلا أن ذلك لا يكون فعلاً لما ذكرناه ولا اعتراضاً

== مدفوق كما قلوا سر كلام أي مكتم . لأنه من قوله : « دعى لاء على ما لم يسم فاعله » ولا يقال : « دعى لاء » . وفي الصحاح كثير « دعى لاء ، دُعَاً من باب عل : اصعب يشد ، ودعته أنا ، يدعى ولا يمدى فهو دافع مدفوق . والتكرار الأسعس استعماله لازماً . دل : وأما قوله - تعالى - « من ماء دافى » فهو على استعراب لأهل الخطوط وهو أنهم يحولون المفعول فعلاً لإدخاله في عمل نصب والتي من ماء مدفوق . قال ابن القوطية : ما يوافقه ، سر كلام أي مكتم وعرف أي معروف ودافى أي مدفوق وباسم أي معصوم . وقال الزجاج : للى « من ماء دى دعى » . فلى : والصحيح قول الزجاج ، وهو الذي أبته المحققون .

عليه ، لأن الذي أوردته إنما كان يصح لك الافتراض به على ما أشرنا إليه أن لو كان « خاطب » وحده اسم فاعل من « خطب » ولا يجوز فيه « خاطب » أو كان « علم » اسم فاعل من علم ولا يجوز فيه « علم » وكذا الأصل في « خَاطَبَ » أن يكون اسم فاعله « خاطب » ولحقا لا ترى وزن « فَعِلَ » أبداً وهو اسم فاعل من « فَعَلَ أو فَعِلَ » ألا وهو دخيل على « فاعل » لأنه الأصل وعليه القياس . والدليل على ذلك الإطراد والغلبة ، لأن من شروط القياس الإطراد والنائب عليه أن يكون كذلك . وهنا موجود في « فَعَلَ » و « فَعِلَ » فهو « فاعل » وأما « فَعِلَ » منها فهو شاذ نادر والشاذ النادر لا ينقض القياس ، والدليل على أن « فعلا » شاذ في « فَعَلَ و فَعِلَ » أنه قد جاء فيها ألفاظ معدودة لا غير ، وأما الإطراد وغلبته (ق) « فَعُلَ » نحو « شَرَفَ فهو شريف » و « كَرَمَ فهو كريم » و « كَبَّهَ فهو نبيه » وكذلك ما جرى هذا الجرى « على أنه قد شذمت « فاعل » أيضاً نحو « طَهَّرَ » فهو طاهر ولا يقال فيه « طَسَّيرَ » فاعله .

فإن قيل : إن « قبلاً » هو اسم فاعل من الصفات النبوية ^(١) ، ولستأ نفي بذلك ما كان مقبلاً للذات ، نحو الحيلة التي لا تقوم للذات إلا بها ، وأما نفي بذلك ما كان ملازماً للذات نحو « عليم وقدير وجميع وبصير » و « فاعل » هو اسم فاعل من الصفات العرضية نحو « شارب وأكل وشارب » وما يصكون مختصاً بصفة التواتر أبلغ مما يكون مختصاً بصفة الأعراض ، وأشرف عللاً ، الجواب عن ذلك : أننا نقول لو سلم لك يوماً المعرض ما ذكرته والقرء في إياه لكان ناقصاً لما ذكرناه نحن وادعينا ، من أن « فاعلاً » أبلغ من « قبيل » وإنما قد جاء « فاعل » وهو أيضاً اسم الفاعل من صفات الذات نحو « عالم وقدير وسامع » وأنشأ ذلك ، فقد هم « فاعل » لإن صفات التواتر وصفات الأعراض . وما

(١٦) نسبة إلى « ذات » ، وفي الصحاح للغير « .. قال ابن بري عن من الخلفاء : قول الثعلبي « ذات الله » جهل لأن أسماء لا تطلق «- التأنيث فلا يقال علامة وإن كان اسم الفاعل . قال : وأولها « الصفات الذاتية » خطأ أيضاً من النسبة إلى ذات « ذؤوب » لأن النسبة ترد الاسم إن أصله « . ثم نقل صاحب الصحاح « وقد صار استعمالها يجر نفس المفعول » عروفاً مشهوراً حتى قال الناس « ذات مذؤوبة » و « ذات عدلة » وسبوا إليها على لفظها من غير تغيير فقالوا « عبد ذاتي » يجر جهل وتقليد .

كان عاماً للأمرين جميعاً كان أبلغ مما يختص بأحدهما دون الآخر .

فإن قيل قد قلت في كتابك : إن ما كان مختصاً بأمر قوي في بابه أبلغ مما تردد بين أمرين أحدهما قوي والآخر ضعيف ، وهذا الحكم قد وجدناه هنا في « فَعِيل وفاعل » ففَعِيل مختص باسم الفاعل من الصفات القويّة ، واسم الفاعل من الصفات المرضية ، فإني يختص بالأشرف الأقوى وحده أبلغ من الذي يترد بينهما وبين شدة ، وهو الأدنى الأضعف . الجواب عن ذلك : أنا نقول قد سلمنا إليك أن « فَعِيلًا » الذي هو اسم الفاعل لها ما متردد بين صفات القوت والأعراض ولكن من أين لك ، أيها المترشح [الشاهد] ، بصحة ما ذكرته من أن « فَعِيلًا » الذي هو اسم الفاعل عليها يختص صفات القوت دون صفات الأعراض ، فإن هذا شيء لم ينظم لك سلكه ، ولا رسا لك أصله ، لأنه قد جاء « فَعِيل » أيضاً وهو « فاعل » من صفات الأعراض فهو « فيه ووجبه وبصير وقدير وأشياء » ذلك . فقد استوى لثنت « فاعل » و « فَعِيل » في عمومها لصفات القوت والأعراض ، ولم يكن لأحدهما منزلة على الآخر في هذا المعنى ، ونفرد « فاعل » بالزيارة على « فَعِيل » فيما أشرنا إليه قبل هذا الوضع في هذا الباب من إمداده إلى معموله واختصاصه باسم الفاعل دون معنى الفعل ، وقد مرّ ذلك مستوفى في مكانه ، فأعرفه .

هذا ما صح لنا في الفرق (بين) « فاعل وفَعِيل » وأبجها أبلغ . والله الوفي ^(١) . وما أشرنا إليه من ذلك كفاية للمارء بهذه الصناعة ، فانه ينبغي أن يكون خبيراً بقياس هذه الأشياء على نظائرها وأشباهها .

الفرع السادس عشر من الباب المذكور من الفن الثاني

في اختلاف المخاطب

وهو الأمر بمكس الراد ، ويدل ذلك على الاستهانة بالأنود ، ووجه اللبالة بأمره أي أني

(١) كانت اللزاة المستقام على « فَعِيل » الثاني من « فاعل يتأصل » الرادعي وهو نحو « الترفع » من ترفع و « التبريك » من تتركه وهو لا يحصى كثرة .

مقابلتك على فعلك ومجازيك بحسنه ، فمن ذلك قوله تعالى « ولذا أمسى الإنسانُ ضَرْباً دُماً رُبُهُ مُتَضِياً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ ، وَجَعَلَ لَهُ آثَافاً يَسْتَصَلِّ عَنْ سَبِيلِهِ ، قُلْ تَتَّبِعْ يَكْفُرْكَ فَلْيَلْزِمَنَّ بَعْضُكَ مِنْ أَصْحَابِ الْبَيْتِ (٢٧) » قوله « نَتَّبِعْ يَكْفُرْكَ » من باب الخذف ، كما قال له : « قد أخذت قبول ما أمرت به من الأيمان والطاعة فمن حَقَّكَ أَنْ لَا تُؤْمِرَ بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَتُؤْمِرَ بِتَرْكِهِ ، وَهَذَا بِإِلَافَةٍ فِي خُذْلَانِهِ لِأَنَّ الْإِلَافَةَ فِي الْخُذْلَانِ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُسَمَّى عَلَى شَيْءٍ مَا أُبْرَ بِهِ .

ومن هذا الباب قوله تعالى « قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ غُلَافاً لَهُ دِينِي فَعَبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ (٢٨) » . الآية ، فإن المراد بهذا الأمر الولود على وجه التخيير للبالغة في الخذف ، على ما سبق ذكره ، وفي هذا الكلام معنيان لطيفان : الأول رأى أن عبادتكم لله وعبادتكم لغيره إنما تنفع أو تضر لكم لا لسواكم (٢٩) والله — تعالى — لا يؤثر ذلك عنده شيئاً ، لأن مسعفين من عبادتكم له . الثاني تومنه لهم بالمقابلة على فعلهم من غير إسراج بالوعيد ، وذلك أبلغ من الإسراج به ؛ لوقوع الوعود في حيرة من أمره ، وتراخي وهمه عنده ذلك إلى كل خطاب عظيم من الجزالة والمقابلة ، كقولك لن مسمى « أقبل ما شئت إني مقابلك » وهذا نوع من علم البيان شريف (٣٠) .

الفرع السابع عشر من الباب المذكور من ضمن الثاني

في الاشتقاق

اعلم أن جماعة علماء هذه الصناعة يفتنون الاشتقاق على التجنيس ، وليس الأمر كما وقع لهم ، بل التجنيس أمر عام لجميع الأنواع من الكلام ، وذلك لأن التجنيس (٣١) في أصل الوضع

(١) السورة « الرمي » والآية « ٨ » .

(٢) السورة « الرمي » والآية « ١٤ — ١٥ » ونحوها « ... على أن المفسرين الذين خُصِّسوا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ، ألا ذلك هو المفسران ليلين » .

(٣) التصريح « لا لئلا سواكم » بأصالة « من » لموصولة كقوله « من » « ولم يد على من سواهم » .

(٤) في الأصل « الشريف » وهو لا يتناسب سياق الكلام .

(٥) في الأصل « السائر » ج ٢ ص ٣٣٧ « التجنيس » .

هو التماثل والتشابه ، يقال « جالس الشيء » (الشيء ^(١)) إذا مثله وتشابهه ، ولا مكلف المثل كذلك ، ورأينا من الألفاظ ما يتماثل ويتشابه في صيغته وبنائه فلما أن ذلك يطلق عليه اسم « التجانس » . وكذلك لا رأينا من اللفظ ما يتماثل ويتشابه فلما أن ذلك يطلق عليه اسم « التجانس » ، أيضا ، فالتجانس ينقسم قسمين أحدهما تجانس في اللفظ والآخر تجانس في المعنى ، فأما التجانس في اللفظ فهو على إياه تجانس لم يجعل له اسم آخر كما جعل للتجانس في المعنى فانه يسمى « الاشتقاق » أي أن أحدهما مشتق من الآخر ، فهذا اللفظ الذي كنا بسد ذكره لا يليق أن نورد فيه إلا ما يختص والمعاني ، لأنه من باب الصناعة للمعاني ، ولذلك أوردنا « الاشتقاق » وذكرناه هنا . وأما التجانس في الألفاظ . فسيأتي ذكره في باب الصناعة اللفظية .

واعلم أن الاشتقاق على ضربين : صغير وكبير ، فالصغير : أن يأخذ أصلا من الأصول فيجمع بين معانيه وإن اختلفت صيغته وبنائه ، كتكريب « س ل م » فملك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه نحو « سلم وسلم وسلمان وعلمى والسلم » التذييل : أطلق عليه ذلك تفاقولا بسلامته ، وعلى هذا جاء غيره من الأصول كتقولك « هشمتك هاشم » و « حاربك حارب » و « حالك سالم » و « أصاب الأرض مهب » لأن المصيب هو المطر الذي يشهد صريره أي وقعته على الأرض ، وأمثال ذلك كثيرة ، ولهذا الضرب من الكلام ورونق لا يغني عن المعارف بهذه الصناعة ، فلما جاء منه قول بعضهم ^(٢) :

« أحسني تسلياً لكافضة أسفا »

وكذلك قول الآخر وهو جرير بن عطية ^(٣) :

(١) زيادة ضرورية من قول الشاعر .

(٢) هو الجعدي وهو مبالغ فيسببه له مدح بها أحد ويرفعه من الذمير وحدة البيت :
« وتعلما أن القوي ما هجنا »

انظر الديوان « ج ٢ ص ٢٣٩ » طبع مصر ، وانظر جلية لعل الشاعر « ج ٢ ص ٢٣٩ » .

(٣) هذا البيت من كذا جرير يهجو بها الفرزدق أولها قوله :

وما دلت أرونت تصني بلؤثر بحيث تسلكي حارب دأواص

وما زال معتولاً عقال عن الندي وما زال محبوباً عن الخير حابس
وقال غيره (١) :

لقد علم القبائل أنت قوي لهم حدّ إذا ليس الحديـد
وأشغال هذه كثيرة ، فأعرضها .

وأما الاشتقاق الكبير فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول المتعد عليه وعلى تراكيبيه معنى واحداً يجمع تلك التراكيب وما تصرف منها وإن تباعد شيء من ذلك رد بلفظ الصيغة والتأويل إليها ، كما يفعل الاشتقاقيون . ولضرب لذلك مثلاً فنقول : إن لفظه « ق ر م » من الثلاثي لها صفة تراكيب وهي « ق ر م . ق م و . ر م ق . م ق ر . م ر ق . ق م ر » فهذه التراكيب للصفة يجمعها معنى واحد . وهو القوة والشدة ، فالق م شدة شهوة اللحم وق ر الرجل « إذا غلب من يقامره » و « الرق م » الداعية وهي الشدة التي تلحق الإنسان من أمره « وعيش صر م » أي ضيق ، وذلك نوع من الشدة أيضاً « والقر » شبه الصبر يقال « أقر الشيء إذا أمره » وفي ذلك شدة على الفائز وكراهة « وصرق السهم » إذا نفر من الرمية ، وذلك لشدة مضائه وقوته . وأعم أنه إذا سقط من تراكيب الكلمة شيء لجأنا ذلك في الاشتقاق ، لأن الاشتقاق ليس من شرطه كمال تراكيب الكلمة بل من شرطه أن الكلمة كيف تقلبت بها تراكيبها ، من تقديم حروفها أو تأخيرها أدت إلى معنى واحد يجمعها . فمثل ما سقط من تراكييب الثلاثي لفظه « و س ق » فإن لها صفة تراكيب وهي : « و س ق . و ق س . س و ق . ق س و . ق و س . وسقط من جملة التراكيب قسم واحد وهو « س ق و » وجميع هذه الكلمات المذكورة تدل على القوة والشدة أيضاً ، فلو سق (٢) من قولهم « استوتسق الأمر » أي اجتمع وقوي . والوقس : ابتداء الجزم « وفي ذلك شدة على من يعيب وهلاء . والسوق :

(١) هذا بيت العيال بن ربيعة لخال وهو من خبر الخنساء « الكيرزي ج ١ ص ٢٢٩ » والصالحين لأبي حنبل « ٢٠٦ » وخطبة النخل السائر « ج ٢ ص ٢٢٩ » وفي رواية الخنساء « ثم جد » وذكر الكيرزي أنه يروي « ثم جد » .

(٢) كذا ورد في الأصل للمؤيد ولله « منه » لأن الجرد أصل الجزم وهنا من يديوت الاشتغال .

متابعة السيرة وفي هذا غناء وشدة للمسائق ، والنسوة : شدة القلب وغفلة ،
والقنوس : معروف ، وفيه نوع من الشدة والقوة لبرعه المدهم وإخراجه الى ذلك المرمى
للإبعاد .

واعلم أيا لا تدعي أن هذا بطرد في جميع الهنة بل قد جاء شيء منها كذلك ، وهنا مما يدل
على شرفها وحكمتها ، لأن السكامة الواحدة تعقب على ضروب من التقلاب ، وهي مع ذلك دالة
على معنى واحد . وهذا من أنجب الأسرار التي توجد في لغة العرب وأعجبها ، فامرغه .

الفرع الثالث من الباب الأول من الفن الثاني

في الحروف العاطفة والجارة

وهو نوع يبني مؤلف الكلام مراعاة والعناية به ، لأن معانيه ودية قه ، لا يشبه لها إلا
الفضل الملبب ، وما رأيت أحداً من علماء هذه الصناعة يفرض له ولا ذكره ولا أقول إليهم لم
يعرفوا ذلك أصلاً ، لأن هذا النوع من الكلام أسهر من أن يخفى ؛ لأنه مذكور في كتب
العربية جميعها ، ولست أمتي بإبرادها عنا ما يذكره التحويلون من أن الحروف العاطفة تتبع
المطوف (المطوف^(١)) عليه في الاعراب ، ولا أن الحروف الجارة تجر ما تدخل عليه بل أمراً
وراء ذلك ، وإن كان المرجع فيه الى الأصل الذي ذكره علماء العربية في كتبهم فأقول :

إن أكثر الناس يعملون ما ينبغي أن يسطف بالتوازي معطوفاً بالنساء ، وما ينبغي أن يسطف
بالنساء معطوفاً بهم ، وكذلك يعملون ما ينبغي أن يكون « بدل » « بقي » في حروف الجر . وفي
هذه الأشياء دقائق ، أذكرها لك أيها التامل ، لتعلم السر فيها . فأمّا حرف العطف فتجوز قوله
نعمالي « قَبِلَ الإنسانُ ما أكَفَرَهُ » مِنْ أَيُّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ، مِنْ نَظْفَةِ خَلْقِهِ قَلْبُهُ ، ثُمَّ
السَّيِّئِ بِسَرِهِ ، ثُمَّ أَلْبَسَهُ فَفَتَرَهُ ، ثُمَّ إِنَّا شَاءَ أَنْ تَشْرَهُ^(٢) « ألا ترى أنه لما قال « من
نظافة خلقه » كيف قال « فتشده » ولم يقل « ثم قدومه » لأن التقدير لما كان تأييداً للخلق ،
وملازماً لها ، عطفه عليها بإلقاء ، وذلك بخلاف قوله « ثم السبيل يسره » لأن بين خلقته

(١) زيادة الخضاضا البياض . (٢) السورة « جود » ١٢ د ١٢ — ٢٢ .

وتقديره في بطن أمه وبين إراحه منها وتسهيل سبله مهلة وربما ، «مهلك عطفه» ثم «وعلى هذا جاء قوله تعالى «ثم أماته فغيره» وقوله «ثم بدأ شاء أشده» لأن بين إراحه من بطن أمه وبين موته تراخياً وفسحة ، وكذلك بين موته وتشور أيضاً ، ولهذا عطفها «ثم» . ولا لم يكن بين موت الإنسان وإقراره تراخ ولا مهلة عطفه بالباء ، وأمثال هذا كثيرة ، فبهيتي لمؤلف الكلام تدبرها والأتيان بها في أماكنها .

واعلم أن في حروف العطف موضعاً تنبئ فيه الفاء بالاول ، وهو موضع يحتاج ال فضل تأمل لأنه شديد الاشتباه والالتباس ؛ وذلك أن فعل الطلوعة لا يطف عليه إلا بالفاء دون الاول ، وقد يحى من الأفعال ما ينبئ بفعل الطلوعة ويعطي طاء مرء أنه كذلك ، إلا أن معناه يكون مخالفاً لمعنى فعل الطلوعة ، فينعطف حينئذ بالاول لا بالفاء . وهذا موضع غامض يجب على المؤلف التحرز من الوقوع فيه ، فمن ذلك قوله تعالى : «ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً»^(١) فقولته تعالى «أغفلنا قلبه» ها هنا بمعنى ما ذهبنا (غافلاً) ، لأنه لو كان كذلك لكان معطوفاً عليه بالفاء ، وقيل^(٢) «فاتبع هواه» وذلك أنه يكون معطوفاً وفعل الطلوعة إنما يكون معطوفاً بالفاء دون الاول كقولك «أعطيت فأخذ ودعوت فأتى» ولا تقول «أعطيت وأخذ ولا دعوت وأجاب» كالأ قول «كسرت وانكسر» وكذلك لو كان معنى «أغفلنا» في الآية «مددنا» و «معنا» لكان معطوفاً بالفاء ، وكان يقال «ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا فاتبع هواه» [ولما لم يكن كذلك وكان العطف عليه بالاول ؛ فطريقه أنه لا قال : «أغفلنا قلبه عن ذكرنا فاتبع هواه»^(٣)] أن يكون معناه «وجدها غافلاً» وإذا وجد غافلاً فقد غفل لا همل ، وكأنه قال «ولا تطع من أغفلنا»^(٤) قلبه عن ذكرنا

(١) السورة «الكهف» والآية «٢٥» .

(٢) زيادة ضرورية من لسان السائر ج ٢ ص ٥٣ . ويقل ذلك فيه . وليس معطوفاً عن «فعل» حتى يكون معناه : سدده .

(٣) زيادة من لسان السائر .

(٤) في لسان السائر «ولا تطع من غفل قلبه» وهو الموافق للعلم .

وأتبع هؤلاء « أي لا قطع من فعل كنا وكنا . يُبدّل أفعاله ، التي توجب ترك طاعته ، فأعرف ذلك ونفس عليه .

وأما حرف الجر فتحو قوله تعالى : « كُلُّ مَنْ يَرِثْكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلُوبُ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا مُعَذِّبٌ أَوْ فِي ضَلَالٍ بَينَ »^(١) ألا ترى إلى بداهة هذا الذي لتسود بمخالفة حرفي الجر هاهنا فإنه إنما حوّل بينهما في المفعول على الحق والباطل لأنت صاحب الحق كأنه مستعمل على فرس جواد يركض^(٢) حيث يشاء ، وصاحب الضلال كأنه متعسف في ضلاله مرتبك^(٣) فيه فلا يدري أين يتوجه ، وهذا معنى دقيق قلنا يرمى في الكلام وكثيراً ما سمعت إذا كان الرجل يلوم صديقه أو يُعاتب خليفه على أمر من الأمور فيقول له « أنت على ضلالك القديم كما أعمدك » وهذا وإن كان جائزاً في الكلام إلا أن استعمال « في » هاهنا أول ما أشرنا إليه ، ومن هذا النوع قوله تعالى : « إِنَّا الصَّدَقَاتُ لِلْغَنَاءِ وَالسَّائِكِينَ وَالْمُعَلِّمِينَ عَلَيْهَا وَالْوَلَدَةَ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالنَّارِ مِيزِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَإِنِ السَّبِيلُ »^(٤) فإنه إنما عدل عن اللام إلى « في » في الثلاثة الأخيرة ثلاثاً بأنهم أرسخ في الاستحقاق والتصدق عليهم من سبق ذكره ، لأن « في » لو دأب فيه على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم الصدقات ويُحتملوا مظنة^(٥) لها وذلك لما في فك الرقاب وفي التَّسْوِمِ من التخلّص وتكرّر « في » في قوله تعالى « وَفِي السَّبِيلِ » فيه فضل وترجيح له على الرقاب وعلى القارمين ، وأمثال هذا مما يوجب مراعاته والاعتناء به [كثيرة] فاهتم به .

(١) السورة « حياً » الآية « ٢٤ » وانظر نقل السائر « ج ٢ ص ٥٣ » فقد قدم لهذه الآية ما يوضح المراد من إيرادها .

(٢) في مختار الصحاح « ركض » أهرق ، أهرج ، رجع . ومنه قوله تعالى « رَكضَ رَجُلٌ » ، وأما نصر وركض الفرس برجه : استعته ليدوم أكثر من قبل : ركض الفرس ، إذا عدا وليس بالأصل والصدوب : ركض الفرس ، على ما لم يسمعه لغير مركوس .

(٣) السورة « تنويه » والآية « ٦٠ » وتامها « مريضة من الله والله عليم حكيم » .

(٤) في الأصل « وتجهل مظنة لها » ولا معنى له والمصحح من النسخ السائر « ج ٢ ص ٥٤ » .

الفرع التاسع عشر من الباب الأول من الفن الثاني

في التكرير

وهو قسبان : أحدهما يوجد في اللفظ والمبنى ، والآخر يوجد في المبنى دون اللفظ
فأما الذي يوجد في اللفظ والذي فكقولك لن تستدعيه « أسرع » أسرع « ومنه قول
أبي الطيب اللثبي :

ولم أزل مثل جيتاني ومعي مثل عسجد مثلم مقلم^(١)
وأما الذي يوجد في المبنى دون اللفظ فكقولك « أظني ولا تعصي » فإن الأمر بالطاعة
نهي عن العصية . وكل من هذين التبيين يتقدم إلى مفيد وغير ذلك . فمفيد يأتي في الكلام
تأكيداً له وتشبيهاً من أمره ، وإنما يفعل ذلك للدلالة على عظم هل الشيء ، الذي كررت فيه
كلامك ، والإشمار بقضائه شأنه ، وفوق قدره ، أو الدلالة على حقارة والإعلام بهوانه والضعفه^(٢) .
وغير المفيد لا يأتي في الكلام إلا تحسناً وحطاً ، من غير حاجة إليه .

فأما الأول وهو الذي يوجد في اللفظ والمبنى ويدل على معنى فهو ضربان : مفيد وغير مفيد .
فالضرب الأول وهو التبديع مران : الأول إذا كان التكرير في اللفظ والمبنى يدل على معنى
واحد المقصود به كمرضان مختلفان كقوله لعل « وإد يمدد كم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ،
وتؤدون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » ويريد الله أن يبحن الحق بكلماته ويتطوع
دارر الكافرين ، ليبحن الحق ويتطوع الباطل ولو كره الجردون^(٣) هذا تكرر في
اللفظ والمبنى [وهو قوله]^(٤) « يحن الحق واليحق الحق » وإنما جيء به هنا لاختلاف
المراد وذلك أن الأول يميز بين الأدلتيين ، والثاني يبين لفرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة
على غيرها لهم ، ويصرّهم عليها ، وأنه ما نصرم ولا خذل أولئك إلا لهذا الغرض .

(١) من كلمة له يدرج بها القيت بي على المعنى وسئلها :

فإذا ما نسليه السمام وممر مثل ما نهب الشام

(٢) في الأصل « وإيضاحه » وهو من غلط النسخ ليعده من الزاد .

(٣) السورة « الأمل » والآية « ص » . (٤) زيادة وليية من لعل الشتر .

ومن ههنا الباب قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ خَلَساً لَهُ الدِّينُ ^(٦١) ۚ إِلَى قَوْلِهِ
 « فاعلمون » ألا ترى إلى هنا التكرير في قوله « قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ خَلَساً لَهُ الدِّينُ »
 وقوله « قُلْ اللَّهَ أَعْبُدْ خَلَساً لَهُ الدِّينُ » أو الزيادة فرغسان مختلفان وذلك أن الأول إخبار بأنه
 مأمور من جهة الله عز وجل بإحداث العبادة له والإخلاص في دينه . والثاني إخبار بأنه يختص
 الله وحده دون غيره بالعبادة ، خَلَساً لَهُ دِينُهُ ، ولذا لا يشرع في ذلك قسم العبود على فعل العبادة في
 الثاني وأخبره في الأول : لَأَنَّ الْكَلَامَ أَوَّلًا ، واقع في الفعل نفسه وبإيجاده ، وثانياً عِزِّهِ بِمُسْتَعْلٍ
 الفعل لأجله ، ولذلك رتب عليه « فاعبدوا له شقن من دونه » .

ومما أورد على نحو من ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ... ^(٦٢) » إلى آخرها قوله
 « لا أعبد » يعني في المستقبل لا تطهروا مني عبادة إليكم ، ولا أنتم فاعلمون فيه ما أعطى منكم
 من عبادة إليكم . « وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ » أي « وما كنتُ قط عابداً فيما سلف ما عبدتم فيه »
 يعني أنه لم يُشْهِد في عبادة سلف في الجاهلية في وقت ما ، فكيف يرجى ذلك في الإسلام ؟ ولا
 أنتم عابدون في الماضي في وقت ما أنا على عبادة الآن » . وأمثال هذا كثيرة فاعرفه .

ومن هنا الجلس قوله تعالى : « كَذَّبْتُمْ عَنْهُمْ صُحُوحَ الرِّسَالِ » إذ قال لهم أخوهم روح ألا
 تنفثون ، إلى لكم رسول أمين ، فأتوا الله وأطيعوه ، وما أسألكم عليه من أجر إن أجرينى إلا
 على رب العالمين ، فأتوا الله وأطيعوني ^(٦٣) فإيه إعما كرر ^(٦٤) قوله « فأتوا الله وأطيعوه »
 ليؤكد عدم وإلزامه في نفوسهم مع تطبيق كل واحد منها بعبادة ، فجعل على الأول كونه أميناً
 فيما بينهم ، وجعل على الثاني حسم طمعه عنهم وسخوته من الأغراض فيما يدعوهم إليه .

(١) سورة : الزمر ، الآية : ١٦ ، ١٧ . وثالثها « وأمرت » لا تكون أول للمؤمنين قل إلى
 آدم إن عصيت ربى عذابي يوم أعلم ، قل إنني أريد خيراً له فربى عذبوا ما شقن من دونه ، على المؤمنين
 الذين خسروا أنفسهم وأطيعوا يوم القيامة ، ألا تلك هو السرار للذين ، فلم من قولهم طلاق من النار ومن
 ومن نعيمهم طلاق . تلك يخوف الله به عباده ، يا عبادي اتقوني » .

(٢) سورة : الكافرون « ومن » قل يا أيها الكافرون لا أعبد . لا يبدون ، ولا أنتم عابدون
 ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولي دين » .

(٣) سورة : نوح ، الآية : ١٠٥ - ١١٠ .

(٤) في الأصل « نذر » وليس يتناسب القراءة .

من هذا النحو قوله تعالى «كذبت^(١) قبا لهم قومٌ نوح وهدى فرعون ذو الأوتار ، وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب» ، إنَّ كُلَّ «إلا كَذَبَ الرُّسُلُ لَغْفٌ هَاقِي» وإنَّما كرر تكذيبهم هاهنا لأنه لم يأت به على أسلوب واحد ، بل تنوع فيه بقرب من الصلابة فذكره أولاً في الجملة المخبرية على وجه الإيهام ، ثم جاء به بالجملة الاستثنائية ، فأوضحه بأنَّ كُلَّ واحد من الأحزاب كَذَبَ جميع الرسل لأنهم إذا كذبوا واحداً منهم فقد كذبوا جميعهم . وفي تكرير التكذيب وإشاحه بعد إيهامه ، والتنوع في تكريره بالجملة المخبرية أولاً وبالاستثنائية ثانياً ، وما في الاستثناء من التوضيح على جهة التأكيد والتخصيص من المبالغة للسجدة عليهم ، باستحقاق أشد العذاب في أبلته [من البيان ما لا حقا فيه] .

وهذا باب من تكرير اللفظ والمعنى فاقض ، وبه يعرف مواقع التكرير والفرق بينه وبين غيره ، ففهمه .

الفرع الثاني من التفريع المؤول

إذا كان التكرير في اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد والراد به لغرض واحد كقوله تعالى : « والله الذي يرسل الرياح مسبحاً قيسطه في السماء كيف يشاء^(٢) » إلى قوله : « ... ليسين^(٣) » فقوله « من قبله » بعد قوله « من قبل » فيه دلالة على أنَّ عهدهم بالمر قد بعد وتطاول فاستحك بأسمهم ، وتنادى بإلهامهم ، فكان الاستيثار على قدر أعيانهم .

ومثل هذا قوله تعالى : « فكان عاقبتهما أضعا في النار خالدين فيها^(٤) » وكذلك قوله تعالى : « ولا تحسبن الذين يفرحون بما آتوا ويحبون أن يُعبدوا بما لم يفعلوا ، فلا تحسبنهم

(١) السورة « ن » والآية « ٦٢ » وما بعدها .

(٢) السورة « الزوم » والآية « ١٨-١٩ » بعد ذلك « وبوجه كذا تدعى الرِّيح يخرج من خلاله هذا السحاب به من يشاء من عباده إنَّهم يستعصرون ، وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبل ليسين » .

(٣) في الأصل « يبتلون » وهو تصحيف .

(٤) السورة « الحشر » والآية « ٦٤ » وتابا « وذلك جزاء الظالمين » .

بمفارقة من العذاب ، ولهم عذاب أليم ^(١) » ومن هذا الجنس قوله تعالى : « وقال الذي آمن يا قوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار ^(٢) » فإنه إنما كرر دعاء قومه ها هنا لزيادة التبيين لهم ، والابتعاد ^(٣) من سعة الفظة ، ولأنهم قومه وعشيرته وهم فيها يرفقون من الدلائل ، وهو يدعوهم لوجه صلاحهم ، ونصيحتهم عليه واجبة ، فهو يتحزن لهم ، ويطلق بهم ، ويسندني بذلك أن لا يتموه ، غلب سرورهم سروره ومشغولهم عنه وإن لم ينزلوا على نصيحته لهم . وهذا من التكرير الذي هو أبلغ من الإيجاز وأشد موثقا من الاختصار ، فاعرفه .

وعلى نحو منه جاء قوله تعالى في سورة القمر ^(٤) « فذوقوا عذابي ونذري » وقوله « ولقد يسرنا القرآن لذكر كهل من أسرك ^(٥) » فإنه تكرر ذلك في السورة كثيراً ، وفائدته أن يمددوا عند استماع كل بناء من أبياء الأولين الذكرا والناثا ، وأن يستأنفوا تنبها واستيقاظا ، إذا سمعوا الخ على ذلك ، والبست إليه ^(٦) وأن يُترج لهم المعاصمات ، فلا يفتلهم المسهو ، وتستولي عليهم الفظة .

وهكذا حكم التكرير في قوله تعالى في سورة الرحمن - حل - وعلا - فيسألي آلا ربكيا تكفيان » وذلك عند ذكر كل نعمة عدها على عباده ، وأمثال هذا في القرآن الكريم كثيرة فاعرفها .

المغرب الثاني من التكرير في اللفظ والمعنى

وهو غير المفيد

وهو الذي يكون وجوده وعدمه سواء لأنه لا يأتي (إلا) بمعنى واحد قط ، فن ذلك

(١) السورة « آل عمران » والآية « ١٤٤ » .

(٢) السورة « قمر » والآية « ٣٨ - ٩ » .

(٣) في الأصل « عن سعة » وهو غلب السووع . (٤) الآية « ١٦ » .

(٥) السورة « القمر » والآية « ١٧ » .

(٦) القصور عند الفصحى « منه عليه » أي حله عليه ، قال الخليلي في أساس البلاغة « ومنه على الأسمى وتواصوا بالمير وتجانسوا عليه » .

ما أوردناه في صدر هذا الباب قول أبي الطيب الثاني :

ولم أرَ مثل جبراني ومثلي لمثلي عنده مثلهم مُقسام
إنه يقول : لم أرَ مثل جبراني في سوء الجوار وفلة الرعاة ، ولا مثلي في مصابرتهم ومقاتلي
عندهم ، إلا انه قد ذكر هذا للمثي في البيت مرتين ، وعلى نحو ذلك جاء قوله :

هَلَّلْتُ بِالْهَلْمِ الَّذِي فَتَقَلَ الْحَشَا فَلَا يَلْعَلُ يَمِيسُ كَأَمْهِنٍ فَلَا قِل^(١)

قال صاحب السامعيل^(٢) بن عباد أنكز على أبي الطيب هذا البيت لأجل التكرار الذي
فيه^(٣) ورأيت الواحدي^(٤) ذكر في شرحه لشعر أبي الطيب أنه لا يرميه من هذا عيب وأنه
قد جرت عادة الشعراء بتل هذا كقول أبي منصور النعماني :

وإذا التلابلُ أطربتُ بهشربها فأخبر البسلائيَ باحتساء كلال

ولقد أسأب الشاعر بن عباد في استنباح بيت أبي الطيب ، وأخطأ الواحدي في الاعتذار
عنه ، وتعليل ذلك بقول النعماني ، وبأنه أن بيت أبي الطيب قد ورد فيه ذكر القلقة والتلابل
أربع مرات ، وعن دلائل معنى واحد لا غير^(٥) وهو الحركة يقول « وحركت بالهم الذي حرك

(١) من كلمة طاق في صباه أولها :

تباروا وطئ تهبنا الظليل ولا تفتيا خفأ لنا أنا هي

(٢) هو الوزير الأديب المشهور ٢٩٦ - ٣٨٥ هـ .

(٣) لم نجد هذا في الرسالة التي وصفا بالسكف عن ملوي . شعر الثاني . وقد طبعها حسام الدين
عليه مصر سنة ١٣٤٩ هـ وويشأ قول صاحب - ص ١٣ - وكان الذي يستعملون قول ملو « سلت
وحلت ثم سل سلبها » حق ما هذا الدع بقوله :

وألج من قدسنا من وجدنا قبل العبد مظلوم الكلال

خاصية في لرائي أعظم منها في لرائي . . وقد نقل النعماني ذلك في البيبة ج ١ ص ١٣٩ هـ طبعة
الملوي بمصر سنة ١٩٤٤ - ونقل غير ذلك ولم يذكر منه بيت التلابل . وقال عتيق الدين هي بين عدلالت
للوحي بطلية التلابل في شرح ديوان الثاني « التسوب غصبا إلى أين تله العكبري » ج ١ ص ١٣١ هـ من
طبعة لطيفة المرقية بمصر سنة ١٣٠٨ هـ . وعاب صاحب السامعيل بن عباد أبا الطيب بهذا البيت وقال :
« قد نقلت أنت أشعاره وهذه القوافي الباردة ! ولا يرميه من هذا عيب فقد جرت عادة بقوله » .

(٤) قال ابن عدلان في شرحه ج ٢ : ١٣١ هـ : « وللائل همس جمع تثل وهي طائفة الخبيثة ، وتلابة
غلل وفرس غلل : إذا كانا سرعي الحركة وغلائي ثانية : جمع غلقة وهي الحركة ، قال أبو الصبح بن جني : »

الحشا بوقتاً يسرع الحركة كالمشي متحركاً ، وهذا من أنفع ما يكون من التكرار ، وأما بيت التماثلي الذي مثله الواحدي بيت أبي الطيب قبل مثلاً : لأن لفظة « البلال » قد وردت فيه ثلاث مرات . وكل منها دال على معنى « والبلال الأول جمع بلبل ، وهو طائر حسن الصوت ، والبلبل الثانية جمع بلبل ، وهي دوساس السدر ، والبلبل الثالثة جمع بلبل ، وهي طائر يخرج الماء من الأبريق ، فهو يقول : وإنا الأبليل من البلبل تهدأت وغردت » فمضى البلبل من غلبك باعتناء الحر من بلبل الأبريق ، وهذا من أحف ما يكون من التجنيس . ومن هنا هنا وقع التصور للواحدى ، وهو أن « البلبل » في شعر التماثلي تدل على معاني غنيفة و « القلائق » في شعر أبي الطيب تدل على معنى واحد ، فمعرف ذلك وقس عليه .

القسم الثاني من النوع الأول في التكرار

وهو الذي يوجد في المبنى دون اللفظ ، وهو ضروب : مفيد وغير مفيد

التضرب الأول المفيد وهو فرعاؤه :-

الأول إذا كان التكرار في المبنى يدل على معنيين مختلفين كدلالته على الجنس والعدد ، وهو باب من التكرار مشكلى ؛ لأنه يسبق إلى الوهم أنه تكرار معنى ، يدل على معنى واحد فقط ، وليس كذلك . فها جاء منه قوله تعالى : « وقال الله لا تتخذوا آللهين اثنين إنما هو إله واحد »^(١) ألا ترى أن العرب إنما جمعت بين العدد والعدد فيها وراء الواحد والاثنين فقالوا « عندي رجل ثلاثة وأفراس أربعة » لأن العدد ماز من الدلالة على العدد المخصوص ، فأما « رجل ورجلان وفرس وفرسان » فمعدودان . فالفائدة إذن في قوله تعالى : « آللهين اثنين وإله واحد » وهو أن الاسم الجامع للمفراد والنثية [يدل] على الجسمية والعدد المخصوص ،

== الضرب في « كمال » العبد لا القليل ، يقول « لعل القليل » كما تقول « سرع السرايم وخف الخفاف وكتفوك » أصل الضلالة « وهو أبلغ في الوصف من أن يرد على القليل » . ثم ذكر بيت التماثلي وقال في هذا الذي ذكرناه ما يرد قول ابن عباد ، ويوطئ به جاء عن رؤساء الشعراء .
(١) السورة « النحل » والآية « ١٦ » . وأصلها « لا تأخذوا إلهين مع الله » .

فلذا أريدت الدلالة على أن المعنى به واحد متعاضداً ولكن الذي يساق إليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكد^(١) ، فدل به على قصد الآية والمعانية به . ألا ترى أنك لو قلت « إنما هو إله » ولم تؤكد به واحد لم يحسن ، وخير دليل على ذلك تثبت الإلهية لا التوحيدية ، وهذا باب من تكرير المعاني وعبر السلك دقيق للقرى وبه تحل مشكلات من التكرير غامضة .

ومن هذا النحو إذا كان التكرير في المعنى يدل على معنيين : أحدهما خاص والآخر عام كقوله تعالى : « ولتكن منكم أمة يذكرون إلى الخير وبأنمرون بالمعروف وينهون عن المنكر^(٢) » الآية . فإن الأمر بالمعروف داخل تحت الدعاء إلى الخير ، لأن الأمر بالمعروف خاص والخير عام . فكل أمر بالمعروف خير وليس كل خير أمراً بالمعروف ، لأن الخير أنواع كثيرة ، من جملة الأمر بالمعروف ، ففائدة التكرير هنا أنه ذكر الخاص بعد ذكر العام ، للتنبيه على فضله كقوله تعالى « حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى^(٣) » الآية . وأمثال ذلك كثيرة ، فامرئها .

الفرع الثاني من الضرب الأول من القسم الثاني

إذا كان التكرير في المعنى يدل معنى واحد . وقد سبق مثاله ، في أول هذا الباب ، كقوله « أحلني ولا تعصني » لأن الأمر بالطاعة تعي عن العصية ، والفائدة في ذلك تثبت الطاعة في نفس المخاطب ، والقرار لها في قلبه . والكلام في هذا الوضع من التكرير كالسلام في الوضع الذي قبله من تكرير اللفظ والمعنى ؛ إذ كان المراد به غرضاً واحداً .

الضرب الثاني من القسم الثاني

في تكرير المعنى دون اللفظ

وهو غير النقيض لأن ذلك قول ابن هاني^(٤) المغربي :

سأوت به صبيح القصائد شراً^(٥) فكانت كانت سباً^(٦) وقبولا

(١) السورة « آل عمران » والآية « ١٠٤ » . ونعني « وأولئك هم الظالمون » .

(٢) السورة « البقرة » والآية « ١٧٨ » . ونعني « ولهموا فاعين » .

(٣) في مختار الصحاح « السب » : ربع ومنها السبوي لأن سب من مطلق النفس إذا استوى الليل والنهار وما بينهما الدور . وفيه أيضاً « والقبول أيضاً : السب وهو ربع تقابلي الدور » .

فكانه قد قال « فكانها كانت صباً وتباً » لأن الصبا هي القيول ، وليس ذلك مثل التكرير في قوله تعالى « حافظوا على الصلوات والصلوة الواسطة » فيها يرجع الى تكرير اللفظ والمعنى . ولا مثل التكرير في قوله تعالى « واتكن معكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف » فيها يرجع الى تكرير المعنى دون اللفظ ؛ لأن كل واحدة من هاتين الآيتين تشتمل على معنيين : خاص وعام ، وقول ابن هاني « صباً وقبولا » لا يعطى إلا معنى واحداً لا غير ، وهذا لا يخفى على العارفين بصناعة التأليف .

ومن هذا النحو قول الصابي في كتاب : « وصل كتابك بعد تأخير وإبطاء » وانتظار له واستبطاء « فإن التأخير والإبطاء بمعنى واحد » وقد يكون لهذا وجه في التجويز ، وهو التقرير في نفس الخطاب بعد الأمد ، وتطاول اللفة في انقطاع كتابه عنه ، وذلك بما لا يأمن به في هذا للوضع ، وأمثال ذلك كثيرة ، فامرؤها .

«الشرح المشروح من الباب الأول من الفن الثاني

في تناسب المعاني وهو ثلاثة أصرب :

الأصرب الأول المطابقة وهي المقابلة :

اعلم أن جماعة العلماء من أبواب هذه الصناعة قد أجمعا على أن العابقة في الكلام : هي الجمع بين الشيء وحده ، كالواد واليابس والليل والنهار ، وخالفهم في ذلك أبو الفرج قدامة ابن جابر الكاتب فقال : « العابقة إبرام لفظين متساويين في البناء والصيغة مختلفين في المعنى » . وهذا الذي ذكره قدامة هو (التجنيس) بعينه ، غير أن الأسماء لا مشابة فيها إلا إذا كانت مشتقة ، وانتظر نحن في مخالفة قدامة لجماعة العلماء في اسم العابقة ليعلم الحق في أي الجهتين مرقه ، وذلك أننا ننظر الى أصل العابقة في وضع اللفظ فإن كانت مناسبة لما أجمع عليه العلماء تحققنا أن الحق معهم ، وإن كانت مناسبة لما ذكره قدامة تحققنا أن الحق في يده فربما : أصل العابقة في اللفظ من « طابق البعير في سيره » إذا وضع رجله موضع يده ، وهذا بقوي

ما ذكره قدامة ، لأن اليد غير الرجل لا ضدها ، والموضع الذي يقبل منه واحد ، وهكذا
 اللسان يكونان تغير بن أي هتفين ، واللفظ الذي يجمعهما واحد ، فقامة شئ هذا النوع
 من الكلام الطائفة ، حيث كان الاسم مشتقا مما سمى به ، وذلك مناسب وواقع (موقفه) إلا
 أنه قد جعل للجنس اسمًا آخر هو الطائفة ، ولا بأس به . وأما جماعة العلماء فكأنهم سموا
 هذا الضرب من الكلام مطابقة ، بغير اشتقاق ، ولا مناسبة بينه وبين معناه . كذا هو الظاهر
 لنا من هذا الأمر ، إلا أن يكونوا قد عادوا تلك مناسبة لطائفة ، لم تطلع نحن عليها ، ولنجعل
 نحن إلى هذا النوع من التأليف ونحقق الكلام فيه فنقول :

اعلم أن الالتيق من حيث المعنى أن يسمى هذا النوع « القابلة » لأنه لا يمتثل الحال في ذلك
 من ثلاثة أقسام : إما أن يقابل الشيء بشده أو بغيره (أو بثلثه)^(١) وليس لنا قسم رابع .
 فأما القسم الأول وهو مقابلة الشيء بشده ، كالسواد والبياض وما جرى مجراه فكقولوه
 تعالى « فَلْيَبْضُغَكُوا خِلاَلًا وَ لْيَكْبُوا كَثِيرًا »^(٢) . ألا ترى إلى صحة هذه القابلة البديهة ؟
 حيث قابل الضحك بالبكاء والقليل بالكثير ؟ . وكذلك قوله تعالى : « لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى
 مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ »^(٣) . وهنا من أحسن ما يجيء في هذا الباب . وقال رسول
 الله - صلى الله عليه وسلم - « خير الليل عين ساهرة ليلين نائمة »^(٤) . ومن هذا قول بعضهم
 في السحاب :

وله بلا حزن ولا بحسرة ضحك يرلوح بينه وبهكاه

(١) زيادة في ضدها ما جاء في تفسير المؤلف لكلام .

(٢) السورة : القوبة ، والآية : ٥٩ .

(٣) السورة : الحديد ، والآية : ٢٤ . وقابها « وانه لا يجب من غل غور » . وقد جاء في
 الأصل « لِكَيْلَا تَحْزَنُوا » وهو تحريف . وجاء في الآية ١٥٥ من آل عمران « لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى
 مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ » .

(٤) ورد في الجملانة النبوية : ٢٩ . وثالثي : ج ١ ص ٦٢٨ . والنهاية : ج ٢ ص ٦٩٩ .
 قال الصريف الرضي « وهذه قصيدة التي لراد ذلك حين لاء الجفوة أي لا يفتلح جريبا لئلا كما لا يفتلح
 نهرا ، صيدها ساهرة ، فلما لم يأتها في ليلها « الله وعين ساهرة نائمة » . ولعل الخبر في هذا الكلام
 أحسن ما جعل بهذا المعنى مثبثا ، وحسب عليها منها » .

تقابل الضحك بالكاء ، والمزج بالسرور في بيت واحد إلا أن في ذلك ظراً ، من حيث ترتيب التفسير ، لا من حيث المقابلة ، لأن ترتيب التفسير يقتضي أن كان قال « فله بلا حزن ولا بمرارة » بكاء يراوح بينه وضحك ، وهذا لا كبير عيب فيه ، وإنما الأول والأخير ما أشرنا إليه ، فحرفه ، وسيأتي بيانه ، وقال آخر :

فلا الجودُ يُقني الآلَ والجُدُّ مُقْبِلٌ ولا البخلُ يُبقي الآلَ والجُدُّ مَدِيرٌ

ألا ترى إلى هذه المقابلة البديعة التي قد أتى بها هذا الشاعر ؟ فانه قبل الجود بالبخل ويُنْفِي بِبُخْلِي وَمُقْبِلٌ بِمَدِيرٍ ؟ وهذا الكلام هو السهل المتنع ، الذي هو كاللحم تراه قريباً على صفحات الماء وهو يأمن السماء . ومن هذا النوع أيضاً قول البحري :

وَأَمَّا كَانَ قُبْحُ الْجُودِ يُسْخِطُهَا دَهراً فَأَصْبَحَ حُسْنُ الدَّلِّ يُرْضِيهَا^(١)

تقابل الحسن بالقبح ، والجود بالدل ، والسخط بالرضى ، وذلك بدیع في بابه ، فحرفه . وأما القسم الثاني وهو مقابلة الشيء بغيره فهو ضربان أحدهما ما كان بين التقابل والمقابل له مناسبة وتقابل ، كقول بعضهم .

يَجْمَزُونَ مِنْ ظِلِّ أَهْلِ الظُّلَمِ مُنْفِرَةً وَمِنْ بِسَاطِ أَهْلِ الشُّوءِ إِحْسَاناً

تقابل الظلم بالشفرة ، والظلم ليس ضد الشفرة ، وإنما هو ضد العدل إلا أنه لما كانت الشفرة قريبة من العدل مناسبة له حسبت المقابلة بينها وبين الظلم ، وأما هذه كثيرة .

الضرب الثاني من القسم الثاني :

في المقابلة وهو أن يتقابل الشيء بما بينه وبينه بدد ولا مناسبة (بينها) محال من الأحوال وذلك مما لا يحسن استعماله في التأليف ، مما جاء منه قول بعضهم :

أَمْ هَلْ عَمَانٌ بِالْعَلِيَّةِ رَاقِصَةً وَإِنْ نَكَمَلُ فِيهَا الدَّلَّ وَالشَّعْبُ

(١) الأبرار ، ص ٢٩ ، طبعة دار الفكر بيروت سنة ١٩٦٦ ، وهذا البيت من قصيدة

يصف فيها بركة لتوكل على الله تعالى سامية أوقاف :

بَلَّوْا لِي دَرَّارَ مِنْ لَبِّ نَحِيهَا نَمِ وَسَلِّطُوا عَنْ يَمِينِ أَعْلَاهَا

فإن ذلك غير مناسب ، لأنه إما يكون يحسن التل مع الفتح والشب مع التثنية^(١) أو ما يجري مجراه من أوصاف الثمر والقم .

وأما القسم الثالث من النوع العشرين فهو أن يتقابل الشيء بثله ، وهو ضربان : أحدهما التقابل في اللفظ والمعنى ، والآخر التقابل في المعنى دون اللفظ ، فالضرب الأول كقوله تعالى : « تَسُوا لله فَتَحْسِبُهُمْ »^(٢) . وكثره تعالى « وَكَثُرُوا مَكْرًا وَكَثُرُوا مَكْرًا »^(٣) . وأمثال هذا كثيرة ، والضرب الثاني فهو أن يتقابل الالاء بثله : إن كانت مستقبلية (مستقبلية)^(٤) وإن كانت ماضية فبولت بمانية ، وربما قول الماضي بالمستقبل ، والمستقبل بالماضي ، وذلك إذا كان أحدهما في معنى الآخر : فن ذلك قوله تعالى « أَكُلْتُ مِنْ ثَمَرِهِ فَأَنَا كَافِرٌ » على نفسي . وإن اعتدبت فيها يوحى إليّ « ربي »^(٥) فإن هذا تقابل من جهة المعنى ، ولو كان التقابل من جهة اللفظ قال « وإن اعتدبت فأنا اعتدي لها » . ويبان تقابل هذا الكلام من جهة المعنى هو أن النفس كل ما هو عليها فهو بها ، أعني أن كل ما هو وإل عليها ومما هو عليها ومنها ، لأنها الأمانة بالسوء ، وكل ما حولها مما بلغها فيه بداية ربه وتوفيقه إياها . وهذا حكم عام لكل مكلف ، وإنا أمر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن يستد إلى نفسه ، لأن الرسول إذا دخل تحت مع طر محله وسداد طريقه كان غيره أولى به . ومن هذا الضرب أيضاً قوله تعالى « لَوْ كُنْتُمْ تَرَوُا أَنَّ جَعَلْنَا الْإِيمَانَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالْإِيمَانَ مُبْتَصِرًا لَإِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ »^(٦) فإنه لم يراع التقابل في قوله « لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالْإِيمَانَ مُبْتَصِرًا » لأن القياس

(١) يشير المؤلف إلى قوله ذي الرمة :

لياء في غلبتها حوة ليس وفي التثنية وفي أيالها شب

قال مؤلف جريدة أخبار العرب : ص ٣٠٢ - « ليس والتثنية والحقه شيء واحد وهو مسؤول في التثنية . والفتب : رقة الأسنان . وقيل : حمرة الضرب إلى السواد » .

(٢) السورة : التوبة ، والآية : ٦٧ . « وتعالى : إن المنافقين هم الفاسقون » .

(٣) السورة : النحل ، والآية : ٥٠ . « وتعالى : وهم لا يشعرون » .

(٤) زيادة التصاعدا اليك .

(٥) السورة : سبأ ، والآية : ٥٠ . « وتعالى : به سميع عليم » .

(٦) السورة : النحل ، والآية : ٨٦ .

يقضي أن يكون « والهار ليصروا فيه » وإنما هو مراد من جهة المعنى ، لا من حيث اللفظ ، وهكذا التظلم للطبوع عبر التكاثف . لأن معنى قوله « يصعراً » ليصروا فيه طريق القلب في الحاجات .

ومن مقابلة الشيء بـ « أنه » هنا ذكر المؤلف ألفاظاً تقتضي جواباً فالمرضي عندنا أن يأتي بتلك الألفاظ في الجواب من غير عدول عنها إلى غيرها مما هو في معناها ، فمن ذلك قوله تعالى « وجزاء سيئةً سيئةً مثلاً » ^(١) . وفي عيب في هذا الباب قول بعضهم « من اقترى ذنباً طبعاً أو اكتسب جرماً فاسداً لزمه ما جناه وحاق به ما توعد » . والأليني أن كان قال « لزمه ما اقترى وحاق به ما اكتسب » ليكون أحسن طباقاً . وإن كان ذلك جائزاً في الكلام من حيث إن معناه صواب ، لكنه عدول عن الأليني والأول في هذا الباب . وأمثال هذا كثيرة فاهملها .

واعلم أن في مقابل المعاني باباً يحجب الأمر يحتاج إلى فصل تأمل وزيادة نظر ونقد ، وهو تلخيص بالقواصل من الكلام للثبوت ، وبالإيجاز من آيات الشعر ، مما جاء من ذلك قوله تعالى في حق المنافقين « وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم الفسادون ولكن لا يشعرون » ^(٢) وقوله تعالى « وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون » ^(٣) ألا ترى كيف فصل الآية الأخيرة « يتعلمون » والآية التي قبلها « يشعرون » وإنما فصل ذلك لأن أمر الهداية والرفقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج إلى نظر واستدلال ، حتى يكتب الخاطر العلم والفرقة بذلك . وأما التناقض وما فيه من البني المؤدي إلى الفتنة والفساد في الأرض فأمر دينوي مبني على العادات ، معلوم عند الناس ، خصوصاً عند العرب ، وما كان فيهم من الشجواب والتمवाद ، فهو كالمحسوس عند ذلك فل فيه « يشعرون » وأيضاً فإنه لما ذكر الصفة في الآية الأخيرة وهو جهل كان ذكر العلم معه أحسن طباقاً ، فقال « لا يعلمون » .

(٢) السورة « الثوري » والآية « ٣٨ » .

(٣) السورة « البقرة » والآية « ١٦-١٧ » . (٣) السورة « البقرة » والآية « ١٣ » .

وَأَنَّهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ جَمِيعًا فَصَلَتْ هَكَذَا ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَخَسَّبُ مِنْهُ الْأَرْضُ تُخْضِرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ » ^(١) . وَكَقَوْلِهِ « وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْغَوْ النَّهْيُ الْحَكِيمُ » ^(٢) وَكَقَوْلِهِ « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْقُلُوبَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ » ^(٣) إِلَى قَوْلِهِ « . . . لِرُؤُوفٍ رَحِيمٍ » قَالَهُ إِنَّمَا كُفِّسَتْ الْآيَةُ الْأُولَى « بِطَلِيفٍ خَبِيرٍ » لِأَنَّ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِ الرَّحْمَةِ تَخْلِيقِهِ بِإِزَالِ الْغَيْثِ ، وَإِخْرَاجِ النَّبَاتِ مِنَ الْأَرْضِ ، وَلِأَنَّهُ خَبِيرٌ بِغَنَمَتِهِمْ وَدُمُورَتِهِمْ ، فِي إِزَالِ الْغَيْثِ وَلِغِيَرِهِ ، فَأَمَّا الْآيَةُ الثَّانِيَةُ فَغَا فَصَلَتْ « بَنِي حَمِيدٍ » لِأَنَّهُ قَالَ « مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ » فَحَرَفَ النَّاسُ بِأَنَّ جَمِيعَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَهُ لَا لِحَاجَةٍ إِلَيْهِ هُوَ غَنِيٌّ عَنْهَا ، جَوَادُهَا ، لِأَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ غَنِيٍّ بِغَاثٍ بِغَاثٍ إِلَّا إِنْ كَانَ حَوَالِيَا مَذْمُومًا ، وَإِنَّا جَادُ وَأَنْعَمُ كَحَيْدَرُ النَّعَمِ عَلَيْهِ ، وَاسْتَحَقَّ عَلَيْهِ الْحَمْدُ ، فَذَكَرَ الْحَمْدَ لِيُذِلَّ عَلَى أَنَّهُ التَّغْنِيُ النَّافِعُ فَنَتَاهُ حَاشَتُهُ . وَأَمَّا الْآيَةُ الثَّالِثَةُ فَغَا فَصَلَتْ « رُؤُوفٍ رَحِيمٍ » لِأَنَّهُ لَا عَدَدَ لِلنَّاسِ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ تَسْقِيهِ مَا فِي الْأَرْضِ لَهُمْ ، وَإِجْرَاءِ الْقُلُوبِ فِي الْبَحْرِ بِهِمْ ، وَتَسْيِيرِهِمْ فِي ذَلِكَ الْجَوْلِ الْعَظِيمِ ، وَجَسَدِيهِ السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ ، وَإِسْرَافِهِ إِيَّاهُمْ عَنِ الْوُقُوعِ حَسُنَ أَنْ يُفَسِّلَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ « رُؤُوفٍ رَحِيمٍ » أَيَّ بَيْنَ هَذَا الْقَوْلِ فَضْلَ رُؤُوفٍ رَحِيمٍ .

وَأَعْلَمُ أَنَّهَا التَّنَائُلُ لِكَمَا بَيَّنَّا هَذَا أَنَّهُ قَدْ جَاءَ تَوْجِيهُ هَذِهِ التَّلَامِيَّةِ وَالتَّنَاسِبَةِ فِي كَلَامِهِ نَاعِلًا أَوْ نَائِرًا . وَهَذَا الْبَابُ لَيْسَ فِي عِلْمِ الْبَيَانِ أَكْثَرَ نَفْعًا مِنْهُ ، وَلَا أَهْظَأَ قَائِدًا ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ دَقِيقٌ لِلْمَلِكِ ضَيْقِ الْمَذْهَبِ ، فَطَلَبُكُمْ - مَعْتَرِ الثَّنَائِينَ لِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ - بِتَدْوِيرِ مَعَاوِيَةِ ، وَإِعْمَافِ النَّظَرِ فِي مُشْكَلَاتِهِ . وَكَفَى بِمَا أَفْرَأْنَا إِلَيْهِ مَثَالًا لِمَنْ لَهُ لُبٌّ .
وَمِمَّا جَاءَ مِنْ هَذَا الْبَابِ فِي الشَّعْرِ قَوْلُ النَّبِيِّ :

(١) السُّورَةُ « الْحَجَّ » وَالآيَةُ « ٦٣ » . (٢) السُّورَةُ « الْحَجَّ » وَالآيَةُ « ٦٤ » .

(٣) السُّورَةُ « الْحَجَّ » وَالآيَةُ « ٦٥ » وَتَلَاهَا : وَجَعَلَ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بَارِدَةً إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ .

وَقَفَّتْ وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو قائم^(١)

تمر بك الأبطال كفى^(٢) هزيمة ووجهك وضاح وتترك باسم

وقد أخذ عليه ذلك ، وقيل : لو جعل آخر البيت الثاني آخر الأول لكان أولى ؛ وحكاية
أخذه عليه أنه استنشد سيف الدولة يوما قصيدته التي أولها :

« على قدر أهل العزم تأتي العزائم » ، فلما بلغ إلى قوله : « وقفت وما في الموت شك لواقف »

البيتين قال له : وقد انتقدت عليك هذين البيتين كما أنتقد على امرئ القيس قوله :

كأنى لم أركب جواداً هذء ولم أنبطس^(٣) كلاماً ذاك كخلخال

ولم أسبأ الرقى الروى^(٤) ولم أقل^(٥) غبى كترى كره^(٦) يمد إقبال

فبينما لم يلقهم خطرا كما لم يلثم بيتا امرئ القيس ، وكان ينبغي أن يقول :

كأنى لم أركب جواداً ولم أقل غبى . .

ولم أسبأ الرقى الروى ...

وكذلك ينبغي أن تقول :

وقفت وما في الموت شك لواقف ووجهك وضاح وتترك باسم

تمر بك الأبطال كفى^(٧) هزيمة كأنك في جفن الردى وهو قائم

فقال الشبي : إن صح أن الذي استعذك على امرئ القيس هذا وهو أعلم بالشعر منه فقد
أخطأ امرؤ القيس وأخطأت ، ومولانا يعلم أن القلوب لا يلمه البراز كما يلمه الخائف ؛ لأن البراز
يعلم حمله ، والخائف يعلم تقاضيه . وإنما قرن امرؤ القيس النساء بقلة الركوب للصيد وقرن
السباحة بسياه الخمر للاتصاف بالشجاعة في منزلة الأعداء ، وكذلك لما ذكرت الموت في صدر

(١) من كلمة في مدح سيف الدولة الحمداني وقد سار نحو لغة الحديث سنة ٢١٣ هـ ومطابقا :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي من ضرر السكران السكران

« لاصول » طبعه لجنة التأليف والترجمة بعصر ، ص ٢٢٤ — ٢٢٩ هـ .

(٢) كفى : حرم سكر وهو المخرج .

البيت الأول أنهم مذكر الردي في آخره ، ليكون أحسن طباقاً وتلازماً . ولا يمكن وجه
الخرج التبرم يكون موصفاً ومبنيه بأكية قالت « وجهك وضاح وتفرح باسم » لا يجمع بين
الأضداد في المعنى . فأنجذب حبيب المودة كلامه . وأمثال ذلك كثيرة إلا أنه يحتاج الناقد لها
والعيز بين جيدها ورديتها إلى فكرة صافية ، وروية زائفة .

الغريب الثاني من النوع العشرين

في محبة التقسيم وفساده

أول ما لم نرد بالتقسيم هاهنا ما تقتضيه القسمة العقلية كما يذهب اليه المتكلمون ؛ فإن
القسمة العقلية تقتضي أشياء مستحيلة ، كما قلنا « الجواهر لا تتحول إما أن تكون مجتمعة أو
مفترقة . أو لا مجتمعة ولا مفترقة . أو مجتمعة مفترقة معاً . أو بعضها مجتمعة ، وبعضها
مفترقة » . ألا ترى أن هذه القسمة صحيحة من حيث العقل لاحتفاء الأقسام جميعها ، وإن كان
من جهتها ما يستحيل وجوده ، فإن الشيء لا يكون مجتمعاً مفترقاً في حالة واحدة ، وإنما تريد
نحن بالتقسيم هاهنا ما يقتضيه المعنى ، مما يمكن وجوده ؛ وهو أن يأتي الؤلف إلى جميع أقسام
الكلام المجتمعة فيستوفيها ، غير تارك منها شيئاً واحداً . فمن ذلك قوله تعالى « ثم أوردنا
الكتاب الذين اصطفتينا من عبادنا فمن ظلم نفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات »^(١)
فإنه لا يخلو العالم من هذه الأقسام الثلاثة : إما ظالم لنفسه وإما مطيع مبادر إلى الطيرات
وإما مقتصد بينها ، وهذا من أصح التقسيمات وأكملها ، فعمدته .

ومن حسننا المبحر قوله تعالى « وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الجنة ما أصحاب الجنة ،
وأصحاب النار ما أصحاب النار والسابقون السابقون »^(٢) الآية . واعلم أن هذه الآية مماثلة في

(١) السورة « طه » والآية « ٣٢ » وتحتها « فإن الله ذلك هو الفصل الكبير » .

(٢) السورة « الواقعة » والآية « ١٩-٢٠ » والتم « أولئك السابقون » في جنات النعيم » .

التي لا سبق ذكره ، فأصحاب الشأمة هم العادون لأنفسهم . وأصحاب اليأس هم المتصدون
والسابقون هم السابقون بالخيرات . وعلى نحو من ذلك ج . قوله تعالى « هو الذي يُرِيكم البرق
خوفاً وطمعاً » (١) . ألا ترى إلى بداعة هذه القصة ؟ فإن الناس عند رؤية البرق بين خائف
وطامع ، وليس لهم ثالث .

وكان جماعة من أرباب هذه الصناعة للتصديق في صدرها يعجبون بقول بعض الأعرابي في
هذا المعنى ، ويقولون إنَّ ذلك من أسخف التفسيات وهو قوله « انعم ثلاث : نعمة في حال كونها
نعمة ونعمة تُرجى مستقبلة ، ونعمة تأتي غير محتسبة . فأبقي الله عليك ما أنت فيه ، وحقق
عطاك فيما ترجىه ، ونقل عليك بما لم تحسبه » . فقالوا إنه ليس في أقسام النعم التي يقع
الاستغفار بها قسم رابع سوى ما ذكره الأعرابي . وهذا القول فاسد ، وهو أنَّ في أقسام النعم
التي قسمها هاهنا نوعاً لا بد منه ، وزيادة لا حاجة إليها ، فأما القسم فأنفاه ذكر النعمة
للماضية ، وأما الزيادة فقوله بعد النعمة المستقبلة : التي تأتي غير محتسبة ، وهذا خطأ لأن النعمة
التي تأتي غير محتسبة هي داخلة في قسم المستقبل ، وذلك أنَّ النعمة المستقبلة تنقسم إلى قسمين :
أحدهما يرجى حصوله ويتوقع بولغته ، والآخر لا يحتسب ولا يشمر بوجوده ، فقوله « ونعمة
تأتي غير محتسبة » يرمي أنَّ هذا القسم غير المستقبل ، وهو داخل في جملة « ولو قال « ونعمة
مستقبلة » من غير أن يقول « ونعمة تأتي غير محتسبة » لكان قوله كافياً ، إذ النعمة التي تُرجى
والنعمة التي لا تحتسب تدخلان تحت قسم المستقبل . ولكن بيني أن يقول « انعم ثلاث نعمة
ماضية ، ونعمة في حال كونها ، ونعمة تأتي مستقبلة ، فأحسن الله آثار النعمة الماضية وأبقي
عطاك النعمة التي أنت فيها ، ووفر حظك من النعمة التي تستقبلها » . ألا ترى لو قل ذلك
لكان قد طبق به مفصل الصواب ، ففهم ما ذكرناه وفهم عليه .

ووقف أعرابي على مجلس الحسن فقال : « رحم الله من أعطى من سعة أو ولى من
كفافة أو آثر من قلة » . فقال الحسن : ما ترك لأحد عذراً ، فاضرف الأعرابي بخير كثير .

(١) سورة الرعد ، الآية ١٣ ، وأما « وسرى » السحب الثقل .

ومن هذا الضرب ما ذكره أبو هلال العسكري في كتابه ^(١) وذلك أنه أخذ عن جميل ^(٢) قوله :

لو أن في قلبي حكمة قلادةً حياً توسلتك أو أتتكم رسائي

قال أبو هلال : إن إتيان الرسائل داخل في جملة الرسل . وليس الأمر كما وقع له ، فإن « جيلاً » أراد به « وسلك » أي أتتكم راتراً أو قصداً أو « كنت راسلتك مراسلة » .
والرسل لا يخرج عن هذين القسمين إما رسالة وإما زيارة .

ومن أنجب ما شاهدته في هذا الباب ما ذكره أبو العلاء محمد بن غانم العروبي بالنعماني ، وهو قول العباس بن الأحنف :

وسالككم هرّ وهركم فلي وعظكم سداً وسلككم حرباً

ثم دوى المنار إليه عن أبي القاسم الأسدي . رحمه الله . أنه قال إن بعض قعدك
السكلام من البلاء لا يسمع هذا البيت قال : « والله هذا أحسن من تفسيرات إقليدس ^(٣) » .

(١) في كتاب الصانعين .

(٢) قال جاسي خبيرة في باب الخراف من كتاب « كشف الستور » : « إقليدس في أصول الهندسة والمساب وهو بضم الظنة وكسر الهمزة والميم مركب من « نقي » بمعنى القناع و « فس » بمعنى المنار وإيل الهندسة أي مداح الهندسة . وفي العمادوس « إقليدس اسم رجل وضع كتاباً في هذا العلم وقال ابن عماد : إقليدس اسم كتاب عظيم (انتهى) . وفي شرح الأشكشكال للفاضل « في زائدة الرومي : سكي أن من ملوك الروم قال أن تحصل ذلك الكتاب يمسحني عليه حله فأخذ بنوم أخيار الكتاب من كل ولد عليه فأجود بعضهم بأن في هذه صورة رجلاً مدبراً في علم الهندسة والمساب يقال له « إقليدس » فضليه وانس منه تهذيب الكتاب وترتيبه مرتبه وهذه أشهر باسمه بحيث إذا قيل « حكاية إقليدس » فهم منه هذا الكتاب دون غيره من الكتب المشوبة إليه » (انتهى) . في صلب هذا القسط حقيقة عربية في الكتاب ... يقال : كتبت إقليدس وماله وجاء في معجم الألفباء « ح ٩ » من ٤٤ « طعة مرغلوث نقل من كتاب « الأوريس » لأبي حيان التوحيدي أن بعضهم قال « قرأت إقليدس » فقال له أحمد بن نويرة الكتاب « وما كان إقليدس ؟ ومن هو ؟ » قال : رجل من علماء الروم . تسمى بهذا الاسم وضع كتاباً فيه أشكال كثيرة مختلفة يدل على حقائق الأدباء للظنمية والجمعية ، يتخذ الله ويطلق انهم ، وضعت القرعة ويصفي الحاسة ويثبت الزوية ومنه أنتاج الخط ، وعرفت بالانحزوف النجم . وفي كشف الستور أن مؤلف الكتاب هو « الجابريوس الجار » . ولد زعم القسطنطين إقليدس الهندس الجار البصري في تاريخ المسكيات « من ٤٤ » طعة مصر ، وأبو يونس الجار « من ٤٤ » .

ومن العجب كيف ذكر النفاخي ذلك في كتابه وقاله النظر فيه مع نفسه في هذه الصناعة .
وأعجب من ذلك قول أبي القاسم الأحمدي ، وأعجب منها جيباً استحسنه فقد السكوك لهذا
التقسيم ، ألا ترى أن هذا البيت قد بني عليه شيء آخر من جنسه فإنه لو أنشئ له بيت غيره
قليل :

وَلَيْسَكُمْ خُفٌّ وَتُرَيْسُكُمْ نَوَىٰ وَاعْطَاكُمْ تَمَعٌ وَصَدَقَكُمْ رَكْذَبٌ

فلما ذكر ذلك وربما يحتمل أن يزداد على هذا البيت الثاني بيت ثالث ورابع ، ولو كان ذلك
التقسيم في البيت الأول صحيحاً لما احتتمل أن يضاف إليه شيء آخر البته ، لأن من شرط صحة
التقسيم أن لا يحتمل الزيادة .

ومما جاء على نحو من هذا قول بعضهم في حق مكسورين في الحرب ، « فن بيت جريح
مضرج بدعائه ، وهارب لا يلتفت إلى ورائه » . فان الجريح قد يصحكون هارباً ، والهارب قد
يكون جريحاً ، ولو قال « فن بين قتل وأسود وناج » لصح له التقسيم لأن المكسورين في
الحرب ، الذين دارت عليهم الدائرة ، لا يخرجون عن هذه الأقسام الثلاثة ، فلما قيل أو أسود
أو بازح ، وأما الجريح فإنه يدخل في جملة الناجي ، والأسود ، لأن كلا منهما يجوز أن يكون
جريحاً أو أن لا يكون ، فاعرف ذلك ، وقس عليه ^(١) .

المقرب الثالث من النوع العشرين

وترتيبه في التفسير وما يصح من ذلك وما يفسد

اعلم أن صحة ترتيب التفسير هي أن ينحصر المؤلف في كلامه معاني غسقة ، فإذا عاد إليها
بأنه ذكر ليفسرهما ، قدم القدم وأسر للآخر ، وإدخال رابع المؤلف ذلك كان مأخوذاً عليه ، لأنه
يخل بشرط من الصناعة ، فن ذلك قول بعضهم :

فَبِت وَلَيْتَ هَيْتَ حِينَ نَسَبَانَهُ تُعْرِفَا وَلَيْتَ لَيْتَ الْوَجْهَاءَ ضَرَبَهُمُ
تَحِيَّا الْأَنَامَ بِهِ فِي الْجَدَابِ بِنَ أَصْحَابُوا لُجُوداً وَيَشْفَى بِهِ يَوْمَ الْوَعَى الْهَامُ

(١) كردها هنا شيئاً مما كتب لخدمته .

ومن هنا الباب قوله تعالى « وجعلنا الليل والنهار آيتين ، فحورنا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة »^(١) وكذلك قوله تعالى : « ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله »^(٢) . فلما قدم الليل في الذكر على النهار فقد سبب الليل ، وهو السكون على سبب النهار ، وهو النعش ، وذلك في غاية الحسن . ومن هنا النحو قول بعضهم :

يوم التَّيَمُّ بِكَ حَوْلٌ كَامِلٌ بِصَاقِبِ الضَّمَلَانِ فِيهِ إِذَا أَتَى
مَالِجٌ حَرٌّ جَوِيٌّ وَمَا مِنْ مَسَامِعٍ بَلَّغَتْ عَصَاكَ وَإِنْ بَكَ وَجِدًا شَتَا

وهذا من أسجع التفسير فاعرفه ، ومن ذلك قول الآخر وهو غاية في بابه :

تَنَكَّرْتُ^(٣) فَهَاتِ كُلَّ هَذَا تَبَرُّمًا^(٤) بِحُجِّي أَرَاكِ لَكَ قَلْبَكَ مِنْ حُجِّي
فَمَا كُفِّتُ الْحُبَّ فَكَانَ كُفْدًا مَا تَصَبَّرْتَ وَمَا هَذَا بِفَعْلٍ شَجِي الْقَلْبِ
وَأَدْنَى فَتَضَمَّنِي فَأَبْدُ طَالِبًا رِضَاهَا فَتَمَشُّدُ التَّيَادُ مِنْ قَنِي
فَتُكْوِلِي تُوْذِيهَا وَسَبْرِي بِسَوْوَهَا وَتَجْرَعُ مِنْ بُسْطِي وَتُفْهِرُ مِنْ قُرِي
فَبَاغُومُ هَلْ مِنْ حَيْثُ تَعْرِفُونَهَا أَعْيَنُوا بِهَا^(٥) وَاسْتَرْجُوا الْأَجَرَ مِنْ رَبِّي

فأترك هنا الشاعر شيئاً من المعاني التي ذكرتها أولاً فيها يلاقى من الحب والبارى إلا فسرها على هذا الترتيب ، فاعرف ذلك .

ومما أخذ على الفرزدق من هذا النحو قوله^(٦) :

(١) المدونة « الأسراء » والآية « ١٢ » وأصلها « اجتمعوا فضلاً من ربكم وانصتوا عبيد الدين والحباب ، وكل قول فصلاهما نصيلاً » .

(٢) السورة « القصص » والآية « ٢٣ » وأصلها « ولعلكم تشكرون » .

(٣) ذكر ليرد هذه الأبيات في الشكلى لأحد الأعراب ج ١ ص ٢٠٠ طبعة دار المطبوعات بالهجرة .
ومعناها الثانية منيرة للهدية القصيدة .

(٤) رواية الشكلى « كل هذا تبرأ » بل ليرد : قوله « كرهها تبرأ » مبهود على كنهه ، قلها قولها :
أشكرتك كل هذا تبرأ » ولو ربح « كذا » لسكان جيداً ، يكون « كل » هنا مبدأً و « يوم » خبره .

(٥) في الشكلى « أعيدوا بها » .

(٦) من كلمة له في قول الطخّاف بن عوف الجيمي أوله « بلدي من ٧٤٩ » .

والسنة وجمع يحسب كتابها لبس الذي أجري إليه ابن خضرم

لقد ضلّت قوماً لو لجأت إليهم طريد دم أو حاملاً تقبل مغرم
لألقيت منهم معطياً أو مطاعاً وراك شسراً بالشويج القوم

لأنه أصاب في التفسير وأخطأ في الترتيب ، وذلك أنه آتى بتفسير ما هو أول في البيت الأول ، ثانياً في البيت الثاني ، وهو قوله : « طريد دم » فقال : (أو مطاعاً) ، وكذلك آتى بتفسير ما هو ثان في البيت الأول أولاً في البيت الثاني ، وهو قوله : (حاملاً تقبل مغرم) فقال : (لألقيت منهم معطياً) والأول أن كان آتى بتفسير ذلك مرتباً ؛ ففسر ما هو أول في البيت الأول بما هو ثان في البيت الثاني ، وما هو ثان في البيت الأول بما هو ثان في البيت الثاني ؛ وذلك لو سلم له الوزن . إلا أن هذا لا كبير عيب فيه . وإنما الأحمق ما أشرنا إليه .

واعلم أن الشاعر إذ آتى بمثل ما آتى به الفرزدق لا يتكرر عليه ذلك ، كما يتكرر على الشاعر ، وذلك أن الشاعر يضطره الوزن والقافية إلى اعتماد غير الواجب في تأليفه ، وتكرر الأول في صناعته ، كما اضطر الوزن والقافية الفرزدق ، فإنه لو أراد أن يأتي بتعريض الصنعة قال :

لقد ضلّت قوماً لو لجأت إليهم طريد دم أو حاملاً تقبل مغرم
« لألقيت منهم مطاعاً بالشويج القوم أو معطياً »

وهذا ما يفسد به الوزن والقافية . وأما الشاعر فإنه لا يضطر إلى مثل ذلك لتصرفه كيف شاء ، ولهذا كان الشاعر مؤثماً بأداء هذه الصناعة أكثر مما يؤاخذ الشاعر ، فاعرف ذلك .
ومما أخذ على الفرزدق قوله أيضاً :

كيف أساو وأنت يحقف وأعمس
وغزالاً لحظاً وردقاً وقدأ^(١)

والأصل في هذا أن قال : ردقاً وقدأ ولحظاً « وأمثال هنا كثيرة » ، فحذفها .
وأما قصاد التفسير في هذا الباب فهو أن يأتي المؤلف بكلام يفسره تفسيراً لا يناسبه ، وذلك عيب لا يسامح فيه بحال من الأحوال كقول بعضهم :

(١) في الأصل « جئت » وهو غير منظم والتصحيح من القروان .

(٢) لم نجد في ديوان شعر الفرزدق جمع عبد الله اسماعيل الصاوي وأثر التوليد طاهر عليه .

فيا أيها الخيران في ظلمة البحر ومن خاف أن يلقاه ينفي من العباد
تعال إليه تلق من نور وجهه ضياء ومن كلفه بحر من الندى

وكن يجب لهذا الشاعر أن يحمل بلاء « نفي من العباد » ما يناسبه من الصعرة أو الازدانة
أو الامانة أو ما جرى هذا المجرى ، ليكون ذلك تفسيراً كما جعل بلاء الظلمة الأشياء ، وفسرها به ،
فأما أن وضع بلاء ما يتخوف منه « بحر من الندى » [فانه] لا يكون تفسيراً له وأمثال
هذا كثيرة ، فلتجسب .

النوع الثاني والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني

في الخطاب بالجملة الفعلية والخطاب بالجملة الاسمية المؤكدة بأن الشدة وتفضيل أحدهما على
الآخر .

وذلك كقولنا « قام زيد » ، و « إن زيدا قائم » قولنا : قام زيد . معناه : الاحبار من زهير
بالقيام . وقولنا : إن زيدا قائم ، معناه : الاحبار عن زيد بالقيام أيضاً . الا أن في الثاني زيادة
كُنُست في الاول ، وهو توكيده بأن الشدة التي من شأنها الالابات لما يأتي بعدها من
الكلام ، فن هذا النحو قوله تعالى : (وإذا لقوا الذين آمنوا قلوا : آمنا وإذا خُسروا إلى
شياطينهم قلوا : إنما تمسك إنما نحن ^(١) مستهزؤون) . فأنهم إنما خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية ،
وشياطينهم بالجملة الاسمية المؤكدة بأن الشدة ، فقلوا : في خطاب المؤمنين (آمنا) ولأخوانهم
(إنما تمسك) لأخبرهم في مخاطبة أخوانهم بما أخبروا به من أنفسهم من الثبات على اعتقاد الكفر
والبعد من أن يلزموا على صدق ورغبة ووفور نشاط ، وكان ذلك متقبلاً منهم ورائجاً عند
إخوانهم . وما قاله للمؤمنين قائماً قاله تكلفاً وإظهاراً للايمان ، خوفاً ومداخلة ، وكانوا يعلمون
أنهم لو قالوه بأوكيد لفظ وأشداء لما راج لهم عند المؤمنين إلا رواجاً ظاهراً لا باطنياً ، ولأنهم
ليس لهم من عقائدهم باعث قوي على النطق في خطاب المؤمنين بذلك ما خاطبوا به إخوانهم ،

(١) السورة : البقرة . والآية : ١٤ .

« إما معكم » وهذه نكت دقيقة والباطل خفية ^(١) لا توجد في نوع من الكلام العربي إلا في القرآن الكريم ، وما أكثر ذلك وأدله في أثناءه وأولفه ! مودعاً في ^(٢) فضوته ، فاعرفه وقس عليه .

الشرح الثاني والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني

في ورود لام التأكيدي في الكلام

ولا يعني ذلك إلا ضرب من المسألة ، وقسمتها في التأليف أنه إذا عبر عن أمر يميز وجوده ، أو يفعل بعظم إعدائه ووقوعه ، جيء بها بحقيقة ذلك ، وشاهدة ، فن هذا الباب قوله عز وجل : « أفرأيتم ما تُحْضَرُونَ ، أأنتم تَرْضَوْنَ أم نحن نَرْضَوْنَ أم نحن نُلْهِمُكَ لِمَ تَعْمَلُونَ ، أفرأيتم الماء الذي يُخْرَجُونَ ، أأنتم تأخذونه من الرِّينِ أم نحن نستخرجُهُ من العُيُونِ ، لو نشاء جملته أنجباً فلولا نشكركون » ^(٣) . ألا ترى كيف أودعت « اللام » في آية الطعوم دون آية الشروب ، وإنما جاءت كذلك لأن جمل الماء العذب ملتحاً أصلياً ليكناً ، والوجود من الماء أكثر من الوجود من الماء العذب ، وكثيراً ما إذا جرت المياه العذبة على الأرض والواحي الصغيرة الثمرة أحلتها في البوححة والبرودة ، فلم يخرج في جمل الماء العذب ملتحاً إلى زيادة تأكيده ، فذلك لم تدخل عليه « لام التأكيدي » الفريدة زيادة لتحقيقه ، وأما الطعوم فإن جملها حطاً لما كان خارجاً عن السداد أو هو غير مأثوف ، وإذا وقع فلا يكون إلا عن سخط شديد ونضب زائد ، تلك قرينة ^(٤) بلام التأكيدي زيادة في تحقيق أمره وتقرير إيجاده وكونه . وهكذا يفعل بكل أمر فيه خصوصية ، فاعرفه .

(١) في الأصل « خفية » وهي من أودع الساج .

(٢) يقال « أودعه الشيء » ضمه المولى ، وفي غير الصحاح « يقال : أودعه ، لا أي ضمه إليه ليكون ودعة مده ، وأودعه مالا أيضاً : ضمه منه ودعة وهو من الأخذ » . وفي الصحاح كثير « أودعت زيدا مالا : ضمته إليه ليكون مده ودعة ... أو أخفته منه ودعة ويكون أقل من الأخذ لكن الفعل في الظاهر أخبر » . وقد استبر « أودع » غير الوجهة فاستجاز المؤلفون استعمال « لي » و « مع » في جملته ، كما استصفا « ورد به » .

(٣) السورة « الواقعة » والآية « ٦٣-٦٠ » . (٤) « تلك » زائدة بعد قوله « لا كان » .

الفرع الثالث والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني

في الانقياد والافراط والتفريط

فأما الانقياد فهو أن يكون الشيء الممتنع في العبارة على حسب ما يقتضيه التعبير عنه في منزلة .

وأما التفريط ، والافراط ، فهو أن يكون الشيء الممتنع في العبارة بخلاف ما يقتضيه منزلة التعبير عنه ، فاما انحطاطاً دونها وهو التفريط ، وإما تجاوزاً عنها ^(١) ، وهو الافراط ، لأن أصل التفريط في وضع القوة من « فرط في الأمر إذا قصر فيه وشبهه » ، وأصل الافراط في وضع القوة من « أفرط في الأمر إذا تجاوز فيه الحد » فالتفريط يجب في الكلام فحسب ، وذلك كقول الأعمش : -

وما نهيته من طيغ القرائ
كجوز غوارية تلتطم ^(٢)
بأجود منه بامومه ^(٣) إذا ما ساء لهم لم نقيم

فإنه قد مدح ملكاً بأنه يجود بامومه ، وللامون هو كل ما يستمر من فؤود أو قصم أو قدر أو ما أشبه ذلك . وليس الملك في بدله مدح البتة ^(٤) ، بل هو ال الذي أقرب منه الى المدح ، فهذا من أجبج التفريط .

(١) قال الموهبي في الصحاح : « تجاوزت الشيء أي غيرة وتجاوزته يعني أي جاز » ، وتجاوز الله عنه أي عفا ، وكذلك ما في الصحاح للمدح : « وحوزت الشيء ، وتجاوزته : قصيته وتجاوزت من الشيء : غنوت عنه وصنعت » ، ومنه يعلم أن المؤلف لم يسم « تجاوز » الذي هو بمعنى الطرد والصلح بمعنى الجواز وليس ذلك بصحيح .

(٢) من قصيدة يمدح بها لیس بن معدي كرب مخطئاً :

أنهر عتبة أم لم أم الملق واه بها منجم ؟ ؟

« ديوان الأعمش والأشعث الأخرين » ص ٢٤ - ٢٥ .

(٣) في البرهان ص ٣٦ : « أجود منه بك عطفه » ، وفي الترخ : « روى أبو حنيفة : بامومه وعن اللامون في الصحاح : كل عتبة » وهي رواية لبرون لا يصح لأشعث على المؤلف . وفي مختار الصحاح : « لامون : اسم صبي كان لبنت كافر وعاصي ومهوها . ولانون أيضاً : لبيد ، واللامون أيضاً : السامة ، وقوله تال « ولانون لامون » « أي أبو حنيفة : اللامون في المعطية كل عطسة وعطية ، وفي الاسلام : السامة والركبة »

ومن هذا الباب قول أبي تمام :

ما زال يهتدي بالكلام والتملا ^(١) حتى مننتنا أنته نحوم ^(٢)
فيه أراء أن يدافع في ذكر المدوح بالمرج بالكوم ^(٣) والتملا - عدل - ما زال يهتدي -
ولا أعلم ما كانت حال أبي تمام - عند قوله هذا البيت - ولا أعلم أي أمر اضطره إليه - مع سعة
جمال العربية - واتصاح مدحا ؟ أتم ما كفا ذلك - حتى قال : « خلت أنه محوم » وعلى نحو
من ذلك - قول بعضهم :

وتلقته عند الكلام رهرة ^(٤) كالانفض اليهود من أم مسلم ^(٥)
ومن أقبح ما رأيت في هذا الفن ، قول أبي تمام :
أنت كدو وذو الشاح أبو مسو ^(٦) من قلب ، وأنت دلو القليبير ^(٧)
وتمراد أبي تمام من ذلك - أنه سب لعداء الشار إليه - كما أن المدح سب في امتياع الماء من
القلب . فهذا وأمثاله - مما لا يجوز استعماله - وإن كان المعنى المقصود به حسنا . ولهذا كانت
المدح ألفاظا ، لا يجوز استعمالها في الذم ، والذم ألفاظا لا يجوز استعمالها في المدح ، ألا ترى أن
من المعاني ما يعبر عنه بالألفاظ متعددة - ويكون المعنى للندرج تحتها واحداً ؟ فمن الألفاظ
ما يحسن استعماله في المدح - ومنها ما لا يحسن استعماله في الذم - ولو كان هذا الأمر يرجع إلى
المعنى فقط لكانت جميع الألفاظ المأثمة عليه شراً ^(٨) سواء في الاستعمال - وإنما هذا يعود
فيه إلى العرف - دون الأصل . ولنضرب لذلك مثلاً - فنقول : هل يجوز أن يخاطب الملك -

(١) من تحبته له يخرج بها أبو الحسن محمد بن طهيم بن شبلة أولها :

أشلى طولهم أجنس عزم - وفصحت عابهم بحسرة وعزم

فهرول - من ٨٥٢٩٦ - شبة محمد هي سبيح و - ج ١ ص ٢٩٩ - شبة هي - من الجار

(٢) في الأصل - فالرج والكلام - وهو غير متسق . (٣) أم مسلم : أخرى .

(٤) لم يلق على هذا البيت في النيران ولله اسليفل به قوله :

لم أرل يرد الجوانح مسد خف - فخصت دلو في - ذلك القلب

- لعيون من ٣٢ -

(٥) أي أنال وأصبها .

يقال له « وحق دماغك » ، قياساً على أن يقال له « وحق رأسك » ؟ ، فإن هذا مما لا يخفى
أحد البنية . ألا ترى أن المؤلف « هنا أراد الفح » ذكر الرأس والقامة والكتف وما جرى هذا
الجرى « وهنا أراد المجرى » ذكر الدماغ واقفاً والنسأل « وما جرى هذا الجرى » ، وإن كانت
معاني الجميع متطابقة . ولا أجل ذلك حسنت العسكينة في الوضع الذي يتبع فيه التصريح .
وأدلل هذا الضرب من الكلام كثيرة « فعرّفه .

وأما الإعراف « فهو بمنزلة ما روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وذلك أن رجلاً جاءه «
فكلمه فقال « ما شاء الله وشئت » ، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « أجمعتي لله
يندا » ؟ قل « ما شاء الله وحده » « ومن هذا الباب قول عنترة :

وأنا للنية « في الواطن كلها والطعن « من سائق الأجل
فإن الطعن « لا بسبب الأجل « إذ الأجل لا يتقدم ولا يتأخر . وقد قيل « سائق » أقرب
أمرأ من كونه تالياً « غير أن كليهما إعراف في القول . ومما جاء على نحو من هذا قول بشر^(١) .
إذا ما قطببها^(٢) رقتببها^(٣) قطرية

هتكتنا حجاب الشمس أو قطرت^(٤) دما
وقال أبو عثمان الجاحظ في كتاب الحيوان^(٥) « لم تعلم أحد أسرف^(٦) في القول كالتأبنة

(١) في الأمازي « ج ٣ ص ١٦٢ » طبعة دار الكتب المصرية .

(٢) قطبة (بكسر التين) مصدر حياء « وهو على وزن « فله » بكسر التاء وتسكين التين » . وقد
ميطه لجنة التصحيح في دار الكتب المصرية بفتح التين وذلك خطأ . وكذلك في « المختار من شعر
بشار » ص ١٦٣ .

(٣) في الأمازي « أو قطر الدما » وفي المختار « أو قطرت دما » .

(٤) في « الحيوان » ج ٦ ص ٣٢٤ من طبعة عبد السلام هارون « ولا علم أحد منهم (من شعراء)
أسرف في هذا القول وقال قولاً يرغب عنه إلا الشيلة منه قال :

جوانح قد أيقن أن قبلة إذا ما تلقى الجمعان أول غالب

وهنا لا شبهة ، وليس عند النحوي والسامع في إخراج الجروع ، إلا ما يسلط من دكايم ودوابهم وتوقع القتل
إذا كانوا قد رأوا من تلك الجروع مرة أو مراراً . فإد أن قصد التأنيق أو التيقن إلى أحد الجمعين فهنا لم
يجه أحد » .

(٥) في الأصل « أسرف » والتصحيح من كتاب الحيوان .

حيث يقول :

إذا ما غزا بالبحر حلق فوقه « صائب طخير كعشتدي بمصائب
جوانح قد أغنى أن قبيلة إذا ما التقى الجبلان أول غالب

لأنه ليس عند الغلبور في اتباع الجروع والساكر إلا ما يستقط من ركابهم وذوابهم إذ كانوا قد رأوا ذلك من تلك الجروع ، والقوة ^(١) منها ، فأما أن يقصدوا بالأمل واليقين لأحد ^(٢) الجوعين بالإقامة والنزلة فهذا لم يقفه أحد . وقيل إن بعض أفراد هذه السنائة لما سمع قول قيس ابن الخطيم .

ملككت بها كفي فأنصرت ففخها يرى قائم من دونها ما وراءها ^(٣)
قال : هذا لم يطعنه وإنما فتح فيه إلا أو دريا .

والمع أن علماء البيان في استعمال الافتراض على ثلاثة أشرب :

(١) قنهم من يذكره ولا يراه صواباً كأي غيان الجاحظ فيما روي عنه .

(٢) ومنهم من يختاره ويؤثر كقدامة بن جعفر الكاتب فإنه كان يقول :

« القلو عتدي كان أجود المذهبين فإن أحسن الشعر أ كذبه ^(٤) » .

(٣) ومنهم من يذهب إلى المتوسط بين القلو والافتراض وهو الاقتصاد ، وذلك أن

يعمل القلو وهو الافتراض مثلاً ثم يستبدل فيه « (لو) أو « (كاد) أو ما جرى ههنا المجري »

فيدرك مراده ويسلم من عيب قالب ، أو طعن طاعن ، وذلك كقول بعضهم :

يكاد يحسكه عروغاً راحتته « كن الخطيم إذا ما جاء يستقي

(١) في الأصل « والقوة » والتصحيح من المجلد .

(٢) في الأصل « لأجل » والتصحيح منه .

(٣) في صحاح الجوهري « وأنهرت الدم أي أسبلته وأنهرت الغنة أي وسعها قال ابن الخطيم ملككت بها كفي فأنهرت عنها . » .

(٤) قال ابن خلكان في ترجمة « أبي علي دبيل بن علي المزاحي » « أنه قال « من فصل الشعر أنه لم يكديه أحد قط إلا أجوده إنسان إلا الشاعر « كما زاد كذبه زاد للروح له ثم لا يقع بذلك حتى يقال له : أحدث وأجود . فلا يشك له شاة زور إلا ومعياء غير بقية عدل » . « ج ١ ص ١٩٤ » طبعة بلاد العجم .

وكقول أبي عبيدة البحتري :

ولو أنَّ مختلفاً تكلف فوق ما
في وسعٍ لسمى اليك الذبح ^(١)
وهذا الذهب المتوسط أئنيق المذهب الثلاثة ، وأدخلها في الصنعة ، فاعرفه .

الشعر المصراع والعشرون من الباب المزدول من الفصح الثاني

في الماطلة

وهو نوع من التأليف يجب اجتنابه ؛ لأنه يوجب في الكلام فحش . وأصل الماطلة في اللغة ؛ من ماطلت الجرادتان ؛ إذا ركبت إحداهما الأخرى ، فسمى [تأليف] الكلام الذي تداخلت معانيه ، وركب بعضها فوق بعض ، الماطلة ، مأخوفاً من ذلك وهو اسم لائق بمسماه . ووصف عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - زهير بن أبي سلمى فقال : « كان لا يفاضل بين الكلام » .

واعلم أن هذا الباب يجب تدبره لاختلاف أهل هذه الصناعة فيه ، فقال قتادة :
الماطل ^(٢) ؛ تداخل بعض الكلام فيما ليس من جيسه ، ولا أعرف ذلك إلا فحش الاستعارة كقول أوس ^(٣) بن حجر :

وفات يهدم ملجأ نواشرها
نصمت بالآية توكلاً جيداً ^(٤)

(١) الديوان ؛ ج ١ ص ١٨ ؛ طبعة رزق الله سرخس بيروت .

(٢) أنظر كتاب « نقد النثر » ص ٦٩ ؛ « طبعة الجوانب » ، وخشية دكن البائر ؛ ج ٢٩٣ : ٩٠ .

(٣) البيت من قصيدة للشاعر يرثي بها أخاه بن كعدة ، « النظر قبل المثل » ص ٣٨ طبعة دار الكتب المصرية . وأولها :

أيتها النفس أعني جرحاً
إن الذي تحزين قد وهما

والقدم يكسر ضكون (الخاف من التياب ، وشواشر : عروض طائر السكب ، والنصمت نسكت ، والجذع قطع الجذع وكسر الخال ؛ نسي : الغناء .

(٤) قال الجوهري في الصحاح ؛ وصي جمع ؛ من : انصد ، وقد صدع بالكسر جعداً وأجعدته أنا ؛ أصابت غداً قال أوس بن حجر « وفات يوم دار نواشرها . . . » .

فسمى النبي ^(١) «توبة» والتوب؛ وله الخبر. هذا ما ذكره قدامة «وهو خطأ»
 لأنه تركن ما ذهب إليه صحبته «لكن أصل الماعلة» في وضع لفظة دخول النبي بها ليس
 من جسد. وليس أصلها في وضع اللفظة كذلك بل هو التدخل والتراكب.
 وهذا المثال الذي مثل به قدامة لا ساحل في معارضة ولا تراكب، وإنما هو استعارة فاحشة
 قطعاً، فوجب حذر أن لا يسمى «ماعلة» لأن حقيقة الماعلة ليست موجودة فيه.
 وأما جماعة الأصحاب من علماء البيان، فلو لم خالفوا قدامة فيما ذهب إليه، والحق في
 أيديهم، لا يتبعهم في ذلك حقيقة هذا الاسم، الذي وضع له في أصل اللفظة.
 وقد مثله القاضي بقول المرزوقي:

وما يشبه في الناس إلا مملوكاً أبو أمّسوح أبيه بقاويه ^(٢)

وهذا مثل حسن لوقوعه على ما مثل به، ألا ترى إلى تدخل معاني هذا البيت بتقديم
 ما كان يجب تأخير، وتأخير ما كان يجب تقديمه؟ لأن الأصل في معنى هذا البيت «وما
 مثله في الناس حي بقاويه، إلا مملوكاً، أبو أمّسوح».
 واعلم أن هذا الذي أشرنا إليه من الماعلة يأتيه التقديم والتأخير، وقد سبق ذكره في
 كتابنا هذا. إلا أن الماعلة قد جعل لها أهل هذه الصناعة باباً مفرداً في كتبهم، فلم نر
 هذا في هذا القصر، لذلك رأينا حقيقتها في بابها وأشرنا إليها بأوضح إشارة وأخطأنا ليعرف
 موضعها من التأليف.

(١) في الأصل «الحي» والصحيح من الزايم الأولية.

(٢) من قصيدة المرزوقي مدح بها إبراهيم بن هشام بن اسماعيل الخزاعي حال هشام بن عبد الملك بن
 مبروك، قال أبو العباس ليورد في التكميل «١ : ٢٩ = ٣» مبدية التولوي «بني باللفظ مطلقاً». أبو
 أمّسوح المثلث : أبو عبد المدوح. ولو كان اسمهم على وجهه لكان قبيحاً وكان يكون إذا وضع السكّام
 في «وصفه» يقول «وما مثله في الناس حي بقاويه» لا يملكت «أبو أمّسوح» المثلث أبو عبد المدوح «قال
 على أنه حاله بيت المصطفى الجيد وعينه لا أوقع فيه من تقدم والتأخير» هو كحل هذا الشعر لم يجمع في صدر
 رجل واحد قولاً!

سرم من ود بكر بن واثق
 ودم حقد من ودم يصبر
 نورس تأمسي فيهم ووسا
 وقد يعلو الفخر لآله فيهم

الفرع الخامس والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني

في التضمين

وهو مما يزعمون به الكلامُ حلاوةً ، ويكتسب به روحاً وحلاوةً ، ولا سيما إذا كان التضمين بآيات من القرآن الكريم فإنها تكون في الكلام كالشاهدة له ، والتأدية على سبيله .
واعلم أن التضمين على ضربين : أحدهما ، تضمين الاستناد وذلك يقع في بيتين من الشعر وهما من الكلام المتصور ، على أن يكون الأول مسنداً إلى الثاني ، فلا قوم الأول بنفسه ، ولا يتم معناه إلا بالثاني . فها جاء من ذلك قول بعضهم :

ومن البلى التي لا . . . من لها في الناس كُفَّةٌ
أن من يهرب شيئاً يسدني أكثر مني
ألا ترى أن البيت الأول لم يتم بنفسه ولا تم معناه إلا بالبيت الثاني ؟ ويحوز أن يكون البيت الثاني لنير قائل البيت الأول كقول بعضهم :

ولما أتاني من رحاك تحيةٌ تشوُّعٌ من أمتائها المسك والندُ
وقفتُ فأعجبْتُ الرسولَ تسالماً وأنتدته بيتاً له للثلث الفردُ
« وحدتني يا سعدُ عنهم فزدني جلوتاً فزدني من حديثك يا سعدُ »
وأمثال هذا الضرب من الكلام كثيرة ، فذكرها .

الضرب الآخر من التضمين : وهو أن يضمّن الشاعر شعره : أو التأثير ثمره ، بكلام^(١) لغيره قصداً للاستعانة^(٢) على إتمام المراد ، وأنا كيداً لمعناه ، ولو لم يذكر ذلك التضمين لكان للمعنى صحيحاً لا يحتاج إلى تمام . وربما ضمّن^(٣) الشاعر شعره بنصف بيت أو أقل منه كما قال

(١) في هذا الصراح « وكل شيء جده في وفاء قصيد ضمت إليه ، والقصن من الشعر ، ضمت بيتاً والقصن من البيت ما لا يتم معناه إلا بمضي بقية » وهذا يعلم أن المؤلف قد حاول التوسيع في تعديته « ضمن » إلى مضمونه الثاني وإليه .

(٢) في الأصل « للاستعانة » والتصحيف من لحن الشعر « ج ٢ ص ٣٤٤ » .

ثم فسقنيها يا مُسْلِمُ ، ولغني
ألا ترى أنه لو لم يقل في هذا البيت :

ذهب الدين يمش في أكثافهم

إسكان للمنى صحيحاً لا يقتصر إلى شيء آخر يسمعه ؟ فإن قوله :

ثم فسقنيها يا مُسْلِمُ ، ولغني

فيه كفاية ، إذ لا حاجة إلى تعيين الذنأ أي شيء هو ، لأن في ذلك زيادة على المعنى الفهم
لا على الفرض المقصود . وقد استعمل هذا الضرب كثيراً الططيب ، بعد الرحيم بن نباتة
كقوله في بعض خطبه : « فيا أيها الغفلة الطرقتون ، أما أنتم بهذا الحديث مصدقون ؟ ما لكم
منه لا تشفقون ؟؟ قورب السماء والأرض إنه طعن مثل ما أنكم تشفقون » (١) .

وكقوله في ذكر يوم القيامة : « فيومئذ نفث الملائكة على الله جهنماً ، فيحاسبهم على
ما أحاط به علماً ، ويُنفذ في كل عامل بعمله كحكماً ، وَنَفَثَ الرُّجُودُ لِلْحَيِّ الْقِيُومِ » ، وقد نسب

(١) يفتح الميم وسكون الميم والهمزة وفتح الميم وبعدها هاء ، وهي صفة من في عينه ثوبه كثير ،
وهو لقب أبي الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكي النديم الأديب المعروف الشاعر النجم
الرواية التي القليوبي ، له نسخة كتب في عدة فنون ، وله سنة ٢٢٤ هـ وتوفي سنة ٣٢٤ أو ٣٢٦ هـ
د تاريخ علماء الخطيب ج ١ ص ٦٥ ، وبعده الأديب ج ١ ص ٣٨٣ طبعة من مخطوطات ، والوفيات
ج ١ ص ٤٣ طبعة بلاد العجم .

(٢) أحد أبيات ثلاثة من :

أصبحت بين منائر هجروا الذي	وعلموا الأطلال من أسلافهم
نوم أطاول تولم فسكتها	حاولت تنف الشعر من آفاتهم
عانت أسفنيها والكبير ولغني	ذهب الدين يمش في أكثافهم

ولنظر الثاني فيه بن ربيعة وهو صدر بيت له ، هو :

ذهب الدين يمش في أكثافهم

وبعث في خلف كبد الأجرم

و الوفيات ١ : ٤٣ .

(٣) السورة « القارعة » ، الآية ٦٣ .

من حل طائفة^(١) . ألا ترى إلى مراعاة هذا التضمين ، الذي كانه رُصِعَ^(٢) في هذا للوضع رُصْعاً !!
وكذلك قوله في ذكر يوم القيامة . « هاتك يقع الحساب على ما أحصاه الله كتاباً » وتكون
الأعمال المشوبة بالتفاسد تسرا . يوم تقوم الروح واللائكة صفاء . لا يتكلمون إلا من أذن
له الرحمن وقال سمواً^(٣) .

وعلى نحو من ذلك جاء قوله : « أسكنهم » والله « الذي أطلقهم » وأيدهم الذي خلقهم ،
وسبجهم كما أخلقهم ، وبمهمهم كما فرقهم « يومَ يُعبد الله المألين خلقاً جديداً » ويجعل
الظالمين لئار جهنم وقوداً « يوم تكونون شهداء على الناس » ويكون الرسول عليكم شهيداً^(٤) .
يومَ تُجد كل نفس ما عملت من خير أو ضرر « وما حملت من سوء قوداً لو أن بينها
وبهتة أبداً بعيداً »^(٥) . وكقوله في صفوة أهل الجنة : « قد أنسوا بجزوار الجبار » وكوشفوا
بحقائق الأسرار « وتبوؤا منازل الشهداء والأبرار » واللائكة يدخُلون^(٦) عليهم من
كل باب^(٧) ، سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعيمٌ عقبى الدار^(٨) .

وعلى هذا النهج ورد قوله في ذكر القيامة « هناك يرفع الحجاب » ويوضع الكتاب ،
ويجمع من وجب له الثواب « ومن حق عليه العقاب » فضرِبَ بينهم سُورُهُ « ياباً باطله
فيه الزحمة وظاهره فيه من قبله المذاب »^(٩) .

وأمدل هذه التضمينات في الخطب التي للشيخ عبد الرحيم^(١٠) كثيرة ، فاعرفها ، فهي من

(١) السورة « طه » الآية « ١١١ » .

(٢) في الأصل « وضع » ولا يجد القراءة « بدل » رصيع « نشر » كمرج ، وصفاً كمرج أي لحن
به .

(٣) السورة « الباء » الآية « ٣٨ » . (٤) السورة « البقرة » الآية « ١٤٣ » .

(٥) السورة « آل عمران » الآية « ٣٠ » .

(٦) في الأصل « يدخلونها » وفي الآية « يدخلون » .

(٧) السورة « الزمر » الآية « ٢٣ - ٢٤ » .

(٨) السورة « الحديد » الآية « ١٣ » .

(٩) الحزب الذين عبد الحيد بن أبي المعدي للعناني كلام جيد في خطاب ابن تيمية هذا عبده في : « شرح

نوح البلاغة » ج ١ ص ١٤٦ وح ٩ ص ٢٢٣ .

الحب ما يحب . في هذا الباب .

الفرع السادس والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني في الاستدراج

وهو التوصل إلى وصول الترض من الخطاب ، واللافتة له في بلوغ الذي المقصود ، من حيث لا يشعر به ، وفي ذلك من الفرائب ، والدقائق ما يوثق السامع ، ويظهره ^(١) ، لأن مبنى صناعة التأليف عليه ، ومشاها منه ، فما جاء من هذا الباب ، قوله تعالى : « وأذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً » ، إذ قال لأبيه : يا أبتِ لم تعبدُ ما لا يسمعُ ، ولا يُبصرُ ، ولا يُشفي عنك شيئاً ، يا أبتِ بني قد جئني من العلم ما لم يَأْلُك ، فأتبعني فعدوك صراطاً سويّاً ، يا أبتِ لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان لرجحاً محضياً ، يا أبتِ إني أخافُ أن يسئلك عذابُ من الرحمن ، فتكون لشيطاناً ولياً ^(٢) . هذا كلام ، يبرز أعطف السامع ، ويهيج نفوس التأملين ، فمليك ، أيها المترشح لهذه الصناعة ، باعسان النظر في مطاوعه ، وترداد الفكر في أمثاله ، واتخاذة قدوةً ونهجاً تنفيه ، ألا ترى حين أراد إبراهيم ، أن يوضح ^(٣) أهله ، ويضله بما كان متورطاً فيه ، من لطيف الطليم ، الذي عمى به أمر العقل ، كيف رتب الكلام معه ، في أحسن انطاق وانتظام ، مع استعمال المجازة ، والاعطف ، واللين ، والأدب الجليل ، والخلق الحسن !! مستصحباً في ذلك بتعبئة ربه ، وذلك أنه طلب منه أولاً التلة في خطبته طلب منبته على قناريه ، مُوقظ (له) لافترائه (في غفلة) وتناهيه ، لأن العبود لو كان حياً ، متميزاً ، حسيماً بصيراً ، مقتدرّاً على الثواب ، والعقاب ، إلا أنه بعض المطلق ، لا يستخف ^(٤) عقل من أعنته للعبادة ، ووصفه بالربوبية ، ولو كان أشرف الخلق ، كالأشكة ، والنبيين فكيف لن جعل العبود جهاداً ، لا يسمع ، ولا يبصر ، ثم تلى ذلك بدعوته إلى الحق ، مترقياً به ، متطلماً ، فلم يُسمِ أهله بالجهل المطلق ، ولا تسميته بالعلم الدقيق . ولكنه قال : « إني معي

(١) كلما ورد بليد ، ومنه الاطراب وفيه بعد . (٢) السورة « صرح » والآية « ١٦ » - . . .

(٣) في هذا الصراح « سمع » ونصح له يوضح بالفتح فيها نفعاً ، وساحت ، بالفتح وهو اللام الأصح

قال ابن تلي : وأصح لسم . (٤) في أصل الشرح ج ٢ ص ٢٠ . . . لفظ . .

لطائف^(١) من العلم ، وثبتاً منه . وذلك علم الدلالة على الطريق السوي . فلا تشكك ، وهب
 أني^(٢) وإياك في مسير ، وعندي معرفة بالهداية دونك ، فأتبعني أجبك من أن تشك وتنته .
 ثم قلت ذلك بشيطة ونبيه مما كان عليه ، بأن الشيطان الذي استمعني على ربك الرحمن ، الذي
 يجيع ما عندك من النعم من عنده ، وهو عدوك وعدو أهلك آدم ، هو الذي زككك في هذه
 الورطة ، وأثارك في هذه الضلالة . إلا أن إبراهيم — عليه السلام — لامعته في الاخلاص ،
 لم يذكر من جنابني الشيطان ، إلا التي تخلص منها بالله — عز وجل — : «صيانة»
 واستكباره^(٣) . ولم يلتفت إلى ذكر معادته لأدم — عليه السلام — وذريته . ثم رجع
 ذلك بخوفه سوء العاقبة وما يُنتج عليه من الزوال . ولم يحل هذا الكلام من حسن أدب ،
 بحيث لم يصرح بأن العقاب لارحن لا بيه ولكن قال «إني أخاف أن يمسك عذاب» فذكر
 الطوفان والنار إعطالاً لها ، ونكر العذاب^(٤) ، وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة

- (١) لفتح السائر ج ٢ ص ٧٠ : «لطائف» وهي في كتاب أولي من آله جم «لطيفة» وهي
 لطيفة التي تصدر عن ذهن وهاد والتكلم مستجد .
 (٢) قال الحريري في «درر القوس في أوهام الخواص» :
 «يقولون : هب أي صحت ، وهب أي عقل . والقصاب : هي طعت وهب فصيل . كما في قول عروة
 ابن أذية :

إذا وجدت أوار الحب في كبدي أقبلت نحو سقاء الخوم أبعد
 هي برحت يرد إليه طاعره من ناز على الأمتاء تفقد ؟

وهب : عقل غير متصرف بحسب حد واجب . قال شهاب الدين محمد الخوسي «هب» هي «مثلا
 «عندي» واسمي «وبه على ما قال ابن بري أنه إذا كان بضم «حب» وهو مما يعنى إلى معنويات
 كسائر أصناف «حب» علم «جاز أن يدخل من «أن» ومما يليها فبدان منه بقوله كما في آخره ، على
 أنه قد سمع ذلك بلا ضم ما أنكره قبله واستنبطه ، وفي الخبر : هب بضم طاء «قال تعبه ان صرح
 القبول كقول» :

فلت أجرني أيا حد ولا فوسني امرأاً هالكا

ووقعه على «أن» وصلتها بضم من روى الحريري أن قول الخواص «هب أن زيدا فم» لمن ،
 وهب من قول القائل أي نصر — ر م — في الناقة الشهيرة بالسرقة والحلوة والخبيرة «هب أن
 أيا كان حراً» وفي رواية «كان حبراً» .

(٣) في لفتح السائر «وهي عنيته»

(٤) في الأصل «العقاب» وهو من سبق ثم التلخ .

أشباعه ، أكبر من العذاب ، وسدّ كل نصيحة من النصائح الأربع بقوله : « يا أبت »
 توسلاً إليه واستعطافاً ، فقال له في الجواب « قل أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم ! لين لم
 نَسْتَعْرِ لا وَنُجَنِّدَكَ وَاجْهَرَنِي سَلْبًا »^(١) .

ألا ترى كيف أقبل عليه الشيخ ، بمطاعة الكفر ، وفكّط الضاد ، فسادله باسمه ولم يقابل
 قوله « يا أبت » بـ « يا بني » ؟ وقدم الطر على الابتداء في قوله : « أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم »
 لأنه كان أهمّ عنده وفيه غروب من التعجب والافتكار ، لرغبة إبراهيم عن آلهته وأن آلهته
 لا ينبغي أن يرغب أحد عنها .

ومن هذا الباب ، قوله تعالى : « قال رجل مؤمنٌ من آل فرعون يكتمُ إيمانه : أتعتقدون
 رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ، وإن يك كاذباً فعليه كذابه » ، وإن
 يك صادقاً يُصِبْكم بعض الذي يعدكم . إن الله لا يهدي من هو مُسْرِفٌ كَذِبٌ »^(٢) « ألا ترى
 ما أحسن ما أخذ هذا الكلام وألفق مفزاه ؟ فإنه أخذهم بالاحتجاج على طريقة التفسير فقال :
 لا يخفى هذا الرجل من أن يكون كاذباً ، « كذبه » يعود عليه ولا يخطأه ، أو يكون صادقاً
 فيصيبكم بعض ما يعدكم إن تمسّم له . وفي هذا الكلام من حسن الأدب والاتصاف
 ما أذكركم له ، أيها للتأمل ، فنقول : إنما قال « يُصِبْكم بعض الذي يعدكم » وقد علم أنه نبي
 صادق وأن كل ما يهدى به ، لا بدّ من أن يصيبهم (كلامه) لأنه لا يضلّه ، لأنه احتاج في مقابلة خصوم
 موسى أن يسلط معهم طريق الاتصاف والملاطفة في القول ، وبأنهم من جهة المناصحة ، جاء بما
 علم أنه أقرب إلى تسليمهم لقوله ، وأدخل في تعديدهم له ، « وتوبلهم منه » فقال « وإن يك
 صادقاً يُصِبْكم بعض الذي يعدكم » . وهو كلام التمسّك في مقابلة غير الشكّ عليه ؛ وذلك أنه حين
 فرضه صادقاً فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يُعدّ به ، ولكنه أودعه بقوله : « يُصِبْكم بعض
 الذي يعدكم » ليَهْضِمَهُ بعض حقه في ظاهر الكلام ، فَيُفْهِمُ أنه ليس بكلام من أعطاه

(١) السورة : مريم ، الآية : ٤٦ .

(٢) السورة : مفر ، الآية : ٢٥ .

حقه وإفياً ، فضلاً عن ^(١) أن يمتصّب له . وتقديم الكاذب على الصادق من (هذا) القليل ، وكذلك قوله تعالى : « إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب » أي لو كان مسرفاً كذاباً لما هداه للنبوّة ولا عبده بالعبادات .

فتدبر أيها المتأمل هذه الدقائق العظيمة تضع يدك على اللقط في صناعة التأليف .

النوع السابع والعشرون من «باب المأول» من «الغنى الثاني»

في الإحصاء

وهو نوع من أنواع علم البيان ، الطيف المأخذ ، دقيق الصنعة . وذلك أن تبين الشاعر البيت على غاية قد أوصدها له أي أعدها في غنسه ، فإذا أشد صدر البيت حرف ما يأتي به في قافيته ؟ وذلك من محاسن التأليف ، لأن خير الكلام ما دلّ بعبء على بصر . وفي هذه الصناعة يقول ابن نباتة :

خذا إذا أشتدّتْ لظهور من كَرَبٍ سدودها عرفت منها فوائدُها
يَسْمَى لها الرَّاكِبُ السَّجَّالان حاجتهُ ويَصْبِحُ الحاسدُ النسيان يُطربُها
فإن هذا الباب قول النابغة :

لقداء لأمرى حارث إليه بصفرة رجا نهي^(٢) وغلي

(١) في الأصل « فضلاً من » والصحيح من مثل حسان ومن كلام العرب المأزوت ، قال الجوهري في الصياح الكبير « ولولم : لا يهلك جرهما فضلاً من ديار وشبهه ، معناه : لا يهلك جرهما ولا دياراً وعدم ملكه للديار أول بالاعتد ، وكأنه قال : لا يهلك جرهما فكيف يهلك دياراً . واتصافه على الصدر ، والتقدير فقد ملك جرماً قدما يفضل من فقد ملك ديار . قال طيب التبريزي في شرح الفلاح : أعلم أن فضلاً يستعمل في موضع يستعمل فيه الأدنى وبراء به استعماله ما فوقه ولهذا يقع بين كلتين متعاري المعنى وأكثر استعماله أن يهيء بعد نهي . قال شيخنا أبو عيان الأندلسي ترويل مصر المحروسة — أياء الله تعالى — : ولم أظفر بغير من أن مثل هذا التركيب من كلام العرب . وبسط القول في هذه المسألة وهو قريب مما تقدم . »

(٢) « الجوهري من كلمة تشابة يمدح بها النعمان بن النضر وأولها :

أمن حلاصة الحسن البجلي يبرغض المحي لك وغلي

« الجوهري من ٩٩ طبعة مطبعة المطبعة بخبر سنة ١٩٩٠ » .

ولو كلفني الجحيم^(١) بذلك خوفاً لأفترقت الجحيم من الشمال
ألا ترى أنه كَيْدٌ ، إذا عرفت النافذة في البيت الأول ، أن في البيت الثاني يكون ذكرُ
الشمال .

وقال البحرني :

أحلت دمي من غير مجرم وحرمت^(٢) بلا سب يوم اللقاء كلامي
فليس الذي يحتلني يحطلي وليس الذي حرمتني بحراري
فليس يذهب على السامع وقد عرف البيت الأول ، والصراع الأول من البيت الثاني منه
[أن مجرم هو^(٣) ما] قاله البحرني ، فاعرف ذلك ، وقس عليه .

ومن هذا الأسلوب قوله تعالى : « وما كان الناس إلا أئمةً واحدةً فاختلقوا ، ففلا كلمةٌ
كُتِبَتْ من ربك تحضي بينهم فيما فيه يختلفون^(٤) » . فإذا وقف السامع على قوله « فيما فيه »
عرف أن بعده « يختلفون » لما تقدم من الدلالة عليه .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : « ومنهم من خَسَفَ به الأرض ، ومنهم من أفرقنا ،
وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون^(٥) » . وعلى نحو منته ورد قوله — من
من قار — « كتلت العنكبوت انتخفت يئساً ، وإن أوهن البيوت كُتِبَتْ
العنكبوت^(٦) » فإذا وقف السامع على قوله : (وإن أوهن البيوت) يعلم أن بعده « كُتِبَتْ
العنكبوت » .

(١) في الأصل : جحيم ، والصحيح من ضروري .

(٢) في الأصل : وحلت ، وهو من سبق لم السامع .

(٣) زيادة من لكل المائر يخصها الثاني .

(٤) السورة : يونس ، والآية : ١٦ .

(٥) السورة : العنكبوت ، والآية : ١٠ .

(٦) السورة : العنكبوت ، والآية : ١٦ . وهو : مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء ، كتلت العنكبوت
انتخفت بها وإن أوهن البيوت بيت العنكبوت .

وأمثال هذا كثيرة فاعرفها : إلا أن أبا هلال^(١) المسكري قد سمى هذا النوع « التوشيح » ، وليس كذلك لأن تسميته : « الارصاد » أول ، وذلك حيث تأعب الاسم سبأ ولائق به . وأما « التوشيح » فهو نوع آخر من التأليف وسأني ذكره في بابيه .

واعلم أنه قد اختلف أبواب هذه الصناعة في تسمية أنواع علم البيان ، حتى إن أحدهم يضع نوع واحد اسمين ، اعتقاداً منه أن ذلك النوع نوعان مختلفان ، وليس الأمر كما وقع له بل هما نوع واحد . فمن قبل ذلك « الثاني »^(٢) فإنه ذكر في كتابه باباً من أبواب علم البيان وسماه « التبليغ » وهو أن يأتي الشاعر بالمر في البيت قلماً من غير أن يكون للذاتية فيها ذكر صريح ، ثم يأتي بها لحاجة الشعر إليها حتى يتم وزنه ، فيبلغ بذلك الذاتية القصوى^(٣) [في المبردة] ، كقول امرئ القيس : —

كأن عيون الوحش حول خيانتها وأرجلها الجزع الذي لم يُتَقَسَّر^(٤)

فانه قد آتى بالبيت كاملاً^(٥) قبل القافية ثم لما جاء بها ، بلغ بها الأمد الأقصى في التأكيد . ثم إنه ذكر بعد هذا السبب باباً آخر وسماه « الانشباع » فقال : هو أن يأتي الشاعر بالبيت معلقاً بالقافية على آخر أجزائه ، ولا يسكو بقول ذلك إلا حذائق الشعراء ، وذلك أن الشاعر إذا كان بارعاً جلب بقدرته ودكائه وفطنته إلى البيت ، وقد تمت معانيه واستغنى من المبردة فيه ، قافية متشعبة لأحاريطه ووزنه ، فجعلها متناً للذكور ، كقول ذي الرمة : —

قف العيس من أطلال مية قاسأل^(٦) وسوماً كأحلاق الرءاء السلسل^(٧)

(١) انظر حاشية ص ٢ من هذا الكتاب . (٢) انظر حاشية ص ٢ من هذا الكتاب .

(٣) زيادة لمصاح من اللؤلؤ المأثر ، ج ٢ ص ٣٠٠ .

(٤) المزع : بفتح الجيم وسكون الزاي : غرزتان فيه سواد وياض ولحم به القيون .

(٥) في الأصل « كلاً » وهو من وم التبليغ .

(٦) في الأصل « ويسل » والمصحح من اللؤلؤ المأثر .

(٧) وفي كتاب الصناعاتين ٣٠٦ ، وفي المبدع ج ٢ ص ٥٤ ، وسوماً كقصيد الجوان

الفصل . .

هذا كلام القائي بعينه ، وإليان المذكوران سواء ، لا فرق بينهما بحال من الأحوال ، والدليل على ذلك أن بيت امرئ القيس شمر عنه قبل الاتيان بقافيته . وكذلك بيت ذي الرمة . ألا ترى أن امرأ القيس لا قال :

كل عيون الوحش حول خباتنا وأرحلتنا الجزع »

أنى بالتشبيه قبل القافية ؟ ولا احتاج إليها جاء بزيادة حسنة وهو قوله : « لم يقب » ؟ ! وهكذا ذو الرمة فإنه لا قال : —

قف العيس في أطلال مية فاسأل وسوياً كآخلاق الرداء ...

أنى بالتشبيه أيضاً قبل الاتيان بالقافية . ولا احتاج إليها أنى بزيادة حسنة ؛ وهو قوله : « السلسل » .

واعلم أن أبا هلال السكري قد مرى هذين التسمين بعينه « الأيغال » ^(١) .

ولال : هو أن يستوفي (الشاعر ^(٢)) معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه ثم يأتي بالمقطع فيزيد فيه معنى آخر .

وأصل « الأيغال » من « أوغل في الأمر ، إذا أبعد في الذهاب فيه » .

ثم مثل أبو هلال ذلك بقول ذي الرمة :

« قف العيس »

وهذا أقرب أصحاً من القائي ، لأنه ذكره في باب واحد ، وسماه باسم واحد : ولم يذكره في باب آخر ، كما فعل القائي — رحمه الله — وليس الأخذ على القائي في ذلك مناقشة على الأسماء ، وإنما المناقشة على أن ينتصب لا يراد علم البيان ، وتفصيل أبوابه . ويكون أحد الأبواب التي ذكرها داخلاً في الآخر ، فيذهب عليه ذلك ، ويغنى عنه ، وهو أشهر من طلق الصبح .

(١) انظر كتاب الصائين — ج ٣٠٦ — وانظر المدة — ج ٢ ص ٤٤ وما بعدها . وحاشية

الكليل ص ٢٢٢ .

(٢) زيادة من كليل ص ٢٢٢ .

الفرع الثامن والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني

في التوشيح

وهو أن يبنى الشاعر أبيات قصيدته على بحرین مختلفین . فإذا وقف من البيت على القافية الأولى ، كان شعراً مستقيماً من بحر على عروض . وإذا أضاف إلى ذلك ما يلى عليه شعراً من القافية الأخرى ، كان أيضاً شعراً مستقيماً من بحر آخر على عروض ، وسار ما يضاف إلى القافية الأولى كالوشاح ، فمن ذلك قول بعضهم :

أسلم ودمت على الحوادث مارساً رُكنا تبير أو هضاباً رحراراً
ونل للراد ممكناً منه على رغم الدهور وفر بطول بقاء

وهذا من معان صناعة التأليف فاعلمه ، ألا ترى إلى هذين البيتين يذكران على قافية أخرى وبحر آخر ، نحر قولنا :

أسلم ودمت على الحوادث رُكنا تبير
ونل للراد ممكناً منه على رغم الدهور
وأشكال هذا كثيرة ، فاعلمه ، ألا أن فيه نوع إشكال ، وسدوبة .

الفرع التاسع والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني

في الأخذ والسرقة والإشارة إلى الجيد من ذلك الذي لا يأس به . والروى التي

لا تسحق في استعماله . لأنه عيب في الكلام فاحش

اعلم أنه لا يخفى المؤلف السارق معنى من المعاني المعبود هو إيهاماً من أحد تسمين . إنما أن يذكر ذلك المعنى بلفظه من غير تغيير له ، وهذا يسمى « السخ » مأخوذاً من « نسخ الكتاب : إذا تم على هيئة وسورته » . وإذا أن يذكر لفظه الأول ، ويحله بغيره . وهو غيران : أحدهما أن يخرج في معرض جميل وهيئة حسنة ، وذلك يسمى « السخ » مأخوذاً من « سلخ جلد الشاة » : لأنه أخذ بعض الشيء المسلوخ . والآخر أن يخرج من معرض ردي . وهيئة قبيحة ،

وذلك يسمى « النسخ » مأخوذاً من « نسخ الصورة صورة أخرى دونها » كما نسخ الله الآدميين قرعة .

وأما القسم الأول وهو « النسخ » فإن أرباب هذه الصلحة يسمونه « وقوع الحافز على الحافز » كقول امرئ القيس :

وقوفاً بها صبي على مطيهم يقولون لا تهيك أسى وتعتل
وقول طرفة بن العبد البكري :

وقوفاً بها صبي على مطيهم يقولون لا تهيك أسى وتعتل

والأخذ إذا كان كذلك كان معيياً وإن ادعى الآخر ، أنه لم يسمع قول الأول ، بل وقع له كما وقع لذلك ؛ فإن صحة ذلك لا يهملها ^(١) إلا الله — عز وجل — والعيب لازم للآخر في الظاهر الأمر وإن كان فيها ^(٢) ادعاء صادقاً .

ولعمري إن القوم إذا كانوا من قبيلة واحدة فنّ خواطرم تقع متقاربة ، حكماً أن أخلاقتهم وشجاعتهم تكون متقاربة ، إلا أن الظاهر ما قلناه فإنه ليس لنا ، إلا الظاهر ، والله يتولى السرائر ، فاعرف ذلك .

واعلم أن من هذا القسم الذي هو « النسخ » ما يبعد المؤلف الآخر فيما أخذ ما ذكره المؤلف الأول ، لفظاً ومعنى ، ولكنه ينير هيئة ذلك ؛ بتقديم بعض الألفاظ التي كانت مقدمة في الأول . وذلك أيضاً من قبيل الأخذ وقاحته . أو أن المؤلف الآخر يأخذ الشيء من المؤلف الأول ويأتي على أكثر ألفاظه ، غير تلك منها إلا القليل . وهذا مما يوجب ذكره ولا يجوز استمله .

وأما القسم الثاني وهو ضربان : الأول : « النسخ » ولا عيب فيه لأحد من أرباب التأليف [فليس للمؤلف ^(٣)] غنى عن تناول الثاني من قدمه . ولكن يجب عليه أنه إذا أخضعها أن

(١) في الأصل « لا يهمل » وهو غير منسوخ . (٢) في الأصل « ما ادعاء » وهو غير مستقيم .

(٣) زيادة ضرورية اقتضاعها السياق .

يكسوها ألفاظاً جميلة ويخرجها في معرض أنيق وصورة حسنة ، ويزيد في بداعة تركيبها وجودة تأليفها ، فانه إذا قبل ذلك صار أولى بها من تقدمه ، وأحق بها من سبقه إليها . قل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : « لو لا أن الكلام بماء لثند » .

واعلم أن الثاني مشترك بين أرباب هذه الصناعة وإنما يتفاضلون في رصديها واختلاف صورها ، وقد قيل : « إن أبا عذر الكلام من سيك تقطع على مناه » . والذي الجيد جيد وإن كان مسبوفاً إليه ، وقد أحبط المتفسون والمتأخرون على تناول الثاني بينهم ، وليس على أحد منهم حيب في ذلك إلا اذا أخذ المرء بلفظه [أخذته] ^(١) واحدة فأفاده ، وقصر فيه من تقدمه . وأما إذا أخذ فأبرزه في لباس جميل وركبه تركيباً أيقناً وأخرجه في معرض جميل حسن فإنه يكون أحق من متقدمه ، فن ذلك قول بشار :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك ^(٢) اللهج
أخذته سلم الخاسر ^(٣) بعده قتال :

من راقب الناس مات حياً وفاز باللفظة الجصور

وهذا البيت أوجز من الأول وأختصر ، ولما صبح بذلك بشار قال : « ذهب به ابن الفاعلة » ومن هذا النحو قول بعضهم تراء « أحق من أئت لك العذر في حل شغلك من لم يخل مساعة من يرك وقت فراغك » أخذته آخر بعده قتال « شكر ما تقدم من إحسانك شاغل عن استبلاء ما تأخر منه » فأتى بالمعنى الذي ذكره الأول ، وراد عليه زيادة مع الابهام والاختصار : فأما

(١) زيادة لفظها المضاف .

(٢) هذا البيت من القصيدة له مصنفه : —

شباب على لخب عندكم مرج أو لا توني بميسي الموت مطلع

ديوان بشار ج ٢ ص ٥٥ طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، سنة ١٩٥٤ بتحقيق محمد رفعت فتح الله وعبد شوقي السيد .

(٣) هو سلم بن عمرو بن عباد ، شاعر مصري الأسبق خديم ماض ، له مصانيع في الحمدي والقاضي والرشيد العباسيين ، وانس بالرافدة وله القتران في العروس . وأخباره مع نثار ابن برز وأبي نضاهة مشهورة . شعره رفيع وصوت ، وصي « الخاسر » لأنه باع مسعفاً واشترى بدينه خبيرواً وقيل : « ذرا فيه شعر وقيل : لأنه ألقى ما خلقه له أبوه من الأدب . توفي سنة ١٥٦ هـ . امر : الأديبي : ٢١٥ : ١١٠ : ١١٣ : ١١٦ . و التاريخ بفتاوى الخطيب ج ٩ : ١٣٦ . و سيجم الأديب : ٢١٥ : ١١٣ : ١١٦ . وحيات الأديبي ج ٢ ص ٩٥ حجة محمد علي القرن سنة ١٩١٨ والأعلام لزيكري .

الزيادة فهي الذكر والشكر له أولاء من الجليل وأسماؤه إليه من الاحسان ؛ وذلك واجب ذكره لأنه من فروض الأيمان على النعم عليه ، وأما الابتجار فهو أن الكلام الثاني اثنا عشرة كلمة ، والكلام الأول تسع عشرة كلمة . ولما جاء أبو نواس ساغ هذا المعنى مبالغة أخرى أكثر اختصاراً فقال : -

لا تُسدينَّ إليَّ عارضةً حتى أقومَ ببعض ما سطنا^(١)

وذلك من يدعي هذا الباب .

ومما ورد من هذا الأسلوب قول العرب : « القتل أولى للقتل » فجاء القرآن الكريم بهذا المعنى وزاد عليه أشياء مجيبة فقال تعالى : « ولكم في القصاص حياة » . فها زادت به الآية على قول العرب : أنه ليس كل قتل ينفي القتل ، وإنما القتل الذي ينفي القتل ما كان على وجه القصاص والعدل . ففي ذكر الحياة من إيضاح المعنى للعرب ما ليس في قول العرب : « القتل أنفى للقتل » . ومن ذلك أن قوله تعالى : « القصاص حياة » نظير قولهم : القتل أنفى للقتل ، و « القصاص حياة » أوجز وأخصر لأن « القصاص حياة » عشرة أحرف ، و « القتل أنفى للقتل » أربعة عشر حرفاً ، ومن ذلك أن في قولهم « القتل أنفى للقتل » تكريراً يقتل التعلق به في اللسان . وليس في قوله تعالى : « القصاص حياة » تكرير^(٢) . فهذه أربع زوائد تفضل بها الآية على قول العرب ؛ وكذلك أيضاً قول بعض الأعراب : -

عليّ ذوي الأمتدات نسب فقولهم تحية ذي الحسنى وقد يُرفع النقل^(٣)

وإن كاحسوا^(٤) بالقول فغفُ نكرماً وإن كنتوا عنك الحديث فلا تسل

(١) في التبريد :

وهذا البيت من قصيدة مطعها :
حلت سحابة وأعطها سره حر ألوم بشعرك ما سطنا

أطرس ١٣٤ من « ديوان أبي نواس » مطبعة مصر شركة مطبعة مصرية القاهرة سنة ١٩٥٣ .

(٢) راجع لمرحوم تقي الدين ج ٤ ص ١٨٥ طبعة مطبعة المطبعة بمصر سنة ١٣٣٤ هـ .
(٣) كقولهم : ما بلغه الإنسان مما لا يحصى عليه (لسان العرب) .

(٤) محسن بينهم : أحمده ، وحسن الآخر : صفة من حيث لا يحق .

فلن الذي يؤذيك منه سبحانه وإن الذي علوا وراءك لم يُقبل
 فورد في القرآن الكريم هذا المعنى المذكور في ثلاث مختصرات ، وهي قوله تعالى : « ولا^(١)
 تستوي الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن فلنا الذي بينك وبينه عداوة كراهة ولي^(٢) حليم » .
 ألا ترى إلى هذه الآية (نهي) حاوية للمعنى المشار إليه في الأبيات مع الإيجاز ، فهو أن الشاعر
 ذكر هذه المعاني في ثلاثة أبيات فيها ثلاث وثلاثون كلمة ، والقرآن العزيز آتى بالمعنى في آية
 واحدة فيها ثلاث عشرة كلمة . وأما حسن التركيب فلا يخفاء به ، ومن جلته المثابة بين الأشتاد
 نحو ذكر النبي ، والحسن ، والعدو والصديق .

ومن هذا الباب قول النابغة : -

إذا ما غزوا بالجيش خلقك فوقه
 عصائب كثير تهدي بعصائب^(٣)
 جوائح قد أيقن أن قبيله
 إذا ما التقى الجمعان أول غالب
 أخذ هذا المعنى الأخر^(٤) فقال : -

وترى الطير على آلتنا
 رأيي عين نقة أن سحر

فذكر المعاني المشار إليها في بيت واحد ، طار فديقة الإيجاز ، التي هي أعلى درجات الكلام
 وصار أحق بذلك المعنى من النابغة ، وإن سبقه إليه وتقدم فيه .

(١) السورة : فصلت ، الآية : ٣٤ .

(٢) هذان البيتان من قصيدة يمدح بها عمرو بن الحارث الأسدي مطلقا :
 كليني لهم يا أيمسة فاصب
 وليل أظنه يلى الكواكب

أظن من ١٣ من ديوان النابغة طبعة مكتبة سافر بيروت .

(٣) الأتوه الأودي : صلاته بن عمرو بن يراود من صلب الذمعي ، وأتوه له ، من صلب
 الشعراء الجاهليين ، وكان سيد لومه وقلدهم في حروبهم ... وبعد العرب من حكايتهم . « الشعراء الشعراء »
 من ١١١ و ٥ شعراء الصراية ، من ٧٠ . وأظن ديوان الأتوه الأودي في مجموعة الطرائف الأدبية
 لعبد العزيز الليدي .

وهذا البيت من قصيدة مطلقا :

إن تري رأيي به فرح
 وعشوائ خلة فيها دور

أظن من ١٣ من كتابه « الطرائف الأدبية » مع عبد العزيز الليدي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة
 والنشر بالقاهرة سنة ١٩٣٧ .

وبما جرى هذا المجرى قول أبي التناهي :-

كَمْ نعمة لا تستغل بشكرها لله في علي الكاره كأنسه
أخذهُ أبو تمام فقال :

قد بُنِعَ الله بالباري وإن عظمت ويحل الله بعض التوسم بالشم^(١)
فذكر المني الذي ذكره أبو التناهي ، وعكسه . وهذا من فرائب ما يوجد في باب الأخذ ،
فأمره .

ومن هذا الباب قول أبي تمام أيضاً :-

قلن لم يجد في نعمة العمر حيلة وجز له الاعطاء من حسنه^(٢)
لجاد بها من غير شرك بره وأشركهم في صومه وصلاته
أخذهُ الشنفي فقال :

فمن يعتمهم في الحشر تجددوا لأعطوك الذي صلّوا وصلوا^(٣)
قال والذي الذي ذكره أبو تمام ، وزاد عليه بقوله « في الحشر » لأن الانسان يكون في
ذلك اليوم أشد احتياجاً الى صلاته وصيامه ، وأعظم انتظاراً . وأمثال هذا كثيرة فأمهرها .
وهو ينساب في المؤلفان في إيراد المني باللفظ ، كقول بشار :

(١) هذا البيت من قصيدة طحا في صبر إلياس بن أحمد ، مطلقاً :
إلياس كن لي صديقاً والله ذا مجة عن ملقات الرق حرم
الديوان ص ٢٣٩ طبعة محمد علي صبيح بمصر سنة ١٣٩٦ هـ ، سنة ١٩٤٢ م .
(٢) هذا البيت من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق ، مطلقاً :
أقول لمقات الذي عند مالك لمؤذ يمدح ملك وصلاته
ورواية الديوان :

ولو لم يجد في نعمة العمر حيلة
لجاد بها من غير كفر لربه وواصلهم من صومه وصلاته
ص ٥٠ من الديوان نفسه ، والعلية نفسها .

(٣) هذا البيت من قصيدة يمدح بها ثابت البناني ، مطلقاً :
طواد ما تسليه الدمام ومهر مثل ما تهب للثام
ولي الديوان : ٥ ولو يسمهم ٤ ج ٤ ص ٧٤ من شرح المتكبري ، طبعة المني سنة ١٩٣٦ بالهجرة .

يسقط الطير حيث يلتقط الحَبَّ بٌ وَكُنْشَى مَنَازِلَ الْكِرْمَا، ^(١)
أَخَذَهُ «يَرَهُ فَتَال» وَلَمْ يَزِدْ عَلَيْهِ شَيْئًا :
يَزِدُّهُمْ النَّاسُ عَلَى بَابِهِ وَلِلنَّهْلِ الْعَنْبُ كَنَجْمِ الزَّهَامِ
وَعَلَى نَحْوِ مَنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْآخَرِ :
وَأَنَّ «يَوْمَ سَوْدَ وَكَ» حَاجِجَةٌ إِلَى سَيْدٍ لَوْ يَنْظُرُونَ بِسَيْدٍ

الغريب الثاني من القسم الثاني

وهو «السخ» وذلك سبب في الكلام فالحش ، فأجاء منه قول الشريف الرضي :
أَحْنُ إِلَى مَا تَضَمَّنَ الْحُمْرُ وَالطُّلُ وَأَصْدَقَ مَا فِي ضِلَالِ النَّارِ ^(٢)
وقال الثعني :

أَنِّي عَلَى شَقِيٍّ بِنَا فِي نُحْرِهَا لَأَصْفُ عَمَّا فِي سِرَاوِلَاتِهَا ^(٣)

أَلَا رَى إِلَى هَذَا السَّخِّ مَا أَقْبَحُهُ ، وذلك لو تأخر زمان الثعني عن زمان الشريف الرضي .
ويمثل ذلك يعرف التفاضل بين الشاهرين ، وبين الكلامين « بقول الشريف على ما تراه من
الاطلاقة والحسن ، وقول أبي الطيب على ما تراه من الرداءة والقبح ، قال تعالى : « وَلَوْ كُنَّ كُلُّ
ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ^(٤) » وأعلم أن ما كان من هذا الباب على صيبي « السخ » فإنه كان على نحو من
قول أبي الطيب ، وفيما اشترفا إليه كفاية للتأمل .

(١) هذا البيت من قصيدة يمدح بها علي بن سالم ، مطلعها :

حَيَا صَاحِبِي أَيْمَ الْعَلَاءِ وَاصْفُوا طُورَ عَيْنِهَا الْمُرَوَّاءِ

ورواية البيت في الروان :

يسقط الطير حيث يلتقط الحَبَّ وَكُنْشَى مَنَازِلَ الْكِرْمَا
الروان ج ١ ص ١١١ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥٠ بالقاهرة .

(٢) البيت من قصيدة مطلعها :

خَيْرُ خَلْقٍ نَالَهُ هَوَى الْقَضَائِرِ لَعَنُوا الْجَدَّ لَا مَبْتَصِرًا فَطَاعَتِهِ

ورواية الروان : يَحْنُ إِلَى مَا ... البيت « ص ٣٤٣ طبعة بيروت سنة ١٣٠٢ .

(٣) ديوان الثعني ، درج علي بن عدلان التومني النسيب فطحة إلى الكركي ج ١ ص ٢٢٦ طبعة المطبعي
سنة ١٩٣٦ بالقاهرة .

(٤) السورة « يوسف » الآية ٢٦ ، ٢٧ .

وهذا النوع غائبة الأنواع من باب الصناعة المنوية ، وذلك مبلغ ما عرفناه من علم البيان ،
 فيها يختص بالماني . إلا أبي وأبنت أبي محمد عبد الله بن حنّان الخفاجي قد ذكر في كتابه نوعاً
 آخر فقال : « لا يستعمل في الشعر »^(١) النفاوم والكلام الثبور^(٢) ألفاظ التكلمين والتجوّين
 والهندسين ومانيهم ، والألفاظ التي تختص بها بعض اللون والعموم ، لأن الإنسان إذا غاض في
 علم وتكلم في صناعة وجب عليه أن يستعمل ألفاظ ذلك العلم . و (كلام) ^(٣) أصحاب تلك
 الصناعة ، ثم مثل ذلك بقول أبي تمام :

مودعة ذهب أثارها شبّه
 ومعة جواهر معروفاً عمرض^(٤)
 ويقول أيضاً :

خرقاء يلعب بالمقول حبابها
 كتلّيب الأفعال بالأشياء^(٥)

هذا ما ذكره الخفاجي في كتابه . ولنا عليه اعتراض وهو أن يقول له : ما الوجوب لمالك
 هذا القسم مما يرفض ولا يستعمل ؟ وما السبب في اجتنابه ؟ قال : إني إنما ذكرت استعماله
 وآثرت تركه واجتنابه ، لأنه غير مفهوم . قلنا له في الجواب :

لا يختار الأمر في هذا من طائفتين : إما أنه غير مفهوم للعامة أو للاستخدام . فإن كان غير
 مفهوم للعامة فقط ، فليس جهول العامة بهذا النوع من الكلام داعياً إلى اجتنابه . ولو كان فهم
 العامة مستبعداً في اختيار الكلام لكان ما تشكك من ألفاظها مقدماً على غيره في الاختيار (لأنهم)

(١) انظر كتاب « مر القضاة » ص ١٥٩ الطبعة الأولى للطباعة الرحمانية بمصر سنة ١٩٥٢ .

(٢) في « مر القضاة » من الرسائل والخطب .

(٣) زيادة من « مر القضاة » بقضيها السباق .

(٤) هذا البيت من قصيدة مقلدها :

ذلك السواك شعبي لي الخلق مغرور
 من دونه شرق من تحته جرم

ص ٣٤٤ مجلة محمد علي صبيح بالأنهر سنة ١٩٤٢ بالهجرة ، و ص ٤٠٠ من الدواوين طبعة بحسب الدين
 الجليل ببيروت .

(٥) من قصيدة له في مدح محمد بن يزيد القزويني ، مقلدها :

يا موطع اللذنية الوجناء
 ومصاروخ الإللاج والإسراء

الدواوين ص ٣ طبعة بحسب الدين الجليل ، ببيروت .

إلى فهمه أقرب من فهم غيره ؟ وذلك شيء مدموع لا يذهب إليه أحد البتة . وإن قل : إن هذا النوع غير مفهوم للخاصة ، قلنا له : هأت أيها الشيخ الإمام قد فهمته وعرفته ، وأولاً فهمك له ومعرفتك به (لما أنكرته) وإلا فكيف ^(١) كنت تنكره وتبحث على اجتنبه ؟ ! وهذا يدل على أنك لست من العامة ولا من الخاصة ؛ لأنك قد فهمت ما لا يفهمه القرينان ، وذلك من أعجب الأشياء .

فإن قال : إني ما أنكرت هذا النوع إلا لأن صناعة التأليف من التفلوم والتشور لا تستعمل فيها ما ليس من جيسها ، قلت له في الجواب : يَطْلُ كَمَا يَكُ ذَلِكُ بِاسْتِعْمَالِ الْفَقْهِ مِنَ الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ فِي الْكُتَابَاتِ ، وَاسْتِعْمَالِ الْحِسَابِ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الْكِتَابَةِ إِلَى الْعَالِ وَأَرْبَابِ الْخَرَاجِ ، وَاسْتِعْمَالِ النُّجُومِ فِي كَبَسِ سَبِي الْخَرَاجِ بِمَنْهَا عَلَى بَعْضٍ ، فَيَكُونُ لِمَا أَنْكَرْتَهُ أَيُّهَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ مِنْ اسْتِعْمَالِ تِلْكَ الْعُلُومِ أَسْوَأَ بِالْفَقْهِ وَالْحِسَابِ وَالنُّجُومِ . ثُمَّ مَاذَا تَنْكَرُ مِنْ شَيْءٍ يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ صَاحِبِهِ وَغَزَاوَةِ طَلَبِهِ ؟ أَلَيْسَ مِنَ الْوَاجِبِ فِي صِنَاعَةِ التَّأْلِيفِ أَنْ النَّاسُ وَالنَّاسُ يَلْقَى لَهُ أَنْ يَسْتَعْمَلَ فِي كُلِّ مَعْنَى يَقْصِدُ ، مَا يَلِيقُ بِهِ وَيَنْضَرُّ فِي سُلُوكِهِ ؟ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لِلْعِنَى بِحْتَاجِ إِلَى التَّحَرُّقِ اسْتِعْمَلَ فِيهِ النَّحْوُ ، وَإِنْ كَانَ شَيْئاً يَحْتَاجُ إِلَى الْحِسَابِ اسْتِعْمَلَ فِيهِ الْحِسَابُ ، وَكَذَلِكَ بَقِيَ الْعُلُومُ . فَإِذَا أَخَذَ الْمُؤَلِّفُ مَعْنَى يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى ذِكْرِ أَحَدِ هَذِهِ الْعُلُومِ الْمَذْكُورَةِ وَلَمْ يَذْكُرْهُ ، كَانَ ذَلِكَ الْعِنَى نَاقِصاً مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، وَهَذَا لَيْسَ بِخَافٍ عَلَى الْغَلَبِ التَّعْيِيفِ ، فَاعْرِضْهُ .

(١) في الأصل : « ولا كيف » ورُبَّ الجواب إن شاء وأبى ماها .

الباب الثاني

من الفن الثاني من القبط الثاني

في الصناعة اللغوية

ويتقسم إلى سبعة أنواع :

النوع الأول في : السجع والحمد والواجب

وهو نواظم القوافل من الكلام المشهور على حرف واحد

يعلم أن السجع قد ذمّه بعض أصحابنا من أرباب هذه الصناعة^(١) ، ولا أرى لذلك وجهاً سوى مجزئهم من الأتيان به وقصورهم عن سلوك مذهبه ، وإلا فلو كان مذموراً ، كما ذكر ، لما ورد في القرآن الكريم ؛ فإنه قد أتى منه شيء كثير ، كقوله تعالى : « إن الله لمن الكافرين وأعد لهم سعيراً ، خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً ولا نصيراً^(٢) » وكقوله تعالى في سورة « ق » : « بل كذبوا بالحق لما جاءهم ، فهم في أمر مرجح^(٣) » أنهم ينظروا إلى السماء فوقعهم كيف بيناها وزيتها وما لها من فروج ، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسبنا وأتينا فيها كل زوج بما يشاء » وكقوله تعالى : « والمعاديات خبيثاً ، فلوريات قدحاً^(٤) » إل قوله : « ... جمّاً » . وأمثال هذا كثيرة فاعرفه .

وورد على هذا الأسلوب من كلام النبي — صلى الله عليه وسلم — شيء كثير أيضاً ؛ فمن

(١) ج ٢ في « سر الصناعة » لأن سنان الشافعي « ... فأما قول الزباني إنه السجع غيب والمقاول

الناظم على الألفاظ فخطأ ... » ص ١٦٦ الطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٣٥٠ هـ ، ١٩٣٢ م .

(٢) السورة « الأحزاب » والآية « ٦٤ » . (٣) الآية « ٥ » وما بعدها .

(٤) السورة « المعاديات » والآية « ٦ » وما بعدها .

ذلك ما رواه عبد الله بن سلام قال : لما ورد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة أنجمل الناس قبله ، وقيل : قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نجشت في الناس لأنظر إليه ، فلما تبينت وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب ، وكان أول شيء تكلم به أن قال : « أيها الناس ألقوا السلام وأصلحوا الطعام ، وصاروا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » فلن قيل إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبعضهم منكراً عليه ، وقد كلف بكلام مسجوع^(١) : « أسجماً كسجج السكبان » ولولا أن المسجج منكروه لا أنكره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الجواب من ذلك أما نقول : لو كره النبي - صلى الله عليه وسلم - المسجج أصلاً لقول أسجماً !! ثم سكت ، وكان المعنى يدل على إنكار هذا القول لم يكن ، فلما قل : « أسجماً كسجج السكبان ؟ » سار المعنى معقفاً على أمر آخر ، وهو إنكار القول لم يكن على هذا الوجه ، فلم أنه إنحاذم من المسجج ما كان مثل سجج السكبان ، لا غير ، وأنه لم يذم المسجج على الإطلاق . ومحال أن يفسره على الإطلاق : لأن القرآن الكريم ، قد أتى به . وهو - صلى الله عليه وسلم - قد نطق به في كثير من كلامه ، حتى أنه غير الكلمة من وجهها ، ابتاعاً لها بأخواتها لأجل المسجج ؛ فقال لابن^(٢) ابنته - عليها السلام - : « أعيذه من الهامة والسامة ، وحصل عين لامة^(٣) » وإنما أراد لامة ، لأن الأصل فيها من « ألم فهو ألم » ، وكذلك قوله - صلى الله عليه وسلم - : « أبرجمن مأزورات^(٤) غير مأجورات » طلباً للتوازن والمسجع ، وهذا من أدل دليل على فضيلة المسجع .

واعلم أن الأصل في هذا هو الاعتدال في مقاطع الكلام ، والطبع يعيد إلى الاعتدال في

(١) جاء في لسان العرب في مادة « سجع » روى عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه كره المسجع في الكلام والجماد لما كلفه كلام السكبة وسججهم ...

(٢) في « سر القضاة » للفتاوى ... « وجدتني زبد بن علي بهذا الاسم من أبي عبد القاسم بن سلام عن يزيد بن أبي سنيان عن منصور عن لتهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول الحسن والحسين عليهما السلام يقول : « أعيذكما بكلمات الله التامة » من كل عيطان وهامة ، ومن كل عين لامة » من كل عين لامة » من ١٦٩ طبعة المطبعة الخيرية بمصر ١٩٣٢ .

(٣) في سر القضاة : « ترجمن مأزورات غير مأجورات » من : ١٦٩ .

جميع الأشياء . وحيث انتهى بنا القول الى هذا الوضع ، فلننبهه بذكر أقسام السجع ، وما يحمده منه في الاستعمال ، وما ينم عنه فنقول :

إعلم أولاً : أن السجع لا يحمده على كل حال ، ولا في كل موضع ، حتى يتوخاه المؤلف في كلامه ، بحيث يذهب بقضية المعاني لأجله ، وذلك ، أنه اذا صور في نفسه معنى من المعاني ، ثم أراد أن يصوغه بلفظ مسجوع ، ولم يؤت ذلك إلا بزيادة على ذلك المعنى ، أو نقصان منه ، ولا يكون محتاجاً إلى الزيادة ولا إلى النقصان ، وإنما يضطر الى ذلك اضطراراً ، لأن المعنى الذي يكون قد قصدته يحتاج الى لفظ يدل عليه ، واذا دل عليه بذلك اللفظ لا يكون مسجوعاً ، إلا أن يضيف اليه شيئاً آخر ، وينقص لأجل الفقرة الطولية ، فذا فعل ذلك ، فلا بد وأن يزداد الكلام الذي قصدته ، زيادة لا حاجة اليها ، أو ينقص شيئاً لا حاجة اليه . وهذا الذي ينم من السجع ويستفح ، لما فيه من التشكُّف والصف .

وأما اذا صكان محمولاً على الطبع غير متكلف ، فانه يحسن في غاية الحسن ، وهو أعلى درجات الكلام .

واعلم أن السجع ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : أن يكون الفصلان متساويين ، لا يزيد أحدهما على الآخر ، كقوله تعالى : ﴿ فاما للذيمن فلا تنهر ، واما السائل فلا تنهر ^(١) 》 وقوله تعالى : ﴿ والعاديات ضبحاً ، قلرويات قدحاً ، قلغريات صبحاً ، فأترون به قمّاً ، فوسطن به جمّاً ^(٢) 》 . ألا ترى كيف جاءت هذه الفصول متساوية الأجزاء ، حتى كأنها خرطت في قالب واحد ؟ وأمثال ذلك في القرآن الكريم (كثيرة) ، وهو أشرف السجع منزلة ، وأعلاه درجة للاعتدال التي فيه .

القسم الثاني : أن يكون الفصل الثاني أطول من الأول ، لا طويلاً يخرج به عن الاعتدال خروجاً كثيراً ، فانه يقع عند ذلك ويستكره ، ، فلي جسد هذا القسم قوله تعالى ^(٣) : ﴿ بل

(١) سورة الفصح ، الآية ٩ . - (٢) السورة « العاديات » ، الآية ٦٥ . وما بعدها .

(٣) السورة « ق » ، الآية ١٠٠

تكذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج ، أعلم بنظروا الى السماء فلو فهم كيف بيناها وزيناها وما لها من فروج ، والارض مددناها وألقينا فيها رواسي وأعشنا فيها من كل زوج بهيج .
 ألا زى أن الفصل الأول سبع كلمات ، والفصل الثاني إثنا عشرة لفظة ، والفصل الثالث إحدى عشرة لفظة ؟ ومن ذلك أيضاً قوله تعالى في سورة مريم : « وقلوا اتخذ^(١) الرحمن ولداً لقد جئتم شيكاً إننا تكادُ السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخرِ الجبالُ مهتداً ، أن دعوا للرحمن ولداً ، وما يبني للرحمن أن يتخذَ ولداً ... الى قوله : « ... ولنُخبرَ به يوماً كذا »
 وأسألُ هنا في القرآن كثيرة ، فامرُها :

القسم الثالث : أن يكون الفصل الآخر أقصر من الأول وهو عيب عند أرباب هذه الصناعة فاحش . وسبب ذلك أن السجع يكون قد استوفى مسدة من الفصل الأول بحكم طوله ، ثم يمسى . الفصل الثاني قصيراً عن الأول ، فيكون كالشيء البثور ، فيمتن الانسان عند سماعه أن يريدلقي إلى غاية فيعثر دونها . وإن شك أحدٌ فيها أشرفاً إليه من هذا المثال ، فليصنع فصاين من الكلام وليكن الأول منها أطول من الثاني ، ثم يعرضها على نفسه ، فإنه يجد محبة ما ذكرناه .

وأعلم أن التصريح^(٢) في الشعر بمنزلة السجع في الفصاين من الكلام النثور ، وفائدته في الشعر أنه يفهم منه قبل كمال^(٣) البيت الأول من القصيدة فافئها ، وشبه البيت الصريح يلج له مصراعان متشاكلان ، وقد فعل ذلك القدماء والمحدثون وفيه دلالة على سعة القدرة ، وقصعة الجبال في أماني الكلام .

فأما إذا كثرَ التصريح في القصيدة فقلت أراءه اختاراً ، لأن هذه الاصناف من التصريح ،

(١) سورة مريم الآية ٨٩ وما بعدها ، وتلك الآية : « ... إن كل من في السموات والأرض إلا أنا الرحمن عبداً ، لقد أسعناهم وعبدناهم عبداً ، وكلمهم أبهى يوم القيامة فرموا » إن الذين كانوا وعملوا الصالحات ، سيجعل لهم الرحمن وداً ، فإذا يسرناه يداك ليسر به للفقير ويخبرهم يوماً كذا ... » .

(٢) في الانسان : « الصريح في الشعر : لفظة صراح الأول ، مأخوذة من صراح الباب .

(٣) في الأصل : كما أن « والصريح من اللؤلؤ السائر » ج ١ ص ٢٤٢ .

والتصريح ، والتجسس ، وغيرها ، إنما يحسن منها في الكلام ما قلَّ وجري مجرى اللمعة وكان كالطراز في الثوب ، فأما إذا تواتر وكثر فإنه لا يكون مرصفاً لما فيه من آمزات الكلفة . وقد استعمل التصريح كثيراً امرؤ القيس ، فهاهنا منه في شعره قوله :

فما بك من ذكرى حبيب ومنزل يسقط السوى بين الدخول والخول
ثم قال :

أظلم مهلاً بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت هجري^(١) فأجمل
ثم قال :

ألا يا أيها الأبرص الطويل ألا أجلي بصبح وما إلا صباح منك بأمثل
وقال حاتم بن عبيد الله الطائي :

أنصف أطلالاً وقوياً مهدماً كخطك في رقي كتاباً منمناً^(٢)
ألا لا تلوماني على ما تقدمنا كلفى بصروف الدهر الطرغ محكماً

وهذا وأمثاله هو التصريح الحسن المشار إليه في هذا الباب ، لأنه يسكتين غيرين ، وأما التصريح بكلمة واحدة فغير لائق وإن كان جائزاً كقول بعضهم^(٣) :

فكل ذي غيبة يؤوب وغائب الموت لا يؤوب
وأمثال هذا كثيرة فاعرفه .

(١) في ملحقات السبع شرح الروزي : « وإن كنت قد أزمعت صري فأجمل » ص ١٣ مطبعة حيدرآباد سنة ١٩٥٢ .

والذي نقل السائر « وإن كنت قد أزمعت هجراً فأجمل » .

(٢) وبعد هذا البيت قوله :

أدانت به الأرواح بدائسها شهوراً وأندساً وحولاً جمرها
والنوى : الحفير حول المياه ، أو الحديقة تهم السيل (القلوس) .

والشتم : من قولهم : نغم الشيء أي رفقه وزخرفته ، وثوب منتم أي عوشى (غفل الصباح) .
وجن الجين الذي أوردهما ابن الأثير مقبرة أبيات .

(٣) الذي هو عبيد بن الأبرص « انصار الجاهلي القروى » وأحد أصحاب الملوك ، والبيت من ملحقات أبي أوفى :

أفتر من أهله مطحوب ماططيات دالستحوب

انظر شرح الملوك المعبر ، لمتري ص ٣٩٥ مطبعة محمد علي صبيح بالقاهرة سنة ١٣٦٧ .

النوع الثاني من الباب الثاني

في التجنيس

إعلم أن التجنيس غرة شاذخة في وجه الكلام ، وقد تعرف العلماء من أبواب هذه الصناعة فيه فترتوا وشرقوا ، ولا سيما المحدثين ، منهم من صنف الناس فيه كتباً كثيرة وجعلوه أبواباً متعددة ، واختلفوا في ذلك (وأدخلوا بعض تلك الأبواب في بعض فنيهم ^(١)) عبد الله بن العتر وأبو علي الخافعي ^(٢) وأبو القاسم الأحمدي ^(٣) والقاضي أبو الحسن ^(٤) الجرجاني ، وقدامة بن جعفر ^(٥) الكاتب وغيرهم ، واقتضوا فيه وأطلوا القول في شرحه .

وإنما سمى هذا النوع من الكلام مجانساً ، لأن الكلام يكون تركيبه من جنس واحد .

واعلم أن التجانيس ينقسم إلى سبعة أقسام :

الأول — وهو أنرفها وأعلاها قدراً ، وذلك إذا تساوت ألفاظ الكلام في تركيبها ووزنها ويسمى « التجنيس المطلق » ، كقوله تعالى : « ويوم تقوم الساعة بقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة ^(٦) » وليس في القرآن الكريم من هذا القسم من التجنيس سوى هذه الآية ، فاعرفها . ومن ذلك أيضاً قول بعضهم :

(١) زيادة من الفل السائر ، ج ١ ص ٢١٦ طبعة المطبعي بالقاهرة سنة ١٩٣٩ .

(٢) الخافعي : هو محمد بن القاسم الخافعي جاء في بقية طوفا عنه : « . . . كان من حلق أهل اللغة والأدب » ، له من المصانيف : « حلية الخامة في صناعة الشعر » و « للوضحة في مساوي ، الشني » و « سر الصناعة في الشعر » و « الحامل والمائل » وغير ذلك من الكتب . انظر : « بقية الوفاة » للسيوطي ، ص ٣٥ طبعة المطبعة المسماة بمصر سنة ١٣٢٦ و انظر : « وحيات الأديان » و « الوعد والوفاء » .

(٣) انظر ص ٢ من هذا الكتاب .

(٤) أبو الحسن الجرجاني : هو علي بن عبد العزيز الجرجاني ، المشهور بالقاضي ولد بمرجان سنة ٢٩٥ هـ ولما جاء ، واشتهر بالفقه واد ترجم له التبريزي في طبقات العلماء . وله آثار في التفسير والتأريخ ، وهو شاعر كاتب ، وأشهر كتابه « الرسالة بين الفتي وضمومه » .

(٥) انظر حاشية ص ٢٠٠ من هذا الكتاب .

(٦) السورة : الروم ، الآية : ٥٥ .

وحتى هذا الإسلوب جاء قول بعضهم :

إلى حنفي متى قسدي أرى قسدي أرقان دي

ورأيت الثاني^(١) - رحمه الله - قد ذكر في كتابه باباً ومناه « ردة الأنهار على الصدور »
خارجاً عن باب التجليس ، وهو ضرب منه وقسم من جهة أقسامه كالذي نحن بصدده ذكره
هنا . فها أوردته الثاني من الأمثلة في ذلك قول بعضهم :

وتفري يجميل الصد... مع ذكرأ طيب الشر

وتفري بسبيوف الهد... من أسرف في التفري^(٢)

ونجري في شرا الحمد على شاكفة البحر^(٣)

ومن ذلك أيضاً قول بعضهم في الشيب :

يا بياضاً أفدى دموعي حتى عاد منها سوادٌ عيني وبياضاً

وكذلك قول البحري :

وأعمر في الزمن البهيم مُحجِّل قد رحل منه على أقر مُحجِّل^(٤)

كالميكسك^(٥) البسي إلا أنه في الحسن جاء كصورة في هيكسك

وليس الأخذ على الثاني^(٦) في ذلك مناقشته^(٧) على الأسماء وإنما المناقشة له على أنه

(١) انظر حاشية ص ٢ من هذا الكتاب .

(٢) كما في النسخة المطبوعة من النثر السائر في الأصل « تفري ... والتفري » .

(٣) في الأصل « نجر » غير أنه ولام ومو قيم واضح اللحن . والنجر : الأصل . وفي النثر السائر
النسخة المطبوعة ج ١ ص ٢٥٢ .

ونجري في شري الحمد على شاكفة البحر

ولا ترام يستقيم .

(٤) الإتيان من نصبة يصح بها عهد من علي بن موسى القمي ، مطعوماً :

أعلا بذلكم الجبال القيسل قبل الذي تيزوا أولم يحل

انظر « ديوان البحري » ص ٧٣٠ من طبعة الطبعة الأدبية بيروت ١٩٦٩ .

(٥) في الأصل « كالميكسك » وهو من سبيل علم النحاة ، وتصوب من الديوان .

(٦) في النثر السائر ج ١ ص ٢٥٢ « ما لما محمد علي الدين عبد الحميد » ... وليس الأخذ على

الثاني ... ولا ترام يستقيم .

(٧) في الأصل « مناقشة » وهي غير مطابقة .

ينصب لا يبراد علم البيان وتفصيل أبوابه ، ويكون أحد الأبواب التي ذكرها ^(١) داخلاً في الآخر ؟ فيذهب عليه ذلك ويخفى عنه ، وهو أشهر من قلق السباح .

القسم الثاني

من النوع الثاني في التجليس

وهو أن تكون الألفاظ متساوية التراكيب ، غنطاة الوزن ، وذلك دون الأول في اللغة كقول النبي — صلى الله عليه وسلم — « اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقتي » .

ألا ترى إلى (أن) هاتين اللفظتين متساويتان في التراكيب غنطتان في الوزن ، لأنهما تركيب « المطلق » و « المطلق » من ثلاثة أحرف هي الغاء واللام والقاف إلا أنها قد اختلفتا في الوزن إذ وزن المطلق « فَعْلَل » ووزن المطلق « فَعْلَل » ، ومن هنا القسم قول بعض الكتاب في صفة كتاب وصلى إليه من سبق له : « فَلَزُّهُمُ وَالزَّهْرُ مِنْ نُورٍ بِهَيْئَتِهِ » ، ونور برأيه يترقى » .

وكذلك قول بعضهم : « لَا تُنَالُ نُفُورٌ ^(٢) لَعَالِي إِلَّا بِرُكُوبِ الْقُرُورِ وَاعْتِيَالِ الْقِيُورِ ^(٣) »

وقال ابن العميد :

قد دُهِتْ غَيْرُ ^(٤) حَشَاشَةٍ وَقَمَاءُ ^(٥) مَا بَيْنَ سَحَرِ هَوَى وَسَحَرِ هَسْوَاعٍ

وَأَمثالٌ هَذَا كَثِيرَةٌ ، فحرفها .

(١) في مثل السائر : « التي ذكرناها » وهي غير مستقيمة . « ج ١ ص ٢٥٢ » طبعة محمد يحيى النورين

عبد الحميد .

(٢) القُرُور : جمع القُرَّة ، وهي من النهر : إله السهالة القُرَّة ومن القُرَّة ملحة . ومن القُرَّة شربهم ومن الرجل وجهه يؤمن كل شيء : أجلة وأجلاء . وشرر : العريس قبلها . وشرر بالسرعين جمع القُرَّة ، وهم الجماعة الذين لا خيرة لهم .

(٣) اعتيال الصيد : أجدل عليه ، واعتيال الأكل : نكسب .

(٤) في الأصل : وفي مثل السائر « ج ١ ص ٢٥٤ » : « قد دُهِتْ مِنْ حَشَاشَةٍ . . . » وفي البيهية

« ج ٣ ص ١٢٢ » طبعة مكتبة المجمع النجدي قد دُهِتْ مِنْ حَشَاشَةٍ . . . » .

(٥) في الأصل : قَمَاءُ . يضم القاء وهو من سبق فلم السباع وفي « دمنوس » (قراء) يحتاج القاء :

إليه النفس » .

القسم الثالث

من النوع الثاني من التجنيس

وهو أن تكون الألفاظ متساوية في الوزن مختلفة في التركيب بحرف واحد لا غير . فإن زاد على ذلك خرج من باب التجنيس وهذا القسم دون الذي مثله في التثنية . فمن ذلك قوله تعالى : « وجود يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة »^(١) .

ألا ترى أن وزن هاتين اللفظتين واحد ، وأما تركيبها فانه مختلف ؛ لأن تركيب « ناضرة » من الثوب والفضاء والراء ، وتركيب « ناظرة » من الثوب والطاء والراء ؛ وكذلك قوله تعالى : « ذلك بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفرحون »^(٢) . وقال تعالى : « وإنه على ذلك لشهيد وإنه على كل الخير لشديد »^(٣) .

وعلى نحو من هذا ورد قول النبي صلى الله عليه وسلم وهو « الطير معقود يتواصلها الطير إلى يوم القيامة »^(٤) . وقال أبو تمام :

يسدّون من أيد عواصم عواصم نصول بأسياف قواض قواض^(٥)
وقال البحري :

من كل ساجي الطرف أريد أجيد وميفير الكشجين أحوى أحور^(٦)

وقال بعضهم « لا تمال المسكوم إلا بالمسكوه » . وأشياء ذلك كثيرة لا تحصى .

(١) سورة : الطه ، الآية : ٢٢ . (٢) السورة : « طه » ، الآية : ٢٥ .

(٣) السورة : الطه ، الآية : ٢٢ .

(٤) راجع هذا الحديث والوجه لإطلاقه فيه ، في كتاب « الخواص النبوية » للشريف الرضي « ص ١٩ » طبع مصر .

(٥) البيت من قصيدة يمدح بها أبا طالب القاسم بن عيسى النجفي ، معلقاً :

على مثلبها من أروع وملاب أفزك مصونات المصوغ السواكب
ديوان أبي تمام طبع بيروت ص ١٢٢ .

(٦) البيت من قصيدة معلقاً :

إن الطباء غداة مسلح بحجر هيجن حر جوى وفرط اندكسر

ديوان البحري ج ١ ص ٣٦ طبع الطبعة الأدبية بيروت سنة ١٩٦١ .

القسم الرابع

من النوع الثاني من التجنيس

وهو أن تكون الألفاظ مختلفة في الوزن ، مختلفة في التركيب بحرف واحد ~~مختلفة~~ قوله تعالى : « وَالثَّقَاتُ الْكَافِرُ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُنَاقِقُونَ ^(١) » وقال : عزَّ أَجْهَدُ « وَمُحْتَسِبُونَ أَنَّهُمْ بِمُحَسِّنُونَ صَفَاءً ^(٢) » ، ومن هذا القسم قول البحري :
 نسيم الروض في ربح شمال وسوب الزر في راح شمال ^(٣)
 وذم أعراي وجلا فقال : « كان إذا سأل أطف ، وإذا سئل سؤف ، يحسد على الفضل ،
 ويرعد في الأفضال » .

وقال بعض الشعراء : -

تضامرت هم الأملاك من ملك	أخفى التواء طيه وهو مقصور
فوفره بين أبدي العرف مثب	وعرته عن لسان التهم موفور

وأثال هنا كثيرة في التأليف .

القسم الخامس

من النوع الثاني من التجنيس وهو المعكوس

وهو ضربان : أحدهما عكس الألفاظ ، والآخر عكس الحروف ، فالأول كقول بعضهم :
 « عات السادات سادات العادات » ، وكقول الآخر : « شيم الأحرار أحرار الشيم » وقيل
 للحسن بن سهل : « لا خير في السرف » ، فقال : « لا مسرف في الطير ^(١) » فرد الملقط
 واستوفى المني ، وفي هذا القسم قول عتاب بن ورقاء ^(٢) :

(١) النورة : القيامة ، الآية ، ٢٩ ، ٣٠ . (٢) النورة : السكيت ، الآية : ١٠٤ .

(٣) من نسخة له يدع بها الفصح بن سنان ، سقطها :

أكنت متفري يوم الرحيل وقد لجث ضوغي في الغول

(٤) في الأصل « لا خير في السرف » وهو من سبق إلى التصحيف .

(٥) عتاب بن ورقاء الرازي : من أبطال العرب ، وأحد قادة الأمراء ولده مصعب بن الزبير بإمرة
 أصحابه ، وتبعه قتال الحارثيين عليه في لري — فظهر ومعه أسهم . وتبعه الحجاج لقتال عدي بن
 زيد ، فقتل في وقعة له معه سنة ٢٣ هـ .

إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ
قَتْلَهُمْ مِنْ دُونِ الْمَوْتِ
وَقَالَ الْآخَرُ :

وَمِنْ تَجَوَّازٍ عَلَى حِمَارٍ
وَهَذَا ضَرْبٌ مِنَ التَّجَوُّزِ لَهُ حَلَاوَةٌ وَرَوْنٌ ، فَاعْرِفْهُ ، وَقَدْ سَمِعْنَا قَدَامَةَ^(١) بَيْنَ جَيْطَرِ
الْكَتَابِ « التَّجَدُّلِ » . وَذَلِكَ لِمِمْ مَنَاسِبِ لِهَذَا لِأَنَّ التَّوَلَّى بِأَنِّي بِنَا كَانَ مُقَدِّمًا فِي جِزْءِ كَلَامِهِ
الْأَوَّلِ مُؤَخَّرًا فِي الثَّانِي ، وَبِنَا كَانَ مُؤَخَّرًا فِي الْأَوَّلِ مُقَدِّمًا فِي الثَّانِي وَمِثْلُهُ قَدِيمَةٌ بِقَوْلِ بَعْضِهِمْ :
« أَشْكُرُ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْكَ وَأَنْعَمَ عَلَيَّ مِنْ شُكْرِكَ » وَمِنْ هَذَا الْقِسْمِ قَوْلُهُ تَعَالَى : « يُخْرِجُ الْحَيَّ
مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ »^(٢) وَقَوْلُهُ — تَعَالَى — « مَا يَنْفَعُ الْإِنْسَانَ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا
يَمْسِكُ لَهَا ، وَمَا يَمْسِكُ فَلَا يُمْرِسُ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ »^(٣) . وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

تَكَاتُ الْكُتَابِ مِنْ عَقْدِهَا كُتِلَتْ
وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ فَاعْرِفْهَا .

وَأَمَّا الضَّرْبُ الثَّانِي مِنَ الْقِسْمِ وَهُوَ « عَكْسُ^(٤) الْحُرُوفِ » فَكَقُولُ بَعْضِهِمْ :
أَعْدَيْتُ شَيْئًا بِقُلْ لَوْلَا
كُرْسِيٌّ تَفَاعَلَتْ فِيهِ لَهَا
رَأَيْتُ مَقُولَهُ « يَسْرُكُ »
وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْآخَرِ :

كَيْفَ الْمَسْرُورُ بِإِقْبَالِ وَآخِرُهُ
وَهَذَا الضَّرْبُ نَادِرُ الْإِسْتِمَالِ ؛ لِأَنَّهُ قَلْبًا تَعَمُّ كَلِمَةً تَقْلِبُ حُرُوفَهَا لِيُجِيزَ . مَعْنَاهَا حُصُولُهَا
فَاعْرِفْ ذَلِكَ .

(١) أَنْظَرُ حَاشِيَةِ ص ٢ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ . (٢) السُّورَةُ : الزُّمَرُ ، آيَةُ : ١٩ .
(٣) السُّورَةُ : طٰهٍ . آيَةُ : ٢٠ وَمَا يَمْسِكُهَا .
(٤) أَيْ الْأَصْلُ « عَكْسُ » . وَهُوَ مِنْ خَطِّ النَّسَاجِ .
(٥) مَقُولُهُ إِذَا « لَا يَلْهَى » .

القسم السادس

من النوع الثاني في التجنيس وهو التجنيس

وذلك أن يجمع المؤلف بين كلمتين : أحدهما كالمفعول للأخرى والجنتية ، كقول بعضهم :

أبا العباس لا تحبّ لسانى لثي من حلى الأشعار طري^(١)

ففي طبع كتاليد سميت زلال من ذوى الأحجار جاري
وهذا القسم له رونق وحلاوة ، فاعرفه .

القسم السابع

من النوع الثاني من التجنيس

وهو ما تساوى وزنه وتركيبه ، غير أن حروفه تتقدم وتتأخر ، وذلك كقول أبي تمام :

بيض الصفائح لا سودُ الصفائح كُـمُورُهُنَّ جِلاءُ الشكِّ والرَّيبِ^(٢)

وأمثال هذا كثيرة ، فاعرفه .

النوع الثالث من الباب الثاني في الترميع

وهو نوع من علم البيان وهو التمسك فلما يحتفل المؤلف بشرك فكره أو أيد أفعاله ،

وأحد من « ترميع المقدم » وذلك أن يكون في إحدى جانبي المقدم من الالاء والجواهر مثل

ما في الجانب الآخر ، وذلك جعل هذا في الكلام ، وهو أن يكون كل لفظة من الفاظ الفصل

الأول مساوية لـ شكل لفظة من الفاظ الفصل الثاني في الوزن والقافية ، وهنا هو أعلى درجات

الترميع وأسمىها مراداً . وادع أن علماء هذه الصناعة قد جعلوا الترميع مناسبا إلى قسمين :

أحدهما ما ذكرناه ، والآخر أن يكون أحد الفاظ الفصل الأول مخالفاً لما يوازئه من الفاظ

(١) في النسخ الباقية ١٠٠ من ٢٦٣ طبعه المطبع سنة ١٩٢٩ بمصر .

أبا العباس لا تحبّ لسانى لثي من حلى الأشعار طري .

(٢) من قصيدته له مدح فيها أبيه للصمصام وذكر بها فتح حمورية ، ومطابق :

البيد أصلها إباء من السكب إلى حده القديم الجد والعب

انظر من ٢ من الترويض طبعه هي القرن المياني .

القسم الثاني .

فالقسم الأول كقول الحريري في مقدماته : « فهو يَطْبَعُ الأسجاع بجواهر لفظه ،
 [ويترع الأسجاع بزواهر وعطفه ، فإنه جمل أعاد الفصل الأول ^(١)] » مساوية لالتقاط الفصل
 الثاني وزناً وقافية ، فطبل « يطبع » بزاء « يترع » و « الأسجاع » بزاء « الأسجاع »
 و « جواهر » بزاء « زواهر » و « لفظه » بزاء « وعطفه » ، وهذا هو الكلام السهل
 للمستمع الذي تخاله قريباً وهو بعيد الدال ، صير الحصول . وقد ورد هذا القسم كثيراً في الخطب
 التي أنشأها الشيخ الخطيب عبد الرحيم ^(٢) ابن بياتة ، فمن ذلك قوله في أول خطبة : « الحمد
 لله ، عاقد أزمنة الأمور بمزائمه (أمهه) ^(٣) ، وسائد أئمة التورود بقوامس مكره ، وموفق مبيده
 لقائم ذكره ، وعحقق مواعيده بلوازم شكره . ومن ذلك قوله في ذكر الزمان ونقله بأهله :
 « أولئك الذين آفكوا فجمعهم ، ورحلوا ففقم ، وألهم الموت ، كما عظم ، وأنتم الطامعون في
 البقاء بدم ، فيها ^(٤) زعمتم ، كلا والله ما أشخصوا لفرأوا ، ولا يُبصصوا لفسرأوا ، ولا بُدَّ
 أن تغروا ^(٥) حيث صرأوا ، فلا تنقوا بحدود النية ، ولا تغفروا » . ومن ذلك ما جاءنا في
 بعض خطبه : « أيها الناس ، أسيبوا القلوب في راض الحكم ، وأذيقوا الحبيب على ايمناض
 اللحم ، وأطبلوا ^(٦) الاعتبار بانقراض النعم ، وأجيبوا الأفكار في انقراض الامم » . وأمثال
 هذا في كلامه كثير ، وأما ما ورد على نحو ذلك نظماً ، فتقول ذي الرُّمَّة :

كعلاء في برج صفراء في دمع كأنها فضة قد شابهها ذهب ^(٧)

(١) الزيادة من الكل السائر ج ١ ص ٢٦٤ من نسخة خطي . وآخر « الكلمة لصداقة » من مقدمات
 الحريري ج ١ ص ١٥ من طبعة باريس سنة ١٨٤٧ .

(٢) الخطب طبعة ص ١٩ من هذا المخطوب . (٣) زيادة من لكل طائر ج ١ ص ٢٦٥ .

(٤) في كل سائر كما زعمت ص ١٥٥ من ٢٦٥ . (٥) كما في الكل لثروا والاصل « فر » .

(٦) في كل سائر « وأطبلوا » وهو أكثر مناسبة .

(٧) هذا البيت من قصيدته المشهورة :

ما بال عينك دنيا « يا سكب كانه من كل مغربة سرب
 ورواية الجوان :

كعلاء في دمع صفراء في دمع كأنها فضة قد شابهها ذهب

وهذا القسم قليل الاستعمال في الشعر جداً ، فمعرفة إن شاء الله .

القسم الثاني

من النوع الثالث من الترميم

وهو أن يكون أحد الفاظ الفصل الأول مخالفاً لما يوازيه من الفصل الثاني ، وذلك كقول
تأبط شراً^(١) :

حَال أوبسة ، شهاد أندية قوال مُحكمة جواب آفاق^(٢)
ألا ترى أن « أوبية » مثل « أندية » في الوزن والقافية ، ولكن حَال لا يماثل « شهاد »
قافية وإنما يماثل وزناً ، وكذلك « قوال » موازن « جواب » و « مُحكمة » لا يوازن « آفاق »
ومن هنا القسم أيضاً قول الخنساء :

حاي الحقيقة محمود الخليفة م .. دية الطريقة نقاع وشرار
وكذلك قول الآخر :

سود ذوائها يرض رائبها محض غرائبها صبت من الكرم
وأشكال هذا كثيرة فاعرفها إن شاء الله تعالى .

النوع الرابع من الباب الثاني

في لزوم ما لا يلزم

وهو نوع من أشق هذه الصناعات منها ، وأوجها طريقتاً ، لأن المؤلف يلزم في تأليفه
ما لا يجب عليه ليدل به على قوته في الصنعة ، واتساع بابه فيها ، وانطلاق عنانه .

وقد جمع أبو الهيثم (أحمد بن)^(٣) عبد الله بن سليمان في ذلك كتاباً ، وذكر فيه الجيد

(١) تأبط شراً : هو ثابت بن جابر بن سليمان ، أحد الصوفى العرب المعبرين ، وأحد مدائنها للقيروان
انظر لسان العرب ج ٧ ص ١٢٦ عنه .

(٢) في الأصل « قول هذبة » والصحيح من التعليلات الذي ص ٢٩ طبعة دار المعارف بمصر سنة
١٩٤٢ . وقد نسر المحركة بالكسرة المقابلة .

(٣) الزيادة من الملل الشعر ، ج ١ ص ٢٦٢ طبعة المطب سنة ١٩٣٩ بمصر .

الذي لا مطلع فوفه ، والزمدي الذي لا مهورى تحته ، وسنذكر من ذلك عروفاً .

واعلم أن حقيقة هذا النوع هي : أن تكون الحروف التي قبل روي الآيات من الشعر حرفاً واحداً ، وهذا أيضاً موجود في فواصل الكلام المنثور . ومن أراد معرفة ذلك والإطلاع عليه ، فليطلبه من كتاب « الزوم » لأبي العلاء ، وغيره من الكتب المؤلفة في هذا الفن ، فإن كتابنا هذا ليس موضوعاً لشرح هذه الأسباب ، وإنما وضع لن عرف الأصل فيها ، فبين له نحن الجيد منها والرودي ، ونفرق بينهما ، ليعلم أين يضع يده في استعمال ذلك وأخراجه .

فما جاء في هذا الباب قولنا في حصار قلعة : « فلما رأونا يساحتهم حاضرين ، ولهم في عفر دارهم حاضرين ، وهم من بأسنا حذرين ، تنادوا : الاساء صباح للنفوسين » .

ألا ترى إلى العفرتين الآخرين كيف قد رُوم فيها « لئال والراء » نحو « حذر ومنذر » ، وأما العفرتان الأولىان فليستا من هذا القبيل ، لأنه يجب أن يكون بزاء « حاضر » كلمة أخرى في آخرها صاد وراء ، إلا أن ذلك كأنه شبه بما لا يلزم ، والسبب فيه ورود الياء والنون المختصة بالجمع بعد الراء ، ولو كان هذا معتبراً في روم ما لا يلزم ، لوجب أن يكون التأثير لياء والنون ، من غير نظر إلى ما قبلها . وعلى هذا التقدير فلو قلنا القائل « فقا رأونا يساحتهم نالزين » ولهم في عفر دارهم حاضرين » ، لكان ذلك من باب روم ما لا يلزم . وهذا محال يذهب إليه أحد . وإنما الأصل ما أشرنا إليه أولاً فاعرفه .

واعلم أنه متى صغرت الكلمة الأخيرة من الشعر والكلام المنثور ، وجب أن يصغر الباقي اتباعاً للوزن . فن ذلك قولهم بعضهم :

عزّ على ليلي بندي ^(١) سدير	سوءٌ تبيتي ليله النُصير
مقبلاً ^(٢) نفسي في طمير	تلهض الرعدة في ظهيري
يهفو إلي الزودُ من صديري	ظلمآن في دمع وفي مُعْطير

(١) في الأصل « بدسدير » والصحيح من قول الشاعر ١٠٠ ص ٢٤٦ وهو سدير قرية لبي العرب من جزيرة العرب والقديم عند مواعظ منها .

(٢) في الأصل « مقبلاً » ولا سمى له هنا وفي النثر السائر « مقبلاً » وترى أن الصواب ما ذكرناه وهو من جواهر المعنى .

وَأَرْزُقِي لَيْسَ بِالْقَصِيرِ^(١) مِنْ لَدُنْ مَا ظَهَرَ إِلَى سَحِيرِ^(٢)
 حَتَّى يَدْعُوَ لِي جِهَةَ الْقَصِيرِ لِأَوْبَعِ خَلُوفٍ مِنْ شَهِيرِ
 أَلَا تَرَى إِلَى هَذَا الشَّاعِرِ ، كَيْفَ لَزِمَ التَّصْنِيعَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ جَمِيعَهَا ؟ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ
 عَمَلِ الصَّنِيعَةِ فَاعْرِفْهُ .

وَاعْلَمْ أَنَّنَا لَا بَعَثَ الْمُؤَلِّفَ عَلَى اسْتِعْمَالِ هَذَا الْقِسْمِ مِنَ الْكَلَامِ حَتَّى يَجِيءَ بِهِ مُشْكَلًا وَحْشِيًّا
 فَيَكُونُ قَدْ قَصَدَ جُودَةَ الصَّنِيعَةِ وَلِظْهَارِ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ ، وَالْقُوَّةَ فِيهَا ، فَيَلْقِيهِ ذَلِكَ فِيهَا يَشْكُرُهُ مِنْ
 الْأَلْفَاظِ ، وَلِغَايَةِ الْأَمْتِاجِ . وَمَا مِثْلَ الْمُشْكَلِ لِهَذَا الضَّرْبِ مِنَ الْكَلَامِ حَتَّى يَأْتِيَ بِهِ فِي صُورَةِ
 قَبِيحَةٍ ، إِلَّا مِثْلَ الصَّائِغِ الَّتِي بِأَحْسَنِ مَعْوَعًا رَدِيًّا فَيَجْعِدُ فِيهِ عَمَلَهُ ، وَيَخْرُجُ فِيهِ بِدَمْعِ صَنْعَتِهِ
 فَيَكُونُ عِنْدَ ذَلِكَ قَدْ رَاعَى الْفَرْعَ ، وَأَهْلَ الْأَصْلِ ، فَتَذْهَبُ جُودَةُ الصَّنِيعَةِ فِي رَدَائَةِ الصَّوْغِ .
 وَأَمَّا إِنَّمَا أَتَى الْمُؤَلِّفَ بِهَذَا الضَّرْبِ مِنَ الْكَلَامِ ، فَغَيْرِ مُشْكَلٍ وَلَا وَحْشِيٍّ كَلَّفَ لَهُ دُونَ
 وَمُطْلَاوَةٍ ، وَقَدْ اسْتَعْمَلَ ذَلِكَ أَبُو الْعَلَاءِ الْمُرِّي فِي كِتَابِهِ فَأَتَى مِنْهُ بِشَيْءٍ يَبْهَوُ عَنْهُ الطَّبِيعُ كَقَوْلِهِ
 فِي قَافِيَةِ النَّهَاءِ مَعَ الْبَاءِ :

بِئْسَ عَنِ الدُّنْيَا وَلَا بَيْتَ لِي لَهَا وَلَا عَرَسَ وَلَا أُخْتُ
 وَقَدْ تَحَمَّلْتُ مِنَ الْوِزْرِ مَا لَعِجْزُ أُنْثَى تَحْمِلُهُ الْبُحْتُ
 إِنَّ مَدْحُونِي سَاءَ فِي مَدْحِهِمْ وَخَلْتُ أَنِي فِي الْفَرَى سُبْتُ^(٣)

وَقَالَ فِي النَّهَاءِ الْمَضْمُونَةِ مَعَ الْبَاءِ :

لَا يَفْقِدُنْ غَيْرَكُمْ مَجَانِسَكُمْ^(٤) وَلَا تَكُونُوا كَأَنْكُمْ تَسْبَحُ

(١) فِي الْأَصْلِ وَ « أَرْزُقِي » وَ « الْقَصِيرُ » لَعَلَّ الصَّغِيرَ تَرْخِيصٌ لِأَهْلِ الْغُرَبِ .

(٢) « وَفِي شَوَاهِدِ الْعَيْنِ » مِنْ لَدُنْ الظَّاهِرِ إِلَى الْغَائِبِ . انظر حاشية المتن السابق ج ١ ص ٢٢٧ .
 وَفِي حَاشِيَةِ الْأَقْبِيَةِ « تَرْجُوهُ ابْنُ عَابِدٍ : « هَذَا شَاعِرٌ مِنْ آيَاتِ الظُّهْرَةِ سَبَّحَهَا ، وَكُلُّ مَا قَبِلَ فِيهِ لَهُ رَاجِعٌ
 مِنْ طَرَفٍ » ج ٢ ص ٢٧ طَبْعَةُ مَطْبَعَةِ الْمَعَادَةِ سَنَةِ ١٢٩٧ هـ .

(٣) لَرُومٍ مَا لَا يَرْجُمُ ج ١ ص ١٧٢ طَبْعَةُ مَطْبَعَةِ الْغُرُوسَةِ بِبَغْدَادِ سَنَةِ ١٨٩٦ .

(٤) فِي الْأَصْلِ « هَالِكُمْ » وَالتَّصْحِيحُ مِنَ الْكُرُومِيَّاتِ ج ١ ص ٢٢٨ .

ولا تكفون حديث يومهم ما (أكلوا)^(١) أمهم وما طبعوا
وأشال هنا ككثرة في كتابه ، وله من ذلك البديع الشاعر الذي تقاصر دونه الفصحاء
كقوله :

ليل بلا نور أجن^(٢) يمه
وهي الحياة ؛ طنة أو فتنة
حبس الأجنة ليس فيه منار
ثم الهات غشنة أو نلر
وقال :

بقتك بإلاء الخمر الفنى
يسطيك لفتلاً لينا مه
وفي ضمير النفس نأرو تقيد
ومثل حد السيف ما يفتقد^(٣)
وقال أيضاً^(٤) :

تأزع في الدنيا سواك ومآه
ولكنها ملك لرب مقدر
ولم تحظ في ذاك النزاع بطائل
أيا نفس لا تنظم عليك خطوبها
تدأوا إلى النذر القليل جالدا
وما أمّ رجل أو حيلة ضيم
تلاقي الوفود القادمها بفرحة
ولم يتوازن في القياس تيمها
وما هي إلا شاككة ليس عندها
ولا لك شيء في الحقيقة فيها^(٥)
بغير جنوب الأرض مرتد فيها^(٦)
من الأمر إلا أن تصد سفيها
لتتقوها مثل غلظتها
عليه وغلظها لتعرفها
بأعظم من ديناك فأعرفها
وتبكي على آثار منصرفها
وسبحة أودت بعترفها
وجددك أرطاب^(٧) تحترفها

(١) اليلة من الروميات ص ٢٣٥ ج ١ (٢) في الأصل : « لمر » .

(٣) في الأصل « لعد » والصحيح من الروميات ج ١ ص ٣٠٠ .

(٤) في الروميات : « بالغة » ج ٢ ص ١١٠ .

(٥) في الأصل : « بغير جنوب الأرض » والصحيح من الروميات ج ٢ ص ١١٠ .

كأنيفت للطير والوحش رازم^(١) فالتت شروراً^(٢) بين منتصفيا
تأملت عن الانصاف من منيم لم يجد
فأطيق فأ عنها وصحفاً ومقة
كلن التي في الكأس يطقو حبابها
وله من جملة قصيدة :

أرى الدنيا وما وصفت ير^(٣) إذا أغنت فقيراً أوهنته
إذا خفيت ثمر جعلته وإن رُجيت طير عوقته
حيلة كالحيلة ذات مكر ونفس الرء سيد أعلته
وأظن سبها قد أركته إلى بصكية أو فوخته
فلا يُجندع بحليتها أديب وإن هي مسورة ومنطقته^(٤)
أذاقته شيئاً من جناها وموت^(٥) قد عما ذوقته

وأشكال هذه كثيرة في شعره ، فاعرفها فنها من محاسن لزوم ما لا يلزم .

وعليك أيها المتعصب لاستبدال هذا النوع من العكالات أن تسلك هذا الذهب القديم
وتتبع هذا الأنعم^(٦) الرائج ، غير متصيد له ولا مكتر منه حتى تحلث بالني التدرج نحوه ،
وتذهب بروفته وطلاوته . وقد ورد من هذا الباب قول طرفة بن العبد :

ألم تر أن السال يكسب أهله نضوحاً إذا لم تُعط منه نواصيه
أرى كل مال لا بحالة ذاهباً وأفضله ما ورث الحد كاسيه

(١) في النسخ : كأنيفت الوحش والطير رازم . . . الخرويات ج ٢ ص ١١٩ .

(٢) في الأصل « سروراً » وتصحيح من الخرويات .

(٣) في الخرويات : « بين منتصفاً » .

(٤) رواية الخرويات : « فلا يجندع بحليتها أديب وإن هي مسورة ومنطقته » .

(٥) في الأصل « وصوت » . ويرى أن الصوف « وصرت » . وفي المجلد « وصير »
والدقة وبها يصرحا صراً . شد صرعها .

(٦) القلم ، محرر ، وكلمة : معلم سترين أو وسنة (تلموس) .

ألا ترى ما أحسن هذا الأسلوب ، وألطف مأخذه ، وعلى منتهى عبقريته أن يكون الاستعمال فاعرفه .

النوع الخامس من الباب الثاني

في الموازنة

وهي أن تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المتنوع مساوية في الوزن ، وذلك نوع من التأليف شريف الخلق ، لطيف الوقع ، وللكلام به طلاقة ورواق ، وسبب ذلك الاعتدال ، لأنه مطلوب في جميع الأشياء . وحيث كانت مقاطع الكلام معتدلة في الوزن لم يها الصمم ، ووقعت من القلب موقع الاستحسان ، وهذا لا مرأ فيه بحال من الأحوال لبيانه ووضوحه .
فما جاء من ذلك قوله تعالى : « وآتيناهم الكتاب المبين » وهديناهم السير المستقيم^(١) » وكذلك قوله تعالى : « قال^(٢) يا هرون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبع » أنعمت أمري قال يستؤم لا تأخذ بالحق ولا برأسي ، إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي » . وعلى نحو منه ورد قوله تعالى : « من أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزراً » خافين فيه وساء لهم يوم القيامة حلالاً^(٣) » .

ومن هذا الأسلوب قوله تعالى : « يرشد يلبعون الداعي لا هوج له وحشمت الأصوات لرحمن فلا تسمع إلا همساً يرشد لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً » يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً^(٤) » .

وعلى هذا النهج جاء قوله تعالى : « وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً ومسرراً فيه من التوبيخ لعلمهم بقون أو يُعَذِّبُ لهم إذ كُسرَ فَعَالُ الله الملك الحق ولا نمجد بالقرآن من قبل أن يُنْفِصَ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقَدْ رَدَدْنَاهُ^(٥) » . ومن ذلك قوله عز وجل : « قلنا يا آدم

(١) السورة : الصافات الآية ١١٥ . (٢) السورة : مائدة الآية ٩٢ وما بعدها .

(٣) السورة : مائدة الآية : ١٠٠ . (٤) السورة : مائدة الآية : ١٠٧ وما بعدها .

(٥) السورة : مائدة الآية : ١١٦ وما بعدها .

إن حسنا صدوت لك ولوجهك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى
وأنت لا تعلم ما بها ولا تحصى^(١) . وأمثل هذا في القرآن كثيرة ، فأمثله .

النوع السادس من الباب الثاني

في اختلاف صيغ الألفاظ

وهو من صناعة التأليف بمنزلة عليّة ومكالة شريفة

أهم أن الألفاظ إذا قلت من أسلوب إلى أسلوب كثفتها من الواحد إلى الجمع أو إلى
الثانية ، أو إلى التأنيث أو إلى غير ذلك انتقل حسنها وفساد قبحها ، أو قبحها وفساد حسنها ، دليل
ذلك ؛ أن التاء التي تراد في آخر الاسم للفرق في الصفة نحو : مقعد ومقعدة . ألا ترى إلى لفظة
« مقعد » الدالة على مكان الجلوس تجمع على مقاعد ، ولفظة « مقعدة » الدالة على الحمل المخصوص
من الحيوان تجمع على « مقاعد » أيضاً ؛ فإذا وردت هذه اللفظة أمني « مقاعد » في الكلام ،
والمراد جمع « مقعد » استقيحت لئلا يجمع « مقعدة » وذلك مما يكره ذكره ؛ وإنا وددت
منفردة برأسها لم نستطع ولا نستحضره ، قال الله تعالى : « في مقعد صدق عند مليك
مقتدر^(٢) . » ولأجل ذلك لما جاءت لفظة « مقاعد » في القرآن الكريم أضيفت إلى ما لا يحتمل
مع الاستقباح ، فقال جلّ وعلا : « وإذا صدوت^(٣) من أهلك يَوْمَئِذٍ لِلْمُؤْمِنِينَ مقاعد ليشال »
ولولا إضافة مقاعد إلى التشال لاستقبح إيراده هاهنا . وهنا لا يخفى على من له أدنى معرفة
بهذه الصناعة ؛ إلا أن هذا التشال الذي مثناه لا يطرد فيها هذا سببه ، وإنما يقع في بعض الألفاظ
دون بعض ؛ وقد نبهنا عليه في كتابنا ليعرف منه من التأليف .

ومن ذلك أيضاً ما أشرنا إليه في صدر الكتاب في باب الألفاظ المركبة^(٤) وهو أنك ترى

(١) السورة « طه » الآية : ١١٦ وما بعدها .

(٢) السورة « القمر » الآية : ٥٥ . (٣) السورة « آل عمران » الآية : ١٢١ .

(٤) انظر ص ٦٤ وما بعدها من هذا الكتاب ، وانظر الحديث عن هذا في كتاب « دلائل الإلهام »

لخدماء سيدنا الأمام الخميني ، ص ٥٥ وما بعدها من طبعة مطبعة النور سنة ١٣٣٩ هـ .

بعض الألفاظ تروك في كلام ما ، وتزداد بها انجذاباً واستحساناً ، ثم تراها في كلام آخر فتقل عليك وتستكرهها ؛ مثال ذلك : أن لفظة « الأخذع » قد وردت في بيتين من الشعر ، وهي في أحدهما لائقة حسنة ، وفي الآخر نقية مستكرهة ، كقول الصمة بن عبد^(١) الله :

تلفت^(٢) نحو الحلي حتى كائن^(٣) رُجعت من الاستاء (لينا) وأخذنا
وكقول أبي تمام :

يادهر قوم من أخذنيك فقد انسجبت هذا الأقام من خرقك
ألا ترى أنه قد وجد لهذه اللفظة في بيت أبي تمام من الثقل على النفس والسكرانة أهداف ما وجد لها في بيت الصمة بن عبد الله من الروح والطفة والأناش والبهجة ؟! وهذا ما لا يمكن النزاع فيه لظهوره ، وليس سبب ذلك إلا ما أشرنا إليه من اختلاف الصيغة ؛ ألا ترى أن لفظة « الأخذع » قد جاءت هاهنا موحدة ومثناة ، وهي حسنة في حالة الانفراد ، مستكرهة في حالة التثنية .

وقد يكون ذلك لأمر يرجع إلى التركيب لا إلى الألفاظ ، وذلك أن يكون التركيب مختل النظام ، مضطرب الترتيب فتجبي اللفظة عند ذلك مستكرهة ، مستثناة ، لكونها ولودة في غير أماكنها ، وإن كانت من حيث أفرادها حسنة لائقة . وقد تقدم الكلام على ذلك في باب تركيب الألفاظ ، فاعرفه^(٤) .

(١) هو الصمة بن عبد العزيز الثقفي... شاعر يهوى مدح « من شعراء الدولة الأموية » ، هوى امرأة من قومه ، فأبرأ يوحى إلى يزوجها إيعها... وله فيها شعر دقيق نحو به... انظر أخباره في « الأغانى » لـ الجوزي القاسم ص : ١٢٤ وما بعدها من طبعة الناصبي .

(٢) جلبت من صيدة أوردتها أبو تمام في حاشيته في باب الصيب ص ١٢١٥ القسم الثالث طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٣٧١ هـ . ومطابقها :

جئت إلى ديا وهلك بأعدت سزارك من ديا وشعيا كما معاً
وفي ديوان الحمزة : « وجئني » بدلاً من كائن . وقلت : صفحة الفصحى (التاموس) والأخذع : مراد في صفحة الفصحى .

(٣) أنظر ص ٦٨ : وما بعدها من هذا المصنف .

النوع السابع من الباب الثاني

في تكرير الحروف

اعلم أن هذا النوع لا يتعلق بتكرير الألفاظ ولا تكرير الباني مما سبق فذكره في باب التكرير ، لأن تكرار الحروف هو أن يأتي حرف واحد أو حرفان في كل لفظة من ألفاظ الكلام أو في أكثرها ، فيقتل على اللسان النطق بها ، فمن ذلك ما أشهد الجاحظ :

وقبر حـسـرب بـكـلـن قـنـر . وليس كـسـرب قـنـر حـسـرب قـنـر^(١)

ألا ترى إلى هذه الزاآة ، والقصاصات التي في هذا البيت من التسم ؟ فأنها في تناسلها كالسلسلة ، ولا خفاء بما على الناطق بها من الكلفة ، وليس الكلام العساري من ذلك يعوز ولا يميز^(٢) ، ولا هو الذي لا يستعليه إلا الشاعر للبرز أو الكاتب للقلق بل هو مما يصعب النطق به . ولذلك كان كلام الناس في محاوراتهم ، ومكائياتهم ، غالباً من هذا القبيل ، وذلك لأنه لا يحصل إلا بالكساف والقصد اللذان به ، فإما إذا أرسل الإنسان نفسه على سجيئتها ، وختل بينهما وبين طبعها فإنه لا يمرض له ذلك . فليت شعري أي أمر يضطر مؤلف الكلام حتى يأتي به مستكرهاً قبيلاً على اللسان ، ويترك ما هو أسهل عليه .

ألم تعلم أن العرب الذين هم الأصل في هذه اللغة قد عبدوا من تكرار الحروف في كثير من كلامهم ؟ وذلك أنه إذا تكررت الحروف عندهم أدموها استجساراً ، فقالوا : في جعل لك .

« جعل لك » وفي نظريوني « نظريوني » . وكذلك « استمد فلان للأمر » إذا تأهب له والأصل فيه « استمد » ، « واستتب الأمر » إذا نهياً وكل (وأصله استتب^(٣)) وأشبه هذا كثيرة في كلام العرب ، حتى إنهم أشد كراهتهم لتكرار الحروف أبدلوا أحد الحرفين ، لا تكرر ، حرفاً آخر غيره فقالوا : أمليت الكتاب « والأصل من ذلك « أمليت » فبدلوا

(١) البيت مبدول القائل . أنظر البيان ج ١ ص ٦٥ حمة شدة التأليف والدرجة والتفكر سنة

١٩٤٨ القاهرة . وأنظر الجوهري ج ٦ ص ٢٠٧ ومقدمة التصحيح ج ١ ص ١٢ .

(٢) أنظر دلائل الإبهول ص ٤٨ طعة الثاني بقصر سنة ١٣٦٢ هـ .

(٣) زيادة السلوحيه السيل والاساق .

« اللام » ياء طلبا للخفضة على اللسان ، وقرأنا من الثقل والاستقرار .

واعلم أن ورود الالف في هذه القصة أقوى دليل على كراهة العرب تكرار الحروف وفيها
أشرفا إليه كناية للمتأمل ، فاعرفه .

وحيث انقضى بنا الكلام الى هذا المقام ، وفرقنا من جميع الأنواع في علم البيان والافهام ،
فاجعلنا غايته حمد الله على توفيقه ، والمداينة الى أقوم طريقه ، وترغب إليه في العصمة من
الزلل ، والارشاد في القول والعمل ، فن غفر الناصر في كتابنا هذا على سقطة ، أو وقع في أثناءه
على حقوة أو غلطة ، فليُنظر فيها إحصاء الصافي ، وليسرها ستر التجاوز السامع ، فن
الكريم من ستر العورة ، وأقل العثرة .

ثم الكتاب بحمد الله تعالى

وقد حُكِّب في آخره :

وكان الفراغ من تحريره نهار الثلاثاء عشرين (كذا) من شهر شوال
سنة ألف وثلاثمائة وأربعة عشر هجرية (كذا) ، على نبينا أفضل الصلاة والسلام وأزكى التحية
ونقل هذا الكتاب على ذمة الكتبخانة المطبوعية ، بخط العقير الحفيظ محمود صالح ،
غفر الله له ولوالديه والمسلمين ، والحمد لله رب
العالمين ، آمين .

فهارس الكتاب

- ١ — فهرست إجمالي لموضوعات الكتاب
- ٢ — فهرست تفصيلي لموضوعات الكتاب
- ٣ — فهرست الأعلام
- ٤ — فهرست المدن والأماكن
- ٥ — فهرست الكتب
- ٦ — فهرست الأشعار الواردة في متن الكتاب
- ٧ — فهرست الأشعار الواردة في حواشي الكتاب
- ٨ — فهرست الكلمات المشوبة باللهجة الواردة في حواشي الكتاب
- ٩ — فهرست المطأ والصواب

فهرست اجمالی موضوعات الكتاب

الصفحة

٩	مقدمة المؤلف
					القطب الأول « الفن الأول »
					الباب الأول من الفن الأول من القطب الأول
٦	آلات التأليف
٧			القسم الأول [يشترك فيه النظم والنثر]
٢٠			القسم الثاني [وهو ما يخص النظم دون النثر]
					الباب الثاني من الفن الأول من القطب الأول
٢١					و أدوات التأليف
					الباب الثالث من الفن الأول من القطب الأول
٢٦					في الطريق إلى صناعة النظم والنثر
					الباب الرابع من الفن الأول من القطب الأول
٢٨					في الحقيقة والجاز
					الفن الثاني من القطب الأول
٣٣					في الألفاظ والسماني وتفضيل الكلام النثور على المنظوم
					الباب الأول
٣٣	في الألفاظ المفردة

- النوع الأول : يتألف من الحروف ... ٣٤
- النوع الثاني : أن لا تكون الكلمة وحشية ولا متوعدة ... ٤٦
- النوع الثالث : أن لا تكون الكلمة مبتذلة بن البداهة ... ٤٩
- النوع الرابع : أن لا تكون الكلمة قد عير بها عن معنى يكره ذكره ٥٢
- النوع الخامس : أن تكون الكلمة مصفوفة ... ٥٤
- النوع السادس : أن تكون الكلمة مؤلفة من أقل الأوزان تركيباً ٥٧
- النوع السابع : أن تكون الكلمة مبنية من حركات خفيفة ... ٥٩

القسم الثاني من الباب الأول

- في صناعة تركيب الألفاظ ٦٤
- الباب الثاني من الفن الثاني من القطب الأول
- في الكلام على المعاني ٦٨
- الباب الثالث من الفن الثاني من القطب الأول
- في تفصيل الكلام المنثور على المقام ٧٣
- القطب الثاني
- في الأشياء الخاصة وهو فنان ٧٦
- الفن الأول في القصيدة والبلاغة ٧٦
- الفن الثاني من القطب الثاني
- في ذكر أصناف علم البيان وأقسامها ٨٢
- الباب الأول
- في الصناعة العلوية -

- النوع الأول في الاستعارة ... ٨٢

١٣٦	حذف الضرب السادس من القسم الأول من النوع الرابع :
...	حذف الوصف والصفة وإقامة كل منها مقام الآخر ...
١٣٣	حذف الضرب السابع من القسم الأول من النوع الرابع :
...	حذف الشرط وجوابه ...
١٣٤	حذف الضرب الثامن من القسم الأول من النوع الرابع :
...	حذف القسم وجوابه ...
١٣٥	حذف الضرب التاسع من القسم الأول من النوع الرابع :
...	حذف (لو) وجوابها ...
١٣٦	حذف الضرب العاشر من القسم الأول من النوع الرابع :
...	حذف جواب (أما) وجواب (إنما) ...
١٣٧	حذف الضرب الحادي عشر من القسم الأول من النوع الرابع :
...	حذف (لا) من التكليم وهي مرادة ...
١٣٨	حذف الضرب الثاني عشر من القسم الأول من النوع الرابع :
...	الاستكشاف ...
١٣٩	حذف الضرب الثالث عشر من القسم الأول من النوع الرابع :
...	حذف الواو وإثباتها ...
١٤٠	حذف الضرب الرابع عشر من القسم الأول من النوع الرابع :
...	الحذف الذي يوجب الاختلاف في التكليم ...
١٤١	حذف الضرب الخامس عشر من القسم الأول من النوع الرابع :
...	القسم الثاني من النوع الرابع : الأيجاز من غير حذف ...
١٤٢	حذف الضرب السادس عشر من القسم الثاني من النوع الرابع :
...	ما يساوي لفظة معناه ويسمى (المقدير) ...

الضرب الثاني من القسم الثاني من النوع الرابع

١٤٣ فيها زاد معناه على لفظه

النوع الخامس من الباب الأول من الفن الثاني

١٤٦ الأخطاء

النوع السادس من الباب الأول من الفن الثاني

١٥٢ في توكيد الضمير للتصل بالمتفعل

النوع السابع من الباب الأول من الفن الثاني

١٥٦ في السكتاية والتعريض

١٥٧ الضرب الأول من السكتاية (الذي يحسن استعماله)

١٥٧ ١ - القسم الأول : التمثيل

١٦٠ ٢ - القسم الثاني من السكتاية في الإرداف

١٦٠ الفرع الأول من الإرداف

١٦١ الفرع الثاني من الإرداف

١٦٢ الفرع الثالث من الإرداف

١٦٢ الفرع الرابع من الإرداف

١٦٣ الفرع الخامس من الإرداف

النوع الثامن من الباب الأول من النصف الثاني

١٦٩ في استعمال العام في الفني والخاص في الالتيات

النوع التاسع من الباب الأول من الفن الثاني

١٧٢ في التفسير بعد الإبهام

النوع العاشر من الباب الأول من الفن الثاني

١٧٥ في التعقيب للصدي

- ١٧٦ النوع الحادي عشر من الباب الأول من الفن الثاني
في التقديم والتأخير مما لا يتعلق بعلم النحو
- ١٧٩ النوع الثاني عشر من الباب الأول من الفن الثاني
في صلف الظهور على ضميره والانصاح به بعده
- ١٨١ النوع الثالث عشر من الباب الأول من الفن الثاني
في التخلص والاختصاص
- ١٨٧ النوع الرابع عشر من الباب الأول من الفن الثاني
في البدايات والافتتاحيات
- ١٩٣ النوع الخامس عشر من الباب الأول من الفن الثاني
في قوة اللفظ وقوة المعنى
- ١٩٧ النوع السادس عشر من الباب الأول من الفن الثاني
في خذلان المخاطب
- ١٩٨ النوع السابع عشر من الباب الأول من الفن الثاني
في الاستتار
- ٢٠١ النوع الثامن عشر من الباب الأول من الفن الثاني
في الحروف العاطفة والمجازة
- ٢٠٤ النوع التاسع عشر من الباب الأول من الفن الثاني
في التكرير
- ٢٠٤ القسم الأول : الذي يوجد في اللفظ والمعنى
- ٢٠٤ الضرب الأول : المفيد
- ٢٠٧ الضرب الثاني من التكرير في اللفظ والمعنى (غير المفيد) ...

٢٠٩	القسم الثاني من النوع الأول في التكرير : (الذي يوجد في الفن دون اللفظ)
٢٠٩	الضرب الأول للقييد
٢١٠	الضرب الثاني (غير القيد)
	النوع العشرون من الباب الأول من الفن الثاني
٢١١	في تناسب المعاني
٢١١	الضرب الأول : الطائفة وهي المقابلة
٢١٨	الضرب الثاني من النوع العشرين : في صحة التقسيم وفساده ...
٢٢١	الضرب الثالث من النوع العشرين : في التصدير وما يصح من ذلك ما يقصد
	النوع الحادي والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني
٢٢٤	في الخطأ بالجملة الفعلية والخطأ بالجملة الاسمية
	النوع الثاني والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني
٢٢٥	في ورود لام التأكيد في الكلام
	النوع الثالث والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني
٢٢٦	في الاقتصاد والأفراط والتفريط
	النوع الرابع والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني
٢٣٠	في المعاملة
	النوع الخامس والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني
٢٣٢	في التضمين
	النوع السادس والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني
٢٣٥	في الاستخراج
	النوع السابع والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني
٢٣٨	في الأرصاء
٢٨٣	

النوع الثامن والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني

٢٤٢ في التوشيح

النوع التاسع والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني

٢٤٢ في الأخذ والسرقة

٢٤٣ القسم الأول : السخ

القسم الثاني : وهو ضربان

٢٤٣ الضرب الأول : السخ

٢٤٨ الضرب الثاني من القسم الثاني : السخ

لباب الثاني

من الفن الثاني من القطب الثاني

- في الصناعة المنقطة -

النوع الأول من الباب الثاني

٢٥٦ في السجع والازدواج

النوع الثاني من الباب الثاني

٢٥٦ في التجنيس

٢٥٦ القسم الأول من النوع الثاني في التجنيس

٢٥٩ القسم الثاني من النوع الثاني في التجنيس

٢٦٠ القسم الثالث من النوع الثاني في التجنيس

٢٦١ القسم الرابع من النوع الثاني في التجنيس

٢٦١ القسم الخامس من النوع الثاني في التجنيس

٢٦٣ القسم السادس من النوع الثاني في التجنيس

٢٦٣	...	القسم السابع من النوع الثاني في التجسس
	...	النوع الثالث من الباب الثاني
٢٦٣		في الترسيع
		النوع الرابع من الباب الثاني
٢٦٥		في لزوم ما لا يلزم
		النوع الخامس من الباب الثاني
٢٧٠		في اللوازمة
		النوع السادس من الباب الثاني
٢٧٦		في اختلاف مبيع الألفاظ

فهرست تفصیلی لموضوعات الكتاب

٥ - ٦

مقدمة المؤلف :

مقدمة علم البيان (٦) . البحث عن تصانيفه وكتبه (١) . اختلاصه على منظم مکتب
البيان (١) . استخراج منه القرآن ثلاثين ضرباً من علم البيان (٣) . شرحه جميع أنواع
البيان (٤) . تسمية الكتاب (٤) . مدار الكتاب وأبوابه (٤) .

{ القطب الأول }

الفن الأول :

الباب الأول

من الفن الأول من القطب الأول

٢٠ - ٦

آلات التأليف

الحاجة الى وجود الطبع في الانسان (٦) . آلات التأليف فسان (٦) . الأول يشترك
فيه النظم والنثر (٧) . علم النحو (٧) . معرفة اللفظ (١٣) . معرفة أمثال العرب وأيامهم
(١٥) . الاطلاع على كلام المتقدمين من المنظوم والنثر (١٧) . معرفة الأحكام السلطانية
من الإملاء والإمارة (١٧) . حفظ القرآن الكريم (١٩) . حفظ أخبار الرسول (١٩) .
القسم الثاني : وهو ما يخص التأليف دون النثر (٢٠) . معرفة العروض والزخافات
(٢٠) . معرفة القوافي (٢٠) .

الباب الأول

٢٥ - ٢١

من الفن الأول من القطب الأول

في أدوات التأليف

تحذيره من النوع (٢١) . المني هو عباد الله والناظر هو زينة المني (٢١) . محج

البرد عن التعبير بما يقتضيه (٢٢) . تجويد الالفاظ (٢٣) . مخاطبة كل فريق من الناس على قدر طبيعتهم (٢٤) . كتاب الرسول لوائل بن حجر (٢٤) .

الباب الثالث

من الفن الأول من القطب الأول

٢٦ - ٢٧

في الطريق الى صناعة النظم والنثر

ممارسة ابن الاثير لصناعة الكتابة (٢٦) . طريقة كتابة الرسائل (٢٦) معارضة الرسائل (٢٧) . ومعارضة القوائد (٢٧) .

الباب الرابع

من الفن الأول من القطب الأول

٢٨ - ٣٢

في الحقيقة والمجاز

معنى الحقيقة (٢٨) . معنى المجاز (٢٨) . أقسام المجاز (٢٨) . كل مجاز له حقيقة وليس لكل حقيقة مجاز (٣٠) . يُستعمل من الحقيقة إلى المجاز لمعان ثلاثة : الاتساع والمقتضيه والتوكيد (٣٠) . المجاز إذا كثرت لحن بالحقيقة (٣١) .

الفن الثاني في القطب الأول

في الالفاظ والمعاني وتفضيل الكلام للنثر على النظم وهو ثلاثة أبواب

الباب الأول

٣٣ - ٣٨

القسم الأول : في الالفاظ المفردة

أوصاف المقطعة المفردة التي تستحق بها ميرة الحسن والجلوة وهي سبعة أنواع (٣٣) .
النوع الأول : يتأخر مخارج الحروف (٣٤) . ذكر الاصوات والحروف (٣٥) . خروج الصوت (٣٥) . تشبيه الخلق والفهم بالزمار (٣٥) . ترتيب الحروف على سبيل الخارج (٣٦) . الحروف الستة المستحسنة (٣٧) . الحروف الثمانية غير المستحسنة (٣٧) . مخارج الحروف (٣٧) . تعريف ابن سنان للحروف (٣٨) . اعتراض ابن الاثير عليه (٣٨) .

النوع الثاني : وهو أن لا تكون الكلمة وحشية ولا متوحدرة (٤١) . معنى الوحشي (٤١) . - حديث عديقة بن أبي ذهير (٤٢) . - حواب الرسول له (٤٤) . - كتاب الرسول إلى بني نهد (٤٥) . - تعليق ابن الأثير عليه (٤٥) . - الخطري يلام على استعمال الوحشي (٤٦) الانكار على الشاعر في استعمال الوحشي من الكلام أكثر من الانكار على الشاعر (٤٨) .

النوع الثالث : وهو أن لا تكون الكلمة مبتذلة بين العامة (٤٩) . ما كان من الألفاظ والآ على معنى وضع في أصل اللغة فغيرته العامة (٤٩) . ما يكره ذكره (٤٩) . مما اجتذله العامة (٥١) .

النوع الرابع : وهو أن لا تكون الكلمة قد تحبب بها عن معنى يكره ذكره (٥٢) .

النوع الخامس : وهو أن تكون الكلمة مُصغرة في موضع يُستبر بها عن شيء خفي أو لطيف أو ضئيف (٥٤) . معاني التصغير (٥٤) . أبنية التصغير (٥٥) .

النوع السادس : وهو أن تكون الكلمة مؤلفة من أقل الأوزان تركيباً (٥٧) . سبب ذلك (٥٧) .

النوع السابع : وهو أن تكون الكلمة مسببة من حركات خفيفة (٥٩) . انحصار له (٥٩) .

القسم الثاني من الباب الأول

٦٤ - ٦٧

في صناعة تركيب الألفاظ

حسن التأليف (٦٥) . القرآن يفوق جميع الكلام (٦٦) .

الباب الثاني

من الفن الثاني من القطب الأول

٦٨ - ٧٢

في الكلام على المعاني

ما يندعه صاحب الصناعة (٦٨) . ما يحفظه على مثالي تقدم (٦٨) . المعنى هو الذي

يستخرج بالفكرة دون اللفظ (٦٨) . شرف المعنى ودلوته وسنوعه واستغله من نتائج دلو

الهمة وسقطها (٦٩) .

الباب الثالث

من الفن الثاني من القطب الأول

٧٣ - ٧٥

في نفضلي الكلام المشور على الشقوم

لقرآن الكريم ورد شراً (٧٣) . العرب كانوا أفصح الناس (٧٣) . جميع العرب كانوا يقولون النظم (٧٣) . الشعر يتوب مناب النظم . ولا يتوب النظم مناب الشعر (٧٥) . الشعر لا ينال إلا بعد تحصيل آلائه (٧٥) . الشاعر تملو درجته حتى يشل الوزارة وأما الشاعر فلا تملو درجته عن رتبة المستعملين (٧٥) .

(القطب الثاني)

في الأشياء الخاصة وهو فنان

٧٦ - ٨٩

..... الفن الأول في الفصاحة والبلاغة

نحوض هذا الباب (٧٦) . الفصاحة (٧٧) . البلاغة (٧٩) .

« الفن الثاني من القطب الأول »

..... في ذكر أخصاف علم البيان وأقساماتها وهو ههنا

« الباب الأول »

في الصناعة المنوية

النوع الأول : في الاستعارة :

معنى الاستعارة (٨٢) . الاستعارة جمع بين شئين بمعنى «شارك بينهما» (٨٣) . الاستعارة تنقسم قسمين : (٨٤) . الاستعارة البعيدة (٨٩) .

٩٠ - ٩٨

النوع الثاني : التشبيه

حدد التشبيه (٩٠) . قائمة التشبيه (٩٠) تشبيه الفرد بالفرد (٩٢) . تشبيه المركب بالمركب (٩٢) . تشبيه الفرد بالمركب (٩٦) .

٩٨ - ٩٩٢

النوع الثالث : في شجاعة العربية

وهو ستة أقسام :

القسم الأول : في الالتفات ٩٨ - ١٠٢

معنى الالتفات (٩٨) . الرجوع من الخطاب إلى القبية (١٠٠) الرجوع من الفعل
للتنبؤ إلى فعل الأمر (١٠١) . الرجوع من خطاب التقنية إلى خطاب الجمل (١٠١) .

القسم الثاني : في الإخبار عن الفعل لما في المضارع ومن الفعل المضارع بالماضي ١٠٢-١٠٥

القسم الثالث : في عكس الظاهر : ١٠٥ - ١٠٩
تفرد ابن الأنبار بذكره (١٠٥) .

القسم الرابع : في الحل على المعنى : ١٠٦ - ١٠٨

دفع هذا النوع من التأليف (١٠٦) وردده في القرآن وفي فصح الكلام (١٠٦) . تأييد
لذكر (١٠٦) تأكيد الوقت (١٠٧) . حل الواحد على الجماعة (١٠٧) . على الجماعة
على الواحد (١٠٨) .

القسم الخامس : في التقديم والتأخير ١٠٨-١١٨

ما كان التقديم هو الأول به (١٠٩) . تقديم للمفعول على الفعل (١٠٩) . تقديم خبر
للمبتدأ (١٠٩) تقديم الطرف في الإتيان (١١٠) . تأخير الطرف وتقديمه في النحو (١١١)
تقديم المائل (١١٢) . تقديم ما الأول به للتأخير (١١٣) باب الاستفهام (١١٤) .

القسم السادس : في الاعتراض : ١١٨-١٢٢

ما يأتي في الكلام لفائدة (١١٨) . ما يأتي في الكلام لغير فائدة (١٢٠) .

النوع الرابع : في الإيجاز : ١٢٢-١٢٦

القسم الأول : الإيجاز بالخلف : وهو أربعة عشر باباً ١٢٢-١٢٤

الضرب الأول : الاكتفاء بالسبب عن السبب (١٢٤) .

الضرب الثاني : الإضمار على شريطة التفسير : (١٢٥) .

الضرب الثالث : حذف الفعل وجوابه : (١٢٧) . إقامة المصدر مقام الفعل (١٢٨)

حذف جواب الفعل (١٢٩) .

الضرب الخامس : حذف المضاف والمضاف اليه وإبقاء كل منهما مقام الآخر : (١٣٠) .

الضرب السادس : حذف الموصوف والصفة وإبقاء كل منهما مقام الآخر : (١٣١) .

الضرب السابع : حذف الشرط وجوابه (١٣٣) .

الضرب الثامن : في حذف القسم وجوابه : (١٣٤) .

الضرب التاسع : في حذف (لو) وجوابها : (١٣٥) .

الضرب العاشر : حذف جواب (لَئِنْ) وجواب (أَلَمْ) وجواب (إِذَا) (١٣٦) .

الضرب الحادي عشر : في حذف (لَا) من الكلام (١٣٧) .

الضرب الثاني عشر : في الاستئناف : (١٣٧) . إعادة الأسماء والصفات (١٣٧) .

الاستئناف بغير إعادة الأسماء والصفات (١٣٨) .

الضرب الثالث عشر : في حذف التوابع وإباليها (١٣٩) .

الضرب الرابع عشر : في الحذف الذي يوجب الإحلال في الكلام (١٤١) .

القسم الثاني : الإيجاز من غير حذف ١٤٢ - ١٤٦

الضرب الأول : ما يساوي لفظة معناه : ويسمى التندير (١٤٢) .

الضرب الثاني : فيه زاد معناه على لفظة وهو الإيجاز باللهصر (١٤٣) كثرة في القرآن

(١٤٣) . باب أقول (١٤٥) .

النوع الخامس من الباب الأول من الفن الثاني

١٤٦ - ١٥٢ في الاطناب

التياس هذا النوع (١٤٦) . قول أبي هلال العسكري فيه (١٤٧) . رد ابن الأثير

عليه (١٤٨) معنى الاطناب (١٥١) .

النوع السادس من الباب الأول من الفن الثاني

١٥٢ - ١٥٦ في توكيد الضمير التعليل بالتفصيل

قوائد قوله تعالى : انك أنت الأهل (١٥٢) .

١٥٦ - ١٦٩

النوع السابع : في السكتاية والتعريض

خطط القدماء بين السكتاية والتعريض (١٥٦) . تعريف السكتاية (١٥٦) . تعريف

التعريض (١٥٧) .

الضرب الأول من السكتاية (الذي يحسن استعماله) (١٥٧) . وهو أربعة أقسام :

القسم الأول : التثنية (١٥٧) . القسم الثاني : في الأرداف (١٦٠) . والأرداف

خسة فروع :

الفرع الأول : قبل البادعة (١٦٠) . الفرع الثاني : وهو باب تشل : (١٦١) .

الفرع الثالث من الأرداف : وهو ما يأتي في جواب الشرط (١٦٢) . الفرع الرابع من

الأرداف وهو الاستثناء من غير موجب (١٦٢) . الفرع الخامس من الأرداف : (١٦٣) .

القسم الثالث من السكتاية : وهو المحاورة (١٦٤) . القسم الرابع من السكتاية : ما ليس

بتشليل ولا يرداف ولا محاورة (١٦٥) .

التعريض : وجوازه في خطبة النساء (١٦٦) . من يدعي التعريض (١٦٧) من

مشكلات التعريض (١٦٧) . من أحسن التعريضات ما كتبه عمرو بن مسعدة (١٦٩) .

النوع الثامن من الباب الأول من الفن الثاني :

١٦٩ - ١٧٢

في استعمال العام في التثني والخاص في الإثبات

النوع التاسع : من الباب الأول من الفن الثاني :

١٧٢ - ١٧٥

في التفسير بعد الإبهام

الابتداء بذكر التفسير (١٧٣) . الإبهام من غير تفسير (١٧٤) . الاستثناء العديدي (١٧٤)

النوع العاشر من الباب الأول من الفن الثاني :

١٧٥ - ١٧٦

في التعقيب للمصدر

النوع الحادي عشر من الباب الأول من الفن الثاني :

١٧٦ - ١٧٩

في التقديم والتأخير مما لا يشغلنى يعلم النحو

تقديم السبب على السبب (١٧٩) . تقديم الاكثر على الاقل (١٧٧) .

النوع الثاني عشر من الباب الأول من الفن الثاني :

في طلب الظهور على ضميره والاقتضاح به منه
١٧٩ — ١٨١
قائده (١٧٩) . ما يقصد به التزم (١٨٠) .

النوع الثالث عشر من الباب الأول من الفن الثاني :

في التخلص والاقتضاب
١٨١ — ١٨٧
معنى التخلص (١٨١) معنى الاقتضاب (١٨١) .

النوع الرابع عشر من الباب الأول من الفن الثاني :

في البادي، والافتتاحات :
١٨٧ — ١٩٣

فوائد هذا الباب (١٨٧) . إحقق من ابراهيم وقصر المتعمم (١٨٨) . الابتدئات في

القرآن (١٩١) الاجتهاد المستكره (١٩١) . الابتدء البديع البارح (١٩١) .

النوع الخامس عشر من الباب الأول من الفن الثاني :

في قوة اللفظ القوة المعنى
١٩٣ — ١٩٧
« قائل » و « قائل » وأيهما أبلغ (١٩٣) .

النوع السادس عشر من الباب الأول من الفن الثاني :

في خذلان المخاطب
١٩٧ — ١٩٨

النوع السابع عشر من الباب الأول من الفن الثاني :

في الاشتقاق
١٩٨ — ٢٠٩

تفصيل بعضهم الاشتقاق على التجنيس (١٩٨) . الاشتقاق الصغير (١٩٩) — الاشتقاق

الكبير (٢٠٠) .

النوع الثامن عشر من الباب الأول من الفن الثاني :

في الحروف العاطقة والجارئة
٢٠٩ — ٢٠٣

النوع التاسع عشر من الباب الأول من الفن الثاني :

٢٠٤ - ٢١١

في التكرير

ما يوجد في اللفظ والمبنى (المفيد) (٢٠٤) . الضرب الثاني من التكرير في اللفظ والمبنى (غير المفيد) (٢٠٧) . التكرير الذي يوجد في المبنى دون اللفظ (٢٠٩) . الضرب الأول (المفيد) (٢٠٩) . الضرب الثاني (غير المفيد) (٢١٠) .

النوع العشرون من الباب الأول من الفن الثاني :

٢١١ - ٢٢٤

في تناسب المعاني : وهو ثلاثة أضرب :

الضرب الأول : المطابقة : وهي للمقابلة (٢١١) . تسمية « قبالة » له بالتجنيس (٢٢١) . مقابلة الشيء بضده (٢١٢) . مقابلة الشيء بغيره (٢١٣) . وهو ضربان : الضرب الأول : ما كان بين القابل والقابل له متناسق وتقابل (٢١٣) . الضرب الثاني : أن يقابل الشيء بما يآيئه ويبتدئ به (٢١٣) . الضرب الثاني من النوع العشرين : في صحة التقسيم وفساده (٢١٨) . الضرب الثالث من النوع العشرين : في التفسير وما يصح من ذلك ويفسد (٢٢١) .

النوع الحادي والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني :

٢٢٤ - ٢٢٥

في الخطأ بالجملة الفعلية والخطأ بالجملة الاسمية

النوع الثاني والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني :

٢٢٥ -

في ورود (لام التأكيدي) في الكلام

النوع الثالث والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني :

٢٢٦ - ٢٣٠

في الاقتصاد والافراط والتقريب

التقريب (٢٢٦) . الافراط (٢٢٨) . الاقتصاد (٢٢٩) .

النوع الرابع والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني

٢٣٠ - ٢٣١

في المطابقة

٢٩٥

قول « قداسة » فيه (٢٣٠) . مخالفة لما في البيان لقراءة (٢٣١) . العاطفة إياها الضمير والتأخير (٢٣١) .

النوع الخامس والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني :

٢٣٥ — ٢٣٥

في التضمين

تضمين الاسناد (٢٣٢) .

النوع السادس والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني :

٢٣٨ — ٢٣٨

في الاستدراج

النوع السابع والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني :

٢٤١ — ٢٣٨

في الارصاد

النوع الثامن والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني :

— ٢٤٢

في التوشيح

النوع التاسع والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني :

٢٤٢ — ٢٥٠

في الأخذ والسرقة

السخ (٢٤٣) . السخ (٢٤٣) . السخ (٢٤٨) .

اللباب الثاني

من الفن الثاني من القطب الثاني

« في الصناعة المقطبة »

النوع الأول من الباب الثاني

٢٥١ — ٢٥٥

في السجع والازدواج

ثم جملة السجع (٢٥١) . ودان الآتي عليهم (٢٥١) . أقسام السجع (٢٥٣) .

النوع الثاني من الباب الثاني

٢٥٦ — ٢٦٣

في التجليس

تسميته بذلك (٢٥٩) . وهو سبعة أقسام :

القسم الأول من النوع الثاني من التجنيس (٢٥٩) وهو التجنيس الطلق .

القسم الثاني من النوع الثاني من التجنيس (٢٥٩) . وهو أن تكون الألفاظ متساوية
التركيب مختلفة الوزن .

القسم الثالث من النوع الثاني من التجنيس (٢٦٠) أن تكون الألفاظ متساوية في
الوزن مختلفة من التركيب .

القسم الرابع من النوع الثاني من التجنيس (٢٦١) أن تكون الألفاظ مختلفة في الوزن
مختلفة في التركيب بحرف واحد .

القسم الخامس من النوع الثاني من التجنيس (٢٦١) .

وهو المكسوس : وهو غير بلن : الأول : عكس الألفاظ (٢٦١) . والضرب الثاني :
عكس الحروف (٢٦٢) .

القسم السادس من النوع الثاني من التجنيس : وهو الخسب (٢٦٣) .

القسم السابع من النوع الثاني من التجنيس : وهو ما تساوي وزنه وتركيبه (٢٦٣) .

النوع الثالث من الباب الثاني :

٢٦٣ — ٢٦٥

في الترميع

أوله (٢٦٣) . أقسامه : القسم الأول : وهو أن تكون ألفاظ الفصل الأول مساوية

لألفاظ الفصل الثاني وزنه وقافية (٢٦٤) . القسم الثاني : ما كان أحد ألفاظ الفصل الأول
هائلاً له جزأيه من الفصل الثاني (٢٦٥) .

النوع الرابع من الباب الثاني

٢٦٥ — ٢٧٠

في قروم ما لا يلزم

جمع أبي العلاء كتاباً في ذلك (٢٦٥) . حقيقة هذا النوع (٢٦٦) .

٢٩٧

النوع الخامس من الباب الثاني :

٢٧٠ — ٢٧١

في الوزارة

النوع السادس من الباب الثاني :

— ٢٧١

في اختلاف صيغ الألفاظ

فهرست الأعلام

أبن جني - ٢٩ و ٣٦ و ٣٧ و ٥٩ و ٩٨	حرف الألف
و ٢٠٨	إبراهيم (السورة) ٥٧ و ١٠٨ و ١١٤
أبن الجوزي - ١٢٨	و ١٣٦ و ١٦٧ و ١٧٣ و ١٨٣ و ١٨٥ و ١٨٧
أبن الحاجب - ٩	إبراهيم النعمه - ١٨٥
أبن حاجب - ١١	إبراهيم بن الدبر - ٩٧
أبن خريم بن عمرو - ١٢٧	أبرويز - ٢٤
أبن خلكان - ١٨٢	أبن يويه - ٢٩
أبن النسيه - ١٥٩	أبن الأثير - ٤٤ و ٥٨ و ٩٨ و ١٥٣
أبن دحيق - ٢٣ و ٢٧ و ١٨٨	و ١٩٥ و ١٩٨
أبن الروي - ٤٧	أبن أبي الحديد المدائني - ١٤ و ١٥ و ٣٩
أبن ربيعة الطائي - ٢٠٠	و ٤٠ و ١٧٠
أبن الزمكهم - ١٨٥	أبن أبي طالب (علي) - ٤٥
أبن السراج - ٢٩	أبن الأصبع (عزام) - ٤٣
أبن سعد - ٢٤	أبن أبي مينة (عبد الله بن محمد الهيلي) -
أبن سنان الثقافي - ٣ و ٣٢ و ٣٥ و ٣٤	١١٦
و ٣٨ و ٣٩ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٨ و ٧٧ و ٧٨	أبن برهان - ١٩٦
و ٧٩ و ٨٢ و ١٥٦ و ١٥٧	أبن بري - ٤٨
أبن حينا - ٣٥	أبن تقري بردي - ١٨٦
أبن شاكر الكندي - ٣	أبن جعفر - ١٩٠

ابن صميع الرندي - ١٦٨

ابن طباطبأ - ٨٧

ابن الطرية - ٧٠

ابن عباد - ٢٠٩

ابن عبد الحق - ١٦٧

ابن عدلان - ٢٠٨

ابن منصور - ٤٨

ابن قرس - ١١ و ٢٦ و ١٦١ و ١٧٢

ابن قتيبة - ١٤٧ و ١٤١ و ١٤٢

ابن القوطية - ١٩٥

ابن كثير - ٢٢

ابن كمال - ٢٦

ابن مسعود - ٣٦

ابن مفلون (ميان) - ١٦٧

ابن المنكر - ٢٢ و ٩٤ و ١٤٣ و ١٨٩

١٩٠ و

ابن نباتة - ١٨٢

ابن النديم الواسلي - ٢٩ و ١٨٦ و ١٩٠

ابن هانيء للقرني - ٤٦ و ٥٣ و ١٢٠

٣١٠ و

ابن هانيء الحسكي (أبو نواس) - ٤٦

أبو اسحاق ابراهيم بن هلال بن زهرود

الصائي - ١٨ و ٥٣

أبو أيوب (أحمد بن عمران) - ١٦٦

أبو أيوب الورداني - ١٦٩

٣٠٠

أبو البهاء البكيري - ٤٩ و ٥٠ و ٥١ و ١٦٦

أبو بكر الاسفازاري - ٢

أبو عسلم - ٢ و ٦٧ و ٨٥ و ٨٨ و ٩٥

١٦٨ و ١٨٧ و ١٩٠

أبو جابر - ١٨٥

أبو جعفر اللذي - ١١

أبو الحارث (غيلان بن مقبة) - ٩٧

أبو الحسن (أبو القاسم) - ٤٦

أبو الحسن الأعففى - ٢٩ و ٣٧ و ١٣٠

أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبدالله

الزمانى - ٢

أبو الحسن الرواق - ٢

أبو الحسن علي بن الجهم - ١٨٢

أبو حيان التوحيدى - ٢٧

أبو دلف القاسم بن عيسى - ١٤٢

أبو دؤاد - ١٤١

أبو دؤاد الأمانى - ١٤١

أبو زهير (طهفة) - ٤٢

أبو زيد الأنصارى - ٨٩

أبو سعيد الكنري - ٨٩

أبو الطيب (اللثبي) - ١٩ و ٤٩ و ٥١

٥٨ و ٩٤ و ١٦٦ و ٢٠٨ و ٢٠٩

أبو العباس الأزد - ٣٦

أبو عامر - ٩٦

أبو العباس - ٢٢

أبو عبدالله محمد بن الحسن الذمحي - ١٣

أبو عبدة - ٤٤

أبو عثمان - ٩٠

أبو عثمان النازي - ٩٠

أبو عثمان الجاحظ = الجاحظ

أبو العلاء - ١٨٢

أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالفارسي - ٢

أبو علي الفارسي - ٢٩ و ٤٨

أبو جعفر بن علي الأندلسي - ٤٦

أبو الميثل - ١٩٠

أبو الفتح بن جني = ابن جني

أبو الفرج (قدامة بن جعفر) - ٢١١

أبو الفرج الشيباني - ٥٢

أبو الفضل (مرو بن سمدة بن سمدة بن

سول) - ١٦٩

أبو القاسم الآمدي - ٢ و ٤ و ٤٦ و ٨٧ و ٧٨

أبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب - ٢٢

أبو الحسن مسعود بن محمد بن غانم - ١

أبو محمد بن سنان الحفاجي - ابن سنان

أبو محمد (إسحاق بن إبراهيم بن ملكان)

- ١٨٦

أبو منصور الجواليقي - ٥١ و ٥٠

أبو منصور التمدلي - ٢٠٨

أبو نواس - ٤٦ و ١٥٩ و ١٨٨ و ١٩٠

أبو نهشل (حيد) - ١٩٢

أبو هلال العسكري - ٢ و ٤٧ و ٨٢ و ١٥٥

و ٢٠٠

أبو الفيلهم (بن حمارة بن خريم) - ١٢٧

أبو الوليد (ممن بن زائدة) - ٩٥

أبو يحيى عبد الرحيم - ١٩

أبو يعقوب إسحاق بن حسان - ١٢٧

أبي بن كعب - ٣٦ و ٢٨

أحمد - ٩٩

أحمد بن طاهر - ١٨٦ و ١٨٩

أحمد بن عمران - ١٦٦

أحمد بن الدبر - ٩٧

أحمد بن هشام - ١٨٦

أحمد مصطفي الرافعي - ٦٦

الأحطال - ١٩٠

الأخفش - ٢٩

الأرجاني - ١٨٩

الأردوي - ٩٥

الأزهري - ١٥٦

إسحاق - ١٨٦ و ١٨٧

إسحاق بن إبراهيم اللوسلي - ١٨٦ و ١٨٩

و ١٩٠

أسد - ١١٣

الاحدي (الحسين بن مطير) - ٩٥

إسماعيل - ١٩ و ٥٧ و ١٧٣ و ١٨٧

أشجع بن عمرو - ١٨٩

الأسلمي - ١٠ و ١٣ و ١٤ و ١٤٣ و ١٩٥

الأمهرج - ١١

أم جنب - ١٤١

الأميني - ٣٤ و ١٦٨

أم زرع - ٦٤

امير القيس - ١٧ و ٨٧ و ٨٧ و ١٠٦

و ١١٥ و ١١٦ و ١٣٧ و ١٤١ و ١٥٦ و ١٥٧

الامين - ٩٢ و ١٨٦ و ١٩٠

الأندي (محمد بن هانيء) - ٤٦

أوس بن حجر - ١٠٦

حرف الباء

الباني (الحلي) - ٤٢ و ١٦٩

البحري - ٩٧ و ١٢٤ و ١٢٦ و ١٩٠

و ١٩٩ و ٢١٣

الباخري - ٢٠

البرقيسي - ١٨٥ و ١٨٦

البرقي - ١٦٧

الرامكة - ١٨٩

الرفعادي - مساعد بن الحسن - ٩٦

بكر بن محمد البصري - ١١٠

بكر بن النطاح - ٩٢

بنت حكيم (خولة) - ١٦٧

بنو إسرائيل - ١١٩ و ١٣٤

بنو نعيم - ١٨٠

٣٠٢

بنو العباس - ٩٥

بنو ثعلبة بن سعد بن ثعلبة - ١٥

بنو الحارث بن كعب - ١٦٨

بنو محارب بن حصفة - ١٤١

بنو معقل - ١٨٥

بنو سعد - ٤٥

بنو نهد - ٤٥

بنو النجار - ١٢٨

حرف التاء

تأبط شرأ - ٥٤ و ١٣٠

التبريزي - ٥٤ و ٨٥ و ٨٨ و ٩٥ و ١٢٧

و ١٦٨ و ٢٠٠

تميم - ١٤١

حرف الثاء

تمود - ٢٠٦

تعليق - ٢٧ و ٢٩

التعالي - ٢٠٩

حرف الجيم

الجاحظ - ٢ و ٣٤ و ٨٢ و ١٦٦

جارية بن الحجاج - ١٤١

الجراني (عبد القاهر) - ٦٤ و ٧٠ و ٣٣

جيرر بن عطية - ٩٩

الجزوي - ٣٦

جعفر - ٤٦

جعفر بن سليمان الهاشمي - ٩٠

جعفر بن علي الأندلسي - ٤٦

الجهشياري - ١٦٩

الجسومري - ١ و ١٠ و ١١ و ٢٦ و ٤٧

و ٩٢ و ٩٤ و ١٠٨ و ١٩٤

حرف الحاء

حاتم - ١٢٦

الحارثي - ١٦٨

حبيب النجار - ١٠٢

حجازي - ٢٣

الحريري - ٤٨

حسام الدين - ٢٠٨

الحسن بن بشر الآمدي - ٨٧

الحسن بن سهل - ٩٤٢

الحسن بن عبد الله العسكري - ٢٠

حسن السندوقي - ١٣٧

الحسين بن إسحاق التنوخي - ٤٩ و ٥٠

الحسين بن مطير الأسدي - ٩٥

الحطبي - ٥٠ و ٥٣ و ١٦٦

حميد بن عبد الحميد الطوسي - ١٤٢

حميد أبو نَهشل - ٩٢

حنظلة بن الثمري - ١٤١

الحيان - ٢٠٠

حرف الحاء

خلد - ١١٣ و ١١٦ و ١٢٦ و ١٦٩

خلد بن عبد الله القسري - ١١٣

خلد بن الوليد - ١١٣

خلد بن يزيد بن مزيد الشيباني - ١١٦

الخطري - ١٢٧ و ١٧٩

الخطير بن أحمد الخطيب - ١٢٦

الخطيب - ٩٢ و ١٨٦ و ١٨٩

الخطيب البغدادي - ١٤٣

الخطيب التبريزي = التبريزي

الخطيب القزويني - ٦٩

الخطاحي - ٣

الخطيل بن أحمد - ١١ و ٢٨ و ٣٦

خولة بنت حكيم - ١٦٧

حرف الدال

داود - ١٢٨

حرف الدال

ذو الرمة - ١ و ٩٢ و ١٠٧ و ١٨٨ و ٢١٤

ذو السكفلى - ١٨٧

حرف الزاء

رزق الله سر كيس - ٢١٣

الرشيد - ٩٣٣ و ١٨٦ و ١٨٧ و ١٨٩

الرضي - ٥٣ و ٥٦ و ١٦٩

الرضي الأسترآبادي - ١١

رضي - ١٤٠

الرماني أبو الحسن علي - ٢

ر - ٦٧

حرف الزاي

الزجاج ٢٩ و ١٩٥

الزركلي - ٢٢ و ٢٩ و ٤٦ و ١٢٨

الزحسري - ٢٤ و ٦٥ و ٨٩ و ١٤٠ و ١٥٣

و ١٦٧ و ١٦٨ و ٢٠٧

الزركم - ١٨٥

زهير - ١٢٠

حرف السين

الساقي - ١٢٧ و ١٦٥ و ١٦٦ و ١٨٩

سماذ - ١٩٠

سعد - ٧١

سعيد بن دباس بن هاني - ١٩٠

الساقي - ١٨٩

سلي - ٩٧

سليمان - ١٦٦

سليمان بن قهد الموالي - ١٨٥

سليمان بن عبد الله - ١٦٥

السبعاني - ٢

سويد بن صبيح - ١٦٨

سيويه - ٢٨ و ٢٩ و ٣٧ و ١٣١

سيف الدولة - ٢٩

سيف الدولة بن حمدان ٥١ و ٩٤

السيوطي - ٢٨ و ١٠

حرف الشين

الشافعي - ١٩

الشريف الرضي ٣٢ و ٥٣ و ٥٤ و ١٦٦

و ١٦٧ و ١٦٨ و ٢١٢

شكيب أرسلان - ٨٨

الشمسيزي الحارثي - ١٦٨

شهاب الدين محمود الآكوسي - ٤٨

حرف الصاد

الصافي ١٨ و ١٩ و ٢١١

الصاحب - ٢٠٨

صاعد بن الحسن البغدادي - ٦٩

الصفدي - ١٤٣

الصفا بن عبد الله بن طافيل - ٦٦

حرف الطاء

الطائغ - ١٨

طرفة بن العبد البكري - ١٧

طه - ٦٣ و ١٣٠ و ١٤٤ و ١٥٥

طهفة بن زهير ٤٢

حرف العين

جاد - ١٣٤ و ٢٠٩

العباس بن الأختف - ١٣٣

عبد الرحيم بن بيات - ١٩

عبد العزيز بن حمدان - ١٦٥

عبد القاهر الجرجاني - ٦٤ و ٧٦ و ٨٣

عبد الله ٢٢

عبد الله بن خليفة - ١٩٠

عبد الله بن طاهر - ١٢٠

عبد الله بن مسعود - ٣٦ و ٥٥ و ١٢٨

عبد المجيد اللالا - ١٣٣

عبد الله بن طاهر الخزازي - ١٩٠

عبد القهاب عزام - ٩٤

عبد الله بن سليمان - ٢٢

عثمان بن جني = ابن جني

عثمان بن مضعون - ١٦٧

عصام بن الأصبع - ٤٣

عروة بن الورد - ٧٨

عزة - ٧٠ و ١٦٤

عز الدين بن أبي الحديد = ابن أبي الحديد

عز الدين بن الأثير - ٢

عز الدولة - ١٨

عصف الدولة - ٢٩

عفيف الدين علي بن عدلان = ابن عدلان

عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى - ٣٠

العكبري = أبو البقاء العكبري

علي الأرمي - ١٢٤

علي بن جبلة - ١٤٢

علي بن عبد الله بن حمدان = سيف الدولة

٩٤

علي بن المهمل - ١٨٢

علي بن محمد بن جعفر بن علي بن الحسين

العلوي - ١١٧

علقة - ١٤١

علقة بن عتبة - ١٤١

علي بن أبي طالب - ٤٥ و ١٠٥

عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير - ١١٦

عمر بن أبي ربيعة - ١٠٨

عمر بن عبد العزيز - ١٦٧

عمر بن عثمان - ٦٨

عمران - ٥٧ و ١٣٦

عمر بن مسعدة - ١٦٩

عنقة - ١٦٤

عيسى الباني - ٢٤ و ١٥٤

حرف النجف

الحائمي - ٨٢ و ١٥٦ و ١٨٢

حبلان بن عقبة (أبو الحارث) - ٩٧

حرف الباء

الحارسي - ٢٩

حقري - ٢٢

فرعون - ١٣٤ و ١٤٤ و ١٧٣ و ٢٠٦

الفرزدق - ١١٣ و ١١٤ و ١٩٩

فرياس كرككو - ١٩٠

الفضل بن يحيى - ١٨٨

فروز - ١٩٠

القبوي - ١١ و ١٠٦

حرف القاف

قدامة بن جعفر - ٢ و ٢٠ و ٣٤ و ٨٢

و ٨٧ و ١٦٠ و ٢١١ و ٢١٢

قدور - ١٩٠

قرواش - ١٨٥

قرواش بن القلج (أمير بني عقيل) - ١٨٥

القزويني (الخطيب) - ٦٩

قس بن ساعدة - ٧٣

حرف الكاف

كثير عزة - ٧٠ و ١٢٠ و ١٦٤

الكسائي - ٢٨

كشاف - ١٧٧

كسرى - ٢٤

حرف اللام

ليبد - ٢٧ و ١٤١

لقمان - ١١٩

لوط - ٢٠٦

حرف الميم

المأمون - ١٤٢ و ١٦٩ و ١٨٦

المبارك (ابن الأثير) - ٤٣

المرد - ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٩ و ٣٧ و ١١٦

المتقي (أبو الخطيب) - ٥٠ و ٥١ و ٥٨

و ٩٤

الموكل (علي الله العباس) - ٢١٣

محمد بن عبد الله المبري - ٢٢

محمد بن يزيد الأزدي (المبرد) - ٢٢

محمد (رسول الله ص) - ٢٤ و ٤٥

محمد بن الحسين بن عبد الحميد - ١٣

محمد بن هاني - ٤٦

محمد بن الحسين - ٦٧

محمد علي صبيح - ٨٥

محمد عبده عزام - ٨٥

عمود شكري الأتومي - ٤٨ و ١٤١

الرزوقي - ٣٣

مرمر (سورة) - ٧٥ و ١٢٦ و ١٥٤

المرزباني - ١٤١ و ١٦٩ و ١٨٨

مرغلبيوت - ١٦٩

مسلم - ٢٠٨

معدة - ١٦٩

مصطفى الباسي (الخطيب) - ٤٩ و ١٣٠

و ١٦٧

مصطفى جواد (الدكتور) - ١٨

الطبيع - ١٨

معاوية - ٢٤

المتنصم (الخطيب العباسي) - ١٨٦ و ١٨٨

و ١٨٩ و ١٩٠

المتنصم - ٢٢

معن بن زائدة - ٩٥

القريبي (ابن هارون) - ٤٦

الكتيب بن علي المجدي - ٢٠٤

الفضل بن محمد - ١٥

الفضل الشبي (أبو عبد الرحمن) - ١٥

النصور (محمد بن أبي نصر) - ٨٦

النصور - ٤٧ و ٩٥ و ١٦٩

الورداني (أبو أيوب) - ١٦٩

موسى - ١٠١ و ١٠٢ و ١٢٥ و ١٢٥

و ١٢٨ و ١٢٩ و ١٥٣ و ١٥٥ و ١٥٩

و ١٧٣

موهوب بن أحمد ابن الجواليقي -

٥١

حرف الهاء

الحادي - ١٨٦

هارون الرشيد - ٩٢ و ١٠١ و ١٢٨ و ١٢٩

هامل - ١٧٣

هرود (السوداء) - ٢٨ و ١٠١ و ١٠٥

و ١٣٦ و ١٣٩

حرف الحاء

وائل بن حجر - ٢٤

وائل بن حجر بن ديمة - ٢٤

الراحمي - ٢٠٨ و ٢٠٩

الزبيد بن القيرة الخزوي - ١٤٤

حرف اللام

ياسين - ١٣٧ و ١٣٨

ياقوت - ١٨ و ٢٩

ياقوت الخوري - ٢٢ و ٨٧ و ٩٦ و ١٣٢

و ١٨٥ و ١٨٨

يحيى البرمكي - ٢٨

يحيى بن خالد بن برمك - ١٨٩

اليصح - ١٨٧

يعقوب - ١٨٧

يوسف - ١٢٩ و ١٣٠ و ١٣٧ و ١٧٠

يونس - ٩٣ و ١١٥ و ١٢٤

حرف النون

نابغة - ١٢٠

نافع بن أبي نعيم - ١٠

ناعم - ١٩

نصر الله بن الأثير - ٣٩

نصيب بن رباح - ١٦٥

نظام الملك - ٢

نيمان - ٢

نيمان (الأعماني) - ١٣٣

نوح - ١٧١ و ١٧٤ و ٢٠٥ و ٢٠٦

فهرست المدن والأماكن

حرف الألف	حرف التاء
الأبلة - ١٣٢	تهامة - ٤٢
أجر الحبيب - ١٣٢	حرف الحاء
الأستاة - ١٥ ، ٤٧ ، ٤٠	حلب - ٢٩
إسطنبول - ١٥ ، ٤٧ ، ٤٠	حنين - ١٦٧ و ١٦٨ و
إشبيلية - ٤٦	حرف الخاء
أفريقية - ٤٦	خراسان - ٩٥ و ١١٣ و ١٣٣ و ١٣٤
أنطلس - ٩٦	و ١٨٩
الأهواز - ٨٢	حرف القاف
أوربا - ٢٢ و ١٤٢ و ١٦٧	دمشق - ٥٩ و ١٨٢
حرف الياء	حرف الزاء
باريس - ١٨ و ١٩	الرقّة - ١٨٩
بشّري - ١٨٥	الري - ١٩٠
البصرة - ٢٢ و ٢٨ و ٨٧ و ١٣٢ و ١٨٩	حرف الراء
بنغاز - ٢٩ و ٤٧ و ٥٠ و ٥١ و ٨٢ و ٩٦	الزّاب - ٤٦
و ١٦٧ و ١٨٩ و ١٨٩	زروود - ١٩٠
بلنج - ١٣٢	حرف السين
بيروت - ٤٦	ساحرا = سر من رأى
البيضاء - ٢٨	سبأ - ٢١٤

سجستان — ٩٥

سر من رأى — ١٨٩

سلسی — ١٩٩

سلوفا — ٥٢

حرف الشين

الشام — ١٨ و ٣٧

شیراز — ٢٨

حرف الطاء

الطائف — ١٦٧

طهران — ٣٥

حرف البين

العراق — ٥١ و ٥٢ و ٣٧

العتيق — ١٩٠

حرف النين

غولستان دمشق — ١٣٢

الغدير — ١٩٠

حرف القاء

قارص — ٢٨ و ٢٩ و ١٥٠

حرف القاف

القاهرة — ١٨ و ٤٢ و ٩٨ و ١٣٠ و ١٣٧

و ١٤٤ و ١٥٣ و ١٥٩ و ١٦٥ و ١٦٨

القسطنطينية — ١٥ ، ٤٧ ، ١٤٠

حرف الطاء

كابلية — ٩٧ و ١٩٩

٣٩٠

السكوة — ٢٤

حرف اللام

لندن — ١٩٠

لیدن — ١٢٧ و ١٤١

حرف الميم

للبنية — ٦٣

مصر — ٢٢ و ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٣

و ٣٤ و ٣٥ و ٣٧ و ٣٨ و ٤٦ و ٥١ و ٥٢

و ٦٧ و ٩٢ و ٩٤ و ٩٩ و ١١٤ و ١٤٠

و ١٤١ و ١٤٧ و ١٩٠ و ١٨٩ و ١٩٩

و ٢٠٨

منى — ٧٠ و ٧٩

لأوصل — ١٨٥

ميناغورين — ١٩

حرف الكون

نجد - ١٤١

نصيبين — ١٨٥

نيسابور — ٢٠

حرف الواو

وج — ١٦٧ و ١٦٨

وهران — ١٦٦

حرف الياء

العين — ٣٤ و ٥٠ و ٥٢

فهرست الكتب

حرف الألف	الإيضاح - ٢٩ و ٦٩ و ١٠٦
الأميات السافرة - ١٩٠	حرف الباء
أخبار بغداد - ١٨٦	الإدابة والتهابة - ٢٢
أدب الكتاب - ٥١	بنية الرواة - ٢ و ٢٢ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٧
أساس البلاغة - ٢٠٧ و ٢١٦	و ٥١ و ٨٢ و ٨٧
أسباب حدوث الحروف - ٣٥	حرف التاء
أسد النابة - ٣٦	تاج العروس - ١٨٩
أسرار البلاغة - ٧٠ و ٧٦	التاجي في أخبار بني جريه - ١٨
أسماء بقايا الأشياء - ٨٢	تاريخ بغداد - ٩٢ و ١٨٦ و ١٨٩
الاصابة - ٢٤ و ٣٦ و ٤٢	تأريخ المططبب البغدادي - ١٤٣ و ١٨٢
إيجاز القرآن - ٢	تأريخ الطبري - ٢٤ و ١٥٠
إعتراب القرآن - ٢٢	تبيين غلط قدامة بن جعفر في نقد الشعر -
الأعلام - ٢٢ و ٢٩ و ٤٦	٢
الأخاني - ٢٢ و ١٠٣ و ١٢٧ و ١٦٥ و ١٦٦	الغنية والجمع - ٢٩ و ٣٧
و ١٨٢ و ١٨٦ و ١٨٩ و ١٩٠	التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم - ٨٢
الامتاع والزائفة - ٢٧	تحفظ أخبار الرسل - ١٩
الأمثال - ١٥	تذكرة الكتاب - ١٨٨
الأمساب - ٢	ترجم الصحابة - ٣٦
الأنواء - ٢٩ و ٣٧	التشابه - ١٩٠
الأوائل - ٨٢	التصريف - ١٠

تفسير كتاب سيويه - ٢٩

تفضيل شعر امرئ القيس على شعر
الجاهليين - ٢

التنبه على غلط الجاهل والنبه - ٢٦

حرف الجيم

جمرة الأمثال - ٢ و ٨٢

جمرة أثمار العرب - ٢٦٤

حرف الحاء

الحاسة - ٦٦ و ٦٧ و ١٦٨ و ٢٠٠

حرف الخاء

الخاص والشارك في معاني الشعر - ٨٧

الخراج وصناعة الكتابة - ٤

الخصائص - ٥٩ و ٩٨

حرف الدال

درة النواص - ٤٨

دلائل الانحياز - ٦٤ و ٦٦ و ٦٧ و ٧٠
و ٧٣ و ٧٦ و ١١٤ و ١١٥ و ١١٦ و ١١٧

و ١٢٤ و ١٣٣ و ١٦٦

المبة - ٢

ديوان أبي تمام - ٨٥ و ٨٨ و ٨٩

ديوان امرئ القيس - ١١٦

ديوان الحاسة - ١٦١

ديوان التنبي - ٥٠

ديوان الثاني - ٢ و ٨٢

حرف الزاء

الرد على ابن المتر - ٢

الرد على سيويه - ٢٢

الروضة - ٢٢

حرف الزاي

الزغشري - ٤٤

زهر الآداب - ١٨٢

حرف السين

سر صناعة الأعراب - ٣٦ و ٣٧

سر الفصاحة - ٣ و ٢٣ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٨

و ٥٣ و ٥٨ و ٧٧ و ٧٨ و ٧٩ و ٨٠ و ٨٧

حرف الشين

الشفافية - ٩

شرح الحاسة - ٣٣ و ٥٤ و ١٢٧

شرح سيويه - ٢٩

الشعر والشعراء - ١٢٧ و ١٤١ و ١٤٢ و ١٨٩

شرح السكاكية - ١٤٠

حرف الصاد

المصاحح - ٦٧ و ٩ و ١٠ و ١٩٤ و ٢٢

و ١٠٨ و ٢٠٣

صناعة الجدل - ٢

الصناعتين - ٢ و ٤٧ و ١٤٧ و ٢٠٠ و ٨٢

حرف الضاد

الضرائر - ١٤١

حرف الطاء

طبقات الجوزي - ٣٦ و ٨٧

طبقات الشعراء - ٩٢ و ١٤١ و ١٤٣ و ١٨٩

حرف الميم

عيون الأخبار - ٢٦٨

العمدة - ٢٣ و ٢٧ و ١٨٨

حرف النون

غاية النهاية - ٣٦

غاية النهاية في طبقات القراء - ١٢٨، ١٣٦

غلاة قدامة ابن جعفر في نقد الشعر - ٨٧

حرف الذاء

الغنائق - ٢٤ و ٢٥ و ٤٢ و ٤٥ و ١٠٥

و ١٦٧ و ١٦٨ و ٢١٢

فروق ما بين الخاص والشارع من معاني الشعر - ٢

فقه اللغة - ١٦١

الفلك الدائر على أثل المسائر - ١٤ و ١٥ و ٣٩ و ٤٠ و ١٧٠

الفهرست : - ٢٩ و ١٩٠

فهرس دار الكتب المصرية - ٨٢

فوات الوفيات - ٢ و ٣ و ٢٢ و ٩٥

حرف القاف

القاموس - ٣ و ٨ و ٢٦ و ٣٢ و ٤٣ و ٤٧

و ٤٨ و ٦٢ و ٨٥ و ١٦٢ و ٢٥٥

قاموس الأعلام - ١٢٨

القرآن الكريم - ٣

حرف الكاف

الكمال - ١ و ٢٢ و ١١٦ و ١٦٥ و ١٦٦

كتاب سبويه - ٣٧ و ٤٧ و ١٣١

الكتاب للأثور عن ابن العمير - ١٩٠

الكشاف - ١٥٣ و ١٦٥

كشف الظرة - ٤٨

الكشف عن مساوي شعر المتضي - ٢٠٨

حرف اللام

اللباب - ٢

لسان العرب - ١٠ و ٢٦ و ٣٥ و ٤١ و ٣٦

حرف الليم

ما في عيار الشعر من الخطأ - ٢

الثل المسائر في أدب الكتاب والشاعر - ٢

و ٣ و ٧ و ٢٨ و ٣٥ و ٤٢ و ٤٣ و ٤٤ و ٥٧

و ٥٨ و ٦٦ و ٧٠ و ٧١ و ٧٢ و ٨٩ و ٩٥

و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٣ و ١١٣ و ١٢٣ و ١١٤

و ١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٨ و ١٢٩ و ١٣٠ و ١٣١

و ١٣٢ و ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦ و ١٣٨ و ١٣٩

و ١٤٠ و ١٥٨ و ١٥٩ و ١٦١ و ١٦٤ و ١٦٥

و ١٦٦ و ١٦٩ و ١٧٠ و ١٧٢ و ١٨٣ و ١٨٠

و ١٨١ و ١٩٨ و ١٩٩ و ٢٠٢ و ٢٠٤ .

الجزازات القرآنية - ٣١

الجزازات النبوية - ١٦٧ و ٢١٢

المجموع القيم - ١٩٠

- مختار الصحاح - ٦ و ٤١ و ٤٢ و ٤٣
و ٤٣ و ٥٥ و ١١٠
مختصر الأسماء - ٢
مراصد الاعتلاج - ١٦٧
معارف المشاق - ١٣
المصباح النير - ١١ و ١٨ و ١٠٦ و ١٧٦
و ١٩٥ و ١٩٦
معاني الحروف - ٢
معاني شعر البحري - ٨٧
معاني الشعر - ١٩٠
معاني القرآن - ١١
معجم البلدان - ١٣٢ و ١٨٥ و ١٨٨
المعجم - ١٨٥
المعجم في بقية الأشياء - ٢
معجم الأدباء - ٢ و ١٨ و ٢٢ و ٣٧ و ٨٢
و ٧٧ و ٩٦ و ١٦٩
معجم في اللغة - ٨٢
معجم الشعراء - ١٦٩
المفصل - ١٤٠
الفضليات - ١٥
مقاييس اللغة - ١٠ و ٢٦
المقاييس - ١٧٢
مناهل الآداب - ٢
- الغضب - ٣٩ و ٣٧
الولادة بين البحري وأبي تمام - ٨٧ و ٣ و ٨٧
الوثف - ١٦٨
الوثف والمختلف في أسماء الشعراء - ٨٧
الوشح - ١٤١ و ١٨٨
حرف النون
نثر المنظوم - ٨٧
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة -
١٨٦
زفة الأبناء - ٢٩
نصب عدنان ولجعلان - ٢٢
نقد الشعر - ٢ و ٨٧
نقد عيار الشعر - ٨٧
نكت الحميدان في نكت السبيان - ١٤٣
النهاية - ٢١٢
النوادر - ١٤٣
نواذر الأعراب - ١٤٣
حرف الؤلؤ
الوزراء والكتّاب - ١٦٩
وفيات الأسيان - ١٨ و ١٩ و ٢٩ و ٥١
و ٨٩ و ٩٥ و ٩٧ و ١٤٣ و ١٨٢ و ١٩٠
حرف الياء
بقيمة الدهر - ٢٠٨

فهرست الأشعار

« الواردة في متن الكتاب »

اصحفا

« حرف الهجزة » - أ -

وما العيش إلا عومسة وتشرقى	وتغر على رأس التخييل وماء	٢٩
ومعترس لفتيت يخفق بينه	رايات كل كرجلة ومطفا	٨٥
صعبت فرائض الآء سبيء خلقها	قتلعت من حسن خلق الآء	٨٦
وكأنما فوق الأكف بوارق	وكأنما فوق التون إضاء	٩٢
وله بلا حزن ولا بحسرة	ضحك براوح بينه ويكاء	٢١٢
إسلم ودمت على الخواث عارفا	وكنا نبيير أو مضاب حراء	٢٤٢
يسقط الطير حيث يلتقط الحب	وأنتشى منازل الصكرماء	٢٤٨
خرقاء يلعب بالقول حيايها	صكتلب الأفعال بالأسماء	٢٤٩
قد ذبت غير حشاشة وذماء	ما بين حر هوى وحر هراء	٢٥٩

« حرف الياء » - ب -

هل تاشدلي يقيق الثوى	غزباناً مرة على الركب	٥٦
لكل دهر قد ليست أنثوا	٦٢
أثمرت أغصان راحته	لجنة الحسن عناها	٨٤

- يوم فتح سقى أسود الضواحي
أنهجر يثاً بالحجاز تطلعت
ملوك يمشون توارثوها
صدودكم والديار دابسة
بندرين جندل حنر لجفوها
فأجوا فأثجروا بالقي أنت أهله
إليك جزءها مغرب الشمس كفا
أهن عواذي يوسف وصواجه
أم هل ضعائني بالغياء رافعة
وصالكم هجر وجيمك فلي
وليفكم عصف ولربكم نوى
شكوت فقلت : كل هذا نيرم
أنت دلو وذو السراج أبو مو
إذا ما عزا بالبيض حلقى فوقه
وما مثله في الناس إلا مملوكاً
كأن مبيون الوحش : حول خباثا
فكل ذي غيرة يؤوب
يمدون من أيدي عواصم عواصم
بيض الصقاع لا سود الصعاليق
كعلاء في برج سفراء في دمع
ألم تر أن اللال يكسب أهله
- كسب اللوت رائياً أو حلياً
به الخوف والأعفاء من كل جنب
مرادفها القلود والقباب
أهدى رأسي ومغربي شبا
فكأنما تلذكي سداً بكها الطبا
ولو سكتوا أثنت عليك الحفاب
أجزنا ملاً صلت عليك سياحه
.....
وإن تكامل فيها الدلّ والشب
وعطاكم صدّ وسلككم حرب
وإعطاكم منع وصدقكم كذب
بهي أراح الله قلبك من حيي
سي قلب و أنت ذو القلب
عصائب طير شهدي بمصائب ٢٢٩-٢٤٦
أبو أمسه حي أبوه يقاربه
وأرحلنا الجزع الذي لم يقب
ونائب للوت لا يؤوب
لنسول بأسياف قواصم قواصم
متوهن جلاء الشك والريب
كأنها فضة قد شابهها ذهب
نضوحاً إذا لم تغط منه نواصيه

« حرف التاء » — ت —

٢٢	به ذيب في نسوة خفرت	نضوح مسكا بطن فعلان إذ مشيت
٥٨	مثل القلوب بلا سويداوتها	إن الكرام بلا كرام منهم
٩٥	والحمد في حبسه	لم يكتب غير لنا
١٠٩	سائر بني أسد ما هذه الصوت	يا أيها الزاكب الزجي مطيته
٢٤٨-١٦٦	لألف مما في سراويلاتها	إني على شغفي بما في خرعا
٢٢٢	بصاحب الفصالن فيه إذا أتى	يوم التيم فبك حولك حكايل
٢٤٧	وجاز له الأعداء من حسنه	فإن لم يجد في قسمة المعرجية
٣٦٧	فيها ولا همس ولا أخت	يت عن الدنيا ولا يت لي

« حرف التاء » — ث —

٤٩	يحف به أسدُ الإقاء البلاغت	وماراهم إلا سرادق جعفر
----	----------------------------	------------------------

« حرف الجيم » — ج —

٩٤	معيان عشي في النجى بسراج	والصبح ينور للشرى فكانه
٢٤٤	وغير بالطيبات القاتك للمعج	من راقب الناس لم يظفر بحاجته
٢٥٧	ويفتح باب الطوى الرنجا	لتأوك يدي من الرنحي

« حرف الحاء » — ح —

٦٠	ومن قم الرجال بعشراج	فأت من التوائل حيث نرى
٧٠	ومستح بالأركان من هو ماسح	ولما قضينا من متى كل حاجة
٧٨	عشبة بنا عند ملوان رزح	وقلت لقوم في السكينف تروحوا

ملا حاجيتك الشعر حتى كأنه
 طباك جرت منها سبيح وبارح ١٧
 فقد والشك بيني في عناء
 بوشك فراقهم صردا أصبح ١١٢—١٢٩

« حرف الظاء » — خ —

لا يفقدن حيرتكم مجالسكم
 ولا تصكبوا كأنكم سبيح ٢٦٧

« حرف الهمزة » — د —

وقروا بها صهي على مطيع
 يقولون لا نيك أسى ونجمل ١٧—٢٤٣
 أعزز علي بأن أراك وقد خلا
 عن حاجيتك مقاعد العوائد ٥٣
 وحسبني إسمع عنها فزدتني
 جنونا فزدني من حديثك باسمه ٧٩
 إلى ملك في أبكة الجهد لم يزل
 على كيد للعروف من تيه برد ٨٩
 تسم وقطوب في غدي ووهي
 كالنيت والبرد تحت العارض البرد ٩٢
 لو شئت لم تُفسد صحابة حاتم
 كراماً ولم تهديم مآثر عده ١٢٦
 وليلة كحلت بالنفس مقلتها
 أقت فناع الحصى في كل أخدود ١٨٢
 سلام على الدنيا إذا ما عندتم
 بني برمك من راحين وغدي ١٨٨
 أرجع الليل إن الغشوع ليادي
 ١٨٨
 لقد علم القبايل أن قومي
 لهم تحد إذا كس الحديد ٢٠٠
 كيف أسلو وأنت حقف وعصن
 وغزالي خطأ وردفاً وقدأ ٢١٣
 فبا أيها الخيران في طامة الحصى
 ومن غاف أن يلقاه بني من العدا ٢٢٤
 ولا أثنائي من حاك تحية
 لسنوع من أئامها السك والندأ ٢٣٢
 ولا يقوم سودوك لحاجة
 إلى سيد لو يظفرون بسيد ٢٤٨
 يلقاك بإزاء الخير المني
 وفي ضمير النفس ماراً تقيد ٢٦٨

٥٤	وطائى ويومي ضيق الجعر معور	أقول للحيان : وقد صفرت لهم
٨٦	يا بحر علم عمت في تياره	يا طسود علم ظلت مستصماً به
٩٤	فقرة في القدرع ذي القشير	يا طالباً عجائب الأمور
١٠٧	فقد برئت من الإحن الصغور	قلنا أسفوا إننا أخوكم
١١٣	أبره ولا كانت كليب تصاعده	إلى ملك ما أمه من محارب
١١٣	بها أسد إذ كان سيفاً أوبرها	ولست خراسان التي كلت غله
١١٦	أطيق أجنحة اللباب بضير	فدع الوعيد فما وجدك ضايري
١٢١	حفر الموت واني للفرور	ولقد أجمع رجلي بها
١٢٤	وما عليّ إننا لم نفهم البقر	عليّ تحت القواني من مصادنها
٤٣	قدر وأبدها إننا لم نقدر	ما أقرب الأشياء حين يقودها
١٦٥	عزيز علينا أن نراك تسير	تقول التي من بينها خف محلي
٢٤٧ و ١٦٦	وأسدف عما في غيان الآزور	أحن إلى ما تضر المحرّ والمحرّ
١٨٩	وساعدك الشفارة والخبور	ألا يا ديار دام لك السرور
١٩٢	ودونك أحوال الفرمان الخاصر	ورامك أقوال الوشاة القواجر
١١٣	ولا البخل يُبقي للوالجد مدير	فلا الخود ينفي لئال والحد مُقبل
٢٣٠	في وسعه لسمي اليك الثبير	ولو أن مشتاقاً تكلف فوق ما
٢٤٢	ثت ماروا رحكنا نمر	إسلم ودمت على الطوا
٢٤٤	وقر بالذرة الجسور	من واقب الناس مات همّاً
١٤٦	رأي عين ثقة أن سيجار	وترى الطير على آثارها
٢٥٨	ج ذكراً طيب الشعر	ونفري بمجمل الصنـ
٣٩٩		

٢٦٠	ومنهم من الكشعين أحوى أحور	من كل ساجي الطرف أعيد أجيد
٢٦١	أضى الثناء عليه وهو مقصور	تناصرت هم الأملاك عن ملك
٢٦٢	لطوى وتشر دونها الأعمار	إن الهبالي ثلاثم متاهل
٢٦٢	ومن جـواذ على حار	حكم من حصار على جواذ
٢٦٣	لشيء من حل الأشعار عاري	أبا العباس لا تحب لثالي
٢٦٥	دي الطريقة نفاع وضرار	حاي الحقيقة همود الحليقة مهـ
٢٦٦	سوء مبني ليلة التميم	مز على ليل بني سدر
٢٦٨	حبس الأداة ليس فيه منار	ليل بلا نور أجبن بهمـ

« حرف الزاي » — ز —

٧٩	لم يحزن قتل السلم الثعرب	وحديثها السحر الحلال لو أنه
----	--------------------------	-----------------------------

« حرف السين » — س —

٩٧	إذا ألبسته الظلمات الحادس	ورمل كأوراق الفاري قطعه
٢٠٠	وما زال محبوساً عن الظير حابس	وما زال مقولاً عقال عن الندى

« حرف الصاد » — ض —

٢٤٩	وحمة جوهري معروفها مرض	مودة ذهب آثارها كسبه
٢٥٨	عاد منها سواد هبي بياضاً	يا بياضاً أذى دموعي حتى

« حرف العين » — ع —

٤٨	تباروه فالضب جار الضفدع	متاعلما تحب الوحوش مكانها
----	-------------------------	---------------------------

٢٧٢ و ٦٧	وَجِئْتُ مِنَ الْإِسْنَاءِ لَيْتًا وَأَخْدَعَا	تَلَفْتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتَنِي
٩٥	كَكَالٍ بَعْدَ السَّبِيلِ بِجَرَاهِ تَهْمَتَا	فَتَى يَحْيَىٰ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ
١٢٠	لَقَدْ تَلَقَّتْ لُجْلُلاً عَلَى الْأَقْلُوعِ	لَقَمَرِي وَمَا مَرِي عَلَى بَهْتِ
١٢٧	عَلَيْهِ وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ	وَلَوْ شِئْتَ أَنْ أَبْكِي دَمًا فَبَكَيْتَهُ
١٤٣	وَلَوْ حَلَّتْ فِي السَّمَاءِ الطَّالِعُ	وَمَا لِأَمْرِي حَوْلَتَهُ عَنْكَ مَهْرَبُ
١٩٢	لَقَدْ تُسِينُ عَلَى الْكَرِيمِ الْأَرْوَحُ	لُخِطْتُ مِنَ الْخُدَّائِلِ أَحْمَسُنْ أَدْرَمِي
٢٣٠	تَصَمْتُ بِالسَّاءِ نَوَلِيَا جَدِيدَا	وَذَاتِ هَدَمٍ عَارٍ نَوَاشِرَهَا

« حرف القاء » — ف —

٩٩	مِنَ الدَّمْعِ يَدُو كَمَا ذُرِفَتْ ذَرَقَا	كَأَنَّ السُّهْمَا إِنْ سَافَ بَيْنَ غُرُقَةٍ
٢٤٥	حَتَّى أَهْوَمَ يَمَعُضُ مَا سَلَفَا	لَا تَسْمِينُ نَالِي عَارِقَةٍ

« حرف القاف » — ق —

٥٠	وَمِنْ ذِي الْهَارِي أَيْنَ مِنْهَا الْفَنَاقُ؟	سَلَى الْبَيْدَ أَيْنَ الْجَنُّ رَيْثًا يَجْتَوِزَهَا
٥٦	يَصْبِحُ الْحَصَا فِيهَا سِيَاحُ الْقَفَاقِ	وَمَعْرُومَةُ سَبْقِيَّةٍ رَبِيعَةٍ
٩٦	فَدَاحُ كَأَعْلَاقِ الطُّبَاءِ الْفَوَارِقِ	كَسَاهَا رَطِيبُ الْعَيْشِ فَاغْتَدَّتْ لَهَا
٢٥٧	سَاقٍ يَجَافِقُ فَرَقَ سَاقِرٍ سَاقَا	وَمَرَى سَوَائِقَ دَمْعَهَا فَنَوَاكَفَتْ
٢٦٥	قَوْلًا مَحْكَمَةً جَوَابَ آفَاقِ	حَتَّى الْوَيْبَةِ شَهَادَ أَمْدِي

« حرف الكاف » — ك —

٦٧	أَضْجَعْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خَرْقِكَ	بَادِرْ قَوْمَ مَنْ أَخَذَ بِكَ قَدَمُ
١٥٩	فَأُفْرَجَ أَلَمْ سَيَّرَنِي فِي شَمَاكِ	أَيُّيَ أَفَى يَمْنَى بِدَلِكِ جَمْعَتِي

- يا دار غيـرك البلى وعماك يا ليت شعري ما الذي أبلاك ؟ ١٨٩
هل لما كنت من تلافير تلافير أو لكثير من العصابة شاهكي ٢٥٧
أعدت شيئاً بقل لولا أهدوتك القليل والتبرك ٢٦٢

« حرف اللام » — ل —

- وتوقفاً بها هي على مطيهم يقولون لا تهتك أسي ونجس ٢٤٣ و ٢٤٧
قتلتك بالهم الذي قتل الحشا قلائل عيسى كأنهم قلائل ٢٠٨ و ٥١
قتلت له لما تمطس بسلبه وفردف أعجازاً ونا بكلكل ٨٧
كأن الجنون على مثلي ثياب شققن على تاحكن ٩٤
وميتة أجل التلوي وجهاً وسالفة وأحسنه قدالا ١٠٧
أبتلي والشرفي متاجعي ومسنوة ذرق كأناب أحوال ؟ ١١٦
لو أن الباخلين وأنت منهم رأوك تطورا منك للطلا ١٢٠
يقول رجال يجهلون خليقي لعل ريداً لا أبا لك فافل ١٢٠
نظرت وشخصي مطلع الشمس طلة إلى القرب حتى طلة الشمس قد غفل ١٢١
قلت يمين الله أخرج قاعاً ولوقطعوا رأسي لديك وأوصالي ١٣٧
أصروا إلى الحسن ورق عكلاهما ورؤيت فذات سمه أي بدلال ١٥٦
أما وهواها مسخرة وتغصلا فقد نزل لرائي إليها فأهلا ١٩١
وإذا البسابل أظرت بهديها فأغبر البلال باحتساء بلابل ٢٥٥ و ٢٠٨
سارت به صيغ القسالة شرنا فكأنما عككات سباً وقبولا ٢١٠
كأن لم أركب جواراً لدنة ولم أنطقن كأمياً ذات خيل ٢١٧
لو أن في قلبي كقدر قلامة كعباً وسلكك أو أهلك رسالي ٢٢٠

- وَأَنَا لِنَيْفَةٍ وَ لِلوَاطِنِ كَلَامُهَا ٢٢٨
 غَدَاً لِأَحْمَدِ، سَدَّتْ إِلَيْهِ ٢٢٨
 قَفَّ الْقَبَسُ مِنْ أَضْلالِ مَيَّةٍ فَسَأَلَ ٢٤٠
 طَيِّبٌ ذَوِي الْأَسْفَلِ نَسِيرٌ مَقُولُهُمْ ٢٤٥
 فَمَا بِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٌ وَمَنْزِلٌ ٢٥٥
 وَأَعْرُ فِي الْأُزْمَنِ الْقَدِيمِ مَحْجَلُهُ ٢٥٨
 نَسِيمُ الرِّدْوَاسِ فِي رَيْحِ شَجَلٍ ٢٦١
 كَيْفَ السُّرُورُ بِإِقْبَالِ وَأَعْرُ ٢٦٢

« حرف اليم » — م —

- أَذَلَّتْ الْغَوَايَ حَصْنَهُ مَا أَذَقْتِي ١٩
 بِيضَاءَ تَحَجُّبٍ مِنْ قِيَامِ فَرَعَهَا ٩٢
 أَمِنَ الْغَزَالَ لِلْسَّيْرِ مِنَ الْقَفَا ٩٧
 فَاصْبَحَتْ بِهَذَا خَطًّا يَهْجِيهَا ١١٢
 أَتَرَكُ أَنْ قُلْتُ دَوَائِمَ خُصَاكَ ١١٦
 مَتَعْتَ تَكْلِيفَ الْحَيَاةِ وَمِنْ يَمْسُ ١٢٠
 فَلَا مَهْجَةَ فِي الْأَرْضِ مِنْكَ مَنِيعة ١٢٠
 كَأَنَّ بِمِرْقَمِهِمْ طَيِّبٌ عَلَى شَرَفِ ١٢١
 وَدَعَتْ — وَمَا تَقْنِي الْوَدَادَةَ — أُنِّي ١٦٤
 وَشَكَّكَتْ بِالرَّمَحِ الْأَمْسَمِ نِيَاهُ ١٦٤
 بِزَجَاجَةٍ صَفْرَاءَ ذَاتِ أَسْمَرَةٍ ١٦٥
 وَصَافِيَةِ لَفْظِي الْعَيُونَ بِنُورِهَا ١٨٦

١٨٩	نشرت عليه جملة الأيام	قصر عليه نحية وسلام
١٩٠	لم ين فيك بشاعة لستهم	يا دار ما فعلت بك الأيام
١٩٩	أهلي سلى بكلمة أسلا
٢٠٨ و ٢٠٩	لني عند منكم مقام	ولم أر مثل جيراني ومثلي
٢١٧	كأنك في جفن الردى وهو دائم	وقفت وما في الموت شك لو أقبر
٢٢٦	معرفةً ولدت لدى الهيجا، ضرغام	لمحت ولدت فقيت حين نساك
٢٢٣	طريد دمٍ أو حلالاً قتل كفرم	لقد خفت قوماً لو لجأت إليهم
٢٢٦	تجوت غولوبه تنظم	وما مُزبد من خليج الفرات
٢٢٧	حتى ظننا أنه حمور	ما زال يهذي بالكلام والملا
٢٢٧	كما استغنى فهدوء من أم ملهم	وتلقته عند المصكرم رهرة
٢٢٨	هتكا حجاب الشمس أو طورت دما	إذا ما قضينا رغبة مُضربة
٢٢٩	ركن الطير إذا ما جاء يستأنم	يكاد يسكه عرفات راحته
٢٣٣	لا دهان يمش في أكدمه	قم قاسنيها يا أعلام وعشقي
٢٣٩	— بلا حبيب — يوم الحقاء كلامي	أحلت دي من غير جرم وحرم
٢٤٧	ويشلي الله بعض القوم بالترحم	قد ينعم الله بالولوى وإن عظمت
٢٤٧	لأعطارك الذي تسألوا وسألوا	قلو يمتهم في الشر تهمدو
٢٤٨	وانتهل العذب كتير الزحم	يزدحم الناس على بابيه
٢٥٥	كخطك في رقبتي كتاباً منمنا	أنرف أتللاً وتوباً مهدما
٢٥٨	أرى قدي أراق دي	إلى حقي مشي قدي
٢٦٥	عصف قرانها ، صيفت من الكرم	سود ذوائها ، يصف ترانها

« حرف التول » - ن -

١٢	ادعي في حكمة الرحمن	أنت مني في ذمة وأنت
٥٧	إسقي الأسماك العذبة ...	نبت في جنتك ونبت
٥٦	وعل خشب بالحقين علاقة	بقلي أم دابت غير كدان
١٠٣	أني قد لقيت التول نوي	يسوب كالسحيفة سمعان
١٢٠	إلى الثمانين - وبلغتها -	قد أحوجت سمعي إلى ترجان
١٣٣ قد جثا غراسا
١٤١	درّس النسا بمذاهب فأبان
١٦٤	وتعزّدوا بالكلمات فلم يحسن	لواء منها سوى المرمون
١٨٢	صكّن الشموع وقد أظلمت	من شارب في كل رأس لسان
٢١٤	يخزون من سم أهل العلم فمرة	ومن إساءة أهل سوء إحسان
٢٤٧	كذمة لا تستدل بشكرها	قد لي علي شكره كلفه
٢٥٧	لم يبق غيرك إلا في بلاد به	فلا برحت لمن الدهر يسانا
٢٥٧	قلت لقلب ما دهرك أعجبني	قل لي بانع الفراسي فرائي

« حرف الهاء » - ه -

٨٩	وتناسم الناس السخاء مجزاً	ودعيت أنت برأيه وسنامه
٩٦	أنتك أبا حسن وردة	تلك النفوس بأنفسها ..
٩٨	في ظلمة البدر شيء من ملاحظها	وللقضيب نصيب من نقشها ..
١٨٥	وليل كوجه البرقيبي ظلمة	ورد أغانيه وطول قروته
٢١٤	وأمة كان فيح الجود يستغفها	دهراً فأصبح حسن العدل برضاها

- ملكت بها كفى ما نهرت منها
 يرى غم من دونها ما وراةها ٢٢٩
 ومن البلى التي لا
 من لها في الناس مكانة ٢٣٢
 خذها إذا أنشدت لقوم من طرب
 صدورها عبرت منها قوافيا ٢٣٨
 تلك التبا من عندها فطمت
 أم نظيم المقدم من تباها ! ٢٤٢
 تنازع في الدنيا سواك وماله
 ولا لك شيء في الحقيقة فيها ٢٤٨
 أرى الدنيا وما وصلت بهر
 إذا أغتت فقيراً أرهنته ٢٤٩

« حرف الباء » — ع —

- وقد يجمع الله الشئيين بعد ما
 يظن أن كل الطين أن لا تلتقا ٣١
 من ليس يرقل إلا في سوابقه
 من تبعد مفاض أو سوقي ٥٢
 بني هنا لا تذكروا الشمر بعد ما
 دفنتم بصحراء التمير القوافيا ١٦٨

فهرست الأسماء

في الواردة في حواشي الكتاب

— حرف المعزة —

المعزة

- | | | |
|-----|-------------------------|--------------------------|
| ٢٤٨ | واحدًا طرف عنها الموراء | حييا صاحبي أم الصلاء |
| ٢٤٨ | بُ وفتى منازل الصكرماء | يسقط الطير حيث ينتثر الح |
| ٢٤٩ | ومصارح الإدلاج والأسراء | يا موضع الضمنية الوجسام |

— حرف الباء —

- | | | |
|-----|-------------------------------|-----------------------------|
| ٨٨ | قصوب من ملة أن تصوبا | من سجدوا الطول أن لا نجيا |
| ١٦٦ | تفا ذات أوشال ومولاك قارب | أقول لركب صاعدين القيسم |
| ٢٦٤ | وفي الكثار وفي أنيابها شنب | لياء في شفتيها حوة لفس |
| ٢٢٧ | دلوي في ماء دك القلب | لم أزل بارء الجوانح مذ حطخت |
| ٢٢٨ | إذا ما التقى الجمعان أول غالب | جوانح قد أيقن أنف قبله |
| ٢٣٣ | وقيت في خلف كجهد الأجرب | ذهب الذين يعاش في أكتافهم |
| ٢٤٦ | ولن أقسيه بغير الكواكب | صكيلي لهم يا أمية ناصب |
| ٢٥٥ | فالقطيبيسات فالتنوب | أفقر من أهل ملحوب |
| ٢٦٠ | أذبلت صومات الدموع السواكب | على مثلها من أربع وملاص |
| ٢٦٣ | في حده الحد بين الجلد واللب | السيف أصدق أنباء من الكتب |

٢٦٤ ما زال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كلى مفرقة سرب

— حرف التاء —

١٦٦ سرب محاسنه حرمت ذواتها دائي الصفات بعد موصوفاتها

٢٤٧ أقول لمرئاد الذي عند مالك تعودُ يهودى مالك وصلاته

— حرف التاء —

٤٩ تجد لهم عن صهوة الطرف راكب وأغسلهم من جانب الطود ما كثر

— حرف الجيم —

٢٤٤ خشاب على طبة عندك فرجُ أو لا فني بحيل التوت معطج

— حرف الطاء —

١ ذكرتك أن مررت بنا أم شادن أعلم للطايا تشربُ وتضع

— حرف الدال —

٥٣ أعلمت من حملوا على الأهواذ أرايت كيف حيا ضياء القادي

١٩ بني تركت الصبا محمداً ولم أكدر من غير شيب ولا عقل ولا فند

١٢٦ عجباً لطيف خيالك التماسد ولوسك التقلوب التماسد

٢٣٦ إذا وجدت أوار الخب في كبدى أقبك نحو سقاء التوم أغرد

— حرف الراء —

١ يا ما أبلغ غزلاناً شرفت لنا من هزالنا سكن الضال والعم

١٠٦ لا يفسزع الأرتب أهوالها ولا ترى الضب بها يهجر

١١٧ أصلي إنك جعلت مفرور لا حكمة لك لا ولا لك نور

وفي الشهب زجر له لو كان ينزجر	وبالغ منه لو لا أنه حجير ١٢٤
عليّ تحت التواني من مقاطعها	وما عليّ لهم أن تنهمم البقر ١٢٤ و ٢٤٨
بنير شفيح نال عفو القاصد	أخو الجدة لا مستغصراً بالمأذ ١٦٦
ولقد قلبي ما أرق على المسوى	وأصبي إلى ألم الحدود التواظر ١٦٦
ونهمري في شسري الحمد	على شاصكة النجمر ٢٥٨
إنّ الطباء لعداء سنج حجير	هيجن حر جوى وفرط تذكر ٢٦٠

— حرف السين —

وما ذات أرواق تصدّى لجؤذر	بحيث ثلاثى طرب فالأواص ١٩٩
---------------------------	----------------------------

— حرف الصاد —

دل السؤل شجى في الخلق منترض	من دونه شرق من تحت جرض ٢٤٩
-----------------------------	----------------------------

— حرف العين —

حفت إلى ربا ونفسك باعدت	مزارك من ربا وشعيا كما معا ٢٧٢ و ٢٧٧
ألمّا على معشّر وقولا اقبره	سقتك القوادي صربا ثم صربا ٩٥
وإني وإن أظهرت صبرا وحسبة	وصانمت أعدائي عليك لموجع ١٢٨
قضى وطسراً منك الحبيب للودع	وحل الذي لا يستطاع فيدفع ١٢٧
أبها النفس أجلي جزءاً	إن الذي تحضرين قد وقعا ٢٣٠

— حرف الفاء —

.....	حتى أقوم بشحكر ما سلفا ٢٤٥
حلت سعاد وآهها مرقا	قوماً عدىّ وعلة نقدا ٢٤٥

— حرف القاف —

- هو البين حتى ماتاني الحزائني ٥٠
ويا قلب حتى أتت من أغرق
تذكرت ما بين المذنب وبارق ٥١
بحر موالينا وبحري الموابق
وترى موابق دعمها فتوا كفت ٢٥٧
ساق تجاوب فوق ساق ساقا

— حرف الكاف —

- خيار الشمس جزء من جيبك ١
ونسبية القبلي في يمينك
قد مات محل الزمان من فرقك ٢٧
وأكثر أهل الأعدام في ورقك
نفي يا أعمى القلب فضر لبانة ١٥٩
ونشك الحوى ثم أقبل ما بدا لك
أبيت كآني بين شقين من عصا ١٥٩
حذار الردي أو خبطة من زلائك
قلت أجري أنا غلة ٢٣٦
وإلا فبهني اسماً حالكا

— حرف اللام —

- لا نمر الدنيا فليد من لي البقاء بها حبيب ٢٠
فنا تريا ودني فنانا الخليل
الأم طاعية الماذل ٢٠٨ و ٥١
ولا تخشيا حطاطا أنا قاتل
ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي ٩٤
ولا رأي في الحب للعائل
وهل يعمن من كان في العصر الخليلي ١١٦ و ١٣٧ و ١٥٩

- وأجمع من قدسنا من وجدنا ٢٠٨
قبيل الفقد مفقود المثال
أمن علامة النعم البوالي ٢٣٨
برفض الطيبي إلى وهل
أهلاً بفلكم الخيال للقبل ٢٥٨
هل الذي نهواه أو لم يفعل
أكنت منطوي يوم الرحيل ٢٦١
وقد بلغت دموعي في المصير

— حرف الميم —

٢٧	أو يربط بعض النفوس حمامها	تراك أمكنة إذا لم أرضها
٤٩	لعلّ يبا مثل الذي بي من السقم	ملازم النوى في طعنها غاية الظلم
٩٧	ونعلنا أن الطوى ما هجرنا	أعطيني سحرًا بكامله أسلما
١٤١	أم حبلها إذ تأتلك اليوم مصروم	أما عمت وما استودعت مكثوم
١٨٩	خلعت عليه جمالها الأيأم	قصر عليه تحية وسلام
٢١٧ و ٢٠٤	وعمر مثل ما تهب اللثام	فؤاد ما نسيه العام
٢١٧	ونائي على قدر الكرام الكرام	على قدر أهل العزم تأتي العزائم
٢٢٢	ليش الذي أجرى اليه ابن ضمضم	وفاته والسمع يحضر حكايلها
٢٢٦	أم الحبل والى بها منجضم	أنهجر لحاية أم نسل
٢٢٧	وقدت عليهم لقمة وضعيم	أستى منولم أجت حريم
٢٣٢	وما كاذ مني ودم يشصرم	نصرتم مني ود بكر بن وائل
٢٣٣	وتقبلوا الأخلاق من أسلافهم	أصبحت بين منائر هجروا الندى
٢٤٧	فامهجة من ملأت الردى حرم	يلباس كنى في غهاز الله والسمع
٢٥٥	شهورا وأياما وحولاً بهرما	أقامت به الأرواح بعد أمهها

— حرف النون —

١٠٤	بما لاقت عند رضى بطلان	ألا من مبلغ خيان فهم
١٣٣	ثم الققول فقد جشنا خراسانا	قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا

— حرف الهاء —

١٨٥	أبو جابر في ضبطه وجشونه	على أولئك فيه الجباب كآله
-----	-------------------------	---------------------------

- ٢٦٣ ميلوا إلى النار من ليل نحيها نعم ونسألها عن بعض أهلها
 ٢٦٩ فلا يحدع بحيلها أوب وإن هي سوزنه ونطقته

— حرف الياء —

قولا لعقل الرمح الرديني والرتدي بالرداء الهندواني

فهرست الألفاظ اللغوية المهمة

الواردة في حواشي الكتاب

الصفحة	الصفحة	الصفحة
١٧٦	٧	تَحَفَّظَ (ومعناه)
١١ - ١٠	٦٢	مددوف ومددوف
٢٣٨	١٩٦	ذات وذاتي
١٧	١٨٠	ذهب به وأذهب
٥٠	٢٦	ارتبط (وتعديته)
٢٣٦	٢٣٢	ضمّن (وتعديته)
٢٢٥ و ٢٣	١٧٧	بالإضافة (ومعناه)
١٧٧	٣٢	الشباغ والشبوع
	٤٨	انضاف (وأستعماله)
		توقّر وتوافر

فهرست الخطأ والصواب

صفحة	خطأ	صواب
٢٩	(لم يكتب في)	خطأ الأخر من الخامس
٥١	القالق	٩
٦٨	ويكون فيه الى الى الدم أقرب	٩
٨١	نون	١٦
٩٣	بكم	١٥
٩٦	يدعا	٥
٩٧	من الجهة	١٨، ١٧
٩٩	تحسناً	١٤
١٠٠	ربي	١٨
١٠١	وبعد	٩
١٠١	القسم الثالث	١٤
١٠٤	وبالمضارع من الماضي	٧
١٠٥	آية	٣
١٠٨	عنوا	١٦
١٠٨	عنوا	١٧
١٠٩	وأما تقدير خبر البعداً	١٩
١٠٩	القائدة	٣
١١٠	أنه	١٤
	إن	

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
١١٠	١٦	وكلام	وكلا
١١٠	٢٠	وإن علينا	ثم إن علينا
	٨	لا يغيره	بغيره
١١٢	١٠	سواء كان بياناً أو تسقاً	سواء أ كان بياناً أم تسقاً
١١٣	١	كان	كان
١١٣	١	مهدتها	بهجتها
١١٤	١٠	عجيباً لأخذ	عجيب لأخذ
١١٤	١١	لؤلؤ الكلام	لؤلؤ الكلام
١١٥	١٥	تزيد	تزيد
١١٧	٥	أأخذ غير الله	أأخذ غير الله
١١٨	١٦	يأتي في الكلام لفائدة	يأتي في الكلام لغير فائدة
١١٩	٢	السامع	السامع
١١٩	١٠	وفضاله	وفضاله
١٢٣	١٤	ومتناولها	ومتناولاً
١٣٠	٧	من كل حرب	من كل حدث يقتلون
٢٣٢	١٥	لأصالة	لأصالة
١٣٦	٢	أنه	أن
١٣٦	١٤	وجوهم	وجوهم
١٣٧	١٥	القدور	القدور .
١٤١	٧	الكنانة	الكنانة .
١٤١	١٨	وما يسوغ دوى القاتر	وما يسوغ دون القاتر
١٤٢	١	وإن كان جائزاً	وإن كان جائزاً
١٤٥	٥	اضاف السكاره	أضاف السكره

صفحة	سطر	اخطأ	الصواب
١٥٠	١٥	البلاغة	بلاغة
١٥١	١٣	وإنما حقيقة	إنما حقيقة
١٥٢	٢٠	أَنْ	إِنْ
١٥٧	١٥	فتوضح	فتوضع
١٦٢	١١	ذو شك	ذو شكوك
١٦٥	١	برجاجة	برجاجة
١٦٩	١٠	في استعمال العام والمخاص في	في استعمال العام في الكفي
		الاثبات	والمخاص في الاثبات
١٦٩	١٨	قَنْ	كَنْ
١٧١	٢١	مرفليون	مرفليون
١٧١	٢	وكان يلزم وصف	وكان يلزم من وصف
١٧٩	١٢	كُنْ	كان
١٧٩	١	الآسي	اللاتي
١٨٢	١٢	يَنْ	يَنْهَى
١٨٥	٨	كَنْ	كُنْ
١٨٦	١٤	وجهه	وجه
١٨٦	١	حق	حتى
١٨٨	٨	عاصي	عام
١٩٧	١١	يُرى برك	يُرى برك
١٩٨	٥	يُرد	يُرد
١٩٨	٣	تَنْسَعِ	تَنْسَعِ
٢٠١	١٠	لَأَنْ	لَأَنْ
٢٠٤	١٠	بِنِهَاة	بِنِهَاة

صفحة	مطر	الخطأ	الصواب
٢٠٤	٢٠	الغيت بي علي العجلي	الغيت بن علي العجلي
٢٠٦	٧	النوع الثالث من الباب الأول	النوع الثاني عشر من الباب الأول
٢٠٥	٣	أجبت	أجبت
٢٠٥	٧	له شتم	ما شتم
٢٠٥	١٠	آمين	آمين
٢٠٨	١١	واحداً	واحد
٢٠٦	١٢	يدل على	يدل على معنى
٢٢٠	٨	وهجركم	وحبكم
٢٢٤	٥	بآراء	بإراء
٢٢٧	١٤	ومنها ما لا يحسن	ومنها ما يحسن
٢٢٩	١٢	ويؤثر	ويؤثره
٢٢٩	٢٤	شادة	شهادة
٢٣٦	١٥	أذنية	أذنية
٢٤٦	٢	الذكر	الذكر
١٤٦	٣	ينفك	ينفك
٢٥٤	٩	مدة	أمد